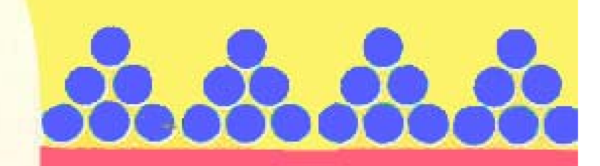
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

في هذا العدد



ثمن العدد درهم واحد

العدد التاسع – السنة الرابعة عشرة – شوال 1391 نونبر 1971

العدد التاسع
السنة الرابعة عشرة
شوال : 1391
نونبر : 1971
ثمن العدد : درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب ، الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما ، فـاكثـــر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حســاب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفــون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط

راجحة ، وقلوب واعية مؤمنة ، وأيد نقية طاهرة للخروج بالبلاد من ازمة طاحنة، وبناء تاريخ واضح الحدود والمعالم يهدف الى بث تعليم اسلامي صميم ، ونشر خلق طاهر كريم ، وبعث اقتصاد متفتح قويم ...

وايمانا من جلالة الملك بقدسية الحق ، وجلال العدل ، وجمال النصفة والاحسان فقد وقف من بعض الولاة موقف الرجل الحازم ، والقوي الامين ، والبصير المومن بعدالة السماء ، والسالك محجة جده الاعظم الذى كان عليه السلام يغضب فى مثل هذه الحالات لربه لا لنفسه ، لا سيما اذا انتهكت حرمات الله ... وقد قالت عائشة رضي الله عنها : ((ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له ، ولا امرأة ولا دابة ، ولا شيئا قط ، الا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا نيل منه شيء فانتقم لنفسه قط ، الا أن تنتهك حرمات الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله)) .

وما من شك فى أن اقامة الحدود والتعزير ، والتغريم والتشهير يكون وقودا لكل يقظة تعقب الحوادث الداجية ، والخطوب الجسام ، كما أنه يبعث الشرارة الاولى والقوة الدافعة لكل انطلاقة نحو الاصلاح والبناء ، ومكافحة الفساد ، ومطاردة عناصر الشر والفتنة ...

وقد أباح المشرع الحكيم لولي الامر العادل ، والسلطان المقسط استخراج ما أخذ ولاة الاموال وغيرهم من مال المسلمين بغير حق كالهدايا والرشا التى يأخذونها بسبب العمل لانها غلول ...

فهذا أبو حميد الساعدي رضي الله عنه قال : ((استعمل النبي رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم ، قال : هذا لكم ، وهذا أهدي الي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي الي ... فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه ، فينظر أيهدى اليه ، أم لا ، والذي نفسي بيده .. لا يأخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، أن كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ،.. ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي ابطه ... اللهم هل بلغت ..؟ اللهم هل بلغت ..! اللهم هل بلغت ثلاثا ..)) .

ولعل ما يؤكد هذا الحديث ويفسره ما جاء فى كتاب السياسة الشرعية لشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية حيث يقول :

((وكثير مما يوجد من فساد أمور الناس انما هو لتعطيل الحد بمال او جاه ، وهذا من أكبر الاسباب التى هي فساد البوادي والقرى والامصار من الاعراب والتركمان والاكراد والفلاحين ، وأهل الاهواء وأهل الحاضرة من رؤساء الناس واعيانهم وفقرائهم ومقدميهم وجندهم ... وهو سبب سقوط حرمة المتولي ، وسقوط قدره من القلوب ، وانحلال أمره ، فاذا ارتشى وتبرطل على تعطيل حد ، ضعفت نفسه ان يقيم حدا آخر ...)) .

وما من شك فى أن الغرض من هذه التربية الاسلامية ، والتوجيه النبوي الكريم بث خلق الفضيلة والامانة ، وتحرير افراد الامة الاسلامية من مختلف أنواع العبودية والمهانة ، وتربيتهم تربية الاحرار الذين تفيض نفوسهم بالايمان بالله ، وترتفع رؤوسهم بالخلق الكريم فى مجتمع مسلم متماسك متعاون قوي متحاب يرضى لرضى الله ، ويسخط لسخطه ، ويعمل لمصلحة الامة بوازع الدين والفضيلة دون نظر الى منفعة او رجاء ، أو خوف من ثناء خالص أو مصنوع ...

وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الولاية امانة يجب اداؤها ، وان الولاة ينبغي ان يكونوا من اولئك الابرار المخلصين الذين شغفهم حب الخير فآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، تقودهم بصيرة حازمة ، وتأخذهم يد عاملة ، ويهديهم عقل منظم ، ويحفزهم اخلاص باحسان ، ويراقبهم ضمير حر ... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضي الله عنه فى الامارة : « انها امانة ، وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها ، وادى الذي عليه فيها ...

ومن طبيعة الاسلام انه يقاوم المؤامرات التى تحاك ضده ، ويصارع المذاهب الضالة ، والتيارات الملحدة ، ويقف فى وجه الفساد والمفسدين ، ويقلم اظفار الطامعين ، ويشل الأيدي العابثة بمقدرات الامة وثرواتها ، فهو ، فى مبادئه السامية واصوله العامة يضع الاشياء فى مواضعها ، ويعرف الاصلح فى كل منصب ، فالمسؤولية كما يستفاد من الآيات البينات لها ركنان اساسيان لابد من توفرهما :

القـوة ..
والامانـة .

قال تعالى : « ان خير من استاجرت القوي الامين . »
وقال الوليد بن الريان صاحب مصر ليوسف عليه السلام : « انك اليوم لدينا مكين امين .. » .

وقال تعالى فى صفة جبريل : « انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين » .

وما من شك فى أن القوة فى الحكم والنصفة بين الناس ترجع الى العلم بالعدل الذى دل عليه الكتاب والسنة ، والى القدرة على تنفيذ الاحكام ، وتطبيق القانون بما تدعو اليه الضرورة ، وتستلزمه الحياة ...
وقد صدق الشاعر العربي القديم حيث قال فى هذا المعنى :

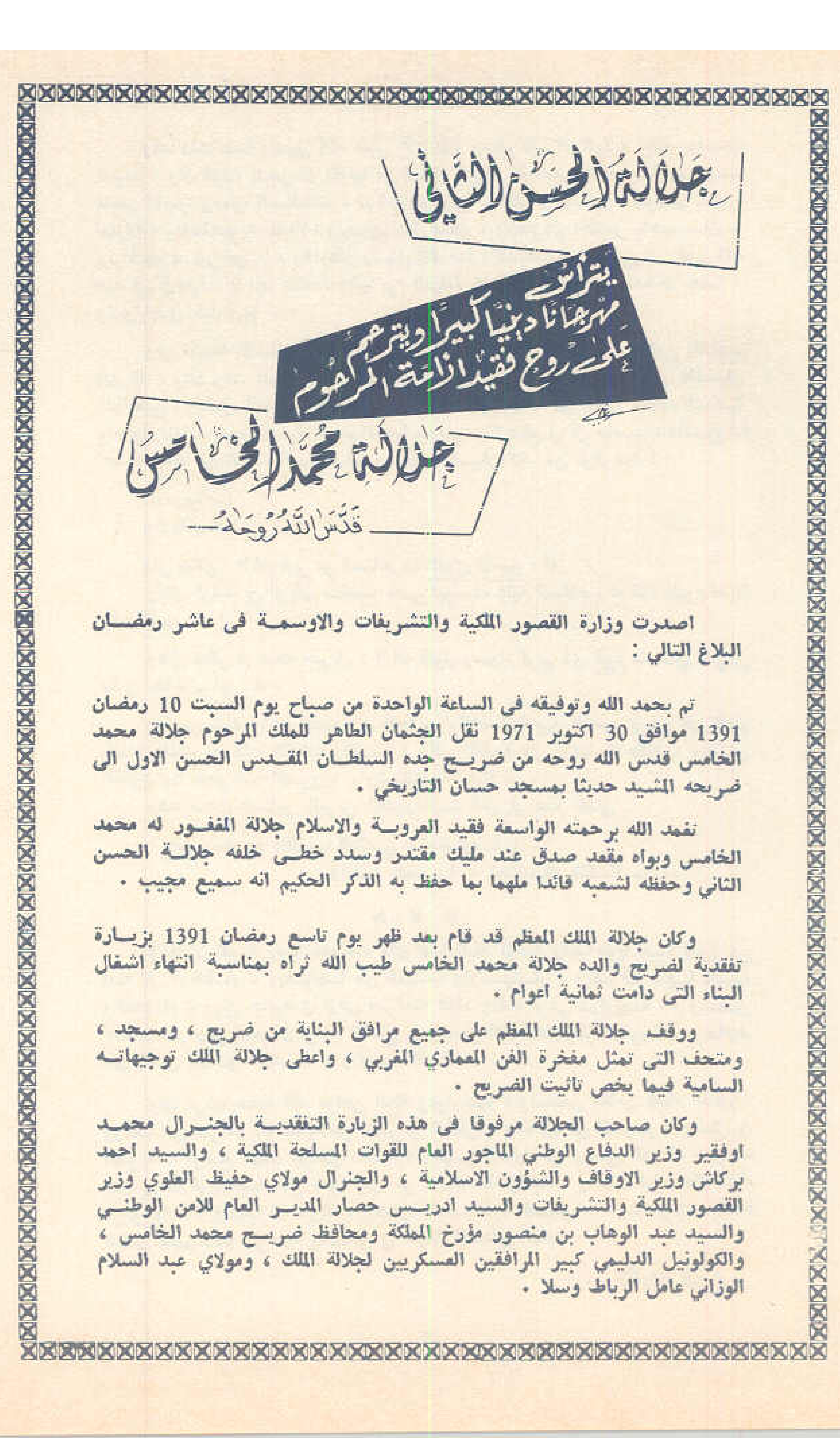
متى تجمع القلب الذكي ، وصارما ،
وأنفا حميا ، تجتنبك المظالم ..

* * *

وكما ان للبيت ربا يحميه ، فان لهذا البلد الامين راعيا قويا امينا يذود عن امته كل الاخطار ، ويصونها من العبث والاستهتار ، ويصرف عنها السوء والفحشاء ، وبين جنبيه فى اوفى صرامته فؤاد والدة ترعى ذراريها .. ويعمل جاهدا على رفع العمران بوفرة الانتاج ، ويضمن الاستقلال بقوة الثروة ، ويحافظ على الدين بالاسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ...

وقد عرف حفظه الله مواطن العلة وعوارضها ، وشخص مكامن الداء الدفين، ووقف على سر ما كنا نعانيه من قصر فى الخطى ، وتثاقل فى السير ، وشلل فى الحركة ، فوضع الهناء موضع النقب ، وطهر الادارة من رجس الفساد ، وبعث فيها روحا قويا أمينا خلق فيها تيارا من الاستقامة والجد ، واختار لها رجالا اكفاء عرفوا بالأمانة وطيب الأحدوثة ، وطهارة اليد ونقاوة الضمير ، حيث مزجت بشدة الباس منهم دفقة الرحمة والتفاني فى خدمة الصالح العام .

دعوة الحق



اصدرت وزارة القصور الملكية والتشريفات والاوسمة فى عاشر رمضان البلاغ التالي :

تم بحمد الله وتوفيقه فى الساعة الواحدة من صباح يوم السبت 10 رمضان 1391 موافق 30 اكتوبر 1971 نقل الجثمان الطاهر للملك المرحوم جلالة محمد الخامس قدس الله روحه من ضريح جده السلطان المقدس الحسن الاول الى ضريحه المشيد حديثا بمسجد حسان التاريخي .

تغمد الله برحمته الواسعة فقيد العروبة والاسلام جلالة المغفور له محمد الخامس وبواه مقعد صدق عند مليك مقتدر وسدد خطى خلفه جلالة الحسن الثاني وحفظه لشعبه قائدا ملهما بما حفظ به الذكر الحكيم انه سميع مجيب .

وكان جلالة الملك المعظم قد قام بعد ظهر يوم تاسع رمضان 1391 بزيارة تفقدية لضريح والده جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه بمناسبة انتهاء اشغال البناء التى دامت ثمانية اعوام .

ووقف جلالة الملك المعظم على جميع مرافق البناية من ضريح ، ومسجد ، ومتحف التى تمثل مفخرة الفن المعماري المغربي ، واعطى جلالة الملك توجيهاته السامية فيما يخص تاثيث الضريح .

وكان صاحب الجلالة مرفوقا فى هذه الزيارة التفقدية بالجنرال محمد اوفقير وزير الدفاع الوطني الماجور العام للقوات المسلحة الملكية ، والسيد احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والجنرال مولاي حفيظ العلوي وزير القصور الملكية والتشريفات والسيد ادريس حصار المدير العام للامن الوطني والسيد عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد الخامس ، والكولونيل الدليمي كبير المرافقين العسكريين لجلالة الملك ، ومولاي عبد السلام الوزاني عامل الرباط وسلا .

وقد قوبل صاحب الجلالة بحفاوة بالغة من طرف العمال والصناع والمهندسين الذين شاركوا فى اعمال البناء ، ودابوا خلال سنين عديدة على العمل لانجاز هذه المفخرة المعمارية مستلهمين فى ابداعهم افكار وارشادات جلالة الملك المعظم .

فى خشوع واجلال وابتهال احيى الشعب المغربي فى كل اقاليم المملكة وربوعها ذكرى وفاة الملك الصالح المصلح جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وخرج المواطنون الى مساجد الله يعمرونها ويذكرون وغصت رحاب المساجد والاضرحة والزوايا ترحما على روح فقيد العروبة والاسلام الطاهرة .

واعترافا لما اسداه محمد الخامس نحو الشعب المغربي وما اظهره من مواقف بطولية فى وجه الاستعمار ، اقامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى جل مساجد المملكة حفلات دينية لقراءة القرآن ، والتبرك بمدح المصطفى الاكبر عليه الصلاة والسلام .

وقد اهابت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فى بلاغ لها بالمواطنين ان يستعرضوا فى هذه الذكرى المواقف البطولية لجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه ، وان يظهروا وفاءهم بعمارة المساجد لحضور الحفلات الدينية التى اقامتها الوزارة بهذه المناسبة ، لقراءة القرآن ، والتبرك به ، والدعاء بالنصر والتاييد لخليفته ، وشريكه فى التضحية والكفاح جلالة الحسن الثاني ، وان يقر عينه بولي عهده الامير الجليل سيدي محمد ، وسائر انجاله الكرام ، ويزيد فى متانة الروابط الروحية التى تجمع بين العرش والشعب

وترأس صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله وأيده مهرجانا دينيا كبيرا يوم عاشر رمضان ذكرى وفاة والده المنعم بضريح محمد الخامس .

وكان جلالة الملك المعظم قد حضر فى صباح نفس اليوم نقل جثمان الملك الراحل من ضريح جده السلطان المنعم الحسن الاول ، الى ضريحه الجديد المشيد بحسان التاريخي .

وقد وصل جلالته الى الضريح فى الساعة السابعة والدقيقة الاربعين مرفوقا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد والامير مولاي عبد الله ، والامير مولاي هشام

وحضر هذا المهرجان الى جانب جلالة الملك المعظم ، اعضاء الحكومة ، واعضاء مجلس النواب ، ورجال السلك الدبلوماسي العربي والاسلامي وعلى راسهم العميد السيد حسن فهمي عبد المجيد سفير جمهورية مصر العربية ، وعدد من رجالات الدولة والقضاء والسياسة .

وهكذا استقبل جلالة الملك لدى وصوله الى ضريح محمد الخامس فى الساعة السابعة والدقيقة الاربعين مساء من طرف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الحاج احمد بركاش ووزير القصور الملكية والتشريفات والاوسمة الجنرال مولاي حفيظ العلوي ومؤرخ المملكة ومحافظ الضريح السيد عبد الوهاب ابن منصور وعامل الرباط وسلا السيد عبد السلام الوزاني .

وابتدأ الحفل الديني بتلاوة الامداح النبوية مشفوعة برثاء جلالة محمد الخامس قدس الله روحه وبتمجيد خلفه الصالح ، واثناء ذلك قام جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله بزيارة قبر والده المنعم وترحم على روحه الطاهرة والتحق

بالضريح بعد ذلك ولي العهد وسمو الامير مولاي عبد الله والامير مولاي هشام حيث ترحموا بدورهم على روح أب الامة المغربية .

وبعد تلاوة الامداح النبوية تناول الكلمة الاستاذ الفاروقي الرحالي عميد كلية اصول الدين والشريعة بمراكش ليبرز مكانة محمد الخامس وجهاده النبيل في سبيل الحرية والاستقلال ثم توجه بالدعاء الى الله تعالى ليرحم محمد الخامس ويوفق خلفه الحسن الثاني في رسالته وان يوحد كلمة المسلمين وقادتهم من الملوك والرؤساء ، وان يعجل الله بانعتاق شعب فلسطين وان يهزم المتجبرين ويحقق النصر للمجاهدين في سبيل الله.

واختتم هذا المهرجان الديني بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم رتلها الفقيه عبد الرحمن بن موسى

وبمناسبة ذكرى وفاة جلالة المغفور له محمد الخامس رضوان الله عليه ، ترأست صاحبة السمو الملكي الاميرة للا مليكة رئيسة الهلال الاحمر المغربي في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم 9 رمضان عملية توزيع الاسعافات على منكوبي حريق يعقوب المنصور بالرباط ، كما ترأست سموها بنفس الحي حفلة تدشين دار الاطفال الجديدة .

وبالمناسبة ايضا ، اقام الاتحاد النسائي المغربي احتفالا دينيا كبيرا في مسجد السنة بالرباط حضرته نساء وفتيات الرباط وسلا ، وترأس هذا الحفل الديني صاحبة السمو الاميرة للا فاطمة الزهراء رئيسة الاتحاد النسائي المغربي.

— ✻ —

الصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة بمسجد ضريح محمد الخامس

واصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بلاغا جاء فيه :

بأمر من صاحب الجلالة أعز الله أمره ، تعلن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية أنه بعد ما دشن سيدنا ضريح جلالة الملك المقدس سيدي محمد الخامس رضي الله عنه أن تصلى الصلوات الخمس ابتداء من اليوم بمسجد الضريح وان تقام به صلاة الجمعة ، وعين سيدنا نصره الله فضيلة الفقيه الشيخ المكي الناصري خطيبا بالمسجد المذكور أبقى الله سيدنا ومولانا الامام منارا للاسلام .

الإسلام والمذاهب المعاصرة

الاستاذ عبد الله كنون

ظلت بلاد الاسلام قلعة حصينة لا ترام ، ولاسيما فى معنوياتها ، منذ ان تقعدت قواعدها ، وتأصلت اصولها ، الى نهاية الخلافة العثمانية . وقد اصطدم المسلمون فى حركة الفتح الاولى بأمبراطوريتين عظيمتين هما امبراطورية فارس والروم . وكانتا تمثلان حضارة الشرق والغرب بما فيها من علوم وآداب وفنون ، فما تأثروا بهما ولا بالوهما مبالاة ، حتى ليحكى انه حمل الى احد خلفاء بني امية ، صندوق مقفل ، من ذخائر الاكاسرة ، فأمر بتسويقه على ما هو عليه ، فقيل له لو فتحته لترى ما فيه . فقال : وما عسى ان يكون فيه الا حماقة من حماقات فارس ؟ فاشتراه يهودي بثمن مرتفع ، فلما فتحه وجد فيه صندوقا ثانيا ، ثم ثالثا ، ثم رابعا الى سابع صغير ، واذا فيه بطاقة مكتوب فيها ما معناه : من اراد ان تطول لحيته ، فليمشطها من اسفل ! فعجب الناس من حصافة راي الخليفة وصدق تقديره .

والواقع ان القوم كانوا معتزين بانفسهم ، مستغنين بما آتاهم الله من هدى ونور ، وحكمة وايمان ، عن كل عطاء اجنبي ، واستلهام لغير ما بين ايديهم من كتاب عزيز وسنة طاهرة . وكانوا يرون ما يمتد عدوهم من كثرة عدد وقوة عدة ، وهم مع ذلك ينتصرون عليه ويهزمونه شر هزيمة ، فلا يشكون فى انه على ضلال ، وانه مخذول ، وانه اولى ان ياخذ عنهم ، ويسترشد بهم ، والعكس باطل لا يخطر ببال احد منهم .

ولما قامت حركة النقل والترجمة لعلوم يونان على قدم وساق، ايام الخليفة المأمون ، لم ينصب اهتمامهم الا على ما فيه نفع ظاهر من علم الطب والكيمياء والهندسة والرياضيات على العموم ، حتى الفلسفة ، ما نقلوها الا للاحتجاج بها على خصوم الاسلام والرد عليهم بأساليبهم ، مع تصحيح ما فيها من خطأ ، وتبيين ما اشتملت عليه من اوهام ، بحيث ادى الامر الى وضع علم الكلام ، وهو الفلسفة الاسلامية التى قابلوا بها فلسفة اليونان ، وحموا عقيدة ابنائهم من ان تجرفها الوساوس والاغاليط .

اما الادب والشعر ، ومنه الملاحم والمسرحيات، فانهم استخفوا بانتاجهم فيه ، خصوصا وهو يكتسي صبغة الوثنية المغرقة فى الشرك والالحاد وتعدد الآلهة، مما يتنافى ورسالة التوحيد التى جاء بها الاسلام وبلغوها للناس ، فلم ينقلوا منه شيئا ، مكتفين بادبهم وشعرهم وبيانهم الذى لم يكن يوازيه فى نظرهم بيان غيره .

واستمر الحال على هذا المنوال ، طوال ثلاثة عشر قرناً ، اي مدة قيام الخلافة الاسلامية واستظلال المسلمين فى المشرق والمغرب بظل رايتها الخفاقة ، حتى فى عهود ضعفها وتقلص نفوذها ، فما قامت دعوة منحرفة ، ولا وجد مذهب زائغ ، الا

كشفوا عوارضه ، وقابلوه بالرفض ، احتفاظا منهم بالاصالة والوعي والكيان الروحي الذي يصون وحدتهم ، ويفرض وجودهم ، ويجعلهم يدا على من سواهم .

وان التاريخ ليشهد بما كان عليه المسلمون من التكافل والتضامن ، وهم في اسوا حالات الانهيار ، فانكلترا كانت تداري دولة الخلافة ، خوفا من قيام مسلمي الهند عليها ، ومصطفى كامل زعيم الحزب الوطني المصري كان يلقى تأييدا مطلقا من الخليفة عبد الحميد الثاني ، وبرغم ما كان عليه وضع الاقتصاد العثماني من تدهور ، فان هذا الخليفة رفض العطاء الضخم الذى عرضه عليه اليهود لقاء الاذن لهم باتخاذ فلسطين موطن هجرة . بل ان تكالب دول أوربا قاطبة على دولة الخلافة ، قصد رفع يدها عن بلاد البلقان ، في حين كانت تلك الدول تبسط سلطانها على الشعوب الضعيفة في افريقيا وآسيا ، ومن بينها شعوب اسلامية ، ما كان ليفت في عضد هذه الدولة ويحيلها تطاطيء الراس للاعداء ، وانما كانت تخوض الحروب الطاحنة دفاعا عن سيادتها ، ولا تحجم ابدا كما تحجم الدول العربية اليوم من حرب اسرائيل ، مع ملاحظة الفرق العظيم بين دويلة العصابات ، والدول الكبرى التى كان الخلفاء العثمانيون يواجهونها بقوات غير متكافئة ولا مقاربة ، وما ذلك الا من تمثل الشخصية الاسلامية في دولة الخلافة بجميع خصائصها وقيمها ، وتعاطف المسلمين معها ومساندتهم لها ولو كانوا خارجين عن سلطتها كمسلمي المغرب ، فهي تقاتل بقوة معنوية تقاوم قوة العدو المادية ، وتصمم على النصر او الشهادة كما كان المسلمون الاولون يفعلون، ولا تعطي الدنية وترضى بشماتة الاعداء ، كيفما كان الحال ، ربحت المعركة أم خسرتها . الى ان وقع الانقلاب التركي ، وقام الشبان الاتراك بتأسيس اول حكومة ديموقراطية ، كما يقولون ، فدخلت العناصر المناوئة للاسلام في الحكم ، وتمكنت من تقويض كيانه ، وغمر مثله العليا واخلاقياته السامية، بمباديء الغرب وافكاره الهدامة، ثم اطاحت بعد ذلك بالخلافة الاسلامية فتمزق شمل المسلمين ، وصارت تركيا دولة صغيرة من الصف الثالث ، وقامت في كل بلد اسلامي كان خاضعا لها ، حكومة من نفس الطراز ، اعتقادا بان ذلك هو المثل الاعلى للحكم ، وان أوربا ما تقدمت الا بحكوماتها الديمقراطية المنبثقة من الشعب ، على ما يزعمون ، ولم يفكر احد في اصلاح الفساد وراب الصدع الذى منه اتي المسلمون ، وان السيادة انما تكون من الاصالة ، والتفوق لا يكون بالتقليد . وهكذا وقع للمسلمين ما وقع للغراب الذى اراد ان يمشي مشية الحمامة ، فلا هو بمشيته ولا بمشيتها .

وكثرت التجارب الفاشلة ، والانقلابات السياسية والعسكرية ، وتوالى الانزلاق نحو الحكم الديكتاتوري ، مغلفا بالادعاءات المختلفة ، من الديموقراطية الشعبية والاشتراكية الاسلامية ، تارة ، والعلمية ، تارة اخرى ، ويعنون بها الشيوعية. وفي بلاد العرب بالخصوص ، انتشرت الدعوة للقومية العربية والبعث العربي ، انطلاقا من مفهوم القوميات الاوربية التى نشأت في عهد الثورة على الكنيسة واستقلال السلطة المدنية عن السلطة الروحية، ولذلك كان ابعاد الدين عن مشخصات القومية العربية من الشروط الاولى ، والهدف هو الاسلام كما لا نحتاج ان نقول ، فصار الدين عنوانا على الرجعية والتخلف، وان كانت الدولة التى اوغمت انوف العرب انما قامت على اساس ديني متعصب .

وفي هذا الوضع تسربت الى بلاد الاسلام مذاهب وآراء صبغت المسلمين بكل لون ، واشاعت بينهم الفساد والالحاد ، وعملت على تفكيك ما بينهم من روابط ، بل جعلت بعضهم لبعض عدوا ، وروجت لسوق الحماقات بينهم فلم يوجد فيهم من يدفعها كما دفع الخليفة الاموي حماقة الصندوق الكسروي ، وادى الامر الى ان صار المسلمون والعرب يتقاتلون من اجل اختلافهم في انظمة الحكم المستوردة ، ومن اجل اختلافهم في المذاهب الاقتصادية المستوردة ، وتشن اجهزة الاعلام في بلادهم حملات الدعاية للنزعات اليمينية او اليسارية ، متوددين بها لمستعمريهم الجدد ، ومتنكرين في الوقت نفسه ، بعضهم لبعض. ولا تظهر بدعة ولا سخافة في عالم ما يسمى بالموضة، الا تبنوها وتلقوها باليمين ، ولو كانت تشويه الوجه او كشف الصورة وما الى ذلك .

اما الاسلام وآدابه ، وتربيته وتعاليمه ، فقد اصبح دبر الآذان منهم ، وكذا في التفكير في اقامة نظام حكم اسلامي ، والرجوع الى دستور القرآن ، واحياء دولة الخلافة ، فانه يعد عندهم من المستحيلات .

والعجب كيف نجح الاستعمار الفكري في بلاد الاسلام بعد زوال الاستعمار العسكري ، فتجد شباب الاسلام والمنظمات السياسية فى البلاد الإسلامية ، وكل العناصر المتحركة ، تبشر بهذه المذاهب الجديدة وتسعى فى نشرها ، وبعضهم يستميت من اجل انتصارها وسيطرتها حتى انه ليقبل السجن والعذاب فى سبيلها ، لانه يرى انها طريق الخلاص ووسيلة النهوض ، ولا يعتبر بما آلت اليه حال الشعوب الاسلامية والعربية من تأخر وانحطاط ، نتيجة اعتناق هذه المذاهب ، وما نشأ بينها من نزاع وخصومات ، بحيث استحكم الخلاف والفرقة ، واستحال التقريب والتوفيق بين ابناء القطر الواحد كالشام الذي جزيء الى اربع دول ، والعراق الذى اصبح الاكراد فيه يطالبون بالاستقلال .

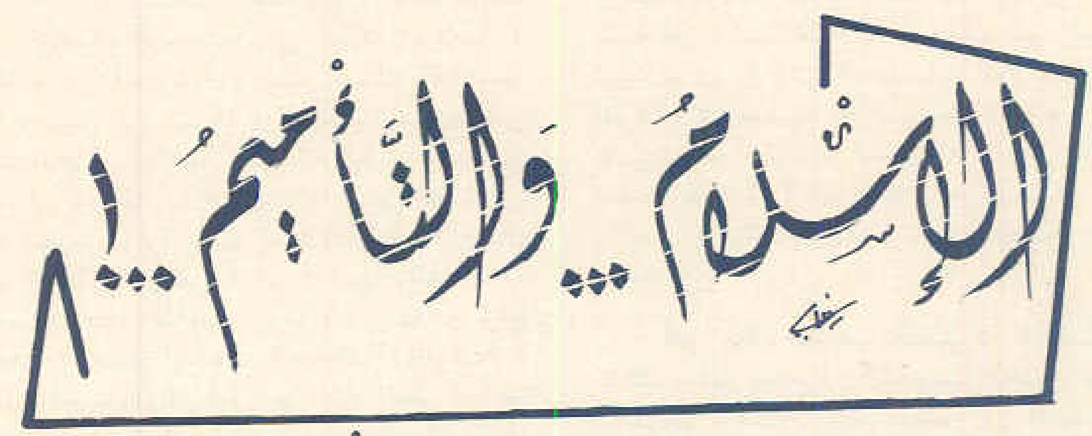
والادهى من ذلك كله ، ان اعتناق بعض الحكومات لهذه المذاهب ، اوجد بينها وبين الشعب المسلم ، هوة سحيقة ابعدته عنها وافقدتها تأييده ، بل صار يتمنى لها الخذلان والفشل فى كل ما تحاوله وتأتيه ، ومن ثم كانت الهزيمة الشنعاء التى منيت بها الحكومات العربية امام شذاذ الآفاق من الصهاينة، لان شعوبها لم تكن معها ، ولان قواتها كانت موزعة بين الدفاع عنها ودفاع العدو ، ولو كانت مطمئنة على نفسها لما احتاجت الى حامية تحميها .

وهذا بعض ما يسببه استيراد النظم والمذاهب الاجنبية التى لا تلائم طبيعة الشعب ، ولا تمتزج بعقيدته وايمانه وشعوره . واليك العبرة بالبلاد التى نشأت فيها هده المذاهب ومنها تصدر الينا ، فرنسا وهولاندا مثلا ، واحداهما جمهورية، والاخرى ملكية على راسها امراة ، لو جعلت امر القيادة العليا اجيشها فى يد اكثر السياسيين المعارضين لحكومتها تطرفا ، وفتحت له خزائن بنك الدولة ، وقلت له تصرف كما تريد ، لما خطر بباله ان يدبر انقلابا على حكومة بلاده ، ولا ان يخذل جيشها فى حرب ، ولاعتبر عرضك مساومة له فى ذمته واخلاصه ووطنيته .

لكن عملاء المذاهب المستوردة عندنا ليسوا كذلك ، فهم يسخرون انفسهم للاجنبي من حيث لا يشعرون ويفشلون لانهم ليسوا من الشعب ولا من عقيدته وامله وطموحه ، وسيبقون كذلك الى أن ياتي الله الفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما فعلوا نادمين .

والخلاصة ان هذه المذاهب ، ان كانت تصلح لاهلها الذين نشأت فيهم وانبعثت منهم ، فانها لا تصلح لنا ولا تعالج ما بنا من ضعف وجهل وانحطاط، وان فى الاسلام ما يقاومها وينهض بنا ويقينا عن كل استجداء واستعطاء . واذا كان هذا الاستيراد من هذا القبيل دليلا على التخلف والتبعية وانعدام الاصالة ، فانه كما اثبتنا مما يزيدنا بلبلة فكر وضعف ايمان ، ويفتت وحدتنا ويفرق كلمتنا ، وما بعد العيان بيان .

طنجة : عبد الله كنون



للأستاذ عبد الكريم التواتي

التأميم احدى شعارات الاشتراكيات الحديثة . بل ان التأميم أصبح الظاهرة المميزة للاقتصاد الاشتراكي . وقد بلغت ضراوة الدعوة الى التأميم درجة حملت الراسماليات ، فى بعض البلدان كانجلترا على تبني هذه السياسة التاميمية ، ان صح التعبير .

فنحن نعلم — بل رأينا — كيف ان العمال فى انجلترا ، لم يترددوا حين تسلموا مقاليد الحكم فى تطبيق سياسة التأميم على كل المرافق الاقتصادية المهمة فى البلاد . فما هو موقف الاسلام والاشتراكية من قضية التأميم ؟

وقبل الاجابة عن هذا السؤال ، نرى ان نحدد اساس ومبدأ وغاية التأميم فى الاشتراكية الحديثة .

ظهرت حركة التأميم فى الاقتصاد الاوربي ، او على اصح تعبير ، حركة المطالبة بالتأميم ، فى القرن التاسع عشر ، حين أخذ الاشتراكيون ينادون بتأميم آلات الانتاج ، سعيا وراء جعله اى الانتاج ، فى خدمة المجتمع ، وذلك لان الطبقات العمالية هناك او البروليتارية ، رأت انه ما لم يتم وضع آلات الانتاج فى ايديهم . فلن يشعروا بحريتهم ، ولن يجدوا طمانينة لحياتهم ، واذ لم يكن من طريق لتحقيق ذلك سوى جعل هذه الآلات من ممتلكات الامة ، لا من ممتلكات الافراد كما هو الوضع بدون تاميم ، راحوا يطالبون :

اولا : بالتاميم الذي يتوخى مصلحة المجتمع ، لا خصوص السيادة القومية حتى لا يبقى هناك مجال لاستثمار الانسان لاخيه الانسان .

وثانيا : بالقضاء على الملكية الفردية ، وقانون حق الملكيـــة .

وكانت هذه المنـاداة او المطالبـــة ، النهايـة الحتمية لفشل مناداة العمال منذ سنة 1848 ميلادية بالمشاركة والتعاونيات .

والاشتراكيون — فى اوربا — يؤكدون اليوم بأن التأميم لوسائل الانتاج ، اى جعلها ملكا للدولة ، هـــو الوسيلة الوحيدة للعمال ، اذا ارادوا ان يضمنوا لانفسهم وجودا حقيقيا ، يقوم على مراعـــاة مصالحهـــم ، فى العيش والكرامة الانسـانية وقد تجلـت اولـــى بوادر التأميم ، فى اوربا ، فى الاقتصاد الموجه ، الذي تبنته بعض الراسماليات الاوربية كانجلترا ، للخـــروج من ازمات فيض الانتاج ، وتضخم اليد العاملة ، والتزاحم على الاسواق . فكان ان تبنت انجلتـــرا ، او حـــزب العمال فيها ، مبدأى : التأميم الشامـــل ، وتنظيـــم الاقتصاد . سعيا وراء تجريد حق الملكية من كل معنى ، كما يقول (هنري دو كوجي) والى أن تتخذ الملكيـــة صفة المؤسسة العامة .

ودعاة التأميم فى اوربا ، يعتمدون للوصول الى تحقيقه ، او يتنبأون بازدهاره ، عن طريق استغـــلال آثار الحروب ، وحاجيات ضمان السيادة القوميـــة . ذلك لان هذين الامرين ، او هاتين الظاهرتين ، اصبحتا تحتلان من مشـاكـل الدول الاوربيـة بل وكل الدول الحديثة ، الصدارة . بل اصبحتا تدفعان الامم كلهـــا — وخاصة المنتجة منها — الى جعل الانتاج يهـــدف

لسد حاجات الامة، لا حاجات الربح والاسواق كما كان الشأن قديما .

وقد اخذ هدف القوى العمالية يتبلور فى المطالبة بتاميم جميع مشاريع الانتاج . وحتى النقابات المسيحية ، التي ظلت الى ما قبل سنوات من سنة 1948 ميلادية ، تؤكد ضرورة الابقاء على الملكية الفردية مستقلة ومحترمة . اخذت هي الاخرى ــ مدفوعة بشعار العمال الكادحين المنادي بتطبيق الملكيات الجماعية ، وسيادتها فى علاقات الناس مع بعضهم ــ اقول : اخذت هي الاخرى تنادي بالتاميم مؤولة اياه بشعار ، هدفه تحويل الاقتصاد المعروف باسم « الاقتصاد الحر » الى اقتصاد جديد ، تقدم فيه قضايا الخدمة العامة والمنفعة العامة على سواهما .

وترى الماركسية ــ كما فى كتاب راس المال لكارل ماركس ــ « ان التاميم سيصبح النتيجة الحتمية لتحول العمال الى طبقة بروليتارية كادحة تحولت شروط عملها الى راس مال ، هذا التحول الذي هو بدوره نتيجة تفكك المجتمع القديم شكلا ومحتوى » .

اما الراسمالية غير الانجليزية ، فتقف من قضية التاميم موقف المعارضة والمناواة . وترى فيه بداية مرضها ، والطريق للاجهاز النهائي عليها ، ذلك لانها ترى :

اولا: ان التاميم لا يؤتي اكله، وهو تخفيض الاكلاف والاسعار ، الا باحد امور ثلاثة ، كلها او احلاها مر . .

ا) ايجاد ادارة اقتصادية ذات ارباح محددة

ب) قيام ادارة تعتمد التوازن .

ج) ايجاد ادارة تنتج رغم الخساره .

وكل واحد من هذه الامور ــ كما يلاحظ ــ عديم الجدوى ، ما دام تحقيقه يتطلب سهر مراقبة صالحة شديدة ، وهي لا وجود لها ، او على الاقل هي بعيدة التحقيق . وترى الراسمالية فى التاميم .

ثانيا : انه ــ اساسا ــ يصار اليه ، اما بصفته ضريبة سياسية ، او وسيلة للحد من غلواء الاسر الراسمالية الحاكمة ، رجاء ارضاء ارادة الجماهير الكادحة . وفى هذه الحالة ايضا تكون الفائدة المتوخاة من التاميم عديمة الجدوى ، لافتقارها الى وحدة الادارة ، هذه الادارة التي تكون فى حالة التاميم قد عوضت بعدة لجان ، قد لا تتوفر على التقنية اللازمة او لا تخضع لرقابة صارمة ، تحول دون تحولها الى راسمالية من نوع جديد، يكون اشبه بالاقتصاد المصمم الموجه .

ثالثا : ترى الراسمالية فى التاميم ، تحويل صاحب المشروع من شخصية تتوخى المبادرة ، الى مجرد موظف . « وحين يعامل صاحب المشروع معاملة الموظف ، تكون الراسمالية قد ماتت (1) »

والراسمالية لكل تلك الاعتبارات ، وغيرها مما لم نذكره ، تدعو الى مناهضة التاميم وكل مشروع اقتصادي مخطط مصمم ، قائم على القوة والسلطان .

وتتخذ للحد ، من خطره ، خطوة المبادرة ، لاستغلال نفس الظواهر التي يحاول بها الاشتراكيون من جهتهم القضاء على اقتصاد المشروع الراسمالي ، اى عادات الاضراب والتمرد وعدم الانضباط والنقد المنظم المدروس « استغلال كذلك لما ينشأ من انقسامات داخل الثوريين ، حين يتسلم بعضهم مقاليد الحكم ، الذي يضع فى ايديهم كل الاجهزة الفعالة ، لتثبيت مراكزهم ونفوذهم، بينما يظل اخوانهم الآخرون خارج الحكم ، حيث لا وجود عملي لقوتهم .

والراسمالية حين تجبه بهذا الانسياق الجارف، حتى من اقطابها ، نحو الاقتصاد المصمم المخطط ، الذي هو البداية العملية لقضية التاميم ، والذي اخذت تنهجه ــ لا الدول الشيوعية فحسب ــ وانما اصبح من ظواهر الحياة الاقتصادية ، حتى فى الدول التي ظلت، فى المبدا ، راسمالية كانجلترا مثلا ، بل وحتى فى امريكا ، حيث بدات الدولة تضطر ــ ازاء تسرب الافكار الاشتراكية ، الى قطاعات العمال فيها ــ الى ان تنهج سياسة فيها بعض الميول الاشتراكية ، اقول عند ما جوبهت الراسمالية بهذا ، بدات تفكر فى القيام بالدعوة الى احداث نظام اقتصادي ، شبيه الى حد ما بالنظام الاقتصادي الاسلامي .

قال : (فرنسوا بيرو) فى كتابه : (هذه هي الراسمالية) ، بعد ان حلل نتائج الاقتصاد المصمم ، واخطار التاميم على الراسمالية ، وعلى الاقتصاد عامة « اقلا نستطيع بتدقيق تقنيته ــ اى الاقتصاد ذي

---

1) هذه هي الراسمالية لفرنسوا بيروا صفحة 136.

القطاع المضاعف ـ وتدعيم قواعده ، ان نمد في حياة اقتصاد مركب ، يستمد روحه وتنظيمه من الراسمالية ومن الاشتراكية ، وياخذ منهما افضل عناصرها ليستخرج منهما تاليفا يوضع في خدمة الطاقة الانتاجية ، وخدمة العدالة (2) ؟ » .

ولكنهم اي الراسماليين في نفس الوقت ، ينادون ـ امام الواقع الحتمي ـ الى « تأميمية اجتماعية عادلة » .

اما موقف الاسلام من التاميم وشرعيته ، فهو الجواز ، او الوجوب ، تبعا لما تقتضيه المصلحة العامة لوجود الدولة ، ولضمان مصالح رعاياها .

ويمكن اعتبار عمل عمر بن الخطاب ، وموقفه من قضية توزيع أراضي علوج العراق ، وهي اراضي افتتحها المسلمون عنوة ، كما اشرنا في بعض حديثنا عن جوانبها فيما سبق ، اساسا لقضية التأميم ، واصلا عمليا يقوم عليه كل تشريع في الموضوع .

ذلك ان النصوص القرآنية ، وعمل محمد عليه السلام ، صريحة في ان حكم توزيع الاراضي ، التي من هذا النوع ، هو أن يحتفظ بخمسها لله وللرسول ولسبيلهما ، وان توزع الاربعة الاخماس الباقية على الجنود المقاتلة :

(واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ، وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

ولكن عمر رأى ـ لملابسات وحيثيات خاصة ـ ان يتصرف في تلك الاراضي ، بما لا يتساوق ونص الآية ، بل يخالفها . وان يحاول تأويلها ، او تحميلها من المضامين ما لا سبيل اليه ، الا باعتبارات خارجية .

ويفعل عمر هذا ، انطلاقا من مبدا : مراعاة الاصلح والافيد ، ومراعاة الصالح العام دنيا ومعادا ، حالا واستقبالا ، كما هو غاية تعليمات وتلقينات وتشريعات الاسلام ، فقد راى عمر ، ان من الخطورة بمكان على مستقبل ومصير الاسلام وبنيه ، لا في خصوص ارض العراق ، حيث كان مكان النازلة ، ولكن ربما في كل انحاء العالم الاسلامي الآخذ يومئذ في الامتداد والانتشار ، من الخطورة ان يطبق النص القرآني حرفيا في هذه القضية العينية ، وراى لاعتبارات خاصة ، ان تحبس هذه الارض ، اي ان تؤمم حسب التعابير الحديثة بدل ان تقسم على المقاتلة .

وقد احتج عمر لرايه ، بهذا الحوار الهادىء الحر، المدعم بالحجج والبراهين ، والهادف الى البحث عن اقوم سبيل ، واوضح طريق لتجسيم الروح الاسلامية، في مضامينها العليا ، وابعادها المثلى ، وفي عدالتها الهادفة لضمان الحياة الرغدة الحرة الكريمة لكل رعاياها . قال عمر يحاور الجنود الفاتحين ، محاولا اقناعهم بفكرته وزحزحتهم عن رأيهم الذي كان يدعو الى التمسك بحرفية النص ، ومن ثمة تسلم حصتهم من هذه الارض الخصبة الشاسعة ، كاملة غير منقوصة: « اذا قسمت الارض على الجنود ، فكيف بمن يأتي من المسلمين ، فيجدون الارض بعلوجها قد قسمت ، وورثت عن الآباء وحيزت ؟ » وعند ما أجاب الجنود الفاتحون ، بأن الارض والعلوج مما افاء الله عليهم بسيوفهم ، ولذلك فلا معنى لسلبها منهم ، لم ينكر عليهم عمر رايهم ، ولم يسفهه ولكن قال في هدوء واتزان : « هو ما تقولون ، ولكن لست ارى ذلك واضاف والله ما يفتح بعدي بلد ، فيكون فيه كبير نيل ، بل عسى أن يكون كلا على المسلمين فاذا قسمت ارض العراق بعلوجها ، وارض الشام بعلوجها ، فيما ذا نسد الثغور ، وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد : وبغيره من ارض الشام والعراق ؟ » .

واذ راى الفاتحون تصلب عمر في رايه ، وتدعيمه بحجج ، من غير الانصاف انكار قيمتها وصوابها قالوا : اتنفق ما افاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ؟ اذن استشر ...

واستشار عمر المهاجرين والانصار ، واستشار بالخصوص الفقهاء الذين وجه اليهم الخطاب شارحا رايه . ثم قال : « رايت ان احبس الارضين بعلوجها ، واضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية ، يؤدونها فتكون فيئا للمسلمين : المقاتلة والذرية ، ولمن ياتي بعدهم. ارايتم هذه الثغور، لا بد لها من رجال يلزمونها؟ ارايتم هذه المدن العظام ، لا بد لها ان تشحن بالجيوش، ولا بد من ادرار العطاء عليهم ، فمن اين يعطي هؤلاء اذا قسمت الارضون ... ؟ »

فكان في بيانه ذاك ، من الحجة ما اقتنع به الفقهاء وما جعلهم لا يحجمون عن تأييد راي عمر تأييدا مطلقا .

---

2) المرجع قبله صفحة 148 .

على ان هنالك فى الموضوع شيئا آخر، وهو كلمة محمد عليه السلام ، فقد ثبت عنه انه قال : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » . فيمكن ان توحي مضامينها فى ابعادها القريبة والبعيدة ، صحة التأميم، والسياسة التي ينبغي انتاجها فى الموضوع ، اذ بالاضافة الى ما فى الحديث من التنصيص على ان هذه الامور ، يجب أن تكون فى متناول الجميع ، لانها مشتركة بينهم جميعا ، فان من المعلوم من التشريعات الاسلامية ان كل سياسة او عمل يضمنان المحافظة على هذه الشركة ذات النفع العمومي ، وذات الضرورة القصوى للجميع ، يكون انتهاجها وتطبيقها واجبا . ومن القواعد الاصولية فى التشريع الاسلامي ، أن ما لا يتم الواجب الا به يعتبر واجبا. ومن هذه الزاوية نرى ان الحديث دعوة ضمنية لتأميم هذه المرافق الثلاث ، ذات الخطوة العظمى ، فى حياة سائر الناس والكائنات

ثم كونها مشتركة بين الجميع ، يقتضي أن يعمل على ضمانها لهذا الجميع ، كل قدر حاجته وضرورياته. ثم يدخل ضمن تلك المحافظة عليها ، امر توزيعها ، ورعايتها ووسائل التوزيع والرعاية .

واذا كانت هذه الامور حتمية التأميم ، حتى يضمن توفرها للجميع ، فيكون ما فى معناها حتمي التأميم ايضا .

ومن المؤكد ان كل المنتوجات من تلك الامور ، وكل الاشياء المتفرعة عنها ، او منها ، او بسببها ، اذا كانت من الاشياء الضرورية للعموم ، يجب أن تكون هي الاخرى مؤممة ، لانها مندرجة فى المفهوم العام ، للحديث ، فالطاقة الكهربائية والوقود المستخرج من الغابات ، والغاز المستخرج منها ، أو بالغاز الطبيعي ، ومصلحة المياه بجميع معطياتها ، وكل تقنية ذات خطورة ، واتصال بالمصالح العامة ، لما فى ذلك الطاقات كلها ، وعلى راسها الذرة ، يجب ان تحبس ، او تؤمم ، كما هو التعبير الحديث ، ونرى ان فى هذين الاصلين : كلمة محمد عليه السلام ، وموقف عمر وعمله فى توزيع اراضي العراق، ما يمكن ان تستمد منه اصول وجذور فلسفة التاميم فى الاسلام ، وانها فلسفة تتخذ صورة القسر والجبر والاكراه ، اذا كان ذلك هو السبيل الوحيد لضمان الصالح العام ، للافراد والمجتمع والدولة .

فالتأميم الذي راته المذاهب الاقتصادية الحديثة وخاصة منها المذاهب الاشتراكية والشيوعية ، ليس شيئا جديدا على الاسلام ، وكل ما هنالك ان قادته اي الاسلام والمشرفين عليه ، فى العصور الاخيرة ، لم يحسنوا عرض قضاياه ، ولم يعطوها ما تستحقه من عناية ودرس عمليين . ولم يهتموا به فى الميادين التطبيقية ، الا الى درجة لا تضمن اجلاء عظمته ، وقوته، وخلوده . لان الاسلام كما قلنا وحدة لا يمكن ان تتجزأ، ومن حاول ان يأخذ بعض مظاهرها دون البعض الآخر ، لم يزد عمله على ان يكون تشويها لحقائق الاسلام ومثله العليا .

ذلك ان رسالة الاسلام — كما تقرر هي نفسها — صالحة لكل زمان ومكان ، لانه حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله ، وما تعارضت مصلحة حقيقية ملموسة ، وتشريع ما ، الا اختيرت المصلحة ، على وجه من وجوه تأويل التشريع ، لجعله مسايرا للهدف الاوحد للاسلام، ذلك الهدف الذي يتمحض فى العمل من اجل مصالح المجتمع ، وخير المجموع ، وضمان حق الفرد ، وكرامته، ضمن هذا المجموع .

فاس — عبد الكريم التواتي



للأستاذ محمد العزبي الناصر

اصبح علم الفلك فى عصرنا الحاضر من اهم العلوم رواجا واكثرها ذيوعا وانتشارا لما أولته الحكومات العالمية من اهتمام بسبب غزو الفضاء والاجواء العليا . وبين الفينة والاخرى يقدم لنا العلماء الفلكيون نظرياتهم عن الكون اجمع ، وعن طبيعته وحدوده ، وعن عالمه الغريب وقوانينه ونواميسه المتحكمة فيه .. وان كان اغلب هؤلاء العلماء يقدمون الكون والعالم على الهيئة التي يشاهدونها ويتوصلون الى معرفتها والتأكد منها فانهم قلما يقدمون تصورا جامعا للكون يملأ تطلعات الرجل العادي ويقنع نفسيته امام التساؤلات المصيرية والوجودية والاستطلاعية اقناعا تاما يشفي اسقامه ويملأ روحه ويطمئنها ..

ومن اهم العلماء الذين قدموا نظرياتهم حول طبيعة الكون وحدوده وقوانينه ، العالم نيوتن الذى تصور الكون جزيرة متناهية محدودة فى محيط من الفضاء لا نهاية له . والعالم اينشتين الذى تصور الكون فى مجموعه محدب وهو ككرة من الفضاء تسبح فيه المجرات . والعالم هابل الذى يرى ان المجرات تنفد عن بعضها وتتباعد بسرعة خارقة والفضاء يتمدد وينتفخ . والعلماء الذين يتطلعون ويتكهنون بنقيض الكون بمعنى أن الكون هو كون ونقيضه اي مضاده وذلك استنادا الى الاكتشافات الجديدة فى عالم الذرة والتى تقول بوجود نقيض الذرة اي مضادها ..

الا أن هذه النظريات وغيرها ليست الا تكهنات تنسجم مع واقع المعلومات الفلكية فتؤخذ على انها صحيحة رغم عدم وجود اثباتات كافية لهذه النظريات وغيرها . فذلك اقرب الى الفلسفة منه الى العلم . والعقل عند مبحث كهذا يقف عاجزا كما يقف العلم مكتوف اليدين ويبدا العلماء يتخبطون خبط عشواء (1)

وامام هذا الغيب المجهول ، والتساؤل الحائر لا ينفع الا ما هو حق . فتصورات الانسان وشطحاته الفكرية لا تجدي فى الاجابة المقنعة عن التساؤلات الوجودية والمصيرية والاستطلاعية ما دام العلم والنظر فى الكون وصل عند حد لم يتعداه . وفى هذه الحالة لابد للانسان النزيه الفكر ان يتقيد بما هو حق .. والحق هنا ليس له من مصدر سوى القرآن المنزل من عند الله سبحانه .

فما هو التصور الحق الذى يخبرنا به القرآن ويحدد لنا معالمه ؟!

(1) الكون الاحدب عبد الرحيم بدر ص 253 .

مظهر الكـون والانســان ..

الكون في مظهره لا يتعدى نظرة الانسان اليه من الارض التي يقف عليها .و هذه النظرة لا تتغير ، سواء كانت بالعين العادية للانسان وادراكه او كانت باستعانتـه بالتلسكـوب والاقمـار الاصطناعيـة والصواريخ ... ان نظرته لن تخرج عن كونها نظرة انسان من الارض لانها لا تتعدى مظهر الكون . اما حقيقته وابعاده الحقيقية فلا تدخل في عالم الشهادة التي استطاع الانسان أن يرى الكثير منها ، رغم انه لا زال في بداية العلم ، انها تدخل في عالم الغيب ، الغيب الذي لم يستطع الانســان ولــن يستطيـع ان يدرك ابعاده .

فانت لا تكاد أن تسأل احدا : ما السماء ؟ حتى تتراءى في خياله صورتان صورة السماء والى جانبها صورة الارض . فالصورتـان متلازمتـان لا لانهمـا متناقضتان ولكن لانهما متكاملتان . (2)

فالارض جزء من السماء التي هي كل الوجود. والانسـان موجود على الارض ينظر من زاويتهـا ولولا هذا لما كانت السماء الى جانب صـورة الارض فـي ذهن الانسان . وقد ربط القرآن الكريم بينهما في غير من آية . فقال سبحانه في سـورة آل عمران : (ان في خلق **السماوات والارض** واختـلاف الليـل والنهار لآيات لاولي الالباب ، الذيـن يذكـرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكـرون في خلـق السماواتو الارض ، ربنـا ما خلقـت هذا باطـلا سبحانك ، فقنا عذاب النار) الآية 191 .

فالتصور الاسلامي لمظهر الكون ينطلق من الارض التي يربط بينها وبين السمـاء في اطـار التكامـل والاتسـاق .

الفضاء الكوني الدنيوي .

قال عز وجل في سورة الطلاق (الآية 121) : (الله الذى خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن ، يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) .
الفضاء الكوني ، حسب نظـرة الانسان اليه ، وسط لا نهاية له ، ولا تحده حدود معينة ، تسبح فيه على ابعاد متباينة اجرام السماوات التي يبنى منهـا الكون او الوجود المـادي ، كما تنتشــر بين ارجائه طاقات لا حصر لها من الضوء والحـرارة وما علـى شاكلتها من امواج الاثير التي تنتقل عبـر الفضـاء الكونـي ، وجسيمات متناهية في الصغر عظيمـة الحركة وسحب وغازات متفاوتة الكثافة .

واما فضاء أرضنا فهو الذى تسبح فيه الارض واخواتها من افراد المجموعة الشمسيـة وتقع الشمس في مركزه . وهو ليس في جملته الا جزءا متناهيا في الصغر بالنسبة لخضم الفضاء الكوني البعيد (3) .

ومما لا شك فيه ـ اذا كانا لقرآن الكريم يعني بالسماء والارض سماءنا وارضنا ـ ان هذا الفضاء الكوني هو كل ما حدده الله سبحانه في الآية الكريمة بالسماوات السبع والاراضـي السبـع .. وهو في عمومه ما نسميه اليوم بالكون على العموم .

ولا يهمنا ان تكون هذه الأرضون والسمـاوات متشـابهة في تكوينها وتوزيعهـا وتنظيمـها او تكـون مختلفة في ذلك ما دامت ارصدتنا وسـائلنا العلميـة لم تكشـف لنا الا على نظام واحد هو نظام المجموعات المجرية الموزعـة توزيعـا عادلا في الفضـاء الكوني ، ولكننا مع ذلك نقول امام قدرة الله ان نظامـا غيـره ممكن وليـس مستحيلا ..

الكـون يـدور ويتسـع ..

قال تعالى في سورة يـس الآية 40: (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهـار ، وكل في فلك يسبحون) .

من هذه الآية وغيرها نعلم ان اجـرام الكـون تسبح في فضاء السماوات الواسع في افلاك خاصة بها، تسبح بنظام بديع لا يمكن ان يختلط او يضطرب. وقد اثبت علم الفضاء هذه الحركة وهذا الدوران من اصغر حجم في الكون الى اعظمه واضخمه من الذرة حتى المجرة .. فالذرة تـدور والمجـرة تدور وعلى قرب منها ، وعلى بعد منها ، ملايين المجرات تدور كما تدور مجرتنا ..

---

(2) مع الله في السماء (احمد زكي) .
(3) الفضاء الكوني (الدكتور محمد جمال الديـن الفندي) ص : 5 و 14

الا ان الكون لا يدور فقط بل ويتمدد ويتسع كذلك . قال تعالى فى سورة الداريات الآية 47 : (والسماء بنيناها بأيد ، وانا لموسعون) .

فمن الآية الكريمة نعلم ان العلي القدير بنى السماء بقدرته تبارك وتعالى ، ثم اخذ يزيد ويوسع فيها وذلك بالزيادة فى الفضاء بين اجرامها ، وايضا بالزيادة فى عدد اجرامها كذلك . ولقد اصبح هذا من الحقائق العلمية المعروفة لدى علماء الفلك ان الوحدات البنائية للكون والمجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعة مذهلة وبذلك فان حجم الكون يأخذ فى الازدياد والاتساع والتمدد .. (4) .

بداية الكون ونهايته ..

ينطلق الفكر الاسلامي من ان للكون بداية ونهاية .. فبدايته لخلق الله له وبتنظيمه اياه على هذه الصورة التى نشاهدها وتوسيعه اياه بالخلق المستمر والامر السريع . وهذا الكون الذى نشاهده بأعيننا وبمراصدنا العلمية سوف ينفطر نظامه وتنشق سماؤه وتتجمع شمسه وقمره وتنتفش جبال الارض وتتفجر بحارها ويفني كل من عليها . قال تعالى فى سورة الانبياء الآية 103 (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا ، انا كنا فاعلين) .

الكون الآخر ..

اذا كان عالم الشهادة هو كون ونقيض الكون حسب تكهنات العلم الحديث فان العالم الآخر هو كون ما بعد الكون . هو الكون الآخر الذى سيظهر لنا بعد فناء الكون المشاهد . وهو عالمان : جنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وجهنم للذين كفروا وعملوا السيئات .

وحياة العالم الآخر هي الحياة الحقيقية (لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) هي حياة الاستقرار النهائي للانسان والكون معا ، فلا تغير ولا تبدل ولا انقلاب فى صنعته وخلقته فهو دائم الوجود الا ما شاء الله (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ، عطاء غير مجذوذ) سورة هود الآية 108 .

واذا كان العقل قد حار فى الوصول الى هذا الكون وتحديد ابعاده فان القرآن الكريم يبين لنا عالم الآخرة الاكثر عظمة والاوسع مساحة فى قوله تعالى فى سورة الحديد الآية 20 : (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) .

وبجانب هذا الكون الواسع وهذا الدوام والبقاء نجد الخيرات التى لا تنضب ولا تنقص فهي فى عطاء دائم . فهل يا ترى ان هذا الاختلاف بين الكون الدنيوي والكون الاخروي فى الكيفية والكم اختلاف فى الطاقات والمادة ام هو اختلاف فى الشكل والتركيب لا غير ؟! .

مادة الكون ..

ان الجواب عن السؤال السابق وعن ماهية مادة الكون خارج عن العلم كما هو خارج عن نطاق الاسلام ولكنه اليوف لسفة الفكر الجاهلي قريب جدا . و قد افرد له مبحث الوجود ووضع له اسئلة عويصة الحل والاجابة . فشرق وغرب فى ذلك . واستقر ، وفى الحقيقة لم يستقر ، على مذهبين كبيرين هما : المذهب المادي والمذهب العقلي . فالاول يرى اصل الكون مادة . والثاني يرى اصل الكون عقل او روح ...

ويعتمد المذهب المادي على العناصر التى يتكون منها الكون وهي عناصر مادية فى مظاهرها ولكن العلم استطاع ان يحطم ذراتها لتستحيل الى طاقة كما اكتشفت ذرات اخرى سميت بنقيض الذرة او مضادها وهما اذا ما التقيا تحولا الى طاقة . وهذا يقف فى وجه الماديين الذين يعتبرون المادة اصل الكون .

ويرد المذهب العقلي الكون الى العقل او الروح او المطلق او كما يقولون : سمه ما شئت . وهم فى ذلك يشتطون ويبتعدون عن الكون ليصلوا الى خالق الكون كأصل للوجود . الا ان البحث فى اصل الوجود والكون ليس بحثا فى مبدع الوجود بل فى مادة الكون والوجود فى العناصر التى يتألف ويتكون منها الكون .

---

(4) مجلة العلوم السنة 13 العدد 6 ص 35 (علم الفلك فى القرآن الكريم) .

والفكر الاسلامي لا ينكر المظاهر المادية المشاهدة (بصفاتها كالصلابة والكثافة والتعيين ..) فى الكون. ولكنه لا يرى هذه المظاهر التى تتراءى له هي اصل الكون . بل يراها صوره التى تتشكل على تلك الشاكلة. ولا ينكر بالتالي وجود العقل والروح ف الكون ولكنه يراهما عناصر مخاوقة كباقي العناصر الاخرى . وهما متعلقان بالانسان وحده ولا يمكن بحال ان يكونا مصدرا للكون . فمادة الكون ليست مدة او عقلا بل هي طاقة ونور بعيد عن ادراك الانسان لكنهه وحقيقته : (الله نور السماوات والارض) .

فالعالم لم يصل الى درجة النهاية فى المعرفة فيلم الماما تاما بالكون واصله ، والفلسفة تخرف وتخبط خبط عشواء ، ولم يبق من الامور اليقينية الثابتة الا اساس الكون وأساس وحدته وأساس وجوده وبقائه وانتظامه وتفاعله فى اطار بعيد عن المادة التى يتألف منها ويتكون بها الكون فنظرة الاسلام الى الكون نظرة اسلامية . فهي لا تنظر اليه كمادة منفصلة عن الله الذى اوجدها . فوجودها ليس الا معطى لخالقها الذى خلقها . فالكون مرتبط بالله اصلا . والاهم والاعظم ليس معرفة مادة الكون الدنيوي والاخروي فحسب ، بل ومعرفة مبدعها وخالقها ومصورها . لانه حاكم العالمين ، ومالكهما ، والآمر فيهما . فالكل مستسلم ومسبح وساجد له فيهما .

الله خالق الكون ..

فتق (5) الله السماوات والارض فقضاهن سبع سماوات ومن الارض مثلهن (6) فى ستة ايام (7) بالحق ولغاية ولاجل مسمى (8) وذلك بالخلق المستمر للكون والامر السريع كلمح بالبصر اذا قضى الله سبحانه ذلك . قال تعالى فى سورة القمر الآية 50 : (انا كل شيء خلقناه بقدر ، وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقال تعالى فى سورة البقرة الآية 16 : (بديع السماوات والارض ، واذا قضى امرا فانما يقول له كن ، فيكون) .

الله مالك الكون ..

الله مالك الكون ورب العالمين وما بينهما (9) فله مقاليدهن (10) وميرائهن (11) وجنودهن (12) وخزائنهن (13) وماة بهن (14) . قال تعالى فى سورة المومنون الآية 90 : (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل افلا تذكرون ، قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله ، قل افلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل فانا تسحرون ، بل اتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) .

---

1 ـ الخلق :

(5) (سورة الانبياء الآية 30)
(6) (سورة الطلاق الآية 12)
(7) (سورة الاعراف الآية 53)
و (سورة فصلت الآية 11)
(8) سورة الدخان الآية 37 ـ وسورة ص الآية 26 وسورة الروم الآية 7) .
وآيات الخلق كثيرة فى القرآن الكريم منها :آية 163 فى سورة البقرة .

2 ـ الملك :

(9) سورة الشعراء الآية 23
(10) سورة الشورى الآية 10
(11) سورة آل عمران الآية 180
(12) سورة الفتح الآية 7
(13) سورة المنافقون الآية 7
(14) سورة آل عمران الآية 109

الكــون قائــم بامــرا لله ..

الكون قائم بأمر الله (15) ، فهو الذى يدبــر الامر من السماء الى الارض (16) واليه يرجع الامــر كله (17) ويمسكه كي لا يــزول (18) قال تعالــى فى سورة الاعراف 53 : (يغشي الليــل النهــار يطلبـه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ، الا له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين) .

الله يعلــم ما فى الكــون ..

يعلم الله كل ما فى الكون ولا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فــى السمــاء (19) ويعلــم مــا فــى الصدور (20) ويعــلم الساعــة وايــان مرساهــا (21) قــال تعــالى فــى ســورة سبــأ الآيــة 3 : وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ، قل بلى وربــي لتاتينكم ، عالم الغيب لا يعــزب عنه مثقــال ذرة فى السماوات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين) .

الكــون مستسلــم للــه ..

كل ما فى الكون اســلم واستسلــم لــه (22) ويسجد له (23) وسيأتي الرحمــان عبدا (24) قال تعالى فى طاعة الكون فى سورة فصلت الآية 11 : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها ، قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومــين واوحــى فى كل سمــاء امرها) .

الكــون يسبــح للــه ..

قال تعالى فى سورة النــور الآية 41 :

(الم تر ان الله يسبح له من فــى السمــاوات والارض والطير صافات ، كل قــد علــم صلاتــه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون) .

وقال تعالى فى سورة الاسراء الآية 44 :

(يــسبح له السماوات السبــع والارض ومــن فيهن، وان من شيء الا يــسبــح بحمــده ، ولكــن لا تفقهون تسبيحهم ، انه كان حليما غفورا) .

عبوديـــة الكـــون :

نفهم من الآيات السابقة ان الكون فى عبوديته وعبادته وتسبيحه واسلامه يخضع خضوعا تاما عن طواعية لله سبحانه ، فطاقة الكون ، طاقة مخلوقــة كماخلق الله جميــع المخلوقــات وجزئيــات الكــون وعناصره وقوانينه وسننه التى ينضبــط بهــا .. طاقة قائمة على الخضوع لله . فالكون ليــس حرا بل هو خاضع ، طائع ، عابد، ساجد لله . فكل مظاهر الكون تنطلق من فاعلية الله سبحانــه وهيمنتــه . ولكن هذه الطاعة والعبادة ليست طاعة اجبار وقوة.

---

3 ــ الامــر

(15) سورة الروم الآية 24
(16) سورةا لسجدة الآية 5
سورة الرعد الآيــة 2
(17) سورة هـــود الآية 121
(18) سورة فاطــر الآية 41
سورة الحــج الآية 63

4 ــ العلــم

(19) سورة آل عمران الآية 5
(20) سورة آل عمران الآية 29
(21) سورة الاعــراف الآيــة 187

5 ــ الاســلام :

(22) سورة آل عمران الآية 82 .
(23) سورة الحج الآية 18 .
(24) سورة مريــم الآية 96 .

فهي ليست جبرية بل قائمة على موقف اختيـاري ، اختيار الطاعةوالعبودية والعبادة . (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها ، قالتا اتينا طائعين) (فصلت الآية 11) .

فالكون بسمائه وارضه عند خلق طاقته وقبل ان تتم خلقته خير بين الطاعة والاكراه فاختار لنفسه الطاعة . والذا فالكون ليس مجبرا ولا حرا بل هـو عابد ساجد يسبح لله سبحانه .. والحرية والجبرية قوام الفكر الجاهلي اللتان بواسطتهما – في نظر الفكر الجاهلي – ينظم الكون نفسه بنفسه ويخلق قوانينه من تلقائه ويستغني عن الاله لانه منظم من الداخل تنتفيان وتتلاشى معالمهما في الفكر الاسلامي . لانهما شبيهتان ناتجتان من مشاهدة الكون على حقيقته المنظمة .. حيث يأخذ الفكر الجاهلي طريقا بعيـدا عن العبودية والعبادة ولا يستطيع اطلاق تصوره ليحيط بالغيب ويؤمن به ، يجد نفسه امام قوانين واسباب صارمة الوقوع فيدعي الحتميـة والحريـة او كلاهما معا وينكر الخالق البارىء .. وهذه شبهات تنهض في عقل الجاهلي كما ابتعد عن التصور الاسلامي للكون وعبودية الكون وخضوعه لله خضوعا اختياريا خشوعيا استسلاميا حيث اقبل الكون وهو طائع لله (قالتا اتينا طائعين)

عبوديـة العلــل في الكـون :

لا يرى الفكر الجاهلي المتصق بالدنيـا العلـل والاسباب الا في ارتباطاتهـا الحسيـة ، ولا يـرى فاعلية الله فيها ، ولا عبوديتها لله سبحانه .. فاذا ما ذكر الله جعله العلة الاولى او العلـة الاخيـرة .

فالعقل عندما يعجز عن متابعـة العـلل يختصرهـا ويحدها بالله اي العلة النهائية . وهـذه الصيـغة تجعل الله بعيدا عن الاحداث التي تقع في حينها فالله لا دخل له فيها الا من بعيـد . فهو العـلة الغائيـة والنهائية او ما سماه ارسطو بالمحرك الاول .

وهذا خطأ عقلي وواقعي في آن واحد ، فالفرد حقيقة ينظر الى الظواهر بحواسه ويبحث عن العلل القريبة للظواهر التي يراها وينتهي بتحديد العلـة الرئيسـية ما امكن ، ولكن تتبع العلل بطريقة عقليـة الى مئات العلل حتى تنتهي الى الله هو انتقـال مـن تفكير موضوعي واقعي الى تفكير خيالي سحري لا اسـاس له في الواقع .

والواقع ان الله لا يوجد في آخر العلـل او في اولها بل هو المهيمن على كل العلل مجتمعـة بعلمه وقدرته ولطفه وحكمته وابداعه وصنعـه ... ان العلل المتسلسلة لا تعطي عقليا ان تفترض علة في آخر العلل او في اولها بل تفترض فاعلية كاملة لله على كل العلل تحيط بها وتسيرها . والعلل لا تحدث الا بها وبهيمنته سبحانه عليها بتحديـد وقتهـا وظروفهـا وابعادها وبتركها لنفسها تختار فتخضـع وتعبـد وتسبح وتسجد وهذه هي عبوديتها .. ولهذا صلة وثيقة بما يسمى القضاء والقدر .

فالتصور الاسلامي للكون اذن يجعل وحـدة الكون وتماسكه واستمرار وجوده وحركاته وتفاعله بجميع النوامـس والعلـل والاسبـاب هـي فـي اسلامه وخضوعه وعبوديته لله .

الرباط – محمد العربي الناصر



- 1 -

مقدمة : الاسرة هي جماعة مرتبطة بعلاقات جنسية ثابتة ودائمة ، هدفها انجاب الاطفال وتربيتهم فهي فى ابسط صورها مجموعة الافراد التى تضم الزوجين واولادهما . وهذه الصورة هي الطبقة العاشرة والاخيرة فى سلسلة الانساب المعروفة عند العرب والتى كانوا يطلقون على الطبقة الاولى منها لفظة (الجذم) أي الاصل .

والاسرة فيها سكن الانسان وطمأنينته ، وفيها راحته ومستقره . قال تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وهي مصنع هائل ينتج الابطال ويخرج القادة ويورد الاكفاء الذين يستطيعون الاضطلاع بمهام الحياة ، وهي فى حقيقتها شركة تعاونية يسهم فيها كل فرد بما يستطيع من جهد لتمكينها من اداء رسالتها فى خير الفرد والجماعة على السواء . ولذلك فان الاسلام يعتبرها الخلية الاولى فى تكوين المجتمع البشري واللبنة الاولى فى بناء الحياة الاجتماعية ، ففيها تتحدد المعالم الواضحة لشخصية الانسان وتتكيف اتجاهاته وتظهر ميوله .

عوامل اهتمام العرب بالأسرة :

وقد عنى العرب بانسابهم واسرهم بصورة لم نالفها عند غيرهم من الشعوب ، وقد دعاهم الى الاعتزاز بالانساب وحفظهم لها وتدوينهم اياها طبيعة الحياة فى شبه الجزيرة العربية ، وما كانوا يقاسونه فى سبيل الحصول على الرزق المحدود والكلأ القليل والماء النادر واضطرارهم الى التجمع والتسابق الى هذه المواد التي لا تكاد تفي بحاجتهم جميعا، فاذا اضفنا الى ذلك ما فطر عليه العربي من حمية النفس وسورة العاطفة واندفاع الى الشر وقلة مبالاة بالعاقبة ، عرفنا الى اي مدى حرص العرب على انسابهم ووجد لديهم علماء متخصصون كأبي البركات الجواني ، وفى ذلك يقول صاحب نهاية الأرب : « ومعرفة انساب العرب مما افتخر به العرب على العجم ، لانها احترزت على معرفة نسبها وتمسكت بمتين حسبها ، وعرفت جماهير قومها وشعوبها ، واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها ومالت الى أفخاذها وبطونها ونفت المدعى فيها » لهذا لا نعجب اذا ظل العرب قبل الاسلام قبائل مختلفة ، وبطونا متعادية ، فلما تسود بينهم رو المودة ، أو تهدا فى نفوسهم نوازع العصبية ، يتحاكمون الى سلطان العقل وصوت الضمير فيم شجر بينهم من خلاف .

اثر الاسلام فى الأسرة العربية :

فلما جاءت الشريعة الاسلامية بمبادئها وتعاليمها ، اقرت هذه المعرفة للانساب ولم تر فى الانتماء الى الاسر والقبائل والشعوب ضيرا، ما دام

ذلك لا يؤدي الى التفاخر والمبالاة ، او البطش بالضعاف ، واستعباد الفقراء ، ثم بينت الحكمة من هذا الاعتزاز بالنسب وانه للتعارف والتواد والتآلف والتراحم . « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال عليه السلام : « كلكم لآدم وآدم من تراب » . « ليس لعربي على عجمي ولا لقرشي على باهلي فضل الا بالتقوى » .

وكان عرب الجاهلية يتوسعون فى معنى الاسرة ولا يقصرونها على الاقارب الذكور (العصبة) بل كانوا يدخلون فى عدادها: الموالي والادعياء ، وكان الجميع يؤلفون ما يشبه الشخص الواحد ، حتى ان ثروة الاسرة كانت ملكا مشاعا لجميع افرادها . الامر الذى كان يجعلهم يؤخذون بجريرة أي فرد منهم .

ولكن الاسلام غير من نظام عرب الجاهلية فى تحديد معنى الاسرة ، والغى آثاره فيما يتعلق بالقصاص اذ قرر « ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص ».

وقد حقق الاسلام المساواة الكاملة فى القيمة الانسانية بين الرجل والمراة ، وقرر ان المراة انسانية تتزوج بانسان لتكون اما لانسان . « والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات، أفبالباطل تومنون وبنعمة الله هم يكفرون » . فكان له بذلك فضل كبير على المراة اذ انقذها من قسوة الجاهلية الظالمة واعطاها حقوقها كاملة ، لان الزوج والزوجة اليفان من نوع واحد لا مجال لاستعلاء احدهما على الآخر ليستعصم بالكبرياء ارضاء الغرور الجامح المتردد . « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » . وبذلك بدل الاسلام ظلمها عدلا ، وذلها عزا ، وخوفها أمنا ، بعد ان كانت فى الجاهلية كسيرة الجناح مسلوبة الحرية يوم كانوا يكرهون ان يولد لاحدهم انثى فكانت كما قال تعالى : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون». « واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت » . فلما أن جاء الاسلام جعل للمراة حرية التصرف فى مالها واعطاها ميراثها ، بعد ان كانت هي متاعا يورث فى بعض القبائل – قال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا » . والمراة المسلمة صارت عندما تتزوج تحتفظ باسمها واسم اسرتها بخلاف بعض الامم التى تذيب اسمها واسم اسرتها فى اسم الزوج واسرته. والاسلام – دين العدل والكمال الانساني – لم يبح للزوج اغتصاب اموال زوجته ولا استرداد ما اعطاها الا برضاها ، وهذه العدالة فى المعاملة بين الزوج والزوجة لم تكن فى الامة العربية قبل ان يعزها الله بالاسلام الذى بين الرشد من الغي وكرم بني آدم ذكرا أو انثى . « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وكما خفف الاسلام المساواة فى القيمة الانسانية بين الرجل والمراة ، فقد احتفل بالفرد الذى تتكون منه الاسرة ، ويبدو ذلك فى حرصه على أن يجعله يرى ويسمع وينطق وتختلج مشاعره بما جاء به الاسلام فى عقيدة تربط المومن بربه فى كل احيانه وعبادات تشده وتحكم وثاقه باخوانه ، ومعاملات لابد منها للحياة الفاضلة واخلاق هي الثمرة الحقيقية للعبادات فى دين الله ، والفرد الذى يكون الاسرة الاسلامية هو كل مسلم ومسلمة ؛ وان الاسلام ليخاطبهما على السواء ويكلف النساء كما يكلف الرجال قال تعالى : « فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض » . « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

والاسلام هو الى ذلك قد ابقى على القواعد والنظم التى تؤكد تضامن الاسرة وتكافلها فى دعم كيانها كما هو الحال فى نظام الدية ومولى العتيق ومولى الموالاة . والادلة القرآنية والاحاديث النبوية فى هذا المقام كثيرة وهي فى مجموعها تهدف الى ترابط الاسرة ووحدة كيانها فى مضمون اجتماعي – مما لم يكن لهذا وجود عند عرب الجاهلية – لتصبح خلية حية متفاعلة فى جسم الاسرة الكبيرة التى تشمل الامة الاسلامية فى مختلف اقطارها وتباين لغاتها والوانها . « المومنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » . مولى القوم منهم الولد الفراش وللعاهر الحجر ، وقال تعالى :

« ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » . وقال « انما المومنون اخوة » . وقال : « والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ».

ومن ذلك نرى ان الشريعة الاسلامية خصت الاسرة العربية من شوائب الضعف ووجهت لها قسطا كبيرا من عنايتها واحاطتها بما يكفل لها الصلاح والاستقرار فلم تغادر اية ناحية من نواحيها الا اقامتها على نظم رشيدة وقضت على ما كان يسير عليه العرب وغيرهم من طرائق فاسدة معوجة .

منزلة الاسرة ودعائمها :

لقد رفع الاسلام من قيمة الاسرة واعلى من شأنها منذ أن بزغت على العالم شمسه واضاء فى الكون نوره ، واقامها على اسس سليمة وبناها على دعائم قوية من القداسة والروحانية العجيبة التى يقف امامها العقل البشري مذهولا حائرا ، فهو انصف الاسرة وجعل لها كيانا مستقلا ، وامتن عنيها بهذا الانصاف ، فشرع الخطبة للرجل والمراة على سواء ليختار كل منهما شريك حياته ، وليسير على هدى وبصيرة بحيث لا يتردى فى مهاوي الضلال ، ثم شرع الزواج واحاطه بسياج من القداسة والطهر عجيب وجعل الصداق هبة من الرجل وعطية وجعل الطلاق ابغض الحلال الى الله وجعل له شروطا خاصة وفى حالات بعينها تقتضيها الضرورات القاهرة ، ثم ربط علاقة افرادها برباط الالفة والمودة والمحبة واجتماع الكلمة والمحافظة على الصحة وسلامة البدن، وبذلك ضمن للاسرة المسامة الطمانينة والاستقرار وارسى اركانها وركز دعائمها واعانها على ردهاته التيارات الزاحفة التى لم تنل منها ولم تستطع زحزحتها ولا الوقوع بها .

فمنذ حقبة من الدهر فارت نفوس ثائرة وانطلقت من اسارها عنيفة مدمرة فعصفت ريح الجهالة والمجون فى كثير من بلاد العالم بكل ذي شأن ، واجتاحت الكثير من التعاليم الوضعية التى سارت بلادهم عليها احقابا طوالا ، ومما عصفت به هذه الريح (الاسرة والبيت) فهدمت اركانهما وقوضت دعائمهما ، فجارت الاصوات قائلة : لا داعي للاسرة ولا حاجة الى البيت ، اهدموا البيوت ، وشتتوا الاسر ، لانها تكونت من الحب الفردي وقامت على الاثرة والانانية ، يجب الا يوثر الرجل اولاده بماله ومتاعه ، يجب أن يكون المال والمتاع والثروة للمجموع ، وهكذا هدم هذا الصوت كثيرا من البيوت فى تلك الامم وحل الاسر واباح الاعراض ، لانها لم تكن ترتكز على اساس ولم تكن تستند على دعائم بينما تمسكت الامة الاسلامية بتعاليم دينها محافظة على اسرها ، معتمدة على مقوماتها ، ثم كانت النتيجة ، ضياع الانساب فى تلك البلاد ، فلا يعرف الولد نسبه ولا اباه ، ولا الوالد ابنه معرفة يطمئن اليها ، ويعتقد صحتها ، ثم كان ايضا ضعف معنوي هدم الروح هدما ، واستهان بالمراة والنسل ، واحتقر تلك الصلة القدسية الشريفة ، صلة الزوج بزوجته ، والوالد بولده ، ثم اخيرا ضعفت صلة الرحم والقرابة حتى صار الرجل لا يعرف قرابة ولا رحما وشيجة ، وسرعان ما فقدت هذه العاطفة هي الاخرى قداستها بين هؤلاء ، فلا بيت هناك ولا اسرة ، يقصد الرجل الى حجرة كائنة ما كانت فيجتمع بامراة من عرض الطريق .

وقد لمس اقوام فى النهاية ضرر ذلك وخطره فاخذوا فى علاجه ومداواته ، ومنشا ذلك انهم لم يحافظوا على اسرهم ولم يصونوا اعراضهم فكان فى ذلك قضاء عليهم ، وهدم لكيانهم ، وضياع لريحهم.

تنظيم الاسرة الاسلامية :

من ذلك نرى ان ارقى النظم الوضعية لن تصل الى ما وصلت اليه الشريعة الاسلامية فى تنظيمها للاسرة وعنايتها بها ، اذ عالجت كل المشاكل المتعلقة بالاسرة فكفلت لها النجاة من الشرور بما لم يصل اليه عقل بشري بل بما لم يكفله دين سماوي من قبل .

فكان من اول ما وضع من التشريعات لتنظيم حياة البشر : الوصية بالوالدين ، فهما رمز الحياة الاسرية وعمودها الفقري ، وكان ذلك بعد الامر بعبادة الله وحده قال تعالى : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا » .

وكان من اسس التنظيم للاسرة التوجيه الى الدقة فى اختيار شريك الحياة والعناية بتلمس جوانب الخير فيه ، تلك الجوانب التى تؤهله لتحمل التبعات وتقدير المسؤوليات ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « تنكح المراة لاربع : لمالها ، ولحسبها ،

ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » . ويقول ايضا : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المراة الصالحة التى اذا امرتها اطاعتك ، واذا دعوتها اجابتك ، واذا غبت عنها حفظتك فى نفسك ومالك » . والزوجة المثالية تكون اما لشباب مومن طاهر يعرف ربه ويعرف حق الوطن عليه وينفع نفسه وغيره . « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا » . ففى حسن اختيار الزوجة اطمئنان للقلب وارتياح للنفس ، ولا ينبغي الاندفاع وراء صيد براق خلاب ، من غير تفكير ولا تدبير ، وقد نهانا ديننا عن الزواج من بيئة هابطة فاسقة لا خلاق لها ولا امن يرجى فيها « ولا امين الا من يخشى الله » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المراة الحسناء فى المنبت السوء » . ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم راعى بأن الام هي القدوة لابنتها وابنها . و « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

وعلى الاب الولي ان يكون مراعيا الجانب الديني فيمن يختاره زوجا لابنته ، فلا يهمل هذا الاساس : « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الارض وفساد عريض». وذلك لان الزواج المؤسس على هذا المنهج الذى ارشد اليه رسول الله صلوات الله عليه وسلم يبني الاسرة على تقوى من الله ورضوان وذلك مما امتازت به الشريعة الاسلامية . ومن زوج ابنته من فاسق او مستهتر بدينه فقد اساء اليها وجنى عليها .

كما نظم الاسلام العلاقة بين الشريكين على اساس العدل والتعاون « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » واختار للاشراف على الاسرة ورقابة سير الامور فيها من كانت اسهمه فى الشركة اكثر ، ومؤهلاته القيادية اقوى واكمل فقال سبحانه : « وللرجال عليهن درجة » . وقال : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » وحث على اخلاص الطرفين بعضهما لبعض وعدم تقصير احد فى الواجبات المكلف بها ازاء الآخر فقال تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله». وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والرجل راع فى اهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمراة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها » . وقد نبه الرجل الى ان رياسته التى تقتضيها طبيعة كل جماعة ليست رياسة استبداد وتحكم ، بل هي رسالة شرف تزداد بها التكاليف وتعظم بها المسؤولية ، ولا بد فيها من التشاور والتعاون واحترام راي المراة عند النظر فى المشاكل ، قال تعالى فى حق الزوجين : « فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » . فذكر التراضي والتشاور دليلا على ان للمراة رايها ولها شخصيتها المستقلة فى بحث المشاكل وسياسة البيت بعيدة عن الاستبداد والتحكم من اي طرف من الطرفين .

ان هذه الشركة لابد لها من ارباح ، وما هي الا الذرية ، وقد امر الله بالعناية بها ، كما امر الله هذا الناشيء الجديد ان يدفع لابويه ضريبة التربية فيبر بهما ويحسن اليهما خصوصا عندما تشتد اليه حاجتهما كما يقول تعالى : « اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » . ففى هذا الادب من التكامل والتضامن ما يسمو على كل تشريع ، وفى هذا التنظيم السماوي الذى وضعه العليم بأحوال الناس ما يفوق كل تنظيم .

هذا من جهة النظر الى معنى الاسرة فى صورتها القائمة على الزوجين واولادهما ، والتى توجب على كل فرد فيها واجبات معينة قبل سائر الاعضاء نظير ما ينتفع به من مميزات : ومن وجهة النظر الى معناها الواسع فاننا نجد الشريعة الاسلامية توجب نفقة القريب المحتاج على قريبه القادر على الانفاق ، وذلك لضمان التكافل العائلي بين ابناء الاسرة وتجاوبهم جميعا فى السراء والضراء والسعادة والشقاء فى الحاضر والمستقبل ، ولا ادل على ذلك من تلك الوصايا الكثيرة التى احتواها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وافعال الصحابة والتابعين من ابناء الامة الاسلامية ، فالقرآن يقول : « واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربي والجار الجنب » . ويقول : يسالونك ماذا ينفقون ؟ قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين » . ويقول « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي » . ويقول عليه السلام : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل مال فليعد به على من لا مال له ».

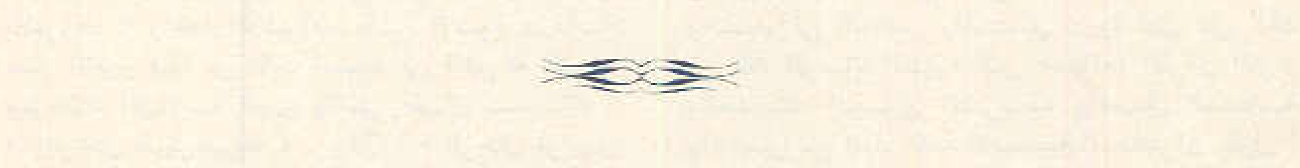
ان هذه النصوص وغيرها توجب على المسلم رعاية اخيه في الاسلام ، وشريكه في العقيدة ، وتلزمه بمديد المعونة اليه عند احتياجه ، كما الزمت البر بالاقارب الادنين ومعاملتهم ومشاركتهم على السواء .

فالشريعة الاسلامية قد اوفت الاسرة حقها من التقدير والرعاية سواء كانت بمعناها الضيق ، او بمدلولها الواسع ، نظرا لوظيفتها الخطيرة في المجتمع ، فهي التي تغرس في نفوس الابناء حب المعتقدات والقيم بالتكاليف الشرعية ، وهي التي تتعهدهم بتربيتهم خلقا ولغويا وثقافيا ، وفيها مستقبل البلاد اذ هي مهند الجنود ومصنع القادة والعظماء والعباقرة ، يتدرج فيها الطفل او بالاحرى يتلقى اول دروس التربية العملية التي تمتزج بالدم وتخالط البدن والروح . الدروس التي تسيطر على حياته ، وتؤثر فيها تاثيرا لا يمكنه التخلص منه مهما حاول تخلصا او فرارا — فما بالطبع لا يتخلف — فان كانت هذه الدروس الاولى شعور بالعظمة والمجد والعزة والقوة والانفة والكرامة ضمنا مواطنا مخلصا له اثره في الاصلاح ويده في النفع المحقق لخير البلاد ، لان الانسان يولد في الاسرة عجينة طرية يتولاها الوالدان بالتشكيل والتجميل والتطوير حتى يخرجا منها نموذجا طيبا ان احكما الصنع واجادا التشكيل ، او نموذجا سيئا ان قصرا او اهملا او شكلاه تشكيلا على غير أساس متين من المعرفة الدقيقة بالطبائع والغرائز واثر البيئة في السلوك ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في ذلك : « ما من مولود الا يولد على الفطرة فاباه يهودانه ، او ينصرانه او يمجسانه». وروى ابن ماجة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » .

وبذلك كله شملت الشريعة الاسلامية ، الاسرة برعاية كريمة وعف رحيم ، وسمت بها الى مستوى رفيع لم تصل الى مثله ولا الى ما يقرب منه اية شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه .

— يتبع —

الرباط — العربي الفساسي





تتراوح علاقاتنا الحياتية بين هذه الانماط :

علاقتنـــا بانفسنـــا ..

علاقتنـــا بالآخريـــن ..

علاقتنـــا بالكـــون ..

ولكي نكون موضوعيين فى الوقـوف عند هـذه العلاقات .. فلنقل منذ البدء .. ان « علاقة » حميمة توشج بين كل هذه الانماط ، بحيث لا يمكن ان تستقر واحدة منها فى غياب الاخرين .. ان علاقتنا بانفسنـا ـ مثلا ـ تستمد عناصر وجودها الحى من نقاء علاقتنا بالاخرين .. وعلاقتنا بالاخرين تستقطب فى حركـة انتمائها علاقتنا بالكون .. وعلاقتنا بالكون هي الاخرى .. تغيم او تشرق فى ضوء من علاقتنا بانفسنـا .. ومن هنا كانت هذه الانماط من علاقاتنـا الحياتيـة متكاملة متناغمة الابعاد والاعماق .. كأنها اضلاع مثلث واحد ..

وليس هذا التكامل .. او هذا التداخـل .. بمفض فى النهاية الى تمييع الوجود الفردي لكل علاقة من هذه العلاقات .. بقدر ما هو الى اصالتها والـى عراقة انتمائها .. فان الوجود الاناني وحده هو الذي يمكن ان يشكل لطخة سوداء فى جبهة اى وجـود .. لانه يعزله بالضرورة عن ان يكون فاعلا .. ومنفعلا .. اما ان يتناغم مع وجود او اكثر من وجود .. فان ذلك وحده .. هو الذي يعطي الدليل على امكانية ان يكون وجودا ايجابيا مثريا .. يعطي ويأخذ .. يؤثر ويتأثر .. يفعل وينفعل .. وفى ظلال هذه « المعاطاة » يمكن لكل طرف من هذه الاطراف ان يعين على تكامل الكـل .. واضفاء روح الشمول على اطاره ومحتواه ...

ولنبدأ بالوقوف العابر عند « علاقتنا بانفسنا » .. ان تحديقا غير متسرع يؤكد لنا ان هذه العلاقـة قائمة اساسا على التلاحم الوجودي بيننا كوجـود موضوعي .. وبين انفسنا كطاقة .. وكقدرة .. وكفكر .. ومن هذا كان الصراع الخالد معركة لا تهـدا ولا تنتهي بين جواذب الهبوط وهواتف الاستعلاء فى اطار الذات .. املا فى ان يسفر الصراع عن صفاء الجواهر .. وارتفاعه الشاهق المنتمى .. عـن المستـوى الترابي البليد .. ثم كان الالحاح الدائب على اشعـاع اضواء هادية مكان هذه الدياجير .. حتى لا تفـرغ الذات من شيء قبل ان تمتلىء بشيء آخر اعلى واثرى .. ثم كان الحاح اعرض واعمـق على ربط النفـس البشرية بغايات كبيرة .. واهداف جليلة .. وتحطيم كل ما يعتاق انطلاقها الى امام .. حتى لا تـدور فى حلقات مفرغة تبـدأ من حيث تنتهـي او من حيث لا تنتهي على السـواء ..

ان هذا « الاحياء » الدءوب .. لكـل مناطـق الابداع فى اعماق الذات .. كان غاية كـل الاديـان والرسالات ولعل اندى صوت فى هذا المجـال كان صوت النبي العظيم محمد (ص) حين قال لاصحابـه

وهو راجع من غزوة وقتال : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر .. وهو جهاد النفس » .. ان ذلك كان بدء الجولة الداخلية التي تقوم بتحرير المناطق المحتلة في أغوار الذات .. ليبدأ من بعد ذلك الزحف الى كسب مواقع جديدة .. لابد انها ستتوق يوما الى مثل هذا الصفاء الآدمي الصادح في سلوك هذه الطلائع المسلمة .. الفاتحة باسم الله .. وباسم كرامة الانسان !!

ولقد جاء رجل الى النبي (ص) يقول — اوصني يا رسول الله .. قال امستوص انت ؟ قال : نعم .. قال : اذا هممت بامر فتدمر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه » .. هنا تخطو القضية خطوة اخرى الى الامام .. فليست المسألة مسألة جهاد كادح داخل النفس ... وانما هي بالدرجة الاولى تسليم الذات كل زمام الموقف « اذا هممت بامر فتدبر عاقبته » .. حتى يمكن للانسان ان يكون هنا مناط مسئولية .. ولكنها مسئولية مسئولة امام هذا الميزان: « فان كان رشدا فامضه .. وان كان غيا فانته عنه » هذا تخطيط راشد لتربية الجماهير .. ان اسلوب الكبح لا يجدي .. ولكن اسلوب الحفز .. وربط هذا الحفز بضمانات اخلاقية واقية هو الذي يعمل على تنشيط قوى النفس .. واطلاق امكانياتها في فضاء التحقيق الوجودي ..

ان علاقتنا بانفسنا — في المنظور الاسلامي — لا ينبغي لها ان تنهض على اسس من الوصايا والشعارات وانما ينبغي لها ان تنهض دائما على فهم حقيقة النفس وحقيقة دورها الشاق .. وحقيقة الصراع الناشب في داخلها بين شتى النوازع .. والخلجات ...

ولنعبر دائرة الحديث عن علاقتنا بانفسنا الى الحديث عن « علاقتنا بالاخرين » ..

ان « الآخر » دائما هو المقياس الذي نقيس به آماد تطورنا النفسي والسلوكي .. لان انانية الذات تلقي امتحانها الواصب في مواجهة هذا الانفتاح .. او قل هذا التخطي لمطامحها الذاتية في سبيل ان تفسح لمطامح الآخرين دون رغب ما .. في مقابل ما .. ان ذلك يشكل قمة التصفية النفسية .. ويشكل الى جانب ذلك قمة الوعي بحتمية التناغم الوجودي الذي بدونه لا يكون الوجود ..

ولا بد من تعميق علاقاتنا بالآخرين على اساس من الحب المطلق .. والمشاركة في القيم والاشراق كهذا الذي تغنى به المسيح عليه السلام : « احبوا أعداءكم .. باركوا لاغيكم .. احسنوا الى مبغضيكم .. صلوا من اجل الذين يسيئون اليكم » .. وكهذا الذي مجده وانحنى عليه محمد عليه الصلاة والسلام : « والله لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .. « انصر اخاك ظالما او مظلوما » .. « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .. «المؤمن للمؤمن كاليدين .. تغسل احداهما الاخرى».

ان هذه المقابلة الراشدة بين ما هو لك .. وما هو للآخرين .. تؤكد انصوتا من نوع فريد قد اراد ان يقيم العالم من جديد على اسس جديدة .. لا تنبح فيها الانانية .. ولا تستشري في زواياها اثرة عمياء!!

ان « الآخر » بقدر ما هو مجلى من مجال تحققنا الاخلاقي .. واحساسنا بزمالة الانسان للانسان ... يشكل في الوقت نفسه مرآتنا الصافية .. التي تعكس همومنا .. وغناءنا .. وهو لنا كتاب مفتوح الصفحات نرى فيه كل ما هو متهلل ورائع .. ومضيء ... فالذي يقيم علاقته بالآخرين على اساس من الاحساس بالوهب .. لا التلقي .. دائما يواجه في نفسه منطقة محترقة تماما .. ما تزال حتى الان في حاجة الى نفضة خصب تعيد اليها فورة البكارة .. وروعة الاقتدار ..

وحين نشارف الحديث عن « علاقتنا بالكون » نحس في داخلنا بان رسوخ هذه العلاقة او انحلالها دليل عى مدى صداقتنا او عداوتنا لقضية اننا نحيا الحياة.. فهل يمكن ان تقوم علاقة فاشلة بين الانسان والكون .. ثم يبقى للانسان او للكون وجود او حتى أشباح وجود ؟ ان الكون اطارنا .. ونحن محتواه .. ودائما تتألق قيمة « القصيدة الكونية » بقدر ما يقوم بين اطارها ومحتواها من حوار فاهم عميق ..

ان علاقتنا بالكون تنهض على اساس من الاحساس النابض بحركته .. والعقل المتفتح لمعطياته .. والفهم الكبير لمعادلاته الصعبة ... ان معارضة بليدة لحركة الكون قد تعطل الكون والانسان جميعا .. ان رفض العقل لمعطيات الكون قد تشل العقل والكون على السواء .. ان حجب الفهم عن معادلات الكون قد يخلق فهما اعقد يرجم الاثنين بمزيد من العجز .. ومزيد من الاحباط ..

ان « الحب » .. والحب وحده هو الذي يمكن أن يؤصل علاقة الانسان بالكون .. وعلاقـــة الكـــون بالانسان .. لان الحب حين يقوم جسرا بين هذين .. انما يعمق حس الجمال الكوني فى الانسان .. ومتى استيقظ هذا الحس فى اغوار الوجدان البشري .. فقد خلق فيه بالضرورة معراجا الى الايمان بكل شيء .. وبما وراء الاشياء ..

لقد كان النبي (ص) يستقبل المطـــر عـــاري الصدر .. فاذا سئل فى ذلك اجاب : انه حديث عهد بالسمـــــــاء !!

وكان اذا بزغ الهلال .. ناجاه بقلبه المفعـــم : ربي وربك الله ...

وكان اذا رأى برعما يتفتح همس اليه: عام خير وبركة ان شاء الله ...

وكان يستقبل احدا فى مودة قائلا : احـــد .. جبل يحبنا .. ونحبه ...

ان هذا التعاطف الحميم بين الانسان .. والكون .. هو الشرارة الاولى التي تلهب جذوة الايمان بتعليته والحفاظ عليه ، وتشييده على اسس انسانيـــة .. وحضارية .. وحراسة كل ابعاده حتى لا تنهار .. او تتناقص من اطرافها هنا او هناك .

وهكذا تتكامل الابعاد فى حركة وجودها الكوني .. لتؤلف من بعد سيمفونية الكون الكبير .. الـــذي ينهض فيه انسانه بعبء الخلق والابداع .. شاهـــرا ازميله الفنان فى وجه كل القبح .. ملوحا بمشاعلـــه المضيئة على كل دروب السعود .. بادئا من ادغـــال النفس وغاباتها الموحشة .. مترقيا الى قمة التلاحم الوجودي بالاغيار والآخرين .. مستويـــا فى نهايـــة الرحلة على اعراف التناغم الحقيقي بين ما هو انساني .. وما هو كوني .. للانفتاح الخالد المضيء على امل اللقاء بالكل الشامل .. الذي هو الله !!!

القاهرة : محمد احمد العزب

قيل لابراهيم بن ادهم : لم لا تصحب الناس فقال :

ان صحبت من هو دوني آذاني بجهله ، وان صحبت من هـــو فوقي تكبر علي ، وان صحبت من هو مثلي حسدني ، فاشتغلت بمن ليس فى صحبته مـــلال ، ولا فى وصله انقطاع ، ولا فى الانس به وحشة .

القراءات القرآنية واللهجات العربية

للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي

– 1 –

ظن كثير من الباحثين في القراءات القرآنية ان اللهجات العربية وغير العربية لا شأن لها في التغيير الذي يحدث بين رواية واخرى في القراءات، وصاروا يقدمون التعليلات بعيدة كل البعد عن الاختلافات اللغوية التي تفرق عادة بين لهجة قبلية واخرى، الى درجة ان كثيرا منهم اما حاول ان يتجاهل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا منه ما تيسر »، واما صرح بأن الحديث منحول لا يعول عليه.

ولست الآن بصدد بيان ذلك، وانما احب ان اشير مسرعا الى ان الاولين لما اعيتهم الحيل صاروا يؤولون السبعة أحرف تأويلات يظنون انها تخرجهم من مأزقهم.

فابن مسعود رضي الله عنه يقول : « نزل القرآن على خمسة احرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال، فاحلوا حلاله وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بامثاله ».

بينما يروي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه، الذي يروي هو ايضا عن ابن مسعود : « ... وانزل القرآن على سبعة احرف، زاجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ... الخ ».

اما الآخرون الذين يضعفون الحديث، فهم قراء الشيعة، سيما الامامية منهم. واعتقد ان الذي عبر عن رأيهم هو ابو القاسم الموسوي الخوئي الذي يروي حديث زرارة بن اعين الكوفي (1) عن ابي جعفر رضي الله عنه، والذي جاء فيه : « ان القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء تعبيرا » (2).

واننا لنعرف ايضا ان قاعدة الشيعة من هذه الاحاديث وغيرها هي ان : « المرجع بعد النبي عليه الصلاة والسلام في امور الدنيا انما هو كتاب الله واهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (2).

ثم يتعرض الخوئي في كتابه « البيان » الى الروايات المختلفة لحديث انزل القرآن على سبعة احرف، فيبين وجوب عدم اعتبارها قائلا : « ولا قيمة للروايات اذا كانت مخالفة لما يصح عنهم (3)،

(1) الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن محمد بن ابي حاتم الرازي، الطبعة الاولى 1952 حيدر آباد الجزء الاول صفحة 604.
(2) البيان في تفسير القرآن. المطبعة العلمية بالنجف 1957 الجزء الاول صفحة 123.
(3) يقصد بذلك اهل البيت.

ولذلك لا يهمنا ان نتكلم عن اسانيد هذه الروايات ، وهذا اول شيء تسقط به الرواية عن الاعتبار والحجية . » (4)

اما عن تفسير الاحرف السبعة فى القديم فحدث عن البحر ولا حرج . ولقد جمع كل هذه التفسيرات بكيفية علمية دقيقة الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه تاريخ القرآن (5). وفيه ايضا اعطى رايه فى هذه الاحرف السبعة (6) وهو الراي الذى اذهب اليه ، ولتاييده اكتب هذه الحلقات (7) .

وما من شك ان ما ساكتبه هنا هو في الحقيقة نتيجة طبيعية لما كنت انشره على الناس منذ اعوام فى مجلتنا القراء هذه تحت عنوان : « ليس القرآن بلغة قريش فحسب » وبذلك ستكون هذه الحلقات ان شاء الله تتمة طبيعية وضرورية لسابقاتها .

هذا ، ويحسن ان نشير الى ان مؤلف « كتاب المباني فى نظم المعاني (8) » وهو من بين القراء المغاربة الاوائل الذين اوردوا خبرا يوسع معنى السبعة احرف اتساعا تعدى ما كنا ننتظر . ذلك ان الخبر الذى اعتمده يجعل من السبعة احرف سبع لغات من لهجات العرب . قال : « وروي عن بعض الائمة : ان معنى سبعة احرف سبع لغات متفرقة فى القرآن ليست مقصورة على لغات العرب . وهي الحبشية ، والنبطية ، والسريانية ، والفارسية ، والطحاوية والرومية والعربية (9) .

ثم يواصل مؤلف كتاب المباني سرد الالفاظ القرآنية الواردة فى الكتاب الكريم من كل هذه اللغات ناسبا جل الالفاظ الى الائمة الذين رووها .

ولن نتعرض هنا الا الى القراءات القرآنية التى منشاها لهجة عربية تاركين تاثير اللغات غير العربية فى القراءات الى فرصة اخرى .

— 2 —

ا) لهجة بني سليم

1 — ان القراء الذين يقراون «الشجرة» بكسر الشين وفتح الجيم ، فى قوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (10) ». انما ينطقون بها كما كان ينطق بها افراد قبيلة بني سليم ، حسب ما رواه بن ابي اسحاق (11) . واكتفى المقريء الكبير هارون بن موسى (12) — وهو الذى روى لنا هذه القراءة بأن قال انها : « عن بعض العرب (13) » ، او « عن بعض القراء » (14)

---

(4) البيان فى تفسير القرآن الجزء الاول صفحة 123 .
(5) « تاريخ القرآن » طبعة دار القلم 1966 ابتداء من صفحة 33 .
(6) المصدر السابق صفحة 43 .
(7) اعتقد انه من المفيد جدا الرجوع الى هذه الآثار التي اوردها الدكتور شاهين . فهي تساعد على فهم هذه القضية الشائكة فهما يمكن معه تتبع ما سنستعرضه بسهولة .
(8) مؤلف « كتاب المباني فى نظم المعاني » وهو فى تفسير القرآن الكريم مجهول .
ولقد حاول مصحح مقدمته المستشرق الكبير الدكتور Arthur Jeffery ان يعرفه فلم يهتد الى اسمه لضياع الصحيفة الاولى من النسخة الوحيدة الموجودة لهذا المصنف النفيس . الا ان المؤلف يذكر فى الصفحة الثانية انه كتب كتاب المباني فى نظم المعاني سنة اربعمائة وخمس وعشرين من الهجرة ، فهو اذن معاصر للقاريء الاندلسي الكبير ابي عمرو عثمان بن سعيد الداي ، ولذلك كانت استنتاجاته فى باب القراءات مهمة جدا.
(9) مقدمتان فى علوم القرآن تصحيح ونشر Arthur Jeffery القاهرة 1954 صفحة 212.
(10) الآية 35 من سورة البقرة .
(11) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها تاليف ابي الفتح عثمان بن جني الجزء الاول صفحة 74 .
(12) انظر ترجمته فى طبقات القراء لابن الجزري الجزء الثاني صفحة 348.
(13) المحتسب الجزء الاول صفحة 74 .
(14) البحر المحيط لابي حيان الجزء الاول صفحة 158 .

ولقد كره ابو عمرو هذه القراءة وقال : « يقرا بها برابرة مكة وسودانها » (15) .

من هذا يظهر ان لغة بني سليم كانت غير مقبولة من طرف اللغويين المحافظين على سلامة اللغة ومن افراد قبيلة قريش ، وانهم كانوا ينظرون اليها نظرة احتقار وازدراء اذ سموها لغة البرابرة .

بل ان في هذه اللفظة قراءة اخرى هي اكثر شذوذا من الاولى ، لما تقلب فيها الجيم ياء ، بينما المعروف المتداول عندنا هو العكس . يحكي لنا ابو الفتح عثمان بن جني عن هذه القراءة فيقول : « حكى ابو الفضل الرياشي . قال : « كنا عند ابي زيد وعندنا اعرابي فقلت له ، انه يقول الشيرة (بكسر الشين وفتح الياء (16) فسأله فقالها ، فقلت له : سله عن تصغيرها فسأله فقال : شييرة » (17) .

وغريب ان يقرا الامام علي رضي الله عنه اسم الاشارة الوارد قبلها على هذا الشكل . « هذها الشجرة » (18) بفتح الهاء ومدها . ولا ارى وجها لذلك .

2 ـ ذكر اللغوي الكبير اسماعيل بن حماد الجوهري في صحاحه بصريح العبارة ان كلمة «ايان» حين تقرا بالكسر تقرا على انها من لغة سليم . قال (19) : « وايان ، بكسر الهمزة لغة سليم ، حكاها الفراء ، وبه قرا السلمي : « ايان يبعثون » .

فهذا لا يترك مجالا للشك في ان اللفظة من لهجة بني سليم ، وان ابا عبد الرحمان عبد الله بن حبيب السلمي لم يستطع ان ينطق بها الا كما تعود النطق بها في لهجته .

و « ايان » حيث وردت قرئت من طرف السلميين بالكسر تبعا لعادتهم ودليلنا ما اورده ابن جني ، قال : « ومن ذلك قراءة السلمي (20) : « ايان يبعثون » (21)

وبما ان ابا الفتح يتحدث هنا عن سورة الاعراف وبها يوجد « ايان مرساها » (22) لا « ايان يبعثون » كما ورد في اصل المحتسب ، وهو امر نبه اليه مصححو هذا المؤلف النفيس في الحاشية رقم 2 من الصفحة 268 ، اتضح من هذا ان «ايان» حيث وجدت في القرآن الكريم قرئت من طرف السلميين بالكسر .

تكرر مجيئها في القرآن ست مرات (23) كلها قرئت على الشكل الذي بينت اعلاه .

ولقد تتبعت هذه المفردة عند الامام الزمخشري، فوجدته ـ هو الذي لا يهتم كثيرا بالقراءات كما يهتم بها مثلا ابو حيان في بحره او ابن عطية في جامعه ـ يذكر قراءتها في الاربعة الاولى . يقول مثلا في التي في الاعراف (24) : « وقرا السلمي ايان بكسر الهمزة » (25) . ويقول عن التي في النحل : «وقريء ايان بكسر الهمزة»(26) هكذا دون الاشارة الى

---

(15) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل للامام محمود بن عمر الزمخشري الجزء الاول صفحة 95 .

(16) زيادة من كاتب هذه السطور .

(17) المحتسب الجزء الاول صفحة 74 .

(18) A. Jeffery : Materials for the history of the text of the Qur'an صفحة 185 .

(19) الصحاح الجزء الخامس صفحة 2076 .

(20) يقصد ابا عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي .

(21) المحتسب الجزء الاول صفحة 268 .

(22) الاعراف الآية 267 .

(23) اولها في الاعراف 187، ثانيها في النحل 21 ، ثالثها في النمل 65 ، رابعها في الذاريات 12 ، خامسها في القيامة 6 ، سادسها في النازعات 42 .

(25) يعلق الشيخ محمد عليان المرزوقي على هذه الكلمة في حاشية صفحة الكشاف اعلاه بقوله : « وقرا السلمي ايان بكسر الهمزة في الصحاح « ايان سؤال عن زمان وايان بكسر الهمزة لغة سليم وبه قرا السلمي ايان يبعثون »

(26) الكشاف الجزء الثاني صفحة 467 .

القاريء او الراوي ، وعن التى فى النمل : « ايان بمعنى متى ، ولو سمي به ، لكان فصالا ، من آن يئين ولا تصرف ، وقريء ايان بكسر الهمزة (27) » . ويظهر واضحا من هذا التعليق تاثير ابن جني على الزمخشري (28) . ويقول عن التى فى الذاريات (29) « ايان يوم الدين اي متى يوم الجزاء، وقريء بكسر الهمزة وهي لغة » (30) .

اما عن القراءة الخامسة والسادسة فلا يقول شيئا (31) .

— 3 —

ولقد تتبعت بهذه المناسبة كتب اللغة لاعرف المفردات التى تنسب على وجه اليقين الى لهجة بني سليم ، فوجدتها كما ياتي :

اولها : تخومة التى بمعنى الارض ، وقد سمعها ابو عمرو من اعرابي من بني سليم الذى انشدها فى البيت الآتي :

فان افخر بمجد بني سليم
اكن منها التخومة والسرارا (32)

ثانيها: زهي اذا افتخر . واذا كانت هذه المفردة معروفة فى اللهجات الاخرى فان لهجة بني سليم لا تشاركها فى الصيغة الثانية زها . وهذا ما جعلنا نعتقد ، مع اللغويين القدامى ان زهي سلمية.

جاء فى الصحاح (33) : « وقلت لاعرابي من بني سليم : ما معنى زهي الرجل ؟ قال : اعجب بنفسه . فقلت : اتقول زها اذا افتخر ؟ قال : اما نحن فلا نتكلم به » .

ثالثها : العوهق وهو الطويل من الربد . قال الجوهري : « وقلت لاعرابي من بني سليم : ما العوهق ؟ فقال الطويل من الربد » (34) .

رابعها قولهم : « اتاني فلان **وما مانت مانة** » يقول الجوهري : « وقال اعرابي من سليم : اي ما علمت بذلك . » (35)

خامسها:« ينمو » بالواو قال صاحب المخصص (36) نقلا عن الكسائي (37) : « لم اسمع ينمو بالواو الا من اخوين من بني سليم » قال : ثم سالت عنه جماعة من بني سليم فلم يعرفوه بالواو» (38) .

— * —

ب) لهجة تميم

اعتقد انه سيكون من المفيد جدا ان نلخص بعض خصائص هذه اللهجة ليسهل تتبع ما سنعرضه هنا .

---

(27) الكشاف الجزء الثالث صفحة 298 .
(28) انظر هذا فى المحتسب الجزء الاول صفحة 268 .
(29) الكشاف الجزء الرابع صفحة 316 .
(30) معلوم ان هذه اللغة هي لغة بني سليم .
(31) انظر الكشاف الجزء الرابع صفحتي 527 و 558 .
(32) الصحاح الجزء الخامس صفحة 1877 .
(33) الجزء السادس صفحة 2370
(34) الصحاح الجزء الرابع صفحة 1535 السطر الرابع من العمود الثاني .
(35) الصحاحا لجزء السادس صفحة 2199 السطر الخامس من العمود الاول .
(36) هو ابو الحسن علي بن اسماعيل كان رحمه الله اماما عظيما فى اللغة . ترك لنا كتابين يعدان بلا نزاع من احسن ما كتب فى فقه اللغة العربية قديماوحديثا وهما « المخصص » وقد طبع فى سبعة عشرجزءا و « المحكم » ويطبع الآنتباعا . كان ابن سيده هو ووالده رضي الله عنهما ضريرين . توفي سنة 458 هـ . انظرترجمته فى انباه الرواة الجزء الثاني صفحة 225 وفى وفيات الاعيان الجزء الاول صفحة 342 .
(37) توفي على الاشهر سنة 182 انظر ترجمته فىالبغية صفحة 336 .
(38) المخصص الجزء الرابع عشر صفحة 22 .
(39) خصص الدكتور صبحي صالح الفصل الرابع من كتابه « دراسات فى فقه اللغة العربية » للتعريف بهذه الخصائص . فالعودة اليه تفيد كثيرا .

1 ـ ينطق التميميون بالافعال المضارعة مكسورة الاوائل (40) .

2 ـ التميمية اقوى قياسا من القرشية ، واكبر دليل على ذلك ما اورده ابن جني قال : « من ذلك اللغة التميمية فى (ما) هي اقوى قياسا وان كانت الحجازية اسير استعمالا ، وانما كانت التميمية اقوى قياسا من حيث كانت عندهم ك « هل » فى دخولها على الكلام مباشرة كل واحد من صدري الجملتين ، الفعل والمبتدا ، كما ان (هل) كذلك . الا انك اذا استعملت انت شيئا من ذلك فالوجه ان تحمله على ما كثر استعماله ، وهو اللغة الحجازية ، الا ترى ان القرآن بها نزل وايضا فمتى رابك فى الحجازية ريب من تقديم خبر او نقض النفي فزعت اذ ذاك الى التميمية ، فكانك من الحجازية على حرد ، وان كثرت فى النظم والنثر » (41) .

3 ـ ترفع تميم خبر ليس المقترن بالا بينما تنصبه قبيلة قريش(42). وله يبق لنا كدليل على ذلك الامـا ذكره ابو علي القالي فى اماليه ، ونقله عنه السيوطي فى مزهره (43) ، ثم الناس عنه بعد ذلك .

4 ـ تمييز كم الخبرية منصوبا وجوبا فى لهجة تميم ، ومن هنا نتج ذلك الصراع العنيف الذى احتدم حول بيت الفرزدق (44) ذي المطلع .

كم عمة لك يا جرير وخالة

5 ـ يحقق التميميون الهمزة ولا ينبرها الحجازيون ، بل ينطقون بها بالتسهيل .

وواضح للمتامل فى هذه القضية ان رسم الهمزة فى اللغة العربية رسم فوضوي خلط بين لهجتين متباينتين .

ذلك اننا اخذنا بلهجة تميم فى رسم الهمزة عند اول الكلمة ثم خبطنا خبط عشواء عند رسمها فى الوسط بينما يحتم المنطق ان تكتب الفا حيثما وقعت مخففة ، لا على الواو والياء كما هو الشأن فى العربية على الحالة التى هي عليها الآن .

ولقد تنبه لهذا الامر ابو الفتح عثمان بن جني ، سيد منهج البحوث اللغوية على الاطلاق، فقال « وانما كتبت الهمزة واوا مرة وياء اخرى على مذهب اهل الحجاز فى التخفيف . ولو اريد تحقيقها البتة لوجب ان تكتب الفا على كل حال ، يدل على صحة ذلك انك اذا اوقعتها موقعا لا يمكن فيه تحقيقها ولا تكون فيه الا محققة ، لم يجز ان تكتب الا الفا ، مفتوحة كانت اوم ضمومة او مكسورة ، وذلك اذا وقعت اولا نحو اخذ واخذ وابراهيم . فلما وقعت موقعا لابد فيه من تحقيقها اجتمع على كتبها الفا البتة . وعلى هذا وجدت فى بعض المصاحف « يستهزاون » بالالف قبل الواو ووجد فيها ايضا « وان من شيأ الا يسبح بحمده » . بالالف بعد الياء ، وانما ذلك لتوكيد التحقيق » (45) .

واقد ايد هذه النظرية كثير من اللغويين القدامى الذين اتوا بعده ، سيما بن يعيش شارح المفصل للزمخشري (46) .

كما ايده من المحدثين الدكتور كمال محمد بشر وبين عظيم استغرابه من هذا الامر (47) .

وتحقيق الهمزة مستحسن على كل حال ، اذ به نزل القرآن . قال الدكتور صبحي صالح مؤيدا هذا الكلام : « وجاء نزول القرآن بنبر الهمزة دليلا على ان اللغة المثالية النموذجية كانت قبل الاسلام

---

(40) لسان العرب الجزء العشرون صفحة 283 .
(41) الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني طبعة القاهرة 1952 الجزء الاول صفحة 125 .
(42) انظر ذيل الامالي لابي علي القالي الجزء الثالث صفحة 39 طبعة دار الكتاب بالقاهرة 1926 .
(43) المزهر الجزء الثاني صفحة 277 .
(44) معلوم ان الفرزدق تميمي ، ومن هنا اعتقد انه نظم البيت وهو ينصب عمة وخالة .
(45) سر صناعة الاعراب لابي الفتح عثمانبن جني صفحة 46 ـ 47 .
(46) انظر شرح المفصل الجزء الاول صفحة 126 .
(47) يتحدث عن ذلك فى الفصل الذى عرض فيه نظرياته حول « الالف والواو والياء فى اللغة العربية » . فى كتابه « دراسات فى علم اللغة العربية » القسم الاول ابتداء من صفحة 41 طبعة دار المعارف سنة 1969 .

قد استحسنت فى هذا لحن تميم فاقتبسته واتخذته صفة من صفات نطقها الفصيح » (48) .

وأحسن من ذلك ان اللغوي الاندلسي الكبير ابن سيدة يصفهم « بأهل التحقيق » ويعني بهم « اهل الصواب والحق » (49) قائلا : « اعلم ان الهمزة التى يحقق امثالها اهل التحقيق من بني تميم واهل الحجاز وتجعل فى لغة أهل التخفيف بين بين قد يبدل مكانها الالف ... » (50)

ويظهر ان عليا رضي الله عنه كان يفضل ان ينزل القرآن بدون تحقيق الهمزة ، وطبقا للغة اهل الحجاز — وعلي منهم — ، ولكن الله اراد شيئا آخر ، ولا مرد لما أراد . ذلك انه روي عن امير المومنين علي كرم الله وجهه انه قال : « نزل القرآن بلسان قوم وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا ان جبريل نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزتها » (51).

6 — يبدل التميميون (52) فى بعض الكلمات القاف كافا .

يذكر لنا ابو علي القالي (53) انهم يقولون فى قشط كشط : ازالة قشرة جذع شجرة . كما اخبرنا انهم يقولون فى عسق ب : عسك ب بمعنى ملازمة شيء . وفى قهر : كهر، وفى عربي قح ، عربي كح » (54) .

وابن فارس لا يجعل هذا الحرف الجديد كافا ، وانما يضعه « بين القاف والكاف » . ذلك ان السيوطي يخبرنا ناقلا من الباب الذى عقده ابن فارس فى كتابه فقه اللغة للحديث عن اللغات المذمومة : « فذكر منها العنعنة والكشكشة والحرف الذى بين القاف والكاف فى لغة تميم (55) » .

7 — يؤثر التميميون الصوت الاشد على الاخف لبداوتهم ويجنحون الى التفخيم . يقولون اذن « فحصط برجلك يريدون فحصت » (56) . وقال ابن منظور فى مادة سمخ سمخا بعد أن تم شرحها : « ولغة تميم الصمخ » (57) .

ولانها تميل الى التفخيم تقول يبطش بضم الضاد بينما يكسرها الحجازيون (58) .

8 — يبدلون الجيم ياء (59) ، وهو ما يسمونه بالعجعجة .

ولقد اهتم بهذه القضية اهتماما بليغا المستشرق C. Hobir واتى باشياء مفيدة يحسن الرجوع اليها (59)، كما ان ابا علي القالي (60) وابن السكيت (61) وابن سيدة (62) اوردوا امثلة لذلك .

وما زال الاهتمام بها شديدا حتى من طرف اللغويين المحدثين ، وافضل حجة يمكن ان تعتمدها

---

(48) دراسات فى فقه اللغة 72 .

(49) المصدر السابق صفحة 75 .

(50) المخصص الجزء الرابع عشر صفحة 13

(51) مراح الارواح — الطبعة الثانية سنة 1937 مع شرحه لابن كمال باشا صفحة 98 .

(52) يشاركهم فى هذا الابدال قبيلتا قيس واسد .

(53) الامالي — القاهرة 1926 الجزء الثاني صفحة 139 ابتداء من السطر العاشر .

(54) انظر للزيادة فى الاستفادة ابن السكيت فى كتابه « القلب والابدال » الطبعة التى حققها A. Haffner ونشرت بـ Leipzig سنة 1905 صفحتي 37 و 38 .

(55) المزهر الجزء الاول صفحة 222 . المخصص ، طبعة بولاق 1316 الجزء الثالث عشر صفحة 270 .

(56) لسان العرب الجزء الثالث صفحة 504 .

(57) المزهر للسيوطي الجزء الثاني صفحة 275 نقلا عن يونس فى نوادره .

(58) بينما تفعل قبائل اخرى العكس فتبدل الياء جيما (انظر امالي القالي) الجزء الثاني صفحة 77 .

(59) انظر كتابه Ancient West Arabian طبعة لندن 1951 سيما الفصل الثاني منه .

(60) الامالي طبعة القاهرة 1926 صفحة 77 .

(61) القلب والابدال طبعة Leipzig سنة 1905 صفحة 28 .

(62) المخصص الجزء الرابع عشر صفحة 34 من طبعة بولاق 1316 .

هو ما القاه فى الجلسة الثالثة للمجمع اللغوي المنعقدة بتاريخ 11 من ذي القعدة سنة 1388 الدكتور عمر فروخ فى موضوع « الجيم السامية وتقلبها فى الالفاظ العربية » وهو بحث ، وان كان عاما فانه يفيد من عاد اليه (63) .

9 – يؤثر التميميون الامالة على الفتح ، ولا يظن ظان ان ذلك مخالف لخصائصها الرئيسية ، وهي ميلها الى ما هو شديد وفخم وان تاثيرها الامالة على الفتحة مثلا هو خروج من هذه الشدة الى اللين ومن هذا التضخيم الى الترقيق ، بل انه العكس . ذلك ان الامالة هي حركة غير مكتملة توافق عدم نضج لهجة تميم (64) .

(10) – عدم الاكتمال هذا يظهر باديا ايضا فى عدم « اداء النغم حقه » (65) كما يقول الدكتور صبحي .

وامثلة ذلك كثيرة ، منها ان العرب تجعل للوزنين فعلة (بكسر فسكون) وفعلة (بضم فسكون) جميعا على فعلات (بكسر ففتح) وفعلات (بضم ففتح) مثال ذلك سدرة سدرات وغرفة غرفات ثم سدرات وغرفات (بضمتين) بينما ينطق بها التميميون « بعدم ايفاء النغم حقه » فيسكنون العين ويقولون سدرات وغرفات (66) . كما انها طبقا لهذا النهج تجمع هند على هندات (كسر فسكون) (67).

كما يخبرنا سيبويه من جهة اخرى ان كثيرا من التميميين (68) يحذفون ضمة فعل (بضمتين) ناطقينها بسكون العين كما يحذفون ايضا كسرة فعل (بكسرتين) وينطقونها ساكنة العين .

فيقولون مثلا فى رسل (بضمتين متتابعتين) رسل (بسكون الوسط) وعنق (بضمتين) عنق (بسكون النون) وابل (بكسرتين) ابل (بسكون الباء) (69) .

ولقد قرا تطبيقا لما سبق ابو عمرو قوله تبارك وتعالى « بلى ورسلنا لديهم يكتبون » (70)، بسكون السين . كما قرا ايضا قوله جل وعلا : « فتوبوا الى بارئكم » (71) بسكون الهمزة على المشهور ، وان كان ابن جني (72) وسيبويه (73) لا يريان الا الاختلاس لا التسكين » .

والقد لاحظت ، بعد ان تتبعت كتاب سيبويه ان هذه الكسرة تسقط فى اماكن أخرى دون ان أعرف بعد ، على وجه اليقين ، هل يقع هذا فى لغة تميم أو فى غيرها ، ولكن بحثي متواصل الى ان اظفر بمبتغاي بحول الله وقوته ، عليه توكلت ، وهو عوني ونصيري .

والكلمات التي تسقط فيها الكسرة هي قولهم: « اراك منتفخا » (بسكون الفاء) (74) . وقولهم « منتصبا » بسكون الصاد فى بيت للعجاج (75)

---

(63) البحوث والمحاضرات الدورة الخامسة والثلاثون (1968 – 1969) ابتداء من صفحة 37 .
(64) انظر اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس طبعة القاهرة 1952 صفحة 85 .
(65) دراسات فى فقه اللغة طبعة دمشق 1379 هـ / 1960 م صفحة 102 .
(66) انظر تفصيلا أكثر شمولا عند Wright (W.) فى كتابه: A Grammar of the arabic Langage الطبعة الثانية فى Cambridge سنة 1933.
(67) سيبويه – الكتاب الجزء الثاني صفحة 96 .
(68) ومعظم افراد قبيلة بكر بن وائل .
(69) الكتاب لسيبويه الجزء الثاني صفحة 268 من السطر السابع الى الحادي عشر .
(70) سورة الزخرف الآية 80 .
(71) البقرة الآية 54 .
(72) انظر الخصائص الجزء الاول صفحة 72 والجزء الثاني صفحة 340 وستلاحظ هنالك ان ابن جني ناقض نفسه ، فبينما يذكر فى الجزء الاول ان ابا عمرو يقرا بارئكم بالاختلاس اذا به ينص فى الجزء الثاني انه كان يقراها بالاسكان .
(73) الكتاب الجزء الثاني صفحة 297 .
(74) الكتاب لسبويه الجزء الثاني صفحة 278 السطر 14 .
(75) الخصائص الجزء الثاني صفحة 338 السطر 14 (الاخير فى الصفحة قبل الحاشية)

11 ـ يبدل التميميون التاء طاء فيقولون « خضط » عوض « خضت » (76)

12 ـ اختص التميميون باداة للاشارة مغايرة بعض الشيء التى عند الحجازيين ، فهؤلاء يشيرون بذلك وتلك ، والآخرون يستعملون ذاك وتاك (77).
أما الجمع فتميم تستعمل هؤلى التى تقف عليها بـ « هؤلاء » (78) . الا ان ابن يعش ، شارح المفصل ، ينصح الناس بعدم استعمال هذه الاخيرة (79) .

وقديما اشار ابن مالك فى الفيته الى « اولاء » الحجازية والى « اولى » التميمية بقوله :

وباولى اشر لجمع مطلقا
والمد اولى ولدى البعد انطقا (80)

13 ـ يؤثر التميميون الترنم بزيادة النون فى قراءة أشعارهم ، فيقولون مثلا « عساكن » عوض « عساكا » بترنم الحجازيين وعوض « عساك » العادية (81) . وكقولهم « ايتها الخيامون » (82) عوض ايتها لخيامو بالترنم الحجازي ، وعوض « الخيام » بدونه .

ولقد لاحظت ان الاسترابادي يدافع عن فكرة مغايرة لفكرة ابن يعش ، شارح المفصل، قائلا « وأما تنوين الترنم ، فهو فى الحقيقة لترك الترنم » (83) ، وهو خلاف كما ترى من الاهمية بمكان ، ارجو من الحق سبحانه وتعالى أن ييسر الامر فأتعرض له فى بحث آخر ان شاء رب العالمين . (يتبع)

الدار البيضاء ـ الراجي التهامي الهاشمي

---

(76) شرح الشافية للاسترابادي القاهرة 1939 الجزء الثالث صفحة 226 السطر 18 وانظر كذلك الخاصية رقم 7 من هذا الحديث .
(77) شرح الاشموني الجزء الاول صفحة 137 .
(78) شرح الشافية للاسترابادي صفحة 300 ابتداء من السطر السابع الى التاسع .
(79) ابن يعش Commentar zu zanachsaris Mufassal طبعة Leipzig 1882 صفحة 1284 من السطر 13 الى 17 .
(80) جل شراح الالفية ينصون على ان « اولاء » حجازية وان « اولى » تميمية .
(81) انظر للتوسع فى ذلك كتاب سيبويه الجزء الثاني من الصفحة 325 الى الصفحة 330 .
(82) شرح المفصل لابن يعش صفحة 1238 السطر الثامن .
(83) شرح الكافية الجزء الاول صفحة 12 آخرها وصفحة 13 ابتداء من السطر الاول .

طريقة الصحابة فى التقويم

دخل عبد الله بن مسعود المسجد ذات يوم فسمع رجلا يعظ الناس وهو يتوعدهم بالعذاب والنار والاغلال ، ويكرر ذلك كثيرا ، فتقدم منه عبد الله وقال له : اما قلت لهم ما قال ربك : « لا تقنطوا من رحمة الله » فبعد ان تخوفهم من عقابه ترغبهم فى ثوابه ؟.

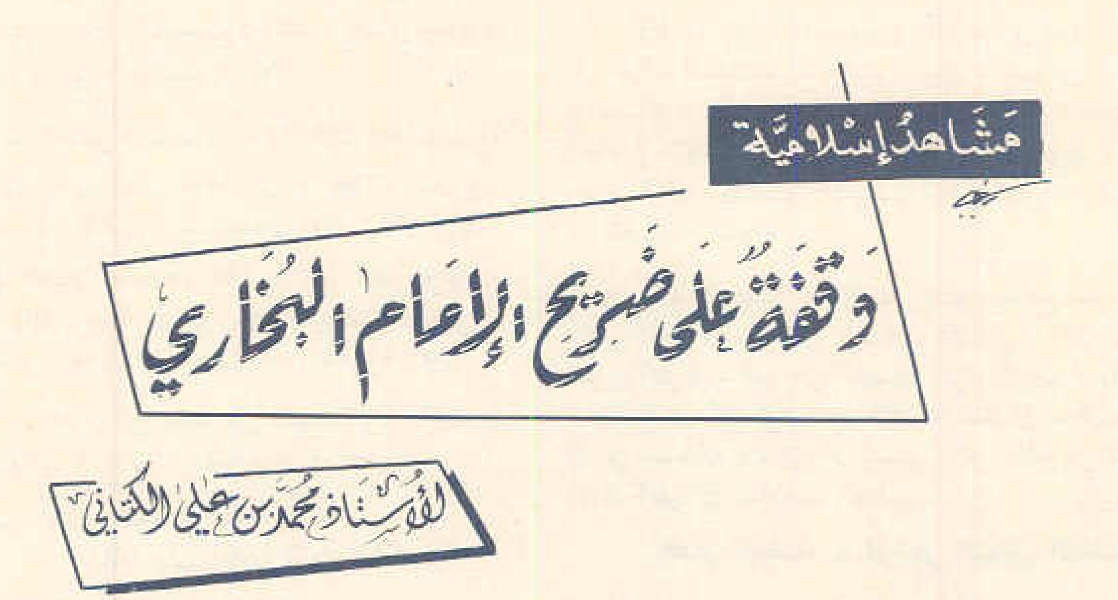
وكان ابن مسعود يقول : اربع آيات فى سورة النساء خير لهذه الامة من الدنيا وما فيها :

قوله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وقوله تعالى : « ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

وقوله تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » .

وقوله تعالى : « من يعمل سوءا ، او يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفورا رحيما » .



حين اتيحت الفرصة لوفد علماء القرويين ، لزيارة الاتحاد السوفياتي والاطلاع على احوال المسلمين القاطنين فى شتى جمهورياته ، وعلى الاخص فى آسيا الوسطى اثناء شهر غشت الماضي .. كان يحدونا شوق عارم ورغبة ملحة ، فى ان تتوج زيارتنا بالوقوف على ضريح الامام الاعظم ، محمد بن اسماعيل البخاري ، والتملي بانواره ، والاستمتاع بالجلال الذى يحيط بمقامه .. وليس غريبا ان تهيج اشواقنا وتزداد رغبتنا ونحن قاب قوسين او ادنى من هذه البقعة المباركة التى انجبت الرجل الملهم ، ذلك ان شخصية البخاري لها فى نفوس المسلمين عامة ، وفى نفوس المغاربة خصوصا مكانة واي مكانة ، فان الدور الذى قام به فى سبيل الحفاظ على السنة وحمايتها من ايدي العابثين لا يمكن ان ينساه مسلم ، أو يتغافل عنه الا جاحد مكابر .

وقد تحققت لنا هذه الامنية بعد رجوعنا بالطائرة من بخارى ذات الماضي الاسلامي اللامع عشية الاربعاء 25 غشت 71 ، فبعد استراحة قصيرة فى سمرقند، قصدنا القرية التى يرقد فيها رفات امام المحدثين فى سكون ، والتى كانت تعرف بخرتنك وتبعد عن سمرقند نفسها بنحو عشرين كيلومترا فى رتل من السيارات ، يتقدم الموكب سماحة المضيف المفتي الاكبر السيد ضياء الدين باباخانوف .

منذ خروجنا من سمرقند ونحن نسير فى حقول متلاحقة ، وجنات متتابعة لا نرى الا الخضرة والسنابل ، واشجار الفواكه تنوء بحملها الثقيل والثمين .. حتى اطللنا على واحة ظليلة ، جميلة المظهر والمخبر ، بسيطة الشكل والحلة ! انها البقعة التى قدر لها ان تضم بين احضانها اعظم شخصية مرموقة فى عالم الفكر والعقيدة ، وتحوي بين جنباتها اقدس انسان يحمل له الفكر الاسلامي انبل العواطف، واوفر التقدير والاحترام ، لا قبب ولا مآذن ، ولا زخرفة ولا نقوش ، ولا حيطان وابنية شاهقة ، وانما فضاء رحب عار تعلوه سماء زرقاء صافية ، ويغشاه سكون رتيب حبيب الى النفوس ، ويضفي عليه الجلال وقارا واي وقار، وسموا ما بعده من سمو .. وحتى الرفات لا يعلو عن الارض الا قليلا وقد غشي برخام ابيض ناصع ، كصفاء صاحب القبر ونقاوة سريرته !

لكن قبل ان تدخل القبر تلقاك فى المقدمة اشجار الدوح والتفاح والاجاص والدلب الطويلة العمر ، ودوالي العنب والفواكه ، وجداول الماء تنساب فى الاخاديد باعثة الحياة فى هذه الأدواح التى تحيي الزائر بلفحة من نسيم عذب ، ودفقة من اريج عطر ممتاز ... حتى اذا تابعت الخطو وجدت على يسارك المسجد العظيم البسيط فى آن واحد ، حلي بثريا ضخمة نحاسية من هدايا صاحب الجلالة الحسن الثاني المعظم نصره الله ، وفرشت ارضه

بزرابي مغربية فاخرة من مكارم امير المومنين .
وقد ادينا فيه صلاة العصر صحبة جماعة من المسلمين ، الذين لا يخلو الضريح منهم في كل وقت ، من زائر او متبرك او متعبد . ومن هناك انتقلنا الى الضريح من بوابة صغيرة الى بطن صحن واسع تنبت فيه شجيرات متفرقة ، ويستقر في وسطه القبر الذي وقفنا امامه في خشوع مترحمين داعين . وعشنا ساعة من الذ ساعات العمر ، حيث غمرنا جو روحاني خالص ، وتجاوبت ارواحنا في سبحات قدسية ومناجاة الهية وفيوضات ربانية . ونسينا انفسنا فلم تعد نشعر الا باطياف من نور تحيط بنا ، وتنعش افئدتنا ، وتروي طاقات الشعور فينا بفيض من حكمة وقبس من هدى !

وتوالى امامنا شريط الحياة .. حيث تمثلنا صاحب المزار وهو في فجر الحياة صبيا يحبو الى الحياة في رفق، وقد فقد الوالد واكتفى بحنو الأم التي عرفت كيف تفجر فيه طاقات الابداع وتخلق منه الشخصية العصامية الفذة ، مستعينة بالتركة الضخمة التي خلفها الراحل المأسوف عليه ، وهكذا استمد من الحرمان قوة على العمل ، ومن الحزن عونا على المعالي ، واضحى قوي الذاكرة سريع الحفظ والبديهة ، وتوالت الايام وهو يسرع الخطى نحو المعرفة بلا هوادة ، وعشق الحديث النبوي وتنسم عطره واستحلى ورده فاصبح الخديم الذي لا يمل الخدمة ، والجليس الذي لا يود الفراق ، والعشيق الذي يديم الوصل واللقاء !

اتكون الاقدار هيأت الرجل الاعجمي ليقوم بالمعجزة الفريدة ؟ ايصح في الاذهان ان ينهض بعبء جمع التراث النبوي والدفاع عنه ، وتنقيته وتصحيحه من نصيب هذا الرجل الذي ابصر الحياة بعيدا عن موطن هذا التراث ، وغريبا عن موقف هذا الفيض المحمدي ؟!

انه القدر حكم وحكمه لا مرد له ان تكون هذه المفخرة من نصيب هذا الرجل ، الذي قدر له ان يلعب في تاريخ السنة النبوية المحمدية اروع الادوار واكبر المشاهد . والذي لم يثنه عن عزمه الشدائد والصعوبات ولم تعقه العراقيل والازمات ، بل خطط لنفسه الطريق ، ومهد بعزيمته السبل لمن اتى بعده ، وسار في هذا العمل على منهجية فريدة في بابها ، فلا ثقة في راوية الا بعد التيقن من سلامته وصدق طويته ، ولا ايمان بحديث تبع من امام الهدى محمد (ص) الا اذا عززته الدلائل وقامت الحجج القطعية على صحته وثبوت نسبته الى صاحب الرسالة عليه السلام . وهي خطة كانت جريئة وحاسمة في وقت كثرت فيه الاشواك واستعصت فيه القلوب ، ونبغ الشر ففرخ وبيض ، وطلعت الفرق والنحل تلقي بترهاتها وتزوق الاكاذيب ببهتانها ، وكان لابد من سيف صارم يحد هذا السيل من الاكاذيب ويلقم اصحابها الحجر ، ولم يكن هذا السيف سوى الامام البخاري الذي رأيناه ينتقل عبر المدن الاسلامية والحواضر الكبرى ، دارسا منقبا ، باحثا مستفسرا ، ناقدا مصححا ، مهذبا مكملا . لا تؤثر فيه صعوبات الطريق ولا وعثاء السفر ، بل كان شعلة من ايمان وعزيمة من يقين وقوة في الحق لا تلين .. اخذ على عاتقه ان يصفي السنة مما علق بها ، وان يطهرها من المرجفين الذين حاولوا أن يلصقوا بها ما حاولوا . وتصدى لعمله بعزيمة فولاذية فما اخطأ السبيل ولا ضل عن القصد ، بل وسعته الآمال فاحتواها، ورضي بالصبر فنال المبتغى ، وتلك هي العبقريات التي ندر وجودها وقل نظيرها !!

وقد يتساءل وما هو السر في هذا المجهود ؟ بل ما هي النتائج التي توصل اليها واين ثقلها في الميزان حين تحسب الاعمال ؟ والواقع أن هذا التساؤل لا يصدر الا عن جهول ، فان المجهود الذي بذله الامام البخاري ليس بالشيء السهل الذي يستطيع كل من هب ودب ان يقوم به ، فان التحري في معرفة الرجال لا ينبغي ان يكون بدون تخطيط او تنظيم ، بل لا بد فيه من حاسة فنية وعبقرية علمية خبيرة تستطيع زيادة على المعلومات ان تضع بها يدك على الجانب الخبيث او الطيب في الانسان .. ولا يستطيع ان يملك هذه الحاسة الا من وهب قوة الايمان ، ورهافة الحس ونبل القصد وسلامة الطوية، والا انقلب الوضع وزين ما هو قبيح ، وحمل على ما هو طيب ! وهنا تتفاوت العقول وتتباين الرجال .. فالذي يستطيع ان يميز بين المعتزلي والقدري والشيعي والمرجئي والخارجي والحلولي .. والذي يمر من هذا الطريق دون أن تصيبه الشظايا وتعرقل سيره الاهواء هو الشخص الذي يطمئن الى حكمه ، وترضى الحلول التي وصل اليها ... ومر بنا الشريط ونحن في هذه الرقدة الروحية تتعالى انفاسنا ثم تنحدر ، وتسمو بنا الروح ثم تتواطأ لا نشعر بمرور الوقت ولا بهدوء الطبيعة ، ولا بأسراب

الطيور وهي في طريق العودة ، ولا بالصدى وهو يتجاوب عبر الجنبات . فقد غشينا ما غشينا ، وتوالت المتع فغاب احساسنا لمدة ما . حتى افاقنا احد الرفاق من الحلم اللذيذ طالبا ان نتوج الزيارة بختمة كريمة للقرآن ، وفعلا انعطفنا لهذه الرغبة ، وتحولنا الى دوحة جميلة وضع امامها ما لذ وطاب ، وهناك قسمنا بيننا المصحف وشرعنا في التلاوة المباركة ، والنشوة تغمرنا ، وحرارة الايمان تدفىء نفوسنا الظامئة دوما الى العلا . وما ان اكملنا التلاوة حتى كانت الشمس مالت الى الغروب ، وجنحت الى الافول مخلفة في الافق حمرة مشعة تضفي على الكون جمالا وأي جمال ، كأن الدنيا اصبحت قيثارة فنان ابدعت وانعشت !

وعدنا الى القبر المبارك لنختم القرآن هناك جماعيا ، وقرانا الفاتحة ورفعنا اكف الضراعة الى العلي القدير أن يحفظ للمسلمين ايمانهم ، ويعزز مكانتهم ، ويقوي صفوفهم ، ويعيد لهم امجادهم ويرزقهم العزة من عنده، ويجمع كلمتهم على الحق سواء . كما توجهنا الى المولى ذي العزة والجبروت أن يحفظ مولانا امير المومنين الحسن الثاني ويدعه لشعبه وينصره ويوفقه لخدمة امته واعلاء كلمة الدين في ربوع وطنه ، ولسائر امراء ورؤساء المسلمين في العالم الاسلامي بالتوفيق في مهامهم وخدمة شعوبهم ، وتحقيق الاماني التى تعلقها عليهم شعوبهم انه سميع مجيب .

وآن وقت الرجوع الى سمرقند حيث المبيت ، وودعنا المثوى الخالد في خشوع وكان على رؤوسنا الطير ، وودعنا المكلف بالضريح بباقة جميلة قال انها ورود البخاري !!

كما ودعنا الجماعة المؤمنة التى صادفنا وجودها هناك .. وكانت ساعة من أمتع الساعات واخلدها ، اعتبرناها فرصة العمر ، حيث ادينا واجب الاحترام والتقدير ــ من شفاف الاطلس الى اعماق آسيا الوسطى ــ لرجل وأي رجل : فرد من خير ما انجبت الامة الاسلامية شرقا وغربا ، رجل آمن بنفسه وعرف كيف يوجهها التوجيه الصحيح ، واستطاع بذكائه وقوة جنانه وصدق يقينه ومحبته لرسوله ، ان يكتسب محبة الملايين من المسلمين الذين عرفوا ما قدم لدينه ، وآمنوا بنبل الرسالة التى اخذ على عاتقه القيام بها ، فاحسن الاداء ووفى بالامانة .

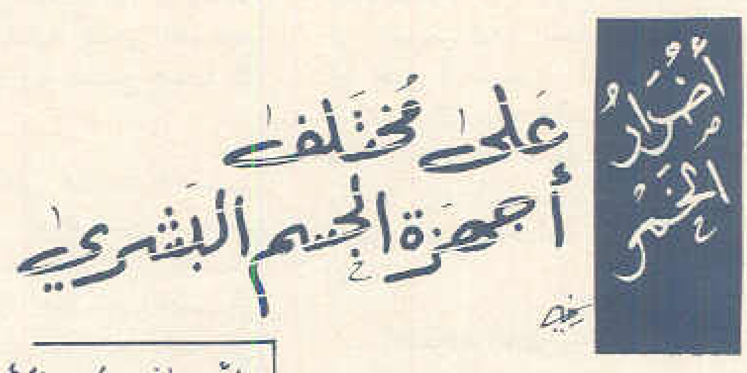
وهكذا يقدر الخلود للعاملين ، وتكتب العظمة للعباقرة الذين يكافحون في صمت ، ويجالدون دون ان يفكروا في الجزاء !

انه الالهام الذى يكشف الحجب امام المتعلقين بالمثل العليا ، وينير الطريق امام العظماء ، ليقدموا العطاء الجزل بدون حساب، ويضعوا اللبنات الواحدة تلو الاخرى دون ضجيج او صخب !

انه الخلود الذى آمنا به حقا حين كنا نلوذ بأفناء الضريح ، فلا نسمع ضجة ارعن ولا نامة مزمار ، ولا ترتيل منشد ، وانما هدوء حبيب الى النفوس ، وسكون قريب الى الطبيعة ، وبساطة اكثر من اللازم .. ولكن رغم ذلك كانت العظمة تلف المكان من كل جوانبه ، وكانت الرهبة والصمت المطبق يضفي على البقعة اجلالا ما بعده من اجلال ، وقدسية ما بعدها من قدسية .

انه ضريح الامام العظيم ، ناصر السنة والحق المبين وزعيم المحدثين بدون منازع ، محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي .. وكفى !

فاس ــ محمد بن علي الكتاني



للأستاذ بن أحمد الطيب عبد السلام

نظـرة عامـة :

الخمر داء عضال ، لم ينج منـه اي جيـل من الاجيال ، فقد عرف منذ زمن بعيد ولكن شربه كان مقتصرا على افراد قلائل من علية الاقطاعيين ، ولم ينتشر الخمر بين الناس هذا الانتشار المخيـف الا عقب الحرب العالمية الاولى ، وذلك لما تركته هـذه الحرب من مآس وآلام واحزان فى كل بيـت ، فلاذ الناس لارتشاف الخمر وعقر الكـؤوس الممتلئـة بسمومه ، علهم يغرقون فيها آلامهم ويدفنـون فـى نشوتها مآسيهم ، واصبح الخمر من ذلك الحين من مستلزمات الموائد ، فى اغلب البيـوت ولكن بـدون فوائد تعود بالخير والصحة على الجسم البشـري .

والخمور هي مشروبات كحولية تستحضر من عصير الفواكه المختلفة ، او عصير الحبوب النابتـة بعد اختمارها وتحويل سكرها الى كحول .

ويميز دائما بين عدة انواع من الخمور ، فهذه خمور وتلك مشروبات روحية او كحولية ، والحقيقة ان هذا التمييز ما هو الا نتيجة لتركيب هذه وتلك واختلاف درجات الكحول فى هذه الانواع :

ففي الخمر او نبيذ العنب تبلغ درجة الكحول فيها 11 ٪ ، واقصى حد يبلغه الاختمـار فى هـذا النوع من الخمور هو 16 درجة بالمائة .

والبيرة او الجعة نوع من الخمر حيث تشمل هي ايضا على الكحول التى يتراوح مقدارهـا بين 2 و 8 درجة بالمائة .

واما درجة المشروبـات الكحوليـة ، وهي التي تستحضر من الخمر او النبيذ بواسطة التقطيـر ، فتتراوح بين 50 و 87 بالمائة فى العـرق وبين 18 و 72 بالمائة فى المشروبات الروحية .

واهم مصادر الخمور او النبيذ التى يستخرج منها العرق هي :

1 ــ الحبوب ، واهم ما يستخرج منها هـو الويسكـي Whisky

2 ــ قصب السكر ، واهم ما يستخرج مـن عصيره هو الروم Rhum

3 ــ العنب ، واهم ما يستخرج من نبيذه هو العرق المعروف والكونياك والبراندي (1)

ولكن بالرغم من وجود هذا التمييز بين انواع الخمور المختلفة الا انه يمكن ان يطلق عليها جميعـا لفظة خمر فتضمها ، زيادة على ان اي نوع من هذه الانواع يؤدي الى نتيجة واحدة هي السكر ، سواء اكان هذا النوع هو البيرة او الويسكـي . والخمـر غايته اسكار شاربه ، وتلك هي فعلته .

ولكن ، ايضا ، يجب ان لا نغض الطـرف عن نتائج الخمر السيئة ، زيادة على السكر ، والضارة بصحة الانسان ، فشارب الخمـر مـرة او مرتيـن والمدمن عليها يشعر دائما بآثارها السيئة ورد فعلها الدنيء، وبالتالي فهي ذات أضرار كبيرة بالغة، فما من عضو من اعضاء الجسم وما من جزء من اجزاء البدن الا ويلحق به الاذى والضرر من جراء استعماله .

---

(1) « غذاؤك حياتك » للدكتور محمد علي الحاج ص 115

ويقول الدكتور محمد علي الحاج (2) « وهكذا نرى ان الكحول ليست مواد غذائية بالمعنى الصحيح بل هي سموم للجسم البشري ولا ينتج عنها الا الضرر والاذى والخسران » .

ومن اهم هذه الاضرار التى تصيب الجسم البشري نتيجة شرب الخمر : تلك التى تصيب الجهاز الهضمي عامة والكبد خاصة ، وتلك التى تصيب الكليتين ، واخرى تصيب الجهاز العصبي ، كما ان الجهاز الدموي هو ايضا يتعرض لبعض لاضرار ، واضرار اخرى تصيب غدة البروستاتا .

وفيما يلي نبذة عن ضرر كل جهاز وعضو من الاجهزة والاعضاء السابقة ، ثم البحث عن حل لعلاج المدمنين على الخمر وبالتالي علاج الاضرار التى تصيب مختلف الاجهزة والاعضاء من جراء هذا الادمان .

اضـــرار الخمـــر
على مختلف اجهزة الجسم البشري

1 ـ اضرار الخمر على الجهاز الهضمي :

يلعب الجهاز الهضمي دورا كبيرا فى حياة الجسم البشري ، فهو المنفذ الذى يدخل منه الطعام والشراب الى داخل الجسم ، وهو المعمل الذى تتم فيه جميع العمليات الكيميائية لتحويل الطعام ومتطلبات الخلايا .

ويبدا الجهاز الهضمي بفتحة الفم وينتهي بفتحة الاست التى تخرج منها الفضلات ، بالاضافة الى ملحقات هذه القناة الهضمية ، والتى تشمل الغدد اللعابية والكبد والبنكرياس .

وسير الطعام فى الجهاز الهضمي يكون بصفة عادية ، ولكن الطعام الذى يحوي السموم او المشروبات الكحولية يسير بسرعة فى هذا الجهاز دون حاجة الى هضم خلافا للطعام ، ومنه يمر الى الدم متنقلا الى جميع اعضاء الجسم ، ولكن هناك من يتعرض لهذه السموم بالمرصاد ويكون اعظم مزيل لها حتى لا تتسرب الى تسميم اعضاء الجسم السليمة الا وهو الكبد ، ولكن هيهات ان يستمر عمله العظيم هذا بصورة عادية عند من يشرب الخمر ، والذى يزيد الجسم سما على سم حتى يؤذى هذا العضو المهم بالاضافة الى الاضرار التى تصيب المعدة .

فشرب الخمر وخاصة البيرة او الجعة بكميات كبيرة ، تسبب تمدد المعدة وارتخاءها ، كما تسبب انتفاخ البطن ، ويصاب الهضم بالاضطراب . ونتيجة العادة والادمان ينقص احتراق الاطعمة ويبطؤ التمثيل ، فيكثر شحم الشارب ، ويزداد وزنه شحما وورما بتراكم الطبقة الدهنية المختزنة تحت الجلد . وعند المصابين بالديسبيبسيا Dyspcpsia يزداد ضررهم ، كما ان المصابين بقرحة المعدة فالخمرة تهيجها (3) .

واما بالنسبة لاضرار الكبد ، فهو يصاب بما يسمى بتليف الكبد او تشمعه Cielhosis وسبب حدوث التشمع الكبدي هو نتيجة لالتهاب او تسمم معين من الزرنيخ Arsenic وبعض الادوية الاخرى . ويبدو ان اهم شيء يلعب دورا رئيسيا بالموضوع هو فقر الطعام والكحول ، فالطعام الخفيف وشرب 5 قناني ويسكي يوميا يؤديان بصاحبهما الى ان ينمي كبدا شحميا يكون عرضة للاصابة بالتشمع الكبدي (4) .

ويقول الدكتور صبري القباني : « وتشاهد اعراض هذا المرض اي التشمع الكبدي ، بوضوح عند مدمني المشروبات الكحولية ، لان الكحول سام يؤثر على الحجرة الكبدية نفسها فيسممها ويحول دون ما خلقت له من عمل ، كمايسبب احتقان الكبد وزيادة حمولتها الدهنية فيسير بها نحو التشمع » . الى ان يقول : « وباختصار انها اي الكبد ، غدة تحمل اكبر عبء من اعباء الحياة ، فاقل خلل فيها يؤدي الى خلل الجسم كله ، واتخامها بالاطعمة الدسمة او تسممها بالاشربة الكحولية معناه تخريبها

(2) « غذاؤك حياتك » المرجع السابق . ص 117 .
(3) راجع الدكتور محمد علي الحاج المرجع السابق، ص 114 . والدكتور صبري القباني . « طبيبك معك » ص 97 .
(4) مجلة «طبيبك» عدد 169 . السنة 14 . سبتمبر 1970 . ص 88 .

او بالاصح معناه الانتحار البطيء أو الموت يدب فى اعضاء الانسان مستأنيا متمهلا » . (5)

2 ـ اضرار الخمر على الكليتين :

تعمل الكلي مع الكبد عملا واحدا هو تصفية الدم من السموم العالقة به . وغالبا ما يصل الدم الى الكليتين مصفى من طرف الكبد ، ولكن فى هذه الحالات التى يتعذر على الكبد القيام بوظيفته هذه يعود الحمل كله على الكليتين ، فهما فى هذه الحالة تعملان عملهما العادي بالاضافة الى عمل الكبد .

ومن هذا يظهر بكل وضوح ما لعضو الكلي من اهمية فى جسم الانسان ، فبالرغم من صغر حجم كل كلية فان ما تقومان به من عمل هو كبير وصعب ومهم .

ولكن عدم استطاعة الكبد بالقيام ببعض اعمال التصفية يجعل العبء ثقيلا على الكلي ، ولاسيما عندما يكون الكبد قد اخل من وظيفة التصفية لبعض السموم . وتكون هذه حينئذ خطر على الكليتين اذ تهاجمهما .

وجدير بالملاحظة فى هذا الشان الى انه من القول بأن الكبد يتسمم ويصاب بالتشمع الكبدي وذلك بسبب تعاطي الخمر والادمان عليه .

وكما تجدر الاشارة الى انه خلافا لاعتقاد شارب الجعة او البيرة من انها مدرة للبول مطهرة للكلي ، فانها على العكس من ذلك تعمل فى تخريبها، وذلك لان مادة الاسيد ساليسيليك التى تضاف اليها لتحفظها من التعفن ، هي مادة مخرشة للكلى وبالتالي مخربة لها .

3 ـ اضرار الخمر على الجهاز العصبي :

يقوم الجهاز العصبي بالسيطرة على جميع اعمال الجسم سواء الارادية منها ام غير الارادية . ولكنه يفقد هذه السيطرة عندما يخدر بالنبيذ او الخمر ، ثم ان تصور منظر انسان وهو يميل ذات اليمين وذات اليسار لهو اوضح دليل على ما للخمرة من اثر فى العقول والاعصاب .

ويترتب على تناول المشروبات الكحولية تخدير فى المراكز العصبية العليا فيبطؤ سريان الدم فى شريان المخ ، وينتج عن ذلك القيام باعمال غير ارادية كارتعاش اليدين والترنح والهذيان والخبل وضعف الحواس وعدم الشعور بالمسؤولية ، واخيرا اضطراب القدرة العقلية التى قد تؤدي الى الجنون ، بالاضافة الى انها تضعف جميع الامكانيات العقلية لدرجة ان المخمور يعجز عن القيام بالاعمال الحسابية البسيطة .

ولما كانت مصانع الخمر على العموم والبيرة على الخصوص تضيف اليها مواد حتى تكسبها نكهة ومذاقا مرا محببا عند شاربيها ، فان لهذه المادة او المواد المضافة وحدها ، تأثيرها السيء على جسم الانسان ، فهكذا تضاف الى البيرة او الجعة حشيشة الدينار التى تشبه حشيشة الكيف المعروفة والتى هي من فئة المخدرات ، وتسبب هذه المادة خمول الفكر وبلادة الذهن .

4 ـ اضرار الخمر على الجهاز الدموي :

الجهاز الدموي او الجهاز الدوري يشمل القلب والاوعية الدموية والدم .

والدم يدور فى الجسم باكمله حاملا معه الاغذية الى الخلايا المنتشرة فيه ، وهذا الغذاء الذى يحمله الدم الى جميع الخلايا يعتبر ناتجا عن الغذاء المهضوم والمصفى من قبل اجهزة واعضاء اخرى . ولكن هذا ليس مستمرا بصفة دائمة ذلك ان بعض الاجهزة قد تقصر فى القيام بعملها على احسن وجه ، وسبب هذا التقصير .

اما الاصابة ببعض الامراض واما الاكثار من تناول طعام مضر بالجسم او الاكثار من تناول المشروبات الكحولية ، كما رأينا .

وقد ذكرنا آنفا بأن المشروبات الكحولية او الخمر تنتقل الى الدم بدون ان تهضم كما فى الاغذية الاخرى التى لا بد لها من ان تمر فى جميع اجزاء الجهاز الهضمي الى ان تصير قابلة للامتصاص بتاثير عدة عوامل كيميائية فى هذا الجهاز العجيب . ومن هنا كانت نسبة الكحول فى الدم تزداد كلما زاد الشارب اقداحا من الخمرة ، الى ان تصل هذه النسبة حدا يجعل معها حياة الشخص فى خطر بل تؤدي بحياته الى الموت .

وهكذا فشرب قدحي « ويسكي او كوكتيل » او شرب ليتر « بيرة » خلال ساعة يجعل نسبة

---

(5) «طبيبك معك» ص 249 .

الكحول فى الدم 0،05 سانتي بالمائة . واذا ما بلغت هذه النسبة 0،80 سانتي فى المائة يموت المرء .

ودخول الخمرة فى الدم ولو بنسبة قليلة فقط يجعلها تقوم بدور المخدر ، فما بالك باحتساء اقداح مترادفة بلا حساب ، وبدون « مازة » المعروفة عند السكير !.

بالاضافة الى هذا فان الكحول تؤدي الى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم مما يترتب على ذلك الاصابة بمرض الذبحة الصدرية .

5 ـ اضرار الخمر على غدة البروستاتا Prostata

البروستاتا عضو موجود عند الذكور فقط ، وهي تتصل بعنق المثانة ، وتكون جزءا من مجموعة الغدد الموجودة بجسم الانسان .

والبروستاتا عضو مهم جدا ، لعدة واهمية وظائفها ، فهي تعمل كغدة تناسلية وكعضو من الجهاز البولي ، وكذلك كغدة مفرزة لاكسير الحياة.

وهي من احدى الغدد ذات الحساسية الكبيرة لجميع أنواع المشروبات الكحولية او الخمر ، اذ ان هذه المشروبات لما تحتوي عليه من سموم تؤثر على الغدة الصغيرة وتضر بها ضررا كبيرا فتصاب على اثرها باضطرابات وامراض ، خاصة اذا كان الشارب من المدمنين .

ولقد أجريت احصائيات على الاجناس والشعوب المختلفة لمعرفة اي جنس او شعب معرض الى الاصابة بأمراض البروستاتا او عدم الاصابة بها ؟ .

فكانت النتيجة ان الاجناس التى لم تصب بأمراض البروستاتا أو كانت بينها اصابات نادرة هي شعوب الشرق وبعض الافريقيين والهنود الحمر بأمريكا ، وهذه هي المجموعة الاولى التى كشفت عنها الاحصائيات .

اما المجموعة الثانية والتى تضم الاجناس او الشعوب التى هي كثيرة التعرض الى الاصابة بالبروستاتا فهم يكونون فى اغلبيتهم الجنس الابيض اي شعوب الغرب .

وامراض البروستاتا فى هذه المجموعة الاخيرة راجع الى ان هذه الشعوب ، على ما وصلت اليه من حضارة ، تعتمد فى حياتها على اغذية غير طبيعية فى اغلبها مع الاكثار من تناول المشروبات الكحولية الى حد الادمان عليها .

ومما تجدر ملاحظته ان الشعوب العربية مع البدويين والافغانستانيين والهنود جاءت فى آخر قائمة من المجموعة الثانية ، ولكن مع الاشارة الى انهم قليلي الاصابة بأمراض البروستاتا ، وذلك راجع الى طبيعة البلاد والشمس والهواء مع ابتعادهم عن شرب الخمر (6) .

علاج المدمن على شرب الخمر

ان « الخمرة ام الخبائث » فهي الى جانب كونها تهدم الصحة ، تذهب بالعقل فتفقد الرشد ، وتذهب بالمال فتورث الفقر، وتذهب بالحياء وبالوقار، فلا وازع ولا رادع عن الموبقات ، انحلال فى الخلق ، وانغماس فى الرذائل ، وانهيار فى الشخصية . وقد تصبح المسكرات اذا عمت آفة من آفات المجتمع تنخر فى كيانه حتى تنتهي بـه الى الاضمحلال لا محالة .

وعليه فما هو علاج هذه الظاهرة المرضية ؟

لقد فكر العلماء والاطباء فى انجع الطرق الآيلة الى تخليص الناس من هذه العادة ، فذهبوا من المعالجة النفسية الى المعالجة بالعقاقير الى سن قوانين لتحريم جميع عمليات الخمر من عصر ونقل وشرب الخ . . الا ان هذه الطرق جميعها قد باءت بالفشل .

فالولايات المتحدة الامريكية سنت قانونا فيما بين الحربين الاخيرتين تقضي بمنع تناول المشروبات الروحية ونقلها وصنعها والاتجار بها ، ولكنه امحي اثره بعد ذلك ولم تعد له فائدة .

وفى سويسرا التجى العلماء فى معالجة هذا الداء منحى طريفا، فانشاوا مصحات خاصة بالمدمنين، وكانت هذه المصحات مؤسسة وفق المباديء التالية :

1 ـ العمل فى الهواء الطلق .
2 ـ منع المشروبات الروحية عن النزلاء منعا باتا .
3 ـ المعالجة النفسية .
4 ـ وجبات طعام مقننة .

(6) راجع كتاب البروستاتا ، للدكتور باندر Prostata. Pr. Vander ص 32 .

ولكن هذه التجربة قد فشلت هي ايضا مثل سابقتها (7) .

وفي اندونيسيا وقعت تجربة اخذت بالطريقة الاولى والثانية معا، فكان اثرها حميدا في القضاء على هذه العادات المستهجنة ، حيث صدر تشريع يبيح للدولة ولغيرها من الناس ان يؤسسوا المستشفيات، التي يسمونها (ديار ازالة عادة التكيف، وهذه المؤسسات يدخل اليها المرضى بنشوة السكر أو الكيف اما بطلب منهم او بالزام من الدولة ، حيث يقضون فيها بضعة اشهر في جو بعيد عن كل ما اعتادوه ، ويفحصهم الاطباء فيعالجون اعصابهم وقواهم العقلية ، ثم يتردد عليهم الوعاظ ، وتعرض عليهم اشرطة سينمائية تبين لهم اضرار ما كانوا فيه ، فاذا تم أمد تداويهم خرجوا للمجتمع وقد برئوا مما كانوا تعودوا عليه من قبل (8) .

وجدير بالملاحظة في هذا الميدان ، ان حكم الشريعة الاسلامية ــ عند الدول التي تدين بالاسلام وتطبق احكامه السمحة ــ جاء واضحا في دستوره العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فقد نهى الاسلامعن الخمر . وجاء في القرآن الكريم جوابا لمن يسألون عنها وعن الميسر او القمار : « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما » . وشمل حكم النهي الخمر والميسر والانصاب والازلام في سورة المائدة : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ؟ »

والمتفق عليه منذ صدر الاسلام ان عقوبة شرب الخمر ثمانون جلدة ، ويقام الحد اذا شهد على الشارب شاهدان عدلان واخذت رائحة الخمر تفوح من فمه ، وانتفت كل شبهة في تعاطيها خطا او للعلاج .

ومن الجدير بالملاحظة ، ايضا ان بعض الدول العربية المسلمة تطبق احكام الشريعة الاسلامية ليس في هذا الميدان فحسب وانما في ميادين الرذائل الاخرى ايضا، وعلى العكس تتظاهر دول اخرى بالاسلام كعقيدة ودين دون ان تأخذ بأحكامه الخاصة في هذا الشأن .

ويقول الاستاذ علال الفاسي (9) « وانك لتعجب من امر امتنا ، فهي ما تنفك تسمع في كل وقت وكل مناسبة تحريم الدين للخمر واستنكار الناس لشربها ومنع القانون المغربي لها ، وما تفتأ تنصت لنصائح الاطباء وارشادات الواعظين ، ولكنها مع ذلك لا تقل في تكاثر المدمنين عن الامم التي تبيح الخمر وتشجع متعاطيها . والحقيقة ان ضعف الدين في النفوس اصبح ظاهرة عصرية هي مصدر كل ما نعانيه من ادواء اجتماعية كبرى » .

وهذا القول يجد مستنده في ملاحظة رجل الشارع البسيط لهذه الظواهر المستهجنة في جميع مدن المغرب .

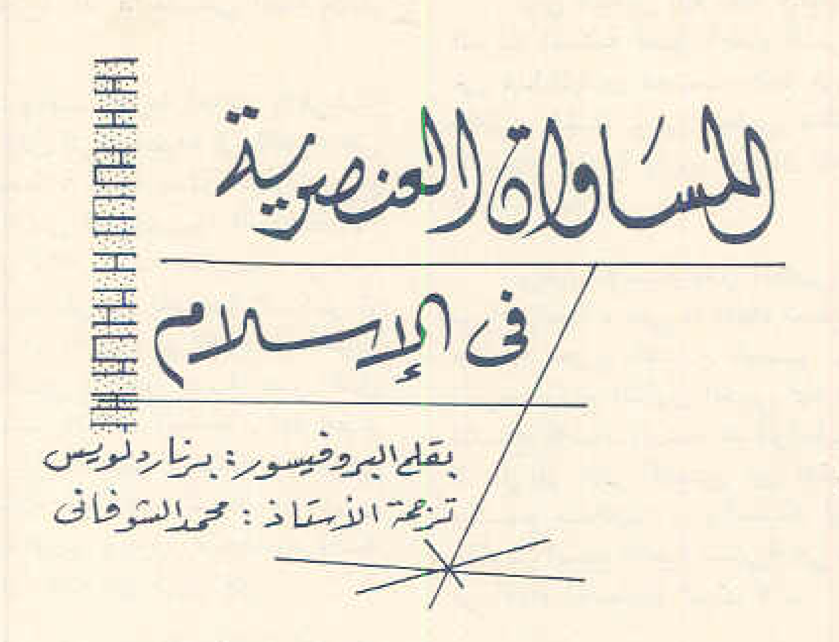
«وان الادمان على المسكر والمخدر من اعظم المشاكل المغربية التي يجب على الشعب أن يهتم بها ويعمل على معالجتها ، وعلاجها الاكمل لا يتم بغير التشريع العام ، الذي اشرنا اليه ، ولكن يمكن قبل ذلك ان تبذل من جهود لارشاد ما يخفف من امر المصيبة ، ويجب ان نعمل كذلك على تنظيم المؤسسات التي تعالج اخواننا فيما هم فيه (10) »

واننا لا نرى مانعا يمنع من سن تشريع عام يطبق على الجميع لحد سواء ، لا ان يشرع لفئة دون اخرى ، وان تحرم الخمر تحريما باتا على جميع سكان البلاد ، مع مراعاة حالة المدمنين الصحية وتقديم العلاج لهم في مؤسسات تؤسس لهذا الفرض، وقد تكون الطريقة التي طبقت في اندونيسيا خير ما يمكن تطبيقه في المغرب .

الرباط ــ بنلمقدم الطيب عبد السلام

---

(7) « طبيبك معك » الدكتور صبري القباني . ص 243 .
(8) « النقد الذاتي » الاستاذ علال الفاسي ص 235 .
(9) المرجع السابق . ص 235
(10) « النقد الذاتي » . المرجع السابق . ص 235 .



صوت التقوى

هناك مصدر آخر للمواقف العنصرية هو الادب الديني ، وخاصة مايدين منه التحيز والتمييز العنصريين بواسطة استشهادات مناسبة . فلقد جمع تقاة المسلمين عددا لا حصر له من الاحاديث بعد موت الرسول ، والنسبة الكبيرة من هذه الاحاديث جاءت عفو الخاطر ، ورغم ان ذلك قد يبطل قيمتها كبرهان على آراء الرسول الخاصة ، فانها مع ذلك تبقى حجة على تطور المواقف خلال الفترة التى انشئت فيها .

يهتم عدد كبير من هذه الاحاديث بقضايا العنصر واللون ، وبعضها يدين هذا العنصر او ذاك ، وهكذا اثر عن الرسول قوله عن الحبشي : « انه اذا جاع سرق واذا شبع زنى » (الاغاني ص 270) .

ولا شك ان هذا القول جاء عفو الخاطر ، ولكنه معروف فى التاريخ القديم والحديث كمثل عربي سائر عن الزنج .

ومثل هذه الاحاديث قليل ، ولا ينظر اليها على انها آمرة جازمة . وهناك عدد اكبر بكثير من هذه الاحاديث التى حفظت ، وغايتها استنكار التحيز العنصري والالحاح على أولوية التقوى ، واكثرها شيوعا ما نسب الى الرسول انه قال : « لقد بعثت الى الاحمر والاسود » ، وهو تعبير يؤخذ على انه ضم للانسانية جمعاء ، فاذا اضفنا الى ذلك الآية التى استشهدنا بها فى البداية نجد ان الالحاح منصب على التقوى والعمل الصالح ، وهي اسبق من العرق او النبل او حتى الاصل العربي المحض .

وتعكس هذه الاحاديث عموما وجه الصراع الذى كان قائما فى اوائل الامبراطورية الاسلامية بين العرب الفاتحين الذين يدعون الاستقراطية العرقية والتفوق الاجتماعي وبين الذين اسلموا من الشعوب المفتوحة التى لم تستطع ادعاء لا السمو العرقي ولا الاسري ، وربما لذلك السبب كان الالحاح على اسبقية التقوى .

ويمكنني هنا ان اثير الانتباه الى صورة بلاغية جد شائعة فى الاستعمال العربي ، وهي برهان بالخلف ، وهي بالتالي جد مختلفة عما نسميه برهانا غير مباشر ، فالغاية من البرهان غير المباشر ، انما هي ايضاح خطأ حجة ما بايراد اكثر أشكالها غرابة وتطرفا ، أما الصورة البلاغية العربية التى اشير اليها فغايتها على العكس ، لا ان تنقض وتدحض ، وانما ان تؤكد وتثبت ، ولهذا فهي ليست برهانا غير مباشر ، وانما هي بالاحرى تأكيد بالخلف اذا سمحت لنفسي بنحت هذا التعبير.

الامر اذن هو ان يطرح مبدا ، ويعطى مثال عليه ولو كان متطرفا شديد الغرابة ، والغاية هي البرهنة على ان المبدا يبقى صالحا حتى فى اشد صيغه تطرفا وغرابة .

ولا يمكن للمرء الا ان يدهش لعدد المرات التى ذكر فيها الرجل الاسود للاشارة الى هذا النـــوع من الحجج ، وهكذا فعند التأكيد على وجوب الطاعة والخضوع للسلطة مهما كان نوعها ، يذكر المشرعون المسلمون قولا مأثورا عن الرسول مؤداه :

« اطيعوا من ولى عليكم ولو كان عبدا حبشيـا مجذوع الانف » . وواضح من امتزاج هذه الصفات انه يبغي الاشارة الى عدم احتمال هـذه الشـروط العنصرية ، والاجتماعيـة ، والفيزيقيـة فى وقـت واحد .

اما فى موضوع الزواج فهناك هذا القول :

« لا تتزوجوا النساء لجمالهن الذى يمكـن ان يحطمهن ، ولا لمالهن الذى يمكن ان يفسـدهن ، وانما للدين ، فزنجية مجذوعة الانف أفضل بالتقوى »

ويرد نفس الموضوع فى روايـات عن أبي ذر ، وهو بطـل مسلـم قديـم يذكـر كنمـوذج لتقـوى والتواضع ، وكمثال على تواضعه انه تزوج امـــراة سوداء لانه اراد زوجة تضعه لا ترفعه ، وانـه كان مستعدا للصلاة وراء حبشي .

ونجد الموضوع مطروحا بشكل اكثر وضوحـا عند ابن حزم الشهير (1064 ـ 994) الذى يلاحظ ان المؤمن المخلص هو اكثر الناس نبلا حتى ولو كان ابن زانية زنجية ، وان الخاطيء الكافر هو فى الدرك الاسفل حتى ولو كان ابن الرسل .

فالشعور هنا هو شعور بالتقوى والمساواة ، ومع ذلك فهو لا يأتي باقتناع كامل .

ومما له مغزاه ان ابن حزم يقدم هذه الملاحظة فى مدخل مؤلفه عن انساب العرب حيث يحاول ان يبرهن على اهمية هذا العلم وجلاله . وفـى حديـث ملتبس بعض الالتباس ، يقول رجل حبشي للرسول، « انتم ايها العرب تمتازون عنا بكـل شيء ، بنيتكـم ولونكم وامتلاككم للرســول » فيجيبـه الرســول : « نعم ، وفى الجنة سيظهر بياض الحبشي على بعد اكثر من مسافة الف سنة » .

والغاية الاخلاقية من هذه الحكايات والاقـوال وما شابهها الا عدله ان التقوى تطغى على الســواد وعدمها يطغي على البياض ، وهذا لا يعنى ان الفرق بين البياض والسواد لا اهمية له ، بل عكس ذلك مؤكد فى روايات مثل تلك التى تتحدث عن الزنجـي التقي الذى يتحول لونه الى ابيض ، وما شابهها من الحكايات عن فاعلي الشر البيض الذين يتحولون الى ســود .

نجد مثالا حيا لذلك فى رسالة الغفران ، وهي رؤيا عن الجنة والنار انشأها الشاعر الســوري ابو العلاء (1057 ـ 973) . ففى الجنة يلتقي الراوي بحورية جميلة تقول له انها كانت فى الحياة تسمى توفيق الزنجية ، وانهـا كـانت تخـرج الكتـب من اكاديمية بغداد للناسخين ، فيستغـرب الـراوي : « ولكنك كنت سوداء ، اما الآن فقد اصبحت ابيض من الكافور ! » فتجيبه ببيت من الشعر مؤداه :

لو كان هناك مقدار حبة خردل من نور الله بين السود لتحولوا جميعهم بيض . ونفس التقارن بيـن البياض والخير نجده فى الادب الاسلامي الذى يصف الرسول نفسه انه كان خفيف اللون محمره، وتعطى نفس الصفة لزوجته عائشة ولعلي واعقابـه وحتـى لسابقيه من الرسل ابراهيم وموسى وعيسى .

الفتـح والاسترقـاق

يمكن ارجاع هذا التغيير الكبير فى المواقـف خلال بضعة أجيال الى ثلاث تطورات اساسية .

1 ـ أولها عامل الفتح ، انشأ العرب المتقدميـن امبراطورية واسعة الاطـراف ظهـر فيهـا التمييـز الطبيعي المحتوم بين الفاتحين والمفتوحين ، فقد كان العربي والمسلم فى البداية شيئـا واحـدا بالفعـل وكان التمييز دينيا فحسب ، ولكن مع دخول الشعوب المفتوحة السريع الى الاسلام ظهرت الى الوجــود طبقة جديدة هي طبقة معتنقي الاسلام غيـر العـرب والذين يشبه وضعهم وضع المسيحييـن القاطنيـن والاصليين فى الامبراطوريات الاوروبيـة المتاخـرة . وحسب المذاهب الاسلامية فان شراح العقيدة اكدوا واعادوا ان معتنقي الاسلام غير العرب متساوون مع العرب ، بل يمكن ان يفوقهم بسمو التقوى ، غير ان العرب ، مثل غيرهم من الفاتحين قبلهـم وبعدهـم ، كانوا يعارضـون فى الاذعـان الى مساواتهـم مـع المغلوبين ، واحتفظوا بوضعهم الامتيازي اطول مـدة استطاعوا ، وكان ينظر الى المسلمين من غير العرب على انهم أدنى ، كما كانوا عرضة لسلسلة من عدم الاهلية المالية والاجتماعية والسياسية والعسكريـة وغيرها .

وكان الصراع من اجل المساواة فى الحقوق من طرف معتنقي الاسلام غير العرب احدى القضايا الهامة التى شغلت القرنين الاولين من الاسلام . وهناك موضوع آخر يساوي هذا فى الاهمية وهو صراع المتحدرين من سلالة نصف عربية من اجل المساواة مع المتحدرين من سلالة عربية كاملة .

ولم تكن قضية اللون ذات اهمية بين هذين الفريقين من معتنقي الاسلام غير العرب وبين المتحدرين من سلالة نصف عربية ، بينما تحفظ الآداب الصراع الذى كان دائرا بين الاطراف الثلاثة، العرب الاقحاح انصاف العرب ، وغير العرب من المسلمين . وكانت هوية الخصم غير العربي تبدو ذات أهمية قانونية بالنسبة للعرب على الاقل ، وان كانت لها بعض الاهمية بالنسبة لغير العرب انفسهم، فالشخص المتحدر من أصل افريقي يتميز عن غيره من المسلمين غير العرب بمظهره ، فولد اب عربي وام فارسية لا يبدو مختلفا فى مظهره عن ابن لابوين عربيين ، وانما كان الفرق اجتماعيا ويعتمد على المعرفة الاجتماعية ، بينما من كانت امه افريقية يسهل التعرف عليه وبالتالي يكون اكثر تعرضا للتمييز ، وسبة « ابن الزنجية » ليست نادرا ما توجه الى هؤلاء الاشخاص ، وقد كان الشاعر عنترة من اب عربي من قبيلة بني عبس وأم سوداء ، ويقول فى شعر منسوب اليه ما معناه :

« انا الرجل الذى نصفه من مصاف افاضل عبس ، والنصف الآخر ادافع عنه بالسيف » .

وبالصدف يقال عن الخليفة عمر انه كان حفيدا لامراة حبشية ، وهذا من بقايا معتقدات المواقف القديمة الاولى . ويحكي المؤلف العربي القديم محمد ابن حبيب ان رجلا سب عمر يوما فى حياة الرسول ونعته بابن السوداء فنزل الله تعالى الآية القرآنية : « يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم » ويمكن أن تكون الحكاية مبتكرة لغاية الحض على التقوى ، ومع ذلك فهي لا تخلو من اهمية ، وهي ترد فى فصل قصير عن عظماء الرجال الذين كانوا من امهات حبشيات .

2 ـ عامل آخر ذو اهمية هو اتساع مدى التجارب التى حملها الفتح الى العرب ، فقد كانت معرفتهم بافريقيا قبل الاسلام مقتصرة على الحبشة خصوصا ، وهو بلد كان نسبيا ذات مستوى حضاري ماديا ومعنويا ، وقد زادت سمعة الاحباش الحسنة فى حياة الرسول بسبب الترحيب الذى لاقاه المسلمون المهاجرون من مكة ، ثم حدثت تغييرات بعد الفتح الاسلامي ، حيث التقى العرب خلال زحفهم الفاتح نحو افريقيا من ناحية بشعوب اكثر سوادا وبدائية ونحو جنوب غرب آسيا من ناحية اخرى بشعوب اخف لونا واكثر حضارة، ولا شك ان النتيجة انهم بداوا يعادلون بين الحقيقيتين .

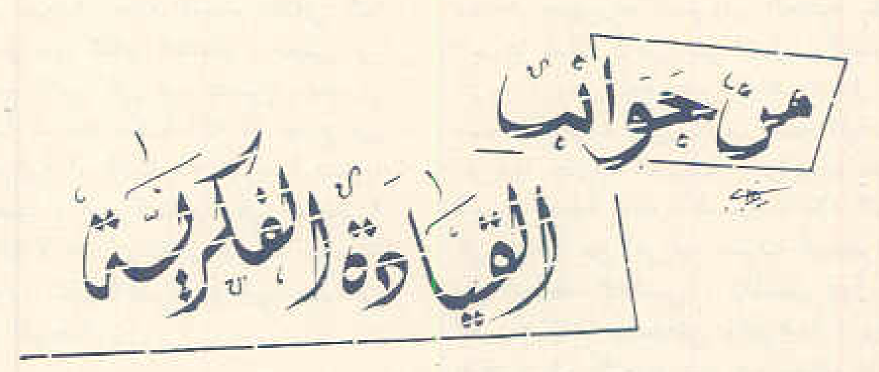
3 ـ يضاف الى هذا التوسع التطور الرئيسي الذى حدث فى القرون الاسلامية الاولى ، ذلك هو عامل الاسترقاق والتجارة فى الرقيق ، ولم يكن العرب المسلمون اول من استرق الافارقة السود ، فحتى فى زمن الفراعنة كان المصريون قد بداوا يعتقلون السود ويستعملونهم عبيدا ، وبعضهم مرسوم فعلا على الآثار المصرية ، كما كان هناك عبيد سود فى العالمين الروماني والهيليني ، ولكن يبدو ان عددهم كان قليلا نسبيا وغير هام ويبدو أن نمو تجارة العبيد فى افريقيا السوداء واستيرادهم بمقادير هائلة للعمل فى بلدان البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط يعود تاريخه الى العصور العربية ، وكان من المحتم ان يؤثر ذلك على مواقف العرب والمسلمين تجاه الشعوب الداكنة اللون التى اتصل بها العرب والمسلمون عن هذه الطريقة فحسب . فالعرب كانوا يعتبرون انفسهم هم العالم المتحضر ، مثل اي شعب عرفت له حضارة فى التاريخ ، فهم وحدهم الذين ملكوا الاشعاع والعقيدة الحقة ، بينما كان يسكن العالم الخارجي البرابرة والكفار ، ومع ذلك فقد اعترف المسلمون ببعض الفروق الموجودة لدى شعوب تتاخم حدود عالمهم الواسع الارجاء ، ففي الشرق كانت فى الهند والصين شعوب وثنية ، ولكنهم احترموها لانها كانت تملك بعض الصفات الحضارية ، وفى الغرب كان يمتد العالم المسيحي ، البيزنطي اولا ، ثم المسيحي الذى اعتبر ذو عقيدة منافسة وثقافة منافسة ونظام منافس ، وما عدا ذلك كان هناك البرابرة الشماليون والجنوبيون ، برابرة الشمال البيض كالاتراك والسلافيين وغيرهم، وبرابرة الجنوب الداكني اللون فى افريقيا السوداء . وقد نظر الى الاتجاهين معا كمصدر للعبيد ينبغي استيرادهم للعالم الاسلامي ، ليتكونوا تكوينا اسلاميا وليصبحوا بالتالي مسلمين ما داموا لم يتمتعوا بأي دين خاص بهم ، فقد كان الاستعباد بالنسبة اليهم وصمة ومنة وقبلوه بهذا الاعتبار ، ولم ينظر الى اي من هذه الاطراف نظرة احترام .

اكتشـاف افريقيـا :

رسم ابن سينـا ، (1037 ـ 980) الطبيـب والفيلسوف الشهير صورة لحالة المسلم المثالي كما رآها ، في آخر فصل من كتاب الشفاء ، فحتى في المدينة الفاضلة احتاج الامر الى من يقـوم بالعمـل الشاق القذر ، ولهذا شاءت حكمة الله ان تضع في المناطق الشديدة الحرارة او الشديدة البرودة شعوبا تصلح للعبودية بطبيعتها ، غير قـادرة على معالجـة الاشياء السامية ، لانه لا بد ان يكون هنـاك سـادة وعبيد ، هذه الشعوب مثل الاتـراك وجيرانـهم في الشمال والسود في افريقيا .

وللمؤرخين والجغرافيين المسلمين ما يقولونـه عن كلتي الطائفتين ، فقد كان الافارقة السود يسمون في المصادر العربية الاولى بالحبـش او السـودان ، وتخص الصفة الاولى الاحباش وجيرانهم الاقربين في قرن افريقيا ، اما الكلمة الثانية فتعني السود عموما، وهي تشمل الاحباش احيانا، ولكنها لا تشمل المصريين والبرابرة او اية شعوب في شمال الصحراء ابدا ، وقد اضيفت كلمات أخرى اكثر تخصيصا بعد التوسع العربي في افريقيا ، واكثر هذه الالفاظ شيوعا هي النوبة والبوجة والزنج ، ولفظ نوبة من النوبية وهو يصف عادة اهالي النيل في الجنوب المصـري ، اي منطقة جمهورية السودان الحالية بالتقريب ، وكان البوجا قبائل رحل بين النيل والبحر الاحمر ، امـا الزنج ، وهي لفظ غير مؤكد الاصل يستعمل عـادة صفة للشعوب التى تتكلم لغـة البانتـو في شـرق افريقيا جنوب الحبشة ، واحيانا يصـف الافارقـة السود بصفة عامة ، فعبارة « بلاد السودان » تنطبق كل المنطقة من افريقيا جنوب الصحراء ، من النيـل الى المحيط الاطلسي ، وتشمل دول افريقيا الزنجية الغربية كغانا وصونغي وغيرهما ، وهنـاك مؤلفـون يدققون في التمييز بين مجتمعات افريقيا السوداء ، بينما يميل بعضهم الآخر الى جمعهم معا تحت لفظ السودان .. والزنج هم اقل اهلية للاحترام ، بينما الحبش هم اكثرهم احتراما ، وتشغل النوبة والبوجة وضعا وسطا ، ويستعمل لفظ « افريقية » في العربية الفصحى للدلالة على المغرب فحسب ، عادة المغـرب العربي .

الربـاط ـ محمـد الشوفاني



من جوانب القيادة الفكرية

للأستاذ عبد العلي الوزاني

(التحول الثقافي) اصطلاح يطلق اليوم على اكثر من معنى تغيير اساليب الثقافة واشكالها وطرق اكتسابها ، اذ يراد به نسف كثير من الاسس التاريخية التى قامت عليها الثقافة القومية عشرات السنين او مئات السنين ، وارساء أسس جديدة تتفق وواقع التحولات الاجتماعية والاقتصادية ، بوضع فلسفة جديدة لها ، يكون من شانها بناء الشخصية الوطنية من جديد ، وتكوين الانسان القادر على الاستجابة لتطورات العصر والتاثير فيها باليد والفكر والوجدان ، دون أن يبقى حيث هو من التمسك بمقاييس جامدة اولا تتغير الا ببطء شديد، على حين ان احوال العصر من حوله فى تغير سريع ومستمر ، اذ المطلوب ان يكون انسانا فاعلا ومنفعلا قادرا على الاخذ والعطاء وتبادل ثمرات الحضارة مع غيره من ابناء البشر ، والا كان عنوانا على فشل الثقافة التى يحملها ، وعدم صلاحيتها كأساس للتعامل مع عالم اليوم .

وليس يعنيني فى هذا الحديث ان اتصدى لتحليل التحول الثقافي وفلسفته وابعاده ، بقدر ما يعنيني دراسته من حيث صلته بالقيادة الفكرية التى هي موضوعي الرئيسي . فما هي اصداء هذا التحول عند قائد الفكر ؟ وما هو الموقف الذى يمكن ان يتخذه منه ؟ وهل فيه ما يتناقض مع القيادة الفكرية باعتبارها أحد قطاعات الفكر التى قد يقوم التحول الثقافي ضدها ؟

اما صداه عند قائد الفكر ، فان تبينه يتوقف على الطابع المميز لهذا القائد . فهناك القادة المحافظون الذين انتهوا من وضع نوع من المقاييس الفكرية ، والفلسفات المذهبية ارتضوه كأساس لكل ما يصدر عنهم من مواقف فكرية ، مع التحرك بشيء من الحرية داخل هذا الاطار نفسه ، وبغير قليل من المرونة التى تقتضيها تقلبات رياح الفكر الآتية من هنا وهناك . وهؤلاء يرون فى التحول الثقافي طفرة لا تخلو من مخاطر ، ووثبة قد تكون الى هاوية بعيدة القرار ، ومسا بمراكزهم العتيدة التى وصلوها بالجهد والنضال ، ففرضت لهم اعتبارا خاصا يعز عليهم ان يتعرض للزوال ، بحيث يندثر فى مدة وجيزة ما بني فى عقود من السنين . ويا لها من ماساة، ماساة ان يجد قائد الفكر نفسه من سقط المتاع ، بعد ان تربع على كرسي الاستاذية الفكرية عدة سنين ، وقد الغيت جميع الاسس التى اقام على قواعدها شخصيته الثقافية ، ومن ثم فان هذا المفكر الذى يشمله التحول الثقافي ، فيما يشمله من مخلفات الماضي لا بد ان يتخذ احد موقفين : اما أن يلين ويستسلم ، ويلقي السلاح معتبرا نفسه قد انتهى من اداء دوره على مسرح الحياة العقلية ، وحينئذ يقيم الدليل على انه لا يملك مشروعية لبقائه فى مركزه التقليدي ، وعلى ان زوال قيادته كان امرا حتميا ، وان الغاءها كان تصحيحا لخطأ كبير . وفى هذه الحالة ينفض ايديهم منه حتى اولئك الذين يسايرونه فى محافظته ، ويتمسكون

بقائه كرمز للقطاع الذى يمثلونه من الحياة العقلية للامة ، ذلك ان المحافظة نفسها تحتاج الى زعيم رأي يمثلها فى أقوى مستوياتها ، ويقف بالمرصاد للناقمين عليها . واما ان يتخذ موقف المقاومة والنضال ، فيهب للقيام بالثورة المضادة ومن حوله كل المنبوذين من التحول الثقافي ، وحينئذ يكون فى امس الحاجة الى ان يبعث فى الموروث الثقافي روحا جديدا ، باحثا عن مواطن القوة فيه لابرازها ، واستخلاص الفلسفة التى توجد خلفها ، مع اقامة الدليل على صلاحيتها للبقاء ، والتكيف من جميع الظروف وتقلبات العصر ، ومع البرهنة على ان كثيرا من معطيات التحول الثقافي وفلسفته مما يرجع الى اصل فى ذلك الموروث ، زاعما ان التحول الثقافي نفسه ، بجملته وتفصيله ، وعدم التعامل معه على اي وجه من الوجوه ، ذلك ان هذا الموقف يسم قائد الفكر بسمة الجمود ، ويساعد على وصفه بالعقم الفكري ، ويظهره بمظهر المعادي لحرية الفكر ، وعدم الاستعداد لتقبل الجديد ، والامر راجع اولا واخيرا الى مبلغ التحول الثقافي من الشمول والتعمق الى جذور البنية الفكرية المحافظة ، قصد اقتلاعها والقضاء عليها . فأشد التحولات الفكرية عداء للقيادة الفكرية المحافظة ، تلك التى لا تبقي على شيء من تقاليد الماضي ، ولا تسمح ببقاء اي مذهب فكري او فلسفة ايديولوجية من تلك التى تنسجم مع الفكر المحافظ ، على حين ان التحول الثقافي المعتدل يبقي على خيط رفيع بينه وبين البنية الفكرية المحافظة ، بحيث يجد الطرفان مجالا مشتركا للحوار وتبادل الراي ، ما داما يلتقيان فى بعض الاصول الصالحة اساسا للتعامل . وراجع أيضا الى مقدار ذكاء القيادة الفكرية المحافظة ومبلغ استعدادها للصمود ، ونوع الاسلحة التى تستخدمها ضد الطرف الآخر .

فمما لا شك فيه ان اشد خصوم التحول الثقافي خطرا من قادة الفكر المحافظين ، اولئك الذين لا يقطعون جميع الصلات بالقيادة الفكرية الجديدة ، حتى لا يهيئوا لها فرصة الايقاع بهم لدى جماهير المثقفين ، تاركين لها المجال على سعته لتصول وتجول ، وانما يتبنون شعاراتها ، ويسمونها باسماء يشتقونها من صميم مصطلحاتهم الفكرية ، ويخلعون عليها ارصافا وانقابا من عندهم ، مما يظهرها بمظهر التناقض ، اذ يزعمون انها جديدة كل الجدة ، على حين انها تعود الى اصول وكليات سابقة على وجودها ، تضرب فى صميم بنية الفكر التقليدي . وهذا الموقف ينطلق من عدة اعتبارات : فهو من جهة اعتراف ضمني بأن التحول الثقافي معترف به من طرف الفكر التقليدي ، حتى انه ليحاول تكييف نفسه وفقا له ، ويشاركه اهم انتصاراته . وهو من جهة اخرى اقرار بأن التحول الثقافي هو البديل للاتجاه الثقافي المحافظ . وهو من جهة ثالثة يعبر عن ازدواج فى شخصية المفكر المحافظ ، اذ يريد المزاوجة بين عنصر الثبات وعنصر التطور فى مواقفه الفكرية داخل اطار التحول الثقافي . وقد دلت وقائع التاريخ الثقافي لدى جميع الشعوب، وعلى ان هذه الازدواجية هي المقدمة الطبيعية لوجود اليسار الفكري عند اولئك الذين يحاولون التوفيق بين القديم والجديد ، كقنطرة او مرحلة انتقالية نحو الجديد المحض او ما هو فى حكمه . وهذا معناه ان الفكر المحافظ يقع لا شعوريا تحت طائلة التحول الثقافي، بحيث يكون له الاثر البعيد فى تقرير مصيره على المدى البعيد ، وحينئذ فهو يحتاج الى بذل جهود جبارة كي يصمد طويلا ، متسلحا بكافة الاسلحة والقيم الانسانية التى يستند اليها فى اثبات وجوده وتجميع طاقته من اجل البقاء والاستمرار .

هذا ما يتعلق بقائد الفكر المحافظ ، وهناك قادة فكر آخرون يختلفون عنه فى استعداداتهم للتاثر بالتحول الثقافي واتخاذ مواقف منه ، كما انهم يختلفون فيما بينهم فى هذا الصدد . هناك المفكر الذى ما ان يعلن عن قيام تحول ثقافي حتى يصبح جنديا من جنوده ، وكاهنا من كهنته ، يدافع عنه ، ويجعل نفسه فى خدمته ، مخلصا فى ذلك الاخلاص كله ، واضعا فيه جميع ما يملكه من امكانيات فكرية، دون ان يكون له يد فى خلق هذا التحول بنشر الدعوة اليه ، او التبشير به قبل وقوعه . فهو من النوع المساير الذى تسبقه الاحداث ولا يسبقها، ينفعل بها اكثر مما يفعل فيها ، ولكن ما ان تقع حتى يتصدى لشرحها واستخلاص فلسفتها والعبرة منها، والبحث لها عن مناطق نفوذ جديدة تبسط عليها سلطانها . وهذا الموقف ينطلق هو الآخر من عدة اعتبارات ، منها ان المفكر الذى يملك الاستعداد للتنازل فجأة عن مقاييسه وقواعده ومبادئه التى كان متصفا بها قبل ظهور التحول ، ليصير بعد وقوعه شيئا آخر، يستطيع بذلك أن يبرهن على مرونته الكبيرة ، وقابليته للتطور السريع ، طبقا لاحوال عصره ، واحوال البيئة التى يعيش فيها ، ويستطيع ان يجد فى المناخ الفكري الجديد الذى خلفه التحول الثقافي

موضعا بارزا يعيش فيه ، فمقالاته تتصدر الصحف والمجلات ، واحاديثه ومحاضراته تلقى هنا وهناك ، الا انه لا يستطيع مع ذلك اقامة الدليل على ان عنده قدرا كبيرا من الثبات وقوة الشخصية ، وحظا وافرا من الروح الخلقية النزيهة العالية ، يربأ به عن التخلي عن مبادئه بهذه السهولة، الامر الذي يبعث على الشك في مدى استعداده للاخلاص للتحول الثقافي، هذا اذا كان مزاجه الفكري يختلف عن التحول الفكري الحادث اختلافا جذريا ، اما اذا كان في بنيته الفكرية لا يقف من التحول الفكري على طرفي نقيض ، بأن كان يمت اليه بصلة من الصلات حتى قبل ان يقع ، فلا مطعن في تبنيه لفلسفة التحول ووقوفه الى جانبه ، كل ما هنالك انه لم يجد الشجاعة الكافية للدعوة اليه على نحو صريح ، ولكن ما ان يحدث بفعل مفكرين آخرين يملكون من الجراة ما لا يملك ، او بفعل الدولة التى كثيرا ما تدخل التحول الثقافي ضمن خططها وبرامجها العامة ، حتى تراه في مقدمة العاملين على ترسيخ جذوره وتعميقها في ارضية الفكر القومي . ومن تلك الاعتبارات ان هذا النوع من المفكرين يكون مؤثرا للسلامة ، مفضلا اخذ الامور من جانبها السهل الذى لا يخلف زوابع ولا يثير مشاكل ، فلا يتخذ من المواقف الشجاعة ما يعرضه لمصاعب من نوع ما يستطيع ان يكون في نجوة منها . ولذلك تجده ينتظر غيره ليقوم باتخاذ هذه المواقف فيتقدم مترسما خطاه ، سائرا في اتجاهه ، وسط مجموعة من العاملين في الحقل الثقافي ، بحيث يكون صوته بين اصواتهم ، فلا يسمع له ضجيج قوي، كما في حالة ما اذا كان صوتا منفردا صاخبا تتردد اصداؤه في المدى البعيد . وهذا هو السر في كوننا نرى انصار التحول الثقافي يتكاثرون بعد الاعلان عنه وتصدي قادته للراي العام، متحملين نقمته وسخطه وانتقاداته، حتى اذا سار التحول في ثقة وثبات ، ازداد عدد الذين ينضمون اليه ، في اية خطوة يخطوها . فهو كالنار ، كلما امتدت السنتها وانتشر لهيبها ، كلما كثر حطبها . ومن هذه الاعتبارات ان الانتقال فجاة الى احضان التحول الثقافي بلا مقدمات ، ذو دلالة صادقة على ان التطور الفكري والثقافي لدى الشعوب والمجتمعات ، يخضع فيما يخضع له ، لعوامل نفسية معقدة ، منها الآثار النفسية الناشئة عن بعض الاحداث الخارجية ؛ كردود افعال تجاهها ، تختلف قوة وضعفا ، وقد تكون في شكل تحول سريع من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، واحسب ان موقف هذا المفكر من التحول الثقافي هو من هذا القبيل ، ونموذج لنوع من صدور ردود الفعل الكثيرة التى تحدثها احداث الثقافة ووقائعها . وقد لا تجد صعوبة في العثور على الدلائل التى تثبت عيوب هذا التحول السريع في اقواله وكتاباته ، ذلك انه ولو اندفع مع التيار الجديد ، بكل جارحة فيه ، لا يمكنه التخلص من قواعده السابقة التى كان ينطلق منها ، فانت ولابد واجد في تضاعيف ما يكتب ، بعض قيمه القديمة ، التى لم يتهيأ لها الزمن الكافي لزوالها بكيفية تدريجية ، فاستكنت في عقله الباطن ، واخذت تحتال على صاحبها ، لتتسرب الى اقواله وافعاله وكتاباته وكل ما يصدر عنه .

بينما هناك المفكر الذي لا يفاجئه التحول الثقافي ، بل هو يكون من المخططين له ، والعاملين على ظهوره ، ومن ثم تكون جل كتاباته قبله ارهاصا وتنبؤا بحدوثه . ووجود هذا المفكر قبل قيام التحول الثقافي امر لازم ، لا يمكن تصور حدوثه بدونه ، ذلك ان التحول لا يمكن ان يقع دون مقدمات تمهد له ، وتخلق الجو المناسب لظهوره ، وتعد افكار الناس ونفوسهم لقبوله ، ولو بكثير من الصعوبة والعنت . فالتحول الثقافي ، هو ككل تحول يحدث في حياة الناس المادية او المعنوية ، لا يمكن ان يكون منبت الصلة بالاحوال التى كانت جارية قبل حدوثه، وانما هو يضرب في صميم الاوضاع السابقة ، خضوعا لمنطق التاريخ الذى لا يتخلف . وهذا المفكر هو الذى يدخل التحول الثقافي بدون عقد ولا مركبات ولا مضاعفات نفسية ، متقدما الاحداث والمشاريع ، مبلورا لفلسفتها وقيمها واهدافها ، بوصفه رائدا من روادها القلائل ، ومن ثم فهو يدخل الى عالم التحول من بابه الواسع العريض ، ويضع بصمات اصابعه على جل نواحي الحياة العقلية ، الا انه ليس من الضروري ان يبقى فيه الروح الثقافي العالي محتفظا بحرارته وتحفزه للانطلاق مرة او مرات اخرى ، فكثيرا ما راينا مترعمي التحولات الثقافية يتنكرون لمبادئهم الثورية بمرور الزمن ، حيث يجمدون على اوضاع ما بعد التحول الذى شاركوا في احداثه ، ويعتبرونها اوضاعا نهائية ، لا تقبل التغيير ، وفي هذه الحالة يتصدى آخرون للثورة عليهم ، ودفعهم عن مراكزهم، فياخذون صفة التابعين لا المتبوعين ، ويتحولون الى ذلك الضرب من المفكرين المحافظين الذين سبق الحديث عنهم . وفلاسفة التحول الثقافي في عالم

اليوم ، يدعون الى جعله تحولا دائما لا يعرف التوقف ، ويدعون الى امداده بالوقود اللازم متى لوحظ انه يسير نحو الرتابة والاسلوب الروتيني الجامد ، لانهم يريدونه تحولا مستمرا تتعاون عليه الاجيال جيلا بعد آخر ، والجيل عمره فى العرف التاريخي والاجتماعي ثلاثة عقود من السنين ، واذن فعلى رأس كل ثلاثين سنة لابد ان يحدث تحول ثقافي يوازي التحول الاجتماعي والتحول الاقتصادي وغيرهما .

بعد هذا نجد انفسنا وجها لوجه ، امام نوع آخر من المفكرين ، يمثل الانتهازية الفكرية ، ويدعم القيم التي تقوم عليها . فهناك فى كل مجتمع متطور، مجموعة من رجال الفكر الانتهازيين ، الذين يظهرون دوما بأقنعة مختلفة ، ويلبسون لكل حالة لبوسها ، فاذا حدث تحول ثقافي وراوا فيه مذهب المستقبل القريب ، سارعوا اليه ، فى صخب وضجيج ، معلنين بهما عن انفسهم ، تسمع لهم اصوات عالية ، وتتسم مواقفهم بالفوغائية ، لانهم يريدون الاستفادة من الوضع الثقافي الجديد ، فى غير اخلاص الا لانفسهم ومصالحهم . فاذا ما حدث ما يدعو الى ترك الاتجاه الثقافي الى غيره ، انتظروا النتيجة ، فان كانت لصالح هذا الاخير ، تحولوا اليه بضجيجهم وصخبهم الكاذب الفارغ . هذه الانتهازية تصاحب عادة جميع التقلبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فاذا لم يكن الناس منها على حذر ، اوشكت ان تفسد عليهم امرهم ، وتجعل من مكاسبهم مطايا يركبها الانتهازيون الى اغراضهم . والجدير بالذكر ان هذه الطائفة من المثقفين لا تعدم ان تجد فيها من هو فى ارقى مستوى من سعة الاطلاع وشمول المعرفة ، بحيث لا يقل عن اي مفكر آخر فى الامة من الوجهة الفكرية ، الا انه يخضع لدوافع شريرة من حيث يتنزه عنها المخلصون لرسالة الفكر من قادة الراي الآخرين . والجدير بالذكر ان هؤلاء الانتهازيين يفسح لهم المجال للعمل فى صفوف رجال الفكر الامناء ، ولو كان هؤلاء يعرفونهم على حقيقتهم ، نظرا لكونهم رغم امانتهم قد لا يتورعون ان يتخذوا منهم ابواق دعاية لآرائهم وافكارهم ومبادئهم ، مستفيدين من قدراتهم الفكرية العالية ، على غرار ما يحدث فى المجالات السياسية سواء بسواء ، اذ ترى الكثيرين من ذوي الماضي المشبوه فيه ، ومن بقايا هيئات سياسية تخلت لعجزها عن الوفاء لالتزاماتها الوطنية ، ينضمون الى صفوف رجال الساعة من الساسة الناجحين ، فلا يبخل عليهم هؤلاء بالالقاب واوصاف من التشريف ، وينيلونهم الحظوة والمقام الرفيع ، من اجل الاستفادة من كفاءتهم المهزومة فى مواقعها السابقة ، اما لخطأ فى التقدير ، واما لان المركز الذى كانت تتحرك منه لم يكن من احسن المراكز ولا باقدرها على الصمود ، واما لان الكفاءات المناهضة لها كانت اعنى منها واذكى . ويستفيد رجال الفكر الانتهازيون من الوضع الثقافي الناجم عن التحول ، وربما على نطاق واسع ، بحيث يصعب على المثقف العادي ان يميزهم عن غيرهم ، يضعهم فى مكانهم المناسب . هذا وان الانتهازية لتجد فى حياة الفكر مجالا واسعا لالاعيبها ومراوغاتها ، ذلك لان الفكر متشعب الاتجاهات ، متعدد التيارات ، مما يتيح للانتهازي ان يشرف او يضرب او يتبنى اية نظرية شاء ، خالعا عليها صفة العلم والوجاهة ليموه بها على الآخرين .

هؤلاء المفكرون على اختلافهم كلهم يتعايشون ويقتسمون الحياة العقلية لامتهم ، فتتعدد الوان النشاط الفكري الصادرة عنهم ، ولكن عند حدوث التحول الثقافي، يوجد بعضهم داخلا فى هذا التحول، وبعضهم يبقى خارجه ، على نحو ما يبنت فى صلب هذا الحديث ، وحينئذ تظهر المعادن الاصيلة متميزة من المعادن الرخيصة الزائفة ، ويظهر الفرق بين الرواد والانتهازيين المستغلين والجبناء المترددين والمغلوبين على امرهم ، لانه ليس شيء كالاحداث كاشفا عن طبائع العقول والنفوس .

القيادة الفكرية بين القومية والعالمية :

هناك قائد الفكر القومي الذى تحد منطقة نفوذه الفكري بحدود امته ، وهناك المفكر القومي الذى يتجاوز هذه الحدود ليكون رائدا من رواد الفكر فى العالم اجمع ، او لدى اغلبية شعوب الارض . اما المفكر الذى تكون له صبغة عالمية دون ان يكون مفكرا قوميا ، فاعتقد انه لا وجود له بين نماذج المفكرين وقادة الراي فى العالم اجمع . ذلك ان القومية فى الفكر هي الطريق الى العالمية . وهذه مسألة بديهية اعتقد انها من الشهرة بحيث لا تحتاج الى مزيد من الشرح . وانما الشيء الذى ينبغي ان يحظى باهتمامنا الآن هو ابراز اهم الفروق الموجودة بين المفكر القومي الخالص ، وبين المفكر القومي المتجاوز للمحيط القومي الى المحيط العالمي ، والكشف عن

ابرز السمات والخصائص التى وضعت كلا منهما فى موضعه المناسب .

يلاحظ باديء ذي بدء ان الفكر القومي الذى لا صلة له بالقضايا الانسانية العامة ، لا وجود له فى عصرنا هذا على الاقل ، نظرا لكون هذه القضايا ، اخذت منذ عقود من السنين تطرح نفسها بشكل اكثر الحاحا ، وتفرض وجودها على كل المشتغلين بشؤون الفكر سواء كانوا فى الشرق او فى الغرب ، أو فى اي ناحية اخرى من نواحي المعمور ، وذلك راجع الى طريق الوحدة الذى تسير فيه حضارة الانسان فى هذا العصر ، حيث اخذ الناس يتشابهون فى حضارتهم المادية وفى قضاياهم الفكرية، باعتبار ان العصر قد هيأ من وسائل الاتصال بين الحضارات والثقافات ، ما لم يتأت للانسان فى اي عصر قبل هذا . هذا علاوة على كون القضايا المحلية التى يتناولها قائد الفكر القومي ، لا تخلو من الملامح الانسانية العامة . فلو دافع هذا المفكر عن حقوق اجتماعية او اقتصادية ضائعة لمواطنيه ، لكان قد تناول مشكلا يعاني منه آخرون فى أوطان وشعوب اخرى . ولهذا فاني لا اعرف المفكر القومي بان ذلك الذى لا يتعرض للقضايا الانسانية العامة ، وافهمه على نحو آخر ، وهو ان يكون تأثيره على الاحداث وعلى العقول والنفوس والضمائر ، مقصورا على الامة التى ينتمي اليها ، دون ان يتعدى هذا النطاق الضيق ، ليؤثر على مجموعات كبيرة من البشر ، تعيش فى أوطان كثيرة ، وضمن شعوب مختلفة .

لا تقاس عالمية المفكر بشيء سوى تأثيره فى اكبر مجموعة من القراء فى مختلف انحاء العالم . فاذا استطاع التأثير فى حملهم على الاستجابة لعدد من افكاره ، والتفاعل الحي المبدع مع المذهب الفكري الذى يتحرك فى اطاره ، ودفعهم من ثم الى ان يكونوا رسله الى مواطنيهم ، وسفراءه الى اناس آخرين يبعدون عنهم ، وكذا اذا استطاع اثارة ردود فعل ، ضد آرائه لدى جمهرة من المفكرين ، فى غير ما بلد من بلدان العالم ، وباختصار ، اذا استطاع ان يشغل حيزا من الرأي العام الثقافي العالمي على نحو من الانحاء ، او على انحاء مختلفة ، فذلك هو المفكر العالمي ، اما اذا لم يستطع ذلك ، فهو المفكر القومي . اما مجرد اتصال قائد الفكر بالقضايا العالمية ، بالكتابة حولها ، والحديث عنها ، فهذا وحده غير كاف فى اعتباره مفكرا عالميا ، وقائد فكر على هذا المستوى الرفيع ، والا لكان جل رجال الفكر تقريبا عالميين ، بحكم ان كل واحد منهم لابد ان يتعرض فيما يكتب لقضايا عامة ، ولو كان ذلك اثناء تناوله لقضايا محلية خاصة ، نظرا لكون كل ثقافة قومية ، تحتوي على قدر غير قليل من ثقافات الامم الاخرى ، وتتقاسم واياها عددا كبيرا من المفاهيم والآراء العامة التى لا تصح ملكيتها لقوم معينين ، او لهيئة ثقافية معينة ، لكونها خرجت منذ زمن ، من الخصوص الى العموم ، لكثرة تناولها وتداولها ، والتصرف فيها بالتوليد والاضافة والنقصان حتى انتفت عنها صفة الخصوصية ، وصارت ملكا مشاعا للانسانية كلها . وعلى هذا فقائد الفكر القومي اذ يتناول القضايا الانسانية العامة ، انما يتناولها متأثرا بها لا مؤثرا فيها ، فيكون فى كتابته عنها صورة لتأثره بتيارات الفكر السائدة فى عصره ، وبذلك يكون (زبونا) آخر من زبناء الفكر العالمي ، يشمله فيما يشمل من اناسي واسعي الانتشار فى انحاء كثيرة من المعمور . الا انه عندما يتناول تلك القضايا غالبا ما ينفي عنها صفتها التى وجدها عليها فى مظانها ومصادرها ، ويهبها طابعا آخر من عنده ، هو طابع الفكر القومي ويحورها حتى تصير وكأنها منبعثة من صميم هذا الفكر ، ومن ثم قد يشق على غير الباحث المدقق ، ردها الى مظانها ومصادرها الاصلية ، لكونها صارت شيئا آخر . الم يأخذ المسلمون نظريات الفلسفة اليونانية ويهبوها الصبغة الاسلامية ويعتمدوها فى الجدل والمناظرة ؟ الم تسم تلك النظريات فلسفة اسلامية ؟ الم يقتبس القانون الوضعي فى بعض بلدان الغرب من قواعد الفقه الاسلامي ، بعد تجريدها من صبغتها الاسلامية واعطائها صفة الاجتهاد الحر الاصيل ؟ الم يأخذ قادة الفكر فى النهضة العربية الحديثة الكثير والكثير من القضايا الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن الغرب ، ويزاوجوا بينها وبين الفكر والمجتمع العربيين ، بحيث ولدت على أيديهم ميلادا جديدا ؟ وقائد الفكر القومي اذ يفعل ذلك ، لا يصح اتهامه بالتبعية الفكرية المطلقة ، ولا بأنه مجتر لآراء غيره لا اقل ولا اكثر ، متى كان يحافظ على اصالته مع التفتح على العالم الخارجي ، اذ ان عملية اقتباس آراء الغير والتصرف فيها بما يجعلها منسجمة مع متطلبات الفكر القومي والمجتمع المحلي، نوع من الابتكار الذى ينبغي الا يكون موضع جدال .

فهو كمن يأخذ مادة خاما من غيره، فيدخلها الى معمله ، ويصنع منها أشياء نافعة ، فلا يكون بذلك عديم الابتكار ، وانما يقيم الدليل على مهارة فائقة ، لكونه حول شيئا قديما الى مواد جديدة . وأنا لا اتصور أن قائد فكر ، يأخذ افكارا من غيره فيتركها على صورتها الجاهزة ، لان هذا من عمل صغار المثقفين واوساطهم الذين لم تنضج مواهبهم العقلية بعد . ولكن مع الاعتراف لقائد الفكر القومي بهذه المهارة ، فان الامر الذى لا سبيل الى الشك فيه ، ان الوضع الفكري الذى يوجد فيه ، يخلق فيه عقدة يمكن ان نصطلح على تسميتها بعقدة (الانتماء المزدوج) فهو ينتمي صراحة الى الاصول القومية الفكرية ، ويزعم لنفسه وللناس انه اصيل كل الاصالة فى تفكيره ، لا يستمد الا من الاصول القومية اساسا ، فى الوقت الذى لا يستطيع فيه الاعتراف بانه يصدر ايضا عن أصول اجنبية اثرت عليه ، وكان لها دخل فى صياغة كثير من افكاره ، على غير ارادة منه. وبذلك يكون فى الواقع منتميا الى اصول قومية واخرى اجنبية ، الا انه يقر الاولى ويفاخر بها ، بينما ينكر الثانية ، ولو كان فى اعماقه يعتقد انه مدين لها بالشيء الكثير ، فى تفكيره ومجالات اهتماماته الفكرية ، وحتى فى اسلوبه فى التعبير ، والمنهج الذى ينظم افكاره على مقتضاه .

وقد جرت العادة بأن عقدة الانتماء هذه ، تتوفر في العهود التى تمر فيها الامة بمرحلة انتقالية، من القديم الى الجديد ، مع رغبتها فى الاحتفاظ بأصالتها ، حتى لا تضيع فى زحمة التيارات الفكرية العالمية ، حتى اذا رسخت قدمها على ارض التجديد ، ووثقت من نفسها ، واطمأنت الى بعد تراثها عن عوامل الخطر ، اخذت هذه العقدة فى الزوال شيئا فشيئا ، ليحل محلها الصفاء الفكري ، والوضوح فى الوسائل والغايات ، والمصادر والطاقات .

والقائد القومي للفكر لا يجد الحرج فى انتمائيته المزدوجة فحسب ، وانما يجد ايضا فى صلته بالاطراف الاخرى ، التى يتبادل معها التأثير ، داخل المحيط الفكري المحلي ، ذلك ان المثقفين العاديين لا يملكون الحصانة القوية التى يملك شيئا منها قائد الفكر القومي ، ضد الغزو الفكري ، نظرا لكونهم تنقصهم صلابة الفكر ومناعته الكبيرة ، التى بوجودها عند قائد الفكر يمكنه ان يضع حدا بين التأثر بتيارات الفكر العالمي وتمثلها واستيعابها ، وبين الذوبان فيها والضياع بين سبلها ، على حين ان انعدامها عند اولئك المثقفين ، يعرضهم لان يكونوا مرتعا خصبا لها ، تفرخ فى أدمغتهم وتكون لهم فكرا او ذوقا ووجدانا . وفى هذه الحالة نجد المفكر القومي يعاني صراعا من نوع آخر ، هو صراعه ضد الغزو الفكري الذى يأتي من الداخل ، داخل النفوس والعقول ، ويجعل استعدادها للوفاء للفكر القومي يتضاءل شيئا فشيئا ، وتنهار مقاومته بكيفية تدريجية الى ان تتلاشى بصفة تكاد تكون نهائية . واثناء ذلك يعيش القائد ازمة فكرية وضميرية حادة، مضافة اليها أزمته الاخرى ، القائمة على عقدة الانتماء المزدوج ، وينعكس صدى ذلك على آثاره الفكرية ، التى تصاحب هذه المرحلة وتمثلها اصدق تمثيل .

فاذا نحن استعدنا الى ذاكرتنا أن من طبيعة المثقفين العاديين والشبان منهم بصفة خاصة ، كونهم يقوى نزوعهم الى الارتماء فى احضان الفكر الوافد ، متى كان الفكر القومي لا يرتفع الى مستوى الاول ، ولا يفتح من الآفاق امام المثقفين ما يستطيع الفكر الوافد فتحها ، ولا يحقق لهم من متع العقل والذوق والوجدان ما يحققه الآخر ، وحينئذ يحتاج قائد الفكر القومي ومن يعملون فى حقله ، الى نضال كبير ، من اجل اكتساب نفس المزايا التى عند الطرف الآخر ، مستعيرا نفس اسلحته وادواته فى العمل . وحينئذ قد يستطيع تحقيق نتائج باهرة ، واثراء الفكر القومي ببحوثه ودراساته ، بل قد يقوم بثورة مضادة للغزو الفكري ، ويتمكن من وضع حد لتدفقه الجارف على العقلية القومية ، ويحيط شباب الفكر ذا القابلية الكبيرة للتأثر بكل ما هو اجنبي ، بمناعة نسبية تبعده عن ملتقى الرياح الاربع ، وتعيد اليه نوعا من التوازن بين معتقداته الاساسية واصوله القومية ، وبين معطيات الفكر العالمي . الا ان هذا التوازن ان حدث ، لا يعيش طويلا ، اذ ان الغزو الفكري ما ان يلمس شيئا من توان فى عمل المفكرين القوميين ، حتى يستعيد نشاطه وتدفقه مرة اخرى، فاذا لقي مقاومة ونضالا ، لم يكن فى وسعه السيطرة على جميع قطاعات الفكر ، اما اذا لم يلقها فانه يمضي مكتسحا كل ما يعترضه فى الطريق من نظريات هزيلة وافكار شاحبة ، وهذه علة ظهور أجيال من المفكرين القوميين ، يتوارثون النضال ضد الغزو الفكري ، ويتم المتأخر منهم ما بداه المتقدم .

وثمة تهمة تلحق قائد الفكر القومي ، وهو يخوض معركة مقاومة الفكر الدخيل ، يحتاج الى جهود مضنية من اجل دفعها عنه ، تلك هي تهمة

التعصب وكراهية كل ما هو أجنبي ، وضيق افق التفكير . وهي تهمة تجد لها الف مبرر ومبرر ، والف دليل ودليل. الا ان كل من يتصدى لمقاومة الغزو الفكري ، يكون بحكم عمله عرضة لهذا الاتهام، الى ان يتمكن من دحض جل الحجج القائمة ضده ، ولا معدى له حينئذ عن التفتح الواعي غير المتناقض مع معطيات الفكر القومي ، وفي الوقت نفسه يكشف عن تفهم عميق لتيارات الفكر العالمي . الا ان من غريب المفارقات ان هذا التفتح على الفكر العالمي ، لا يدع الفكر القومي بمنجاة من فقدان جزء مهم من أصالته، ولا خيار له في الامر فهو اما أن ينغلق على نفسه ولا يفتح حوارا مع الاطراف المقابلة له ، وحينئذ لابد ان يكون مصيره الهزيمة ، واما ان يفتح الحوار معها ويتفتح عليها ، وفي هذه الحالة لابد من ان يجد اساسا منطقيا لمطارحتها الرأي ، وهذا لا يتأتى الا بمرونة كبيرة في مقاييس التفكير ، واعتناق عدد من المبادىء الفكرية ذات التكيف المرن مع المواقع التي ينطلق منها الغير ، كما ان على هذا الغير ان يفعل نفس الشيء والا فلا سبيل الى التفاهم اطلاقا.

وباستقراء ما كتبه قادة الفكر القوميون ، عن اسباب تمسكهم بالطابع القومي ، يمكن استخلاص فلسفة للفكر القومي ، تتضح لنا معها جوانب هامة من الموقف الذى اتخذوه من الغزو الفكري ، الذى يعمل جاهدا من اجل ضم الفكر القومي الى مناطق نفوذه . وهذه الفلسفة يمكن تلخيصها في الامور التالية :

1 ـ ان الانسان المطلق لا وجود له ، فلابد من أن يكون منتميا الى مجموعة بشرية لها خصائصها ومميزاتها التى اكتسبتها خلال عصور وعصور ، فاعطتها شخصيتها ، ولونت حضارتها وتراثها بالوان خاصة ، بالمحافظة عليها تبقى شخصية الامة بارزة صامدة ، تتفاعل مع شخصيات الامم والشعوب الاخرى وتأخذ عنها وتعطيها ولكنها لا تذوب فيها . وبناء على ذلك فالفرد عندما يفرط فيها ويتنكر لها يفقد انتماءه الاصيل ، ويتحول الى نكرة ويكتسي صفة التشرد بين الشعوب ، حيث لا يستطاع وضعه ضمن عائلة بشرية نوعية ، تكون في صلتها بالانسانية كلها ، بمثابة المحيط الاسروي لدى المواطن كنقطة انطلاق نحو التفتح على المجتمع المحلي باكمله . فكما ان الفرد لا يحصل انغماسه في المحيط الاجتماعي العام ، الا عن طريق اكتساب طابع الوحدة الاجتماعية الاولى التى هي الاسرة ، فكذلك الشأن في كونه لا ينغمس في المحيط الانساني العام ، الا عن طريق اكتساب طابع الخلية الحية الانسانية التى هي الامة . واذا كان الانسان لا يفقد مكتسبات الاسرة ومميزاتها بعد اندماجه في الهيئة الاجتماعية العامة ، لان ذلك ما تقضي به سنة الاجتماع والتطور ، فانه لا يفقد طابعه القومي ، ومكتسباته القومية ، بعد اتصاله بالمحيط الانساني العام ، لان ذلك ما تقضي به طبيعة الصلة الناشئة بين الانسان وبين الآفاق الانسانية الواسعة .

2 ـ وبناء على ذلك فالانسان المتنكر لاصوله القومية او الوطنية قد يستطيع طردها من دائرة تفكيره واهتماماته ، ولكنه غير قادر فعلا على ان يجرد نفسه من الخصائص القومية والوطنية ، التى انتقلت اليه عن طريق الوراثة والبيئة . فاذا لم يف لها صراحة بينه وبين نفسه وبينه وبين الآخرين ، فانها لابد ان تؤثر على أقواله وأفعاله واساليب سلوكه احب ام كره ، وفي غير ما وعي ارادي .

3 ـ ان الانتماء الى الاصول القومية والوطنية يكون في الغالب غريزيا لدى الجمهرة الكبرى من ابناء الامة ، يتمثل في كل ما يصدر عنهم من تصرفات ومواقف ،ولكنه لدى الطبقة المفكرة والمستنيرة يجمع الى الناحية الغريزية الناحية الفكرية ، وهذه الناحية متأثرة بالناحية الغريزية ومؤثرة فيها ، بل ان كثيرا مما كتب عن شؤون الفكر القومي وقضاياه ، من طرف المفكرين القوميين ، ليس الا الصورة العاقلة للانفعالات الغريزية ، بعد اخضاعها للعملية الذهنية التى تتولى بلورة العواطف في شكل افكار ونظريات.

4 ـ الفكر القومي هو العملة التى تحظى بالقبول والاحترام لدى الشعوب والامم الاخرى ، ذلك ان الانسان لا يود ان يمد يده الى كتاب صادر في بلاد غير بلاده ، وعن قوم غير قومه ، حضاريا وثقافيا ، فاذا به يجد بضاعته قد ردت اليه ، بعد أن اصابها غير قليل من التحريف والتغيير . انه يريد ان يجد في الكتاب وجهة نظر اخرى ، تشعره بأن للكتاب جنسية خاصة تحمل اليه نفحات غير التى تعود استنشاقها .

5 ـ ان القومية الفكرية ليس من الضروري ان تتطابق مع القومية السياسية تطابقا تاما عند الكثيرين من المفكرين القوميين ، اي ليس من الضروري ان تكون حدود الامة ، هي حدود الفكر القومي فقد تضيق الحدود السياسية وتتسع الحدود الفكرية ،

ولذلك لا نعدم ان نجد من يعتبر القومية الفكرية ،
ولذلك لا نعدم أن نجد من يعتبر القومية الفكرية
موجودة حيث توجد ثقافة الامة التى تصدر عنها .

6 – يميل جل المفكرين القوميين ، الى عدم الاكتفاء بحماية الفكر القومي فى الداخل ، اذ هم يبشرون به فى الخارج ، ويعملون على تعميمه بين اكبر مجموعة من البشر ، كمنطلق نحو تكوين فلسفات فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة . وهناك الدول الغنية التى تنفق الاموال الطائلة من اجل الوصول الى هذه الغاية ، مجندة اخطر مفكريها شأنا ، واضعة تحت ايديهم امكانيات ضخمة .

7 – ان حرص جميع الامم فى عالم اليوم على نشر ثقافتها القومية لا يكون رد الفعل الطبيعي أمامه من طرف كل امة الا مزيدا من الانتماء لحضارتها وثقافتها القومية ، بالرغم من عدم قدرتها عمليا على الافلات من طابع العصر الذى يفرض تقارب الشعوب وتشابهها فى الحضارة المادية والمعنوية . وعلى ذلك فالتنكر للوصول القومية والوطنية يصادف معارضة شديدة ، فضلا على انه يتعارض مع الاخلاق الوطنية السائدة .

هذه اهم الجوانب الفلسفية التى تتمخض عنها مواقف المفكرين القوميين ، مع اختلافهم فى الاعتماد عليها كلها ، او الاعتماد على البعض منها دون البعض الآخر . ولعل القارىء قد لاحظ انني اقوم بمجرد عملية وصفية ، دون ان أتدخل لاصدار احكام اعتقد ان اصدارها قد يسيء الى هذه العملية ، ويخرج بها عن مجالها المحدود ، وربما كانت لي دراسة اخرى تقييمية اتناول فيها جوانب ثانية من هذا الموضوع الشائك .

والآن ننتقل الى الحديث عن عالمية قائد الفكر ، والقضايا والمشاكل التى تدخل فى هذا الاطار ، فيلاحظ فى مطلع هذه النقطة من البحث ، الا تعارض بين المفكر القومي والمفكر العالمي ، فبينهما صلة تتمثل فى ان المفكر العالمي هو المفكر القومي ، مع اتساع مجال تأثيره فى الجماهير القارئة ، من حيث ان المفكر القومي لا يؤثر الا فى مجاله القومي المحدود. وبينهما صلة اخرى، وهي ان المفكر القومي هو المقدمة الطبيعية لمشروع المفكر العالمي ، باعتبار ان العالمية فى الفكر ، ترتكز على قوميته ، وان الكثير من القضايا التى يتناولها كل منهما لابد ان يكون بينها قدر من التشابه ، لكونها صادرة عن الفكر الـذى هو قاسم مشترك أعظم بين جميع ابناء البشر ، ولكونها تقوم على دوافع نفسية وعاطفية وانسانية يتشابه الناس فيها تشابها كبيرا ، يجعلهم يلتقون حول اهداف عامة لا خلاف حولها ، مثل قضايا الحرية والمساواة ، وتقرير المصير، وتكافؤ الفرص بين الافراد والجماعات وما الى ذلك مما يحظى بمحبة جميع الشعوب المحبة للسلام .

وبما ان قائد الفكر فى المجال العالمي يشمل تأثيره شعوبا اخرى ، وتكون القضايا التى تشغله كثيرا هي قضايا اكبر مجموعة بشرية ، فان هذا قد اعطاه بعدا يمتاز به ، وجعل اعباءه اشد خطورة ، كما ضخم مسؤوليته امام الانسانية كلها . وان انعكاسات آرائه على الشعوب والدول لتبدو متنوعة بحسب طبيعة هذه الآراء من جهة ، وبحسب ما يسود هذه الشعوب والدول من انظمة سياسية واجتماعية واقتصادية من جهة اخرى فقد يكون قائد الفكر محبوبا لدى بعض الشعوب ، بغيضا لدى شعوب اخرى ، او محبوبا لدى بعض الشعوب ، بغيضا لدى الحكومات التى تحكمها. كل يتخذ موقفه منه ، بحسب ما يصادف عنده من اعراض او قبول. فقائد فكر كبرتر اندراسل كانت آراؤه الجريئة الداعية الى تحرر الانسان من جميع الوان العبودية والاستغلال ، تلقى قبولا حسنا لدى جميع الشعوب المهضومة الحقوق ، على حين انها كانت تقابل بالاشمئزاز والامتعاض من طرف اعداء الحرية المتآمرين على سيادة الشعوب . وقد يصل الامر الى حد مصادرة كتب المفكر ومنعها من الوصول الى ايدي القراء ، او مصادرة المفكر نفسه على نحو او آخر . فباسترناك يصادر فى الاتحاد السوفياتي ، ولكن يرحب به فى بيئات اخرى . وشتاينبيك يعلن عن رايه فى حرب فيتنام ، فيكون لرايه احسن الاثر فى الاوساط الامريكية او قل فى قطاعات منها ، ولكنه يغضب جميع الشعوب المناضلة من اجل الحرية ويثير قطاعا كبيرا من الراي العالمي ضده . وجان بول سارتر يتخذ موقفه المعروف من الصراع الدائر بين العرب واسرائيل ، فترحب به هذه الاخيرة ، وتوالي تقديم بيان سارتر فى الاذاعة الاسرائيلية بمعدل ثماني مرات فى اليوم ، بينما يثير موجة من الغضب لدى جميع الشعوب العربية من الخليج الى المحيط . ويتفاوت قادة الفكر العالميون فى مدى تأثيرهم على الشعوب ، قوة وضعفا ، وتبعا لانقسامهم الى قسمين : اذ هناك القادة ذوو الآراء والمذاهب

الفكرية ، وهناك القادة ذوو المواقف التي تتجاوز كونها مجرد مواقف فكرية ، لتكون مواقف عملية . فراسل الآنف الذكر لا يكتفي بعرض آرائه عن طريق ما يكتبه ، وانما يتجاوز ذلك ليشترك في المظاهرات السلمية ، ويتعرض للسجن ، ويؤلف محكمة من المفكرين لمحاكمة من يرميهم بتهمة الاعتداء على حرية الشعوب . وفرانزفانون يحمل راية النضال مع الشعب الجزائري ، ايام كفاحه الرائع ، ضد قوى البغي والعدوان ، الامر الذي رفع فرانز فانون الى أعلى مقام ، عند جميع الشعوب المناضلة ، ومن ثم اشتد الاقبال على كتبه التي ترجم كثيرا مما فيها من آراء الى مواقف عملية واقعية . واندري مالرو الاديب الفرنسي الكبير المعروف في جميع الاوساط الفكرية يخرج من مكتبه ليتحول الى مناضل ، فمن كمبوديا حيث عمل في صفوف الثوار الصينيين ، الى الصين حيث تعاون مع شيانج كاي شيك ، الى اسبانيا بعد ما قامت الحرب الاهلية الاسبانية ، حيث شارك في تأسيس فرقة الطيران الدولية قصد الدفاع عن الجمهورية الاسبانية . وفي الحرب العالمية الثانية عمل في فرقة المدرعات الفرنسية ، فأسره الالمان ، ولكن استطاع الفرار من السجن، ليقع في قبضة الالمان مرة اخرى الى أن حررته المقاومة الشعبية (1)

هذا النموذج الثاني من قادة الفكر العالميين ، بمواقفه العملية يهز ضمير الشعوب أكثر من غيره ، ويقيم الدليل على ان من الآراء ما يمكن ترجمته الى عمل ، متى صدقت النية وصح العزم ، وعلى ان الفكر والعمل صنوان ، كل منهما متمم للآخر ، ولا يقل قيمة عن صاحبه ، وعلى ان المفكر الذي ينزل من عليائه ليعيش وسط الجماهير ، يخطط ويوجه ويقود ، يتمكن من ان يعيش آراءه عمليا ويعلم الآخرين كيف يعيشون آراءهم، وعلى ان الفكرة العملية هي الفكرة الاكثر بقاء ، ولا تحتاج الى دليل آخر ، اقوى من كونها تحولت الى واقع حي نابض .

وهذا النوع من قادة الفكر ، هو الذي يتطلبه عصرنا اكثر مما يتطلب القادة ذوي المواقف النظرية البحتة ، لاننا نعيش عصرا من اهم خصائصه كونه يتسم بالروح العلمية المتشبعة بالنزعة الواقعية . واعتقد ان ظهور عدد من قادة الفكر العمليين في عصرنا هذا ، من أمثال اولئك الذين ذكرناهم منذ قليل ، ليس من قبيل المصادفات ، وانما هو ناشىء عن الشعور بمتطلبات العصر ، وعن التأثر بحاجات الجماهير الاساسية . ويمكن للقارىء ان يراجع القسم الاول من هذا البحث ، كي يضع المفكر العملي في موضعه من التاريخ المتسلسل لظهور قادة الراي وزعمائه .

ويتصل بهذا كون قائد الفكر يؤثر على الناس بعاملين اثنين : آرائه وشخصيته ، شخصيته العملية الحية المتحركة في حيز الواقع ، عندما تتصرف في المواقف الصعبة ، وتتصدى للعقبات تريد اجتيازها ، وتمديدها الى شيء محسوس فتغيره ، وتضع مكانه شيئا آخر اجمل واقوم وانفع ، وتجعل من المواقع الصعبة ، وتتصدى للعقبات تريد اجتيازها ، وتمد يدها الى شيء محسوس فتغيره ، وتضع مكانه شيئا آخر اجمل واقوم وانفع ، وتجعل من الواقع المحسوس امتدادا للفكرة المتصورة هذه لشخصية العملية هي اشد ما يربط الناس الى قائد الفكر سواء أكان قوميا ام عالميا ، باضافة شخصيته المعنوية التي تؤلف مع الشخصية العملية كله لا سبيل الى تجزئته . الجانب العملي للشخصية هو أحد الاسباب التي تهيىء لقائد الفكر ان يحرك ضمائر ومشاعر شعوب تبعد عن بلاده بآلاف الاميال او مئاتها ، طالما كان صاحب هذا الجانب يتحرك لاسعاد الانسان ، وجلب المنفعة له ودفع الضرر عنه، وتمكينه من حقوقه المسلوبة . ومصدر القوة في الشخصية العملية لقائد الفكر ، تكمن في القدرة على تحويل الافكار الى عمل وترجمتها الى واقع ، وهذا مطلب صعب . وكم من مفكرين كبار ، وعباقرة أفذاذ ، أثروا الفكر الانساني بآرائهم وافكارهم ، ولم يكونوا قادرين على تحويل الفكر الى عمل ، لان ذلك يتوقف على مواهب اخرى كانت تعوزهم ، فما كل قادة الفكر مثل تولستوي الذي تجرد عن املاكه لفقراء الفلاحين ، تطبيقا لآرائه في الدفاع عن حقوق الانسان ، ولا كغاندي الذي كان فكرة تتحرك وسط ملايين البشر ، تخوض معترك العمل السياسي والوطني .

وعالمية قائد الفكر، لا تكون على حساب قوميته، فالمفكر حتى عندما يوجه اهتمامه الى مشاكل كل شعوب اخرى اجنبية عن بلاده ، يخدم مشاكل امته عن طريق غير مباشر . فمشاكل الشعوب تتشابه ، وقضاياها واحتياجاتها تتماثل ، وعلى ذلك فاذا

---

(1) (الثورة والادب) لويس عوض .

نجحت فكرة في حل مشاكل شعب ، كان ذلك مفيدا لشعوب اخرى تعاني من نفس المشاكل ، او مما يشبهها . وقد يقوم مانع محلي يمنع قائد الفكر من اصلاح اوضاع بلاده الا عن هذا الطريق غير المباشر ، عن طريق التعرض لاوضاع بلاد اخرى تشبه اوضاع بلاده من قريب او بعيد . بل قد يكون المفكر مضطرا الى التماس ذلك حتى خارج مجتمع الانسان، ولامر ما لجأ بيدبا الفيلسوف الهندي الى مجتمع الحيوان ، ليتخذ منه مسرحا لقصصه ، وبديرها على افراد الحيوان والطير .

وقد يجيء اقتناع مواطني قائد الفكر ببعض آرائه متأخرا عن اقتناع شعوب اخرى بها ، او اقتناع قطاع منها على الاقل ، نظرا لكون المواطنة تخلق التنافس بين قادة الفكر ، فيخطيء بعضهم بعضا ، وتدخل في ذلك عوامل غريزية احيانا ، تجعل من الصعب الوصول الى الحقيقة ، وسط المغالطات الفكرية العديدة التي قد يستحيل معها التوصل الى راي قاطع . فروسو — مثلا — كانت آراؤه مرفوضة بتاتا في وطنه جنيف بسويسرا ، ولكنها كانت تصادف بعض التأثير لدى بعض الاوساط الفكرية في فرنسا ، حيث كان يزاول نشاطه الفكري والفني ، يتمثل ذلك في كون بعض العائلات الرفيعة كانت تحيطه برعايتها ، وتوفر له اسباب السعادة ، تقديرا لمواهبه الفذة العالية ، بالرغم من ان هذه الرعاية كانت تعرضها احيانا للنقد اللاذع ، نظرا للمواقف الحادة والشاذة ، بل والمتناقضة احيانا ، تلك التي كان يتخذها هذا المفكر . وقد تكون آراء قائد الفكر من القوة والنضج ، بحيث لا تفهم على حقيقتها في المحيط القومي ، متى كان هذا المحيط ، ليس من الخصوبة بالمكانة التي تعده للتجارب مع آراء المفكر ، بينما تهاجر هذه الآراء الى اوساط فكرية اخرى ، تهيأ لها ما لم يتهيأ للاولى ، فتصادف تفهما كبيرا ، وتؤثر على عدد من الكتاب ورجال القلم، ثم يكتشف قومه بعد ان يصلوا الى مستوى عال من النضج الفكري ، انهم كانوا مخطئين في تقديره ، ووزن آرائه بالميزان الصحيح .

ويعتبر قائد الفكر على المستوى العالمي احدى الدعائم القوية للاواصر الانسانية ، وضمانا لبقائها واستمرارها . فاذا تلوثت السياسة بالمكائد والاحقاد ، وتسممت العلاقة بين الشعوب ، بسموم التنافس على خيرات بعض الشعوب المتأخرة ، وبتضارب المصالح الاقتصادية المتعددة ، بقي الفكر محتفظا بنزاهته وسموه عن مثل هذه المقاصد العارضة ، بالرغم من وقوع بعض قادة الفكر في بؤرة المزايدات السياسية ، وفي حمأة الصراع الرخيص من اجل سرقة خيرات الشعوب ، وهؤلاء ما يلبثون ان يفتضحوا ، ويكون عقابهم هو تجريدهم من اوسمة الشرف التي زينت صدورهم بها مختلف الشعوب المتعشقة للحرية . فقد ارتكبت المانيا النازية اكبر جرائم القرن العشرين وحشية ، ضد الشعوب الآمنة ، ولكن قادة الفكر العالميين فيها ، بقوا في مواضعهم من ضمائر هذه الشعوب ، ولم يتزحزحوا عنها قيد انملة ، وتحضرني هنا قضية ذلك الانجليزي الذي قتل الالمان النازيون كل افراد عائلته ، يدخل عليه صديق له فيجده منكبا على قراءة كتاب من وضع مفكر الماني ، فيسأله منكرا : اتقرا للالمان وقد فعلوا بعائلتك ما فعلوا ؟ فيجيبه الانجليزي ببساطة وموضوعية : اني اكره الالمان ولكني احب فكرهم وادبهم . ولقد كانت آراء غاندي الزعيم والقائد تجد صدى عميقا لدى اوساط الفكر في انجلترا ، ودولة الانجليز تعتبره عدوا لدودا لها ، كما كانت آراء سارتر الجريئة تقابل بترحيب من طرف الشعب الجزائري المناضل واوساطه القارئة بصفة خاصة ، في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الفرنسية تكيل الضربات لهذا الشعب . وكان فرانسوا مورياك يتفهم قضية شعوب شمال افريقيا العادلة ، ويتعاطف معها بشكل ملحوظ ، على حين كانت حكومة بلاده تناصب هذه الشعوب اكبر العداء. وهكذا نجد قادة الفكر العالمي النزهاء من دعائم الاواصر الانسانية بين الشعوب ، بحيث لا ينحدرون الى التلوث بأدران السياسة . وما كان لقادة الفكر هؤلاء ، ان يبقوا بمعزل عن الاحقاد السياسية الا لايمانهم بقدسية رسالة الفكر ، وارتفاعها فوق جميع الاغراض والمصالح الموقتة ، وبأنهم رسل الانسانية وحماتها الروحيون ، يمثلون سلطة الفكر والروح ، التي لا تختص بوطن دون آخر ، وانما تشمل جميع الشعوب ، وخصوصا منها الباحثة عن الحق والعدل، في مجتمع دولي تسوده نزعات الشر والعدوان ، ويعيش على روح مكيافيلية ، ضاربا عرض الحائط بكل المقاييس الخلقية والقيم الانسانية .

تنقطع العلاقات الدبلوماسية بين حكومة واخرى، ولكن قادة الفكر من الجانبين لا تنقطع العلاقة بينهم ، وكذلك قل بالنسبة لسائر المثقفين من

الجانبين ايضا . وتتأزم العلاقة بين العرب واليهود، عندما تكشف الصهيونية العالمية عن اطماعها فى فلسطين ، ويصل الامر الى حد اراقة الدماء بين الطرفين ، دون ان يمنع ذلك العالم اليهودي الكبير، حاييم ناحوم من ان يكون احد اركان المجمع اللغوي المصري ، يشارك فيه بعلمه الغزير واطلاعه على اللغات : العربية والعبرية والفرنسية والانجليزية والحبشية والفارسية وغيرها ، الامر الذى هيأه للتدخل المركز والقوي ، عندما يقع التعرض من جانب المجمعيين لاية مقارنة لغوية . وعندما مات ، ابنه الاستاذ العقاد رحمه الله بكلمة اعتبرها من اروع ما قرات فى فن رثاء الرجال. وحاييم ناحوم كان هو الحاخام الاكبر للجالية اليهودية فى مصر ، فى العهد الملكي والجمهوري وقد كان قبل ذلك ممثلا للطائفة اليهودية فى الاستانة ، على عهد الدولة العثمانية . وابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الحالي كان قد ترجم كتاب (يوميات نائب فى الارياف) لتوفيق الحكيم الى اللغة العبرية ، نذكر له ذلك وان كنا نشك فى صدق نواياه ، اذ كلنا يعلم ان فى اسرائيل مجموعة من علماء النفس والاجتماع ، تتولى دراسة المجتمع العربي والنفسية العربية فى الوضع الحالي ، قصد الاستعانة بآرائها فى محاربة العرب ، واضعاف روحهم المعنوية ، ووضع الاصابع على مواطن الضعف فيهم ، والعوامل الداخلية التى تحركهم . والعرب بدورهم لم يمنعهم صراعهم مع عدوهم الصهيوني من الاتصال بالفكر اليهودي وكبار المفكرين اليهود ، من امثال فرويد ، وداروين ، وماركس ، ومكسيم رودنسون وغيرهم . وجدير بالذكر ان هذه العلاقة بين الطرفين ، ليس من الضروري ان تقوم دائما على المودة ، والاعجاب ، والتقدير الخالص ، اذ هي كثيرا ما تقوم على اساس من النقد اللاذع والمعارضة الشديدة ، دون ان يسيء ذلك الى دور الفكر فى ربط الصلة بين الشعوب ، كفكرة برهنت وقائع التاريخ على صحتها ، مهما كانت المشاكل التى تفرق بينها ، ذلك ان الشعوب لا تلتقي حول الامور التى تتفق فيها فقط ، بل هي تلتقي حتى حول الامور التى تختلف فيها ، وكثيرا ما يكون الاختلاف ، هو السبيل الى الائتلاف والمصالحة .

القيادة الفكرية بين المعسكرين : الغربي والشرقي

كان فى نيتي تناول هذا الجانب من البحث ، ضمن الحديث عن عالمية قائد الفكر ، الا ان المشاكل العديدة التى يثيرها هذا الجانب ، اقتضت تخصيصه بوقفة خاصة ، حتى تتجلى هذه المشاكل بقدر كاف من الوضوح . فغير خاف ان هناك فى عالم اليوم معسكرين : احدهما شرقي ، وعلى راسه الاتحاد السوفياتي ، والآخر غربي ، وعلى راسه الولايات المتحدة الامريكية . وغير خاف كذلك مدى الخلاف العقائدي القائم بين المعسكرين ، فى مختلف مجالات الحياة المادية والمعنوية ، وليس من غرضي هنا التعرض لهذه المجالات كلها ، وانما يعنيني منها المجال الفكري ، وحتى اذا اشرت الى مجالات اخرى ، فذلك لا يكون الا بالقدر الذى يلقي بعض الاضواء على الجانب الفكري الذى هو هدفي فى هذا الجزء من البحث .

وبعد ، فما هي وضعية قادة الفكر فى كل من المعسكرين ، من حيث تاثير قادة كل معسكر على واقع الفكر فى المعسكر الآخر .

للاجابة عن هذا السؤال ، ينبغي ان نعرف بعض المبادىء العامة ، **فاولا** نعيد الى الذاكرة ان الاختلاف بين الطرفين ، ليس بالدرجة التى يتصورها الكثيرون من المثقفين ، اذ مما لا شك فيه ، ان عقلية كل منهما تقوم على اساس الايمان بالعلم وحده ، القائم على المنهج التجريبي ، كاسلوب فى التفكير وفى العمل ، وانطلاقا من هذا الاساس ، تتشابه به نظراتهما الى كثير من شؤون الحياة ، فلا خلاف فى الايمان بالعقل ايمانا مطلقا ، ولا فى نفض اليد من الغيبيات ، ولا فى ابعاد الدين عن التأثير فى الحياة العامة او نبذه ، ولا فى النظرة العادية الى الانسان، والى كل شيء ، حتى الى العواطف والمشاعر ، ولا فى الثقة المطلقة بالعلم والمنهج التجريبي ، الى غير ذلك من نقاط الالتقاء بين الطرفين. **وثانيا** ان مراكز القيادة الفكرية فى كل منهما تلتقي فيه كثير من المؤتمرات العلمية وغير العلمية ، متبادلة الراي ، حول عدد كبير من القضايا العامة او القضايا العلمية ذات الصبغة الجوهرية ، وان كان الاعتقاد السائد ان كلا من الطرفين يتحفظ امام الآخر ، فلا يبوح بكل افكاره، لان الوضوح الكامل فى النوايا والاهداف الحقيقية ، لا يترك لدى كل منهما اي احتياطي يمكن ادخاره للمستقبل خصوصا ما يتعلق بالتخطيطات التى ينظر فيها الى المدى البعيد والقريب ، هذه التى قد يكون لكبار المفكرين والعلماء الـمـام بها او بالبعض منها ، تبعا للمركز العلمي او السياسي الذى يشغله فى

الامة التى ينتمي اليها . ولكن اذا نحن طرحنا جانبا هذه الناحية ، فان الجميع يلتقي حول عدد كبير من القضايا ذات الصبغة العامة . **وثالثا** ان الظروف التى تمر بها العلاقات الدولية قد تعرف احيانا بعض الانفراج ، فتنشط فيها وسائل الاتصال الفكري والفني بالنسبة لما كانت عليه ايام الحرب الباردة ، مما يتاتى معه لرجال الفكر والفن والعلم ان يزيدوا من اتصالاتهم ، عن طريق تبادل الوفود العلمية والادبية والفنية ، والاشتراك فى مظاهرات ثقافية كبرى ، الامر الذى يؤكد ان باب الحوار بين المعسكرين مفتوح ، سياسيا وفكريا وعلميا وادبيا ، بحيث لم تعرف بينهما القطيعة التامة الا فى اضيق الفترات . ورابعا ان كل واحد منهما يريد دراسة الآخر عن كثب ، والتعرف على هويته ونواياه الحقيقية ، والقيم الفكرية والنفسية والاجتماعية والايديولوجية التى توجه سلوكه الرسمي ومواقفه الدولية . وهذه النتيجة لا يمكن الحصول عليها بالقطيعة ، وانما بالاتصال على مختلف المستويات . وبالرغم من ان الدافع الى ذلك سياسي غالبا ، الا انه يخدم الناحية الفكرية ، ويفيدها افادة محققة، لانه يؤدي الى تلاقي الافكار وتجاوبها وتبادل التأثير بينها ، وهذه حصيلة لا ينبغي الاستهانة بها ، خصوصا اذا وضعنا فى اعتبارنا ان هذا التأثير الفكري ، قد يكون له اثره على سياسة كل من المعسكرين تجاه الآخر فى المستقبل ، وقد يكون من نتائجه التقارب فى وجهات النظر المختلفة ، حول بعض القضايا العامة . الا ان هذا التأثير المتبادل ، قد لا يسلم من رميه بتهمة خدمة الاغراض السياسية ، وان كان الدافع اليه ربما يتصف بشيء من النزاهة فى القصد احيانا قليلة ، حتى صار رجال الصحافة يبحثون وراء كل لقاء فكري او علمي او فني بين المعسكرين ، عن الدوافع السياسية الكامنة فيه ، وكمثال على ذلك نذكر ان الصحف طلعت علينا مؤخرا بخبر مفاده ان الصين قد استضافت فرقة امريكية لكرة التنس ، تمهيدا لارسال فرقة صينية مماثلة الى الولايات المتحدة ، على ان يكون ذلك توطئة لتبادل الزيارات على مستويات اخرى ، فلم يفت بعض الصحف ان تلون هذا الحدث باللون السياسي ، فتقول بالحروف الكبيرة : (ان الصين تغزو امريكا من الداخل) ولكن كان الاحتراف الصحافي هو العامل الاساسي فى تلقف الاخبار التى من هذا النوع والنفخ فيه طولا وعرضا قصد اثارة انتباه القارىء ، فان بعض الاوساط تقوم بدور التشويش ، متى رات شيئا من التقارب بين بلدين ، وربما كان لها فيه ضرر ، وهكذا نجد شؤون الفكر والفن تحشر حشرا فى المعترك السياسي عن قصد وعن غير قصد ، وتصبح من الاسلحة المتخدمة لاغراض سياسية هذه المبادىء العامة يجب الا تغيب عن بالنا لحظة واحدة ، ونحن نتابع تحليل مشاكل الفكر وقيادته ، بين المعسكرين : الغربي والشرقي .

الملاحظ ان وضع القيود على الحريات ومنها حرية الفكر ، يوجد فى الشرق كما يوجد فى الغرب، قصد حماية النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فى كل من الجهتين . الا ان هذه القيود فى الشرق اثقل منها فى الغرب ، ولذلك كان رجال الفكر وقادته فى المعسكر الغربي ، يملكون من حرية الحركة، ما لا يملكه نظراؤهم فى المعسكر الآخر . فبينما المفكرون فى الغرب يزاولون نشاطهم الفكري ، متحركين من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولو تحت ضغوط كثيرة ، رسمية وغير رسمية ، ويؤلفون الاحزاب السياسية فى كثير من بلدان اوربا الغربية ، وقد يعترف بها رسميا ــ مهما كان لونها واتجاهها ــ فتشارك فى الحياة السياسية ، عاملة فى وضح النهار ، اذا بالمفكرين فى المعسكر الشرقي يجدون قيودا اضخم واثقل تلجمهم ، وارادة عليا تملي عليهم الفكرة والراي ، فاذا هم خرجوا من الظل ، وظهروا بآرائهم الحقيقية ، النزاعة الى التحرر ، تعرضوا لاقسى العقوبات، ولو كانت آراؤهم لا تتناقض مع المبادىء الشيوعية العامة ، وانما تطالب بحق الانسان الشيوعي فى التحرك داخلها . وكثيرة هي الكتب التى تروي قصة الاعتقالات والمحاكمات والاختطافات ، التى تعرض لها ادباء ومفكرون شيوعيون ، من جراء افكارهم الجريئة المتحررة التى نادوا بها . ولعل السبب فى تسامح الانظمة الديمقراطية نسبيا فى حرية الفكر ، وتشدد الانظمة الشيوعية فى هذه الحرية ، راجع الى المبادىء التى تقوم هذه الانظمة عليها ، وهي مبادىء تضمن للفرد كل حرياته ، وراجع ايضا الى كون النظام الديمقراطي نظاما راسخا تطاول عليه العهد ، حتى تكونت له قيم ثابتة فى نفسية الانسان الغربي، بينما النظام الشيوعي لم يظهر الا سنة 1917 بقيام الثورة الروسية، وهو يحتاج الى سنين طويلة تهبه صفة الرسوخ والثبوت ، وفى انتظار ذلك نجده يهتز فى اكثر من بلد شيوعي ، نتيجة لبعض تطبيقاته التى

لم تحقق للذين شملتهم السعادة التى وعدوا بها . وهذا الوضع خلق فى نفوس الواقفين خلف هذا النظام عقدة الخوف عليه من أعدائه المتربصين به ، مما حملهم على استعمال العنف فى معاملة كل من يشك فى اخلاصه وولائه للنظام ، من مواطني الدولة الشيوعية . فلا غرابة اذن اذا اقترن النظام الشيوعي ابان ظهوره وبعد ظهوره ، بالقسوة والتصفيات الجماعية ، الامر الذى اساء الى السمعة التى حاول قادته اضفاءها عليه .

اضف الى ذلك ان النظام الفكري فى كل بلد ، يتأثر بالانظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة فيه . وعليه فان حرية التنظيم السياسي وحرية الاجتماع ، وحرية الاقتصاد ، لابد من اقترانها بحرية فى الفكر ، تسير متوازية مع تلك الحريات الاخرى وتنسجم معها ، وان كانت التطبيقات فى بلدان الغرب ، كثيرا ما تتعارض مع المباديء القانونية ، فتتعرض الحرية ايا كان لونها لنوع من الاضطهاد . كما ان منع التحرك السياسي الا فى الاطار الذى تحدده الدولة بما يتفق واهدافها، والحظر على رغبة الناس فى الاجتماع غير المشروط، واحتكار الدولة لكل نشاط اقتصادي ، لابد من اقترانه بالتضييق على حرية الفكر . اذ ما هي حرية الفكر فى الحقيقة ؟ هي حرية الناس فى ان ينظموا حياتهم والوان نشاطهم على النحو الذى يريدون ، وطبقا لمقاصدهم الحيوية ، وداخل القوانين الانسانية العادلة ، وليس معناها شيئا آخر غير هذا . فانت عندما يقال لك : اذا مات احد اقاربك فلا تذهب الى الجنازة ، لانه ليست هناك جنازة ، وانما اذهب الى عملك ، بعد اخطار الدوائر المسؤولة عن دفن الموتى بواسطة اقرب جهاز تلفون اليك ، او يقال لك : اذا سألك انسان أجنبي زائر عن النبات القائم فى ذلك المكان ما هو ؟ فقل له لا ادري، أو احله على جارك، ليحيله هو الى اقرب الناس اليه ، الى ان يدخله اليأس ، او يقال لك ان ابناءك هم ملك للدولة ، وهي وحدها المسؤولة عن تربيتهم على النحو الذى شاءت ، لا على النحو الذى شئت انت ، او يقال لك ويقال ويقال ، مما هو من هذا القبيل ، لا يمكن ان نتصور أن لك حرية فكر ، على اية صورة من الصور .

وبناء على ما تقدم ، فان الفرص غير متكافئة بين المفكرين فى الغرب ، ونظرائهم فى الشرق او فى الاقطار والبلدان ذات النظام الشيوعي ، من حيث ان وسائل التعبير عن الراي الحر ، متاحة عند اولئك اكثر منها عند هؤلاء ، ان لم نقل انها تكاد تكون منعدمة عندهم ، مما كان له اثره البعيد فى موقف كل من الطرفين تجاه المشاكل الدولية والاحداث العالمية والقضايا المحلية . فبينما يتحرك اولئك من موقف متوفر على قدر غير قليل من الحرية ، فى النظر الى الاحداث وتقييمها والحكم عليها ، اذا بهؤلاء يتحركون من موقف هو فى الغالب موقف الدولة الرسمي ، وطالما كان الامر كذلك ، فانهم قبل التحدث في أي قضية داخلية او خارجية ، ينتظرون راي الدولة اولا ، اللهم الا اذا كان لها راي معروف فى قضية مماثلة ، يمكنهم اتخاذه مصدرا لهم . اتباع الشيوعية الذين يتمتعون بقدر نسبي من حرية الفكر ، هم اولئك الذين ينتسبون الى بلدان غير شيوعية ، وفى الغرب بصفة خاصة . فهؤلاء هم الذين يملكون حق نقد بعض التطبيقات ، او النظريات الدخيلة على المباديء الشيوعية الاساسية وحق نقد المباديء الشيوعية نفسها ، متى رأوا فى البعض منها ما يحتاج الى تعديل ، بل نقد نظام البلد غير الشيوعي الذى هو وطن لهم ، وذلك لانهم يعيشون فى بلاد ان لم تكن تحترم حرية الفكر عمليا فى كثير من الحالات ، فانها تضمن هذه الحرية بواسطة قانونها الذى يقف من ورائه الراي العام ، يحميه ويدافع عنه . والا فبأي شيء نفسر ظاهرة ان اقوى حزب سياسي فى فرنسا هو الحزب الشيوعي الفرنسي ، بالرغم من فرنسا دولة تقف فى نظامها من الشيوعية على طرفي نقيض ؟ ولئن كان هذا الحزب لا يحصل فى الانتخابات على اغلبية مقاعد البرلمان الفرنسي ، فلان الاحزاب الفرنسية الاخرى كلها تتكتل ضده .

والامر الذى نريد الوصول اليه من وراء كل هذا الكلام، هو ان القيادة الفكرية فى العالم الشيوعي، لم تعطها لحد الآن ، فرصة ابراز كل قيمها ومزاياها وما تملكه من طاقات، ولذلك يصعب الحكم عليها ، بينما القيادة الفكرية فى الغرب قد تحقق لها ذلك ، ولو وسط ظروف لا تخلو من صعوبة ، فأعطت الفكر العالمي كثيرا ، وجاءت مواقفها فى كثير من الاحيان، ممثلة لها هي نفسها ، وللقيم التى تعتنقها . جاء فى كتاب « ازمة الحريات » للدكتور محمد عصفور (ففي حين تقدر حرية الراي فى الديمقراطية الغربية على اساس انها تتيح الفرصة للتعبير عن الاختلافات فى وجهات النظر ، ينظر الاتحاد السوفياتي اليها على

انها وسيلة للتعبير عن وحدة ، ـ وبصفة خاصة وحدة الجماهير ـ فى وجهات النظر . ومن الواضح ان القيم فى الديمقراطية الغربية المرتبطة بالراي هي قيم فردية ، وان التاكيد ينصب على التنوع، فى حين ان هذه القيم فى النظام السوفيتي جماعية، وان التاكيد ينصب على التضامن ، ولذلك ينظر النظام السوفيتي الى الراي العام ، على انه قوة ذات وظيفة معينة ، وهذه الوظيفة هي ان تربط بين وعي المواطنين جميعا فى مجموعة ذات نظرة مشتركة وغرض مشترك) .

مما تقدم نستطيع ان نقرر ان القيادة الفكرية فى العالم الشيوعي هي قيادة الفكر الشيوعي الذى هو فكر الدولة ، قيادة لا تتنوع الا قليلا ، وبالقدر الذى يسمح به النظام وطبيعة تطبيقه بين بلد وآخر. اما فى الغرب فالقيادة خصبة ، متنوعة الاتجاهات والمذاهب . قائد الفكر فى المناخ الاول ليست له آراء شخصية يستطيع التعبير عنها ، فى المسائل المتعلقة بالايديولوجية التى يقوم عليها المذهب الشيوعي ، او ما يتصل بها من قريب او من بعيد . وقائد الفكر فى المناخ الآخر واضح الشخصية متميز الملامح ، وله آراؤه الخاصة فى جميع مجالات الحياة، وهي آراء لا تتوارى خلف الظلام ، وانما تتجلى فى وضح النهار ، وهو وحده يتحمل مسؤولية هذه الآراء ، واليه تعود تبعة ما فيها من خطا او صواب . اعمال قائد الفكر الشيوعي يفسح لها المجال لتصل الى كل بلد من بلدان الغرب ، رغم انها غالبا ما تطعن فى نظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، واعمال قادة الفكر فى الغرب ، وخصوصا منها ما كان يستوحي افكارا غير شيوعية ، تخضع لرقابة شديدة فى العالم الشيوعي عندما تصل الى مناطق الحدود ، وقد مرت عهود كانت تمنع فيها منعا كليا من التسرب الى الداخل ، وفى جميع الحالات يعتبر تداولها وقراءتها والحديث عنها والكتابة حولها اذا لم يكن بقصد التشهير بها والكشف عن عيوبها ، خيانة للنظام . اما ان يتحدث فى الغرب عن آثار المفكرين الشيوعيين ، بأسلوب او بآخر ، فامر قد يثير ضد صاحبه قطاعا من المجتمع ، او يعرضه لمضايقات ، ولكن لا يعرضه لمثل ما يمكن ان يتعرض له مفكر شيوعي يتحدث لمواطنيه عن آراء مفكرين غربيين غير شيوعيين ، شارحا او مبشرا او داعية. قادة الفكر تحت النظام الشيوعي موظفون مع الدولة، يبشرون بمبادئها ، وينشرون فلسفتها ، ويترجمون آراءها الى لغة الادب ولغة الفكر المبسط ، وقادة الفكر فى الغرب يعيشون على حسابهم الخاص ، ويتعاملون مع الدولة ومع المجتمع كطرف آخر فى قضية .

قد ينخدع بعضنا بالتقدم العلمي الكبير، الذى حققته بعض الدول ذات النظام الشيوعي ، معتقدا ان هذا التقدم دليل على حرية الفكر ، ولكن بقليل من التامل ، يتضح له ان النظام الشيوعي لا يضع على البحث العلمي قيودا كالتي يضعها على النشاط الفكري الخالص ، ذلك ان العلم يتصل بالموضوعية ، ولا يعني الا بالناحية الوصفية الصرفة ، وان كان احيانا لا يخلو من اخضاعه لتوجيه خاص ، لا يتنافى وما له من حيدة لا تنكر ، كأساس من الاسس التى يرتكز عليها . اما النشاط الفكري الخالص ، فهو بطبيعته يصلح مجالا واسعا للتوجيه السياسي والاجتماعي والعقائدي ، ويحمل كثيرا من الخصائص الذاتية لقادة الفكر ، ويتسع لضروب من الرمز والتاويل والمضامين المتنوعة ، ومن ثم يصلح اداة للدعاية والدس والتآمر والغزو الفكري . واذا فلا غرابة اذا كان النظام الشيوعي يفرض عليه قيودا خاصة تحد من حرية حركته .

ولا نترك هذه النقطة من الحديث ، دون ان نشير بأصبع الاتهام الى القيادة الفكرية فى الغرب . فهي لم تخل من التسخير لخدمة سياسة المستعمرين القدامى والجدد ، ومن العمل على نسف قيم الشعوب، وتعريضها لعملية غزو من الداخل والخارج، تقوض بنيانها الاخلاقي والعقائدي . ولا حاجة الى ذكر المفكرين الكبار بأسمائهم ، الذين عملوا زمنا فى وزارات خارجية بلدانهم ، وامدوا رجال العسكرية ورجال السياسة بمعلومات دقيقة عن نفسيات الشعوب التى يريدون السيطرة عليها او استمرار هذه السيطرة اذا كانت موجودة ، فهم من الشهرة بحيث نستغني عن ذكر اسمائهم . كما لم تخل هذه القيادة من التاثر بالروح الصليبية وبالروح الاستعمارية وبغرور الانسان الابيض واحساسه بالتفوق على الانسان الاسمر والاسود والاصفر. فهذه القيادة قد افادت الشعوب ، ولكنها كثيرا ما استغلت مكانتها العتيدة التى تتمتع بها لدى كثير من الشعوب، كي تشككها فى قيمها واصالتها ، وتجعلها تتخلى عن شخصيتها ، تمهيدا لابتلاعها والهيمنة عليها بوسائل علمية مدروسة . وهذه القيادة لها شان خاص مع الشعوب التى سبق لها ان كانت مستعمرات لبلدان

غربية ، حيث رفعت يدها عنها لتأخذها من جديد تحت طائلتها ، في اشكال جديدة ، معتمدة على قادة الفكر الذين لهم في البلاد التي يكاد لها انصار ومعجبون كثيرون ، يقومون منهم مقام المريدين من الزعيم الروحي ، ويتبنون آراءهم ويبثونها بين مواطنيهم .

القيادة الفكرية ومسؤوليتها التاريخية

المسؤولية هنا التزام ناشيء عن تولي شأن من شؤون الناس العامة . التزام بالوفاء لكل القيم والمباديء التي عليها التقى كل من طرفي هذه المسؤولية : المسؤول عنه ، ومن انيطت به المسؤولية . وهي على ذلك تتضمن جانبا له مجموعة من الحقوق الطبيعية او المكتسبة ، وجانبا يتولى السهر على هذه الحقوق ورعايتها ، بتفويض من قانون ، او رأي عام ، او عرف اجتماعي ، او بمقتضى تبعات فكرية . وبين هذين الجانبين جانب ثالث يقف بينهما ، وهو الطرف الموصل الذي جعل احد الجانبين في حماية الجانب الآخر ، وتحت مسؤوليته .

فما هو نوع المسؤولية الملقاة على عاتق قائد الفكر ؟ قائد الفكر ظاهرة معقدة ، متصلة بكثير من وشائج القرابة المعنوية التي تصله بجمهرة المثقفين بصفة خاصة ، وبكافة افراد الامة بصفة عامة . ولا اظنني في حاجة الى ايضاح هذه الوشائج ، لان فقرات من هذا الحديث وسابقه قد تكفلت بذلك على قدر الامكان . انما الشيء الذي اضيفه هنا ، هو ايضاح مسؤولية قائد الفكر ، التابعة من طبيعة الصلة الكائنة بينه وبين من يتصل به من الناس مباشرة او بطريق غير مباشر . فاذا نحن استعدنا الى اذهاننا ما سلف ايضاحه عن طبيعة هذه الصلة ، امكننا الاقتناع بأن مسؤوليته ليست قائمة على اساس واجب ادبي خالص ، ينطوي على عدد من القيم الجميلة القوية الراسخة ، التي تقوم مقام القانون ، في ضمير قائد الفكر ونفسه وفكره . ومن ثم فهي مسؤولية تتعاون على تدعيمها قوى الفكر والروح والوجدان والضمير الانساني. وعلى ذلك فالاخلاص لها يبوىء صاحبه مقعد الخلود ، وحسن الاحدوثة، وطيب الاثر ، وخيانتها لا تعرضه للوقوف امام قاض سوى ضمير العصر ، وضمير العصور المقبلة، ولا تدخله محكمة سوى محكمة التاريخ الذي لا تضعف ذاكرته ابدا . ولئن كانت الاحكام القانونية تنال المجرمين وكل الخارجين على القانون ، فتنزل بهم العقوبات التي يستحقونها ، فتثلج بذلك صدور الذين وقع الاعتداء عليهم ، وبعد تنفيذ العقاب وغبطة المعتدى عليهم بوقوعه ، يعود المعتدي الى حظيرة المجتمع ، ليتحرك فيه من جديد ، وقد زال كل حقد عليه ، لكونه نال جزاءه كاملا ، فان الخيانة الفكرية من طرف قائد الفكر تصمه بوصمة العار الى الابد ، وتجعل اللعنة تطارده الى آخر الدهر ، في حياته وبعد مماته . ويزيد هذه المسؤولية جسامة ، كونها لا تتصل بفرد او افراد ، او بمجموعة او مجموعات ، وانما تتصل بأجيال من الناس ، تؤثر في قيمها ومثلها ونظراتها الى الاشياء ، وتقييمها للاحداث . وكونها تقوم على أساس الثقة التي تضعها جماهير الثقافة في قيادتها التي تنتظر منها النور والهداية وحسن التوجيه ، وتعتمد عليها في الليالي الحالكات، لتزودها الراي الصائب ، والفكرة النيرة ، وتفتح امامها السبل نحو انبل الاهداف واشرف المقاصد، فاذا خان قائد الفكر هذه الامانة الموضوعة في عنقه، فهي الجريمة العظمى التي لا تغتفر .

بعد هذه العموميات ندخل في التفصيل

مسؤولية الفكر في عمقها يمكن ردها الى هذه الاصول :

ان كل هيئة او منظمة او مؤسسة ، او اية مجموعة من الناس ، كيفما كان نوع الارتباط الذي يربط بين افرادها ، لابد أن يظهر بين صفوفها الانحراف عن خط السير العادي او المرسوم ، بدون قصد احيانا ، وعن قصد وسبق اصرار احيانا اخرى ، تبعا لنزعات النفوس ووساوس الاهواء ، او جهلا بحقائق الاشياء ، وقلة خبرة بدروب الحياة وعقباتها . اما في الحياة الاجتماعية ، فقد تكفل القانون والمحكمة وسائر القوى الحارسة للنظام الاجتماعي بحماية الجماعة من خطر الخارجين على قانونها والضرب على ايديهم والحيلولة بينهم وبين افساد حياة الناس . واما في الحياة العقلية فليس هناك شرطة ولا محكمة ولا قوانين تحدد للناس كيف يفكرون وفي اي شيء يفكرون ، وتاخذ بوسائلها الخاصة من يحيدون عن هذا الطريق المرسوم ، على غرار ما يحدث بالنسبة الى الحياة الاجتماعية . حتى اذا قدم مفكر الى محكمة المجتمع ، فانما يكون ذلك

متى ابدى من الآراء ما يخالف النظام الاجتماعي والقومات الوطنية ، وفيما عدا ذلك ، فالعنان مطلق لرجال الفكر ليبثوا في عقول الناس ونفوسهم اية مادة فكرية ، كيفما كان مصدرها والباعث عليها ، تشذ عن هذا بعض المجتمعات التي تتعرض فيها حرية الفكر لاشد القيود واثقلها . هنا تتجه الانظار الى القيادة الفكرية ، لتتولى مراقبة شؤون الفكر وتتبع تطوراته ، والعناصر الاصيلة والدخيلة التي تعمل عملها فيه ، وما يسنده وينميه ويتقدم به نحو النهوض ، وما يفت في عضده ويعوق مسيرته ويجره الى مواطن الزلل ، فتشجع ما يستحق التشجيع ، وتقاوم ما هو اهل للمقاومة . الا ان قائد الفكر لا يمكنه ان يفعل ذلك ، الا اذا كان من ورائه راي عام فكري يعطي لافكاره واحكامه صفة المشروعية . ذلك ان القيم الادبية والفكرية التي يحيطها بحمايته ، ليست في الحقيقة الا تلك القيم التي ارتضاها الراي لعام الفكري او قطاع هام منه ، والذي يكون قائد الفكر هو قمة امكانياته ، ونقطة الارتكاز ومصدر الاشعاع فيه . كما ان القانون لا بد ان يكون من ورائه جمهور يتجاوب معه ويسنده ، ويجعل منه ضمانا اكيدا لصيانة حقوق من وضع القانون لمصلحتهم . واذا كان هذا الراي العام الفكري راجعا في اكثر العناصر التي يتركب منها الى جهود المفكر ونضاله من اجل خلق جو فكري تتجاوب جنباته بأصداء الكلمة ، فان في ذلك ما يؤكد ان هذا الراي العام هو القوة الجماهيرية التي تقف وراء كل المواقف الرائعة التي يقفها القائد في وجه دعوات الهدم والتخريب ، والوان التزييف والتضليل والتشويه .

ولا تقف القيادة الفكرية دائما بمعزل عن قيادات اخرى داخل الهيئة الاجتماعية ، وهي تمارس القيام بمهامها ، وتنهض بمسؤوليتها تجاه حياة الفكر . فهي كثيرا ما تتعاون وتتعامل مع القيادة الاجتماعية والقيادة السياسية والقيادة الفنية ، من اجل تحقيق كل ما يوفر اسباب الصحة وعناصر القوة . وهذا أمر طبيعي ، ذلك لان حياة الفكر ، هي الحياة التي تلتقي فيها جميع التيارات المتصلة بحياة الانسان من قريب او بعيد ، وان جميع الوان النشاط الانساني لتدخل في صميم اهتمامات الفكر . فاقتصاد الامة واجتماعها وسياستها ومعتقداتها ، وكل نواحي نشاطها ، مما يتصل بحياة الفكر ، ويدخل ضمن اهتمام رجل الفكر ، ما دامت نشاطا انسانيا ، والنشاط الانساني كله محل اهتمام المفكرين . وليس من الضروري ان يكون تعامل القيادة الفكرية مع القيادات الاخرى قائما دائما على الاتفاق والاتحاد الكاملين ، فكثيرا ما يحدث بينها وبين تلك القيادات اختلاف في وجهات النظر ، الا ان ذلك ليس من شانه ان يقطع الصلة بين الطرفين ، ولا ان ينفي احتياج كل منهما الى مؤازرة الآخر، خصوصا اذا نحن تذكرنا ان بناء حياة الشعوب ، على اساس من المعرفة والقيم الجميلة ، والاخاء الانساني ، يتطلب فيما يتطلبه تعاون جميع طاقات الامة ، وائتلاف جميع جهات الاختصاص فيها من اجل الوصول الى هذه الغاية .

ويكاد يكون من الامور المسلمة اليوم ، ان السلطة الفكرية لا بد ان تراعي في التنظيم الاجتماعي كقوة عاملة مؤثرة في حياة الناس وعقولهم ، شانها في ذلك شان السلطات الاخرى ، وان كانت لا تتمتع بما تتمتع به بعض السلطات الاخرى ، من وسائل تنفيذ آرائها، معتمدة على نفوذها الفكري وحده ، في خوض معترك الحياة، الى جانب الهيئات والسلطات الاخرى . الا ان ذلك لم يجعل من القيادة الفكرية وظيفة اجتماعية لاغية ، او غير واردة في تصور وحساب من يتصدون لوضع المخططات ووسائل التنظيم الاجتماعي والسياسي ، وكيف لا وهذه القيادة ذات اثر بعيد المدى في تكييف الراي العام ، وصياغة جانب هام من الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي للشعب، هذا الفكر السياسي والاجتماعي الفعال في تغيرات العالم المعاصر واحداثه البارزة ؟ ان هذا الفكر هو الذي وضع في الفاظ : الحرية ، والتحرر ، وتقرير المصير ، والعدالة الاجتماعية ، وتكافؤ الفرص ، والقانون ، والنظام ، والوحدة ، والميز العنصري ، وحرب الطبقات ، والاستعمار الجديد ، وما الى ذلك من مئات الكلمات التي يزخر بها القاموس السياسي المعاصر ، مدلولاتها ومضامينها التي تقترن بها كلما جرى بها قلم ، او نطق بها لسان، مع ما ينشأ عن التصورات التي تحدثها في الاذهان من ردود افعال مختلفة ، يكون لها الصدى البعيد المدى في حياة الشعوب.

وهذا المركز الخطير الذي يحتله قائد الفكر ، لا بوصفه قائدا وهاديا فقط ، بل بوصفه صانع حضارة وباني قيم ايضا ، هوا لذي جعل مسؤوليته التاريخية جسيمة وثقيلة الاعباء .

وعلى اساس ان قائد الفكر مسؤول عن الزيف والانحراف والتشويه وشتى مظاهر الضعف التى قد تتطرق الى الفكر ، بمعنى ان عليه ان يهب لفضحها ومقاومتها لاحلال قيم وعادات صالحة محلها ، فان هذه المسؤولية لا بد ان تكون نوعا من تبادل التأثير بين قائد الفكر وجماهير المثقفين ، اي ان المسؤولية ذات طرفين لا طرف واحد . واخلال اي طرف بها يؤثر على الطرف الآخر ، ويدفعه الى اتخاذ موقف . فاذا كان قائد الفكر مسؤولا فان جزءا من هذه المسؤولية يقع على عاتق كل المشتغلين بشؤون الفكر، اذ من البديهيات انك لا تواخذ الا مسؤولا ، فلا يمكن ان يتصدى قائد الفكر للعابثين بشؤون الفكر ، دون ان يكون هؤلاء (مكلفين) ادبيا وفكريا ، اي فى السن الفكرية التى يكونون فيها اهلا لتحمل المسؤوليات وهنا نلاحظ ان مسؤولية قائد الفكر تبدا فى التحرك لاصلاح الاخطاء وتقويم الانحرافات ، فى الوقت الذى تبدا فيه الاطراف الاخرى فى التخلي عن مسؤوليتها. هذا اذا اعتبرنا اخطاءها وانحرافاتها ناجمة عن عمل ارادي او لا مبالاة او تغافل ، مما يسمح للطفيليات بالتسرب الى صميم حياة الفكر . وبناء على ذلك فمسؤولية قائد الفكر تكون موجبة متى كانت الاطراف الاخرى سالبة . وبين هذا السلب وذاك الايجاب تتكون طبيعة الصراع الطويل الكائن بين قائد الفكر ، وعوامل الضعف الكثيرة المتمثلة فى شكل اشخاص او انظمة او افكار او ما الى ذلك .

ووجود قدر مشترك من المسؤولية بين قائد الفكر وجماهير المثقفين ، على تفاوت الطرفين فيها بحسب المركز الذى يحتله كل منهما من حياة الفكر ، يقتضي أن يكون هناك قدر مشترك بين القائد المقود، من المفاهيم والمبادىء الاولية ، والفلسفة العامة للاصول الثقافية ، والا كانت المسؤولية هنا غير ذات موضوع . اذ هناك المسؤولية ، وهناك موضوع هذه المسؤولية ، وقيام طرفين لها على هذا الموضوع يعني اقتسام عدد من المفاهيم والاصول . ومن ثم كان قادة الفكر فى كل شعب ، يتفقون مع جماهير من المثقفين فى طائفة من المبادىء والاصول ، مهما اتسعت هوة الخلاف بين الاطراف القائمة على قطاع خاص من الحياة الفكرية .

وهذا الاشتراك على تفاوت فى ذلك طبعا ، هو احد المميزات الاساسية لكل وسط فكري ، له تقاليد أدبية راسخة ترفع المثقف العادي الى مستوى الوعي بواجبه فى المحيط الفكري العام ، وتنزل بالمفكر الى الاهتمام بمشاكل أوساط المثقفين . وهي مسؤولية متطورة تطور الوسط الفكري نفسه . ذلك ان مواقف المثقفين فى تغير مستمر، متى كانت الحياة الفكرية تتصف بالنشاط والفاعلية . ويمكن تقسيمهم الى قسمين : هناك المثقفون الاساسيون فى حياة الفكر ، ونعني بهم اولئك الذين يدرسون قواعد الحياة الفكرية ، ويعمقون تقاليدها ويصوغون فلسفتها ، وهناك المثقفون الهامشيون الذين يتحركون فى اقل نواحي الحياة الفكرية شانا . الا ان الصلة بين الطرفين لا تنقطع ابدا ، وكثيرا ما يكون المثقف فى هذا الطرف فينتقل الى الطرف الآخر . فالمثقف الكبير الذى يساهم فى تأسيس الثقافة قد يدركه العياء اثناء الطريق فيتخفف من اعبائه الثقيلة ليتسكع على الهامش ، وحينئذ يتحول الى الفئة الاخرى . اما المثقف العادي الذى يبذل جهودا مضنية منقطعا للدرس والبحث ، فقد يتحول الى طبقة المؤسسين للثقافة ، وكلما انتقل المثقف من جانب الى جانب آخر ، الا وتضخمت مسؤوليته او تضاءلت تبعا للمركز الذى كان فيه ، والمركز الذى تحول اليه .

وتغير مراكز المثقفين التى يتحدثون منها قد يكون زائفا فى كثير من الاحيان ، وذلك متى كان هذا التغير تابعا لتغير آخر ليس من شأنه ان تنجم عنه نتائج فكرية ، وهو التغير الحاصل فى اطار اجتماعي او اداري أو ما أشبهه . واصفه بالزيف ، لانه ليس ناشئا عن تطور داخلي فى صميم البنية الفكرية للمثقف ، وانما هو بعيد عن ذلك كل البعد . فالتغير الفكري الصحيح هو ما كان منطلقا من صميم الفكر نفسه ، بقطع النظر عن اي شيء آخر . وبناء على ذلك فقد يكون المثقف مجردا عن جميع الحيثيات ذات الخطر فى السلم الاجتماعي او ما اليه ، دون ان يمنعه ذلك من أن يكون ضمن مؤسسي الثقافة ، فى الوقت الذى قد يكون فيه مثقف آخر ذا حيثيات كبيرة اداريا أو اجتماعيا دون أن يعني ذلك كونه ذا مركز فكري هام ، اذ المركز الفكري لا يرفع على اعمدة غير فكرية .

وتبعا لما تقدم ، يكون من الواجب عدم الخلط بين المسؤوليات متى كان المثقف ذات مسؤوليات متعددة . وفى جميع الحالات يجب ان تبقى مسؤولية الفكر بعيدة عن التبعية لغيرها من المسؤوليات الاخرى ، والا لم تعد مسؤولية نزيهة ذات اثر فى تطوير الحياة الثقافية والسمو بها . فلو فرضنا

ـ مثلا ـ ان مثقفا اسند اليه منصب رئاسة هيئة ثقافية ما ، واخذ يتدخل فى مسائل الفكر ، مستخدما الحقوق الادارية التى يخوله اياها منصبه ، دون الاحتكام الى الفكر نفسه ، لكان فى عمله هذا قد خلط بين مسؤولياته المتنوعة ، اذ كان من الواجب عليه بوصفه احد رجال الفكر ، ان يتجرد عن كل صفة غير فكرية متى تصدى للحديث عن القضايا الفكرية، وبعبارة اخرى ان المائدة المستديرة اليق بشؤون الثقافة والفكر من المائدة المستطيلة ، بكل ما تعنيه الاولى من مساواة امام قدس أقداس الفكر وأمام الحقيقة ، وبكل ما تعنيه الثانية من ترتيب منازل الناس الفكرية على اساس منازلهم الادارية .

امام من تكون مسؤولية قائد الفكر ؟ هو مسؤول امام مواطنيه أولا . ومواطنوه منهم من يعيش حياة الفكر فيتمكن من تتبع خطوات القائد ، ومنهم من لا يعيشها فتبقى القيادة الفكرية خارج نطاق اهتماماته ، ومع هذا فان آثار هذه القيادة على طبقات الشعب وجمهور المثقفين لا تفلته من طائلتها ، ولذلك فهو ـ اي قائد الفكر ـ مسؤول عن غير المشتغلين بشؤون الفكر وامامهم ، باعتبار انهم يتعرضون للتأثير بنظرياته ولو بطريق غير مباشر ، خلافا لما قد يظن البعض من انه لا يكون مسؤولا الا امام من يحيون حياة الفكر . فكما ان القائد السياسي فى الانظمة الديمقراطية يكون مسؤولا امام الشعب بجميع مستوياته ، حتى امام الرعاع الذين لا يفهمون حتى أبجدية السياسة باعتبارها لونا من الوان النشاط العقلي القائم على عدد من القواعد والاصول، فكذلك قائد الفكر سواء بسواء . ولئن كان الرعاع لا يملكون المؤهلات التى تؤهلهم لخوض النقاش مع القيادة الفكرية بوصفها مسؤولة امامهم ، فهناك الطبقة الواعية من الامة ، والتي تنوب عن الجماهير وتمثلها فى هذا الصدد . وهناك ابناء هؤلاء الرعاع الذين يقراون ويتعلمون ويدخلون فى الحياة الفكرية من بابها الواسع ، وحينئذ يتولون محاكمة قائد الفكر ، اذا كان قد قصر فى اداء واجباته الاجتماعية، ويصدرون عليه حكما غيابيا اذا كان قد فارق الحياة. وهو مسؤول امام الانسانية كلها ، خصوصا اذا كان من اولئك القادة العالميين الذين سلف الحديث عنهم. و (الانسانية) كلمة عامة تدل على شيء قائم فى اذهان الناس ، اكثر مما تدل على شيء آخر كائن فى الخارج . الا ان هذا المعنى القائم فى الاذهان الماثل للخواطر ، والذي اليه ينصرف لفظ (الانسانية) عندما يلفظ او يكتب ، ارتفع عند الناس الى درجة الاشياء الثابتة الراسخة اليقينية القطعية ، التى هي احدى القوى المالئة لهذا الكون . لذلك نجدهم يتحدثون عنها وكأنها شيء واقعي محسوس . وطالما كانت الانسانية بهذه المثابة ، فلا غرو اذا كان قائد الفكر مسؤولا امامها ، بحكم كونها تشع على جميع شعوب الارض ، وتشمل البشر جميعا ما بين أبيض واصفر واحمر واسود ، كلهم ينتظمون فى هذا المعنى الكبير ويدخلون تحت كليته .

وغير خاف ان شعوب الارض ليست هي (الانسانية) ومع هذا فان تلك الشعوب هي التى تقصد بالانسانية عند الاغلبية المطلقة من الناس ، حتى اوشكت ان تكون مرادفة لها او هي كذلك بالفعل. ونحن لا نملك الا ان نجاري هذا المعنى الدارج للفظ الانسانية ما دام لا يتناقض مع معناه الحقيقي ، بل هو يقترب منه على وجه من الوجوه ، فنقول ان قائد الفكر مسؤول امام جميع شعوب الارض ، متى كان بعيد الاثر فى حياة طائفة هامة منها . ولماذا يكون مسؤولا امام الجميع ، بينما لا يتعدى أثره تلك الشعوب التى تملك من الاستعداد الفكري ما يمكنها من فهمه والتجاوب معه ؟ ذلك لان هذا التأثير كثيرا ما ينتقل الى شعوب اخرى ليست لها بقائد الفكر اية صلة مباشرة . فلو فرضنا ان شعبا تأثر بآرائه ، فاننا لا نجد ما يضمن لنا عدم انتقال هذه الآراء الى شعب او شعوب اخرى لها صلة بالشعب الواقع تحت تأثيره مباشرة . وهذا الاثر ليس من اللازم ان يكون حسنا ، فهو قد يكون سيئا ، وقد يحمل من اسباب الشر اكثر مما يحمل من اسباب الخير . الم يكن قادة الفكر فى المانيا من امثال نيتشه هم الذين مهدوا لظهور النزعة النازية العنصرية ؟ الم تثر هذه النزعة نزعات مماثلة لدى شعوب اخرى ؟ الم تكن كتابات قادة الفكر الصهيوني ممهدا لظهور الصهيونية كنزعة استبدادية حاقدة طامعة ؟ الم تنبه هذه النزعة نزعات مماثلة لدى شعوب اخرى ؟ الم تنبه هذه النزعة العصبية العربية وتساهم فى الدفع بظهور القومية العربية خلال الحرب العالمية الاولى ؟

والانسانية لا تحاكم وتحاسب قادة الفكر العالميين فى جيل او جيلين او ثلاثة اجيال او اربعة فقط ، وانما فى اجيال كثيرة متعاقبة ، كما انها لا

تعرف فضلهم الا فى هذا المدى القريب والبعيد ، ذلك لان الوعي الانساني يتفاوت بتفاوت العصور والطاقات العقلية والوجدانية للامم. وهذا الوعي يسير فى اجيال البشر بطريقة تدريجية ، فشعوب تلحق بشعوب ، وامم تسير على خطى امم ، فى مدارج التطور الفكري والحضاري ، وكلما استيقظ شعب وصح ادراكه لماضيه وحاضره ، وماضي وحاضر الشعرب الاخرى ، ووجد نفسه فى معترك النضال الفكري ، جاء دوره فى احصاء عيوب التاريخ وحسناته ، وهنا يقدم قادة الفكر الماضون الى المحاكمة مرة اخرى ليدانوا او توضع على رؤوسهم اكاليل البطولة ، تبعا لما قدموه من خير او شر .

وهو مسؤول امام ضميره . وليس من السهل تحليل المراد بالضمير ، والحديث قد طال اكثر مما قدر له ، فلنكتف بهذا القدر .

فاس ـ عبد العلي الوزاني





العلاقات بين آسيا واوربا من خلال تاريخهما الطويل الحافل بالاحداث والتقلبات من المواضيع التي ما فتئت تشغل بال المفكرين والباحثين الاوربيين من كل صنف ونزعة ، لانها تعود بنا الى اصول الحضارة والثقافة في عالمنا الارضي وتجعلنا في آن واحد نستخلص فلسفة عامة للتاريخ . وما اكثر الكتب التي تناولت هذا الموضوع في عصرنا هذا الذي هو في نفس الوقت عصر شك كلي وعصر تقييم شامل !

وسأقتصر من هذه الكثرة على بعض العناوين ، مبتدئا اليوم بكتاب « اوروبا وآسيا » للكاتب الفرنسي المعروف « ايمانويل بيرل » (Emmanuel Berl) الذي طبع مؤخرا في سلسلة « كتب الجيب » . وفي احاديث مقبلة سأتناول كتابين آخرين في نفس الموضوع هما « حصيلة التاريخ » Bilan de l'Histoire لـ «روني جروسي» René Grousset و « الشرق الثاني » للمستشرق الكبير « جاك بيرك » المعروف بنظرياته الطريفة عن العالم العربي المعاصر . وكل هذا يبين ، ان كان الامر يحتاج الى بيان ،ان الشرق لم يعد موضوعا للتندر والاستخفاف باوروبا ، كما كان الشأن ايام الاستعمار ، بل انه اخذ يسترجع مكانته المعنوية في انتظار أن يستكمل نهضته الاقتصادية .

ولا ادل على هذا الاحترام الذي عاد يتمتع به الشرق من تلك اللهجة التي يتحدث بها « ايمانويل بيرل » في كتابه القيم . فهو يتخلى عن تلك المسلمات التقليدية عند الاوروبيين التي كانت تجعل من أروبا أساس كل حضارة وتقدم وينطلق من نظرة مجردة عن التعصب والهوى . فيعترف ، بكل تواضع ، ان اروبا لم تكن موجودة في العصر القديم وانها في تلك العهود لا يمكن اعتبارها الا كذنب لاروبا وكجزء منها. وعلى كل، فلا يمكن النظر اليها كاحدى المعطيات الجغرافية القائمة بذاتها ، بل انها نتاج للتاريخ ، ليس الا .

فاذا اعترض بوجود تاريخ اليونان والرومان في العهد القديم ، فالجواب بسيط من هذه الناحية . فاليونان حين خرجوا الى التاريخ لم يكن لهم أي ارتباط بما نسميه اليوم اروبا بل كان ارتباطهم أوكد وأدوم بآسيا الصغرى وافريقيا الشمالية . أما الرومان فيمكن ان نقول عنهم نفس الشيء . ويكفي أن ننظر الى امبراطوريتهم الواسعة لنتأكد من ان اهتمامهم كان ينصب بكيفية اقوى على ممتلكاتهم بافريقيا وآسيا . وقد اضطرت روما الى مجابهة حنبعل وجوغرطا بافريقيا قبل ان تشهر السيف على « فرسا نجيتوريكس » ببلاد « غاليا » .

واذن ، فمتى كان تاريخ ظهور اروبا بصورة فعلية ؟ يضع المؤلف هذا الحدث ، حدث ميلاد اروبا بين القرن التاسع والسادس عشر اي في النصف الاخير من العصر الوسيط . وقد قامت على انقاض العالم الروماني الذي تكون بأروبا الغربية ايام ازدهار

تاريخ روما . وقبل ذلك عاش العالم تقلبات جديرة بالاعتبار .

واول هذه التقلبات يتعلق بروما ذاتها . فالمؤلف يعتبر ان روما كانت فلتة من فلتات التاريخ ، وانها لم تخرج الى مسرح الوجود وتعرف المصير الذى عرفت ، الا لكون آسيا عاشت حقبة من التدهور والانحلال فى الجزء الاخير من الالف السابقة لميلاد المسيح ، على اثر الحروب الظافرة التى شنها الاسكندر على عدد من الاقطار الاسيوية ، وبخاصة على فارس وسوريا ومصر . وما ان استيقظت آسيا من جديد فى القرن الاول السابق للميلاد حتى بدات تقضي على روما شيئا فشيئا وكانت سببا فى سقوطها النهائي .

وقد استطاعت آسيا ان تحقق القضاء على روما من عدة جهات حضارية وسياسية . ولكن العامل الديني كان اقوى فعالية فى هذا المضمار . فقد كانت ديانة روما الاصلية تقوم على الشرك وتعدد الالهة ، فى حين ان الاديان الاسيوية كانت ذات نزعة توحيدية . فسواء كان الامر يتعلق باليهودية او الزرادشتية او المسيحية، فالاتجاه الى التوحيد واضح . وقد استطاعت هذه العقائد التوحيدية ان تغزو المعتقدات الرومانية القديمة فى عقر دارها وان تحدث بلبلة قوية فى المجتمع الروماني . ومن المعلوم ان الطبقة المستضعفة فى ذلك المجتمع مالت الى المسيحية الناشئة . الشيء الذى دفع الحكام الرومانيين الى استعمال اداة الاضطهاد الاجتماعي ووسائل العنف على اختلافها . وهكذا تحولت روما من دولة قائمة على قوانين ومباديء دستورية يحترمها الجميع الى دولة طاغية تعمل فئات من المواطنين بقساوة بالغة . فكان فى هذا بالنسبة اليها تحول من القوة الى الضعف. ولم ينفع الاضطهاد فى مقاومة انتشار المسيحية ولا فى ايقاف التيار الزرادشتي الذي ساعد فى القرن الثالث للميلاد على قيام الدولة الساسانية بفارس التى حققت استقلال الفارسيين من جديد فى ظل حكم تحدوه الجراة والطموح .

واستطاع البربر بعد هذه الازمات التى عاشتها الامبراطورية والتي هزت كيانها وزعزعت وحدتها ان ينزلوا الضربة الاخيرة على روما رغم اعجابهم بحضارتها . وتعاقبت امواج البرابرة على روما بقيادة « آلاريك » و « آتيلا » و « جانسيريك » الذى خرب روما وجمع اسلابها . وكان لهذا المصير المأساوي الذى عاشته روما فى النهاية عميق الاثر فى نفوس الاوربيين .

وتسلمت بيزنطة قيادة العالم الروماني بعد سقوط روما وغدت تعد نفسها وريثتها الطبيعية . الا ان موقعها الجغرافي جعل مصيرها يرتبط بصورة اقوى مع تاريخ آسيا . كما انها لم تستطع ان تعيد للعالم الروماني وحدته ، بل ان الانقسام تجسم بصورة فعلية بعد وجودها ولم يقتصر على الجانب السياسي بل تناول الحياة الروحية ، الشيء الذى كان له اسوا العواقب على تاريخ اروبا المسيحية فيما بعد .

اما الموضوع الثاني الذى تناوله المؤلف ويستلفت النظر بصورة خاصة ، فيتعلق باللوحة التى يرسمها لنا عن العالم قبيل الاسلام . ويتبين منها ان العالم كان يعيش بالفعل ازمة عميقة تمس بسائر الجوانب فى حياة البشر . فيبين الحالة السيئة التى عاشتها بيزنطة منذ عهد « يوستيانوس » فى القرن السادس والتى تبين الفساد الذي دب فى نظام الدولة ومؤسساتها الدينية واوضاعها الاجتماعية . وكذلك الشأن فيما يتعلق بالامبراطورية الصينية التى عرفت عهدا من الفوضي امتد اربعة قرون من القرن الثالث الى القرن السابع . كما ان فارس ، من جهتها عاشت ازمات اجتماعية طبقية ودينية بسبب قيام المانوية والمزدكية ضد الدين الرسمي الذى كانت ترعاه الدولة وهو الزرادشتية . اما العلاقات الدولية فقد كانت فى تدهور مستمر . فالقوة والتطاحن بالسلاح هو الفاصل الوحيد فى الخلافات والنزاعات. وهكذا كانت حروب متجددة بين بيزنطة وفارس، وبين بيزنطة والبلغار ،وبين الفرس والاتراك الذين كانوا يضغطون باستمرار علىحدود البلاد الفارسية من جهة ما وراء النهرين ، كما كانت هنالك حروب بين الصين وجيرانهم . ناهيك بالطغيان والغطرسة التى كانت تستعملها بيزنطة فى حكم الشعوب الخاضعة لها فى سوريا ومصر وافريقيا الشمالية . ويمكن القول ان قانون الاستعباد كان هو المبدأ السائد فى عالم ذلك الوقت .

ويختم المؤلف هذا الفصل قائلا : « منذ مائتي سنة لم يفتأ البشر يدورون فى حلقة مفرغة لا تتغير. فلم يعد من الممكن اعادة النظام الروماني الى الوجود ولا تعويضه بنظام آخر . وبيزنطة التى كان منوطا بها ان تسير العالم لم تعد تعرف ماذا تريد لنفسها. وهكذا بدا يظهر أن كل شيء ضاع . لكن ، كل شيء سينفذ فى الواقع وسيعاد بناؤه على اسس جديدة. فقد ازداد آنذاك محمد بمكة » .

بهذه الكلمة الجامعة يعلن المؤلف عن حدث ظهور الاسلام . وهي تبين لنا ان المؤلف سيقف موقف الموضوعية والانصاف من ذلك الحدث . فهو يستعرض اهم الوقائع التى تميز بها ظهور الاسلام وعهود الازدهار الاولى فى تاريخه وحضارته بشيء من التقدير والعطف دون ان يتردى فى هوة التملق والمداهنة . وهذا احسن دليل على اخذ الامور بالقسط .

فهو يؤكد بالبرهان ان الاسلام كان معجزة تاريخية لانه اعاد البلاد المفتوحة الى مصيرها الحقيقي ، وقد كان غزو اليونان ثم الرومان لها مناقضا لطبيعتها واصالتها لانه اقام فواصل مصطنعة بين اقطار مترابطة فيما بينها . فقد اقام الاستعمار اليوناني والروماني حواجز فيما بين مصر وسوريا ، من جهة ، وما بين فارس والهند ، من جهة اخرى. فلما جاء الاسلام أعاد خيوط الاتصال الى مجراها المعقول . وبهذه النظرية ينقض ايمانويل بيرل نظرية المؤرخ الشهير « بيرين » التى يعتب فيها على قيام الدولة الاسلامية كونها مزقت وحدة العالم المتوسطي التى كانت تحققت على يد الرومان . ويعلل المؤلف الانتصارات التى احرزها الاسلام بسرعة فى عمليات الفتح بكونه ظهر لعدد من الشعوب كثورة تحريرية ويقول بصدد الكلام عن فتح فارس :

« لقد كان النظام الساساني ممقوتا . فالارستوقراطية الثيوقراطية التى كانت مستقرة بالمدائن لم تكن اقل تعسفا ازاء الشعوب الايرانية من الموظفين المرتشين والعلماء المجادلين فى بيزنطة ازاء الشعوب السريانية . وقد ظهر المسلمون سواء بالنسبة لهؤلاء او اولئك لا كغزاة ولكن كمحررين ، وانتشر الاسلام كثورة لا كفتح » .

ويعزو المؤلف المعجزة التاريخية التى يمثلها ظهور الاسلام وانتصاراته السريعة والباهرة الى بساطة العقيدة ومنطقيتها ووضوحها ، الى جانب ما ذكرناه من كون الشعوب المفتوحة رحبت كثورة شاملة جاءت لانقاذها من براثن الاستعباد والاستغلال . ويضرب المثل بمصر التى تغلغلت فيها المسيحية والحضارة اليونانية الى اقصى حد حتى انها فاقت بيزنطة من هذه الناحية ، فيلاحظ قائلا : « لقد كانت بضعة شهور كافية للاسلام كي يمحو بالمرة هذه الثقافة العتيقة التى كانت تظهر جذورها عميقة» . فالاسلام، فى نظر المؤلف ، كان ايضا بالنسبة لمصر « ثورة ثقافية » بالغة الاثر . وعلى اي ، فقد تحققت على يده السيطرة الاسيوية على القارات الثلاث اوربا وافريقيا وآسيا طوال حقبة مديدة من العصر الوسيط .

نعم لقد قاومت اوربا هذه السيطرة بشيء من النجاح فى حدود بيزنطة وفى التراب الفرنسي ، لكنها فى الواقع اجتازت من ازمات خطيرة عصفت بها فى آخر عهد « الميرو فنجيين » ، اذ حدث افلاس تام للصناعة والتجارة ببلاد فرنجة ، وتجزؤ النفوذ والسلطة على عدد من رجال الكنيسة والاقطاعيين . وحاول « شارلمان » ان ينقذ الموقف واتخذ لهذا الغرض نظام الخلافة الاسلامية مثالا يحتذى به فى تنظيم حكمه . الا أن الامبراطورية الكارولانجية سرعان ما انحلت سياسيا اثر وفاة شارلمان ، ويتبين من كل هذا كما يقول المؤلف « ان الاسلام كان قد احتكر الطاقة الثقافية الموجودة فى العالم » .

وفى آخر هذا العهد بالضبط يقع ميلاد اوربا من الوجهة التاريخية . وقد اقترن هذا الميلاد مع عاملين جوهريين : ظهور الاقطاعية ونمو المدن . كما اتخذ من الوجهة الروحية والمذهبية شكل عودة الى الامبراطورية الرومانية التى ظل ذكراها يخامر العقول. وتجسمت تلك العودة بصورة فعلية فى تكوين الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة التى اقتسم فيها البابا مع الامبراطور السلطات الروحية والزمنية . وعرف هذا التنظيم بعض التقدم والرسوخ على يد رجال مثل الامبراطور اوطون والبابا غريغوريوس السابع . وبدات بعض الاقطار تتجه الى تكوين شخصيتها القومية مثل انجلترا وفرنسا ونشأت امارات مهمة فى عدة جهات من اوربا مثل

المملكة النورمندية بصقلية وامارات فلاندرة وآرتوا كما ازدهرت عدة مدن مثل فلورنسا ، وجاند ، وبروكسيل وآنفير وفنيسيا الخ ...

بهذه الاسس الروحية والمادية تكونت اوربا ككيان سياسي وتاريخي ، وارادت ان تعلن عن وجودها بالمبادرة الى الحروب الصليبية التي كانت حروبا دينية واستعمارية في آن واحد . وقد انتهت بالهزيمة التامة بالنسبة للمسيحيين ، لكن هؤلاء استفادوا كثيرا ، من الوجهة الثقافية والحضارية ، من الاحتكاك مع المسلمين . وهكذا لم تستطع اوربا رغم الجهود المبذولة ، ان تفرض نفسها في تلك الآونة على آسيا . بل ان هاته الاخيرة هي التي استمرت مدة اخرى في تمكين سيطرتها العالمية ، مع انتصار المسلمين في الحروب الصليبية، ومع غزو المغول بقيادة جنكيز خان وتيمورلنك الذي استولى على اجزاء مهمة من اوربا ، ومع قيام الدولة العثمانية التي اقتربت فتوحها من فيينا التي كانت آنذاك بمثابة قلب اوربا وحاضرتها اللامعة .

تلك نظرة سريعة على هذا التأليف المفيد والمشرب بروح الانصاف والموضوعية .

سلا : محمد زنيبر

الم اخبرك .. انهم بقر ..!

حدثنا عثمان الوراق قال :

رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام فقلت له : ويحك أما تستحيي ؟ فقال لي : ارايت لو كنا في دار فيها بقر اكنت تستحيي وتحتشم ان تأكل وهي تراك ؟ فقلت لا . قال : فاصبر حتى أعلمك انهم بقر ، فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم : روى لنا غير واحد انه من بلغ لسانه ارنبة انفه لم يدخل النار ..

فما بقي واحد الا واخرج لسانه يومىء به نحو ارنبة انفه ويقدره هل يبلغها ام لا .

فلما تفرقوا قال له العتابي : الم اخبرك انهم بقر ؟



رددت وكالات الانباء اصداء الندوة التلفزيونية التى استضيف لها السيد عبد الهادي التازي سفير المملكة المغربية ببغداد مساء السبت 28 غشت 1971 حول الارقام العربية فى اعقاب مناقشات اكاديمية بين رجال الفكر فى بغداد ، وقد علقت الصحف على الموضوع داعية الى توحيد الارقام على اساس اختيار الارقام المستعملة فى بلاد المغرب ويطيب لنا ان ننشر ملخصا للندوة التى كان يديرها الاستاذ سالم الآلوسي مدير الثقافة العام بوزارة الاعلام ...

هذه الندوة سيداتي وسادتي نعقدها الآن لاستكمال بحثنا الذى بدأناه قبل اسبوعين ، ويسرنا بهذه المناسبة ، بالنظر لاهمية الموضوع أن نستضيف عالما فاضلا هو المؤرخ الاديب الاستاذ عبد الهادي التازي سفير المملكة المغربية ببغداد، وهو من المؤرخين البارزين ، ومن الذين كتبوا فى هذا الموضوع ، ومن المتخصصين فيه ...

والسؤال الذى ينصرف الذهن اليه ، هو لماذا اقتصر المشرق على استعمال الارقام الهندية التى نستعملها الآن بينما استقرت الارقام الغبارية فى بلاد المغرب العربي وفى بلاد الاندلس ، فالذى نرجوه من سيادة الاستاذ التازي سفير المغرب ببغداد ان ينور الجمهور حول هذه النقطة ؟

اولا — اتقدم بالشكر الجزيل للجهات المسؤولة التى أولت وتولي عنايتها لهذا الموضوع الذى يعتبر فى الواقع من أهم مواضيع الساعة ...

واني اذ اتقدم بالشكر على هذا الاهتمام يسعدني ان اتحدث حول السؤال الذى تفضل الدكتور الآلوسي، بالقائه علي :

لماذا توجد هذه الارقام الهندية فى المشرق ولا توجد فى المغرب ولماذا توجد الارقام التى نسميها عربية فى المغرب ولا توجد فى المشرق ؟

والحقيقة انه سؤال تاريخي صرف ، يستدعينا للرجوع الى تاريخنا القديم ، نحن نتفق على نقطة واحدة وهي ان السلسلتين معا : سلسلة الارقام التى تحمل وصف « الهندية » ، وسلسلة الارقام التى تحمل وصف « العروبة » هما فى الاصل من الهند ، ما فى ذلك شك ، بيد ان السلسلة «الهندية» ظلت هندية لحما وسدى ، بينما السلسلة الثانية تصرف فيها العرب تصرفا يستند على العلم وعلى التقنية على نحو ما فسره الدكتور الآلوسي منذ قليل من اتخاذ شكل الزوايا اساسا للعد : زاوية واحدة تساوي واحدا ، وزاويتان اثنتان تساويان اثنين ..

هنا فى المشرق عرفت هذه الجهات رجات عنيفة عبر تاريخها ، عرفت مظاهر من الاحتلال ومن الاستيلاء ، لم يعرفها ذلك الجناح الآخر من العالم العربي .

واذكر على سبيل المثال ما فعله التتار هنا ... واذكر كذلك على سبيل المثال ما حصل بعد التتار من استيلاء بعض الجهات وتنفذها فى المنطقة ، واعني العثمانيين ..

اني اعتقد ان للعثمانيين دورا كبيرا فى تثبيت هذه الارقام الهندية ، واني اذ اقول ذلك اعتمد على وثائق صادرة عن « الديوان التركي » ، وكانت هذه الوثائق كلها منتسبة بالارقام المسماة هندية على نحو ما ترون فى الصورة المعروضة امامكم ...

عن طريق السلطة ، عن طريق الحكم تركزت هذه الارقام اكثر من غيرها ، صحيحا انها كانت موجودة من ذي قبل ، ولكن وجودها لم يفرض الا بظهور العثمانيين فى المنطقة .

وغير خاف علينا اننا اذا اردنا تثبيت شيء من الاشياء ، فلابد ان يكون عن طريق الحكم ، عن طريق السلطة ...

نحن نذكر تاريخيا ان عبد الملك بن مروان انما نجح فى التعريب عن طريق تعريب الدواوين ، ولولا انه لم يفعل لما عربت الادارة العربية ، ولظلت الادارة محكومة ومسيطرا عليها من قبل الفرس، فلما عرب عبد الملك بن مروان الدواوين، اذ ذاك سيطرت العربية بصفة خاصة، وعلى قياس ذلك نقول فى تركيز الارقام الهندية ايام العثمانيين .

هذا فى ناحية المشرق ، اما فى ناحية المغرب نجد الامر على العكس تماما ... لان المغرب لم يعرف تتارا كما انه لم يسمح بان يقتحمه العثمانيون بالرغم مما فعلوا عبر التاريخ .

فلذلك ظل محتفظا بسائر مقوماته ، وفى جملة تلك المقومات هذه الارقام التى نسميها ويسميها العالم كله عربية ... كثير من الناس يعتقدون سهوا او خطأ ان هذه الارقام غزتنا عندما اقتحم الاستعمار بيوتنا .. واريد ان اثبت بان هذا خطأ .. فالاستعمار بالرغم مما حمل معه .. لم يحمل معه قضية الارقام، وانما عرفت الارقام منذ القرن الخامس والقرن السادس الهجري فى بلاد المغرب ، ونحن نعلم عن المؤلف الذى ينسب للرياضي المغربي المعروف ابن الياسمين « تلقيح الافكار فى العمل فى الغبار » .

والغبار عبارة عن الارقام الغبارية التى هي بالذات الارقام العربية ، **صحيح** انه منذ القرن السادس الهجري كانت رسائلنا القديمة تكتب فيها الارقام بطريقة الكلمة ، اعني ان يقال مثلا فى الثامن عشر من شهر ربيع الاول عام ثمانية واربعين وستمائة ، هكذا بالكلمات ، كما نشاهد فى وثيقة توجد الآن امامنا وهي الوثيقة الثانية وهي عبارة عن رسالة كتبها العاهل المغربي المرتضى الموحدي فى اواسط القرن السابع الى قداسة البابا اينوصانت الثاني يطلب اليه فيها ان يختار سفراءه الى المغرب من ذوي السلوك الطيب الذين يعملون على دعم العلاقات ..

هذه الرسالة التاريخية التى توجد امامنا حرر فيها التاريخ بطريق الكلمات ..

بعد هذا تاتينا وثيقة اخرى: الوثيقة عبارة عن رسالة كتبها العاهل المغربي يعقوب المريني الى ملك فرنسا فيليب لوهاردي يعرض عليه فيها مساعدته لتثبيت حكمه فى فرنسا على ذلك العهد ، وهي ايضا مؤرخة بالكلمات عشرين من شهر رجب عام احد وثمانين وستمائة ..

لكن بعد هذا التاريخ نجد ان المغرب تطور فى كتابة الارقام ، وهكذا فبازاء كتابة التاريخ بالكلمات اخذ يكتب الى جانب ذلك التاريخ بالارقام الغبارية التى تحمل اليوم فى سائر اطراف الدنيا اسم الارقام العربية ، وهذا كان منذ بداية القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ...

وسنرى الآن وثيقة اخرى من اطرف الوثائق التى يحتفظ بها الارشيف الوطني فى فيينا ... وهي عبارة عن نص لاتفاقية الصلح التى ابرمت بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) وبين الامبراطور يوسف الثاني قيصر رومة .. مختومة بالارقام الغبارية التى نسميها ويسميها العالم كله عربية .

وسنرى آخر ورقة هنا مؤرخة عام ثمانية وتسعين ومائة والف ، ومكتوب تحتها بالارقام الغبارية او بالارقام العربية زيادة فى التثبيت والضبط ...

فالذى اريد ان اقول هو انه بعد هذا العرض الموجز ، يمكن ان ندرك لماذا وجدت هذه الارقام العربية وحدها فى المغرب ولم توجد معها الارقام الهندية . ووجدت الارقام الهندية وحدها فى المشرق ، ولم توجد معها الارقام العربية .

وهناك جانب آخر لا ينبغي ان نهمله كذلك بصفتنا مؤرخين ، وهو الجانب السياسي .. فنحن لا نجهل التنافس الذي كان موجودا باستمرار بين بغداد ومراكش ، وهذا التنافس كان من مظاهره ان كل جانب من الجانبين كان يحاول ان يحتفظ لتفسه بشخصيته الخاصة ...

انا لا استطيع ان اتعمق في الموضوع ، ولكنني ازاء ملاحظات كثيرة عبر التاريخ ، دائما يقوم في نفسي هذا الهاجس : اتساءل مثلا لماذا في المشرق يفضلون ارتداء الثياب ذات اللون الاسود ، بينما في المغرب يظل الشعار للدولة هو اللون الابيض ..

اتساءل لماذا في المشرق توجد مذاهب متعددة شافعي ، حنبلي ، حنفي ، مالكي ، بينما في المغرب يوجد مذهب واحد وهو المذهب المالكي ...

على كل حال استطيع ان اقول هناك مظاهر يمكن ان تعكس القول بان للباعث السياسي اثرا ايضا في هذا الاختيار او ذاك، ومع ذلك اؤكد بامانة تاريخية اثر الاتراك في انتشار الرقم الهندي بجل المناطق التي تمكنوا من البقاء بها طويلا ..

— * —

— شكرا استاذ ... وهناك ايضا سؤال يتبادر الى ذهننا نرجوكم اذا امكن التحدث عنه ... هل هناك ارقام غير الارقام الغبارية في المغرب او انما اقتصر الامر فقط على الغبارية ؟..

— الحقيقة انه يوجد في المغرب اشكال من الارقام ، اولا وبالذات الارقام الغبارية التي تحمل اسم الارقام العربية ثم هناك الارقام الابجدية التي تتحد فيها جميعا ، وان كانت تختلف ترتيبا في بعض الحروف .

ويوجد نوع من الارقام يسمى «القلم الفاسي» نسبة الى مدينة فاس ويسمى كذلك الارقام الرومية نسبة الى الروم ، نسبة تساهل العلماء فيها والامر الواقع انها نسبة الى الاغريق ، وهذه الارقام تستعمل بصفة خاصة في الوثائق ، وفي حجج الوقف ، وفي الميراث ، لماذا ؟ لغرضين اثنين :

الفرض الاول : الاختصار ، الفرض الثاني للتعمية على القارئين ، فالقاريء غير المختص لا يعرف محتويات الوثيقة .

وهذه الارقام التي كما قلت، تحمل في المغرب اسم القلم الفاسي ، او القلم الرومي ، نعرف من التاليفا لتي عالجتها تاليفا اسمه ارشاد المتعلم والناسي في صفة اشكال القلم الفاسي ، ويمكن للمشاهدين الكرام ان يلقوا نظرتهم على السبورة التي على يميني فيرون مثلا الحرف الاول الذي يشبه اللام : وهو يعني رقم واحد ، وبعد هذا نرى شبه شرطة او شخطة يكون معناها رقم اثنين ، وبعدها ياتي شكل آخر في شكل لام الف وهذا معناه ثلاثة وبعد ياتي حرف يشبه الراء ياخذ رقم اربعة ثم تنزل الى السطر الثاني حيث تجد رقم خمسة وهو يشبه شكل اربعة في الارقام العربية او الارقام الغبارية الخ الخ الخ ..

وهذه الارقام انما يستعملها المثقفون من اهل فاس في حجج الوقف وما شابه ذلك من الاشياء التي تتقصد الى التخصص ، وهكذا فهناك طريقتان للترقيم في المغرب ، الرقم الاساسي المستعمل عند الشعب كله ، وهو الارقام الغبارية ، والرقم الذي كان يستعمل عند الخاصة وهو القلم الفاسي او الرومي واعتقد انه بصدد الاختفاء بل بصدد النهاية ، والرقم المسيطر اليوم هو الرقم العربي الذي تستعمله الى جانب دول المغرب العربي مائة وعشرون دولة اخرى ، تستعمله القارات الخمس جميعها .. اسمحوا لي ان اقول لكم انني كعربي اشعر بالغبطة تغمرني وانا ارى كل هذه الدول تسميها ارقاما عربية .. اني اشعر بأنني اجد فيها نوعا من « سفارة عربية » لها وجود في كل بيت ، وكل مكتب ، وكل حضارة .. كل مؤسسات العالم تسميها الارقام العربية — شيء في الحقيقة يبعث على السرور .. —

— من اول من اطلق عليها اسم الارقام العربية على النطاق الاروبي او على نطاق الاستشراق يعني من الذي نادى لاول مرة بهذه التسمية بالارقام العربية ؟

— اذا رجعنا للموسوعات القديمة ، لاقدم الموسوعات التي توجد والتي الفت منذ بداية القرن الثامن عشر فاننا نجدها تتحدث عن هذه الارقام العربية (Les chiffres arabes) على انها عرفت في اوربا منذ القرن العاشر الميلادي ..

وبدون شك وصلت الى العالم الغربي عن طريق شمال افريقيا فالذي في علمنا انها غزت اوربا عن طريق فاس بواسطة سيلفيستر Sylevestre الثاني الذي كان معروفا تحت اسم جيربير .

كذلك انتقلت من بجاية عن طريق العالم الايطالي فيوتشي وهو من القرن العاشر الميلادي وانتقلت من القيروان عن طريق اسقف لا يحضرني الآن اسمه ، ويرجع الفضل فى التدليل على عروبة هذه الارقام بصفة ادق الى المستشرق الروسي كريستوفيتش الذى تجول فى العالم العربي وكانت له عدة مؤلفات فهذا الاستاذ كتب فصلا مفيدا فى مجلة الهلال منذ مطلع القرن العشرين عندما تحدث عن اقدم جامعة فى العالم ...

فالواقع اننا نحس ان هذا الرقم بمثابة الوليد الشارد الضائع .. يجهد نفسه للبحث عنا نحن ، نحن اهله بينما نرنو اليه على انه غريب عنا ونحاول ان نسلم فيه للاخرين ! حقيقة غريب امر هذه الارقام ، العالم كله يقول انها ارقامكم ونحن ما نزال نتردد! ما نزال نتشكك ! لا ادري هل يصح لي بهذه المناسبة ان نتذكر اننا فى كثير من الاحيان — كعرب — نحب ونتوق الى ان ننسب كل مكرمة الينا .. نحاول فى كثير من الاحيان ان نتحمل ، وان نتكلف ، وفى بعض الاحيان نتعسف فنأتي الى فكرة او كلمة ونقول انها عربية الاصل ، مثلا « اللوغاريتم » نحاول ما امكن ان نقول ان الكلمة هي ماخوذة من الخوارزمي حتى نثبت ان اللوغاريتم اثر عربي ومن الحضارة العربية ، مثلا كلمة « كرامير » (Grammaire) نحاول ما امكن ان نقول ان الكلمة هي مأخوذ من ابن اجروم العالم النحوي المشهور ، صاحب الاجرومية ونقول ان « الكرامير » فى اللغة الاجنبية اشارة الى ابن اجروم الذى كان استاذ للنحو ... ونقول مثلا ان كلمة « كارصون » أصلها (جر الصحون) وهكذا الى آخر هذه النظائر ثم نحن نجد شيئا واضحا يسمى **ارقاما عربية** ومع ذلك ما نزال — على خلاف عادتنا — نتردد فى تقبل هذه النسبة !!

— اعتقد ان سبب هذا من قلة المعلومات المتوفرة لدينا ...

— شيء آخر ممكن ايضا ، دكتور ، هناك اياد خفية لا نعرفها تحاول أن تقصينا عن هذا التراث !!

— فى الحقيقة هناك باعث للاقبال على كتابة الارقام الهندية هي انها تكتب من اليمين الى اليسار على خلاف الارقام الغبارية عندكم التى تكتب من اليسار الى اليمين .

— العفو دكتور ، ان الامر عندنا على نحو ما تفعلون انتم بالضبط ...

— ما رايكم لو صحت المقارنة بين الكسب الذى نحرز عليه لو توحدت الارقام العربية مثلا بين المشرق والمغرب ؟

— انا اقول لسيادتكم : اذا صح ان هناك مقارنة للكسب فاننا سنجد ان اختيارنا للارقام الغبارية او الارقام العربية يحقق لنا كسبا اكثر ، كسبا معنويا وكسبا ماديا : الكسب المعنوي اننا اولا احتضنا تراثا لنا منا والينا ، متوزعا بين شتى جهات المعمور احتضناه ولم نتركه لغيرنا .. والكسب المادي يتلخص فى ان كثيرا من جهودنا المبعثرة المتناثرة ستتوحد ، وهكذا فيمكن للمشرقي بسهولة ان يفهم القصد عند المغاربة والعكس كذلك صحيح .

كيف تكون الخطوات الاولى للقيام بمثل هذا التوحيد ...؟

— ارى مثلا ان نبدا بارقام السيارات ، فالسيارة مثلا توجد فيها ارقام مكتوبة مرتين مرة بالسلسلتين : بالسلسلة الهندية ، والسلسلة العربية لماذا لا تشطب الاجنبية عنا وهي الهندية ؟

وكما نبدأ بالسيارات نبدأ بأرقام البيوت ثم بالكتب المدرسية كتجربة اولى حتى تأخذ الامور طريقها وحتى يتعلم نشئنا ان هذه الارقام هي له واليه ... ومن آبائه وجدوده صدرت الى أروبا انما هي « بضاعتنا ردت الينا » على نحو ما يقولون ...

وينبغي ان نبدأ بتجربة فى مطبعة من المطابع مثلا .. الواقع ان الامر يحتاج فقط الى تخطيط والى عزيمة ، والى اقتناع . الواقع اننا نحتاج الى مناقشات ، نحتاج الى تبادل راي ، ولكن بعد الاقتناع يجب ان نتحرك ، فاننا اذا انتظرنا من المطابع أن تغير ارقامها الهندية وتأتي بارقام عربية فان هذا سيكلفها ومن شأن الناشر او المطبعي ان يتردد !

لقد حضرت فى عدة مؤتمرات عربية وعلى نطاق اليونسكو ، واثر هذا الموضوع وكنت اشعر بأن العقبة الاساسية تأتي فى كثير من الاحيان من دور النشر ومن المطابع ، لسبب واضح : مسالة تجارية وتجارية صرفة ، يجب علينا ان ننظر الى القضية على انها قضية عربية بحتة ، صحيح اننا سنضيع فى

ارقام ، نضيع فى اموال . ولكن كسبنا على الامد البعيد لا شك انه سيكون كسبا طيبا لاننا سنلتقف جميعا على منطق واحد اذكر انني منذ نحو من سنة قرات فى جريدة (الانباء) المغربية ان العلماء والمختصين فى كيب كندي، وكانت الظروف ظروف رحلة ابولو الحادية عشرة ، اقول اولئك العلماء صرحوا بانه لو لم تكن الارقام العربية ولواضطررنا لاستعمال الارقام الرومانية لما نجحنا فى اطلاق ابولو 11 .

وقد كنت اشعر بغبطة ما عليها من مزيد لما رايت ارقامنا شاغلة بال هؤلاء الناس وهم صاعدون الى القمر ...

ـ يعني هي من الاسباب التى سهلت ابحاث الفضاء ..

ـ نعم سهلت ابحاث الفضاء والا فان استعمال الارقام الرومانية مصيبة ..

ـ الاستاذ التازي ، هناك بالاضافة الى النواحي المادية نواح حضارية ، الآن بعد اختيار بعض الدول العربية واستعمالها للارقام الهندية ابتكروا اشكالا فنية وهي استعمال هذه الارقام فى الخطوط ، فنشات طبقة من الفنانين يجودون فى انواع الخطوط ، وتشكيل الارقام واستعمال هذه الارقام فى الزخارف وما شابه ذلك فليس فقط الناحية المادية ، هناك ناحية حضارية ينبغي للانسان ان يلتفت اليها وهي ان جهود هؤلاء الفنانين والخطاطين والمزخرفين تذهب ادراج الرياح اذا تركنا هذه الارقام، وعدنا الى ارقامنا الاولى العربية .

ـ والله اني ـ حقيقة ـ لا اريد ان أكون مبخسا لجهود الفنانين ولا لمعالم الحضارة ، ولكني اريد ان يبقى هذا النوع من الفن على نحو ما هو موجود من انواع الفسيفساء القديمة التى تعد من ملامح التاريخ تحتفظ بمكانتها فى المتحف ولكي لا تكون حجر عثرة فى طريق التفاقنا .

ـ سؤال اخير اذا سمحتم سيادة السفير

ـ تفضلوا

ـ باعتباركم مؤرخا هل تراثم بعض الاخبار والمدونات عن محاولات قديمة لتوحيد وسائل المعرفة بين بغداد وبين المغرب .

ـ اذكر انه فى العصر العباسي كانت تتوارد على بغداد سفارات متوالية من المغرب ، وفى مقابلة ذلك كانت تروح من بغداد الى المغرب رسائل ، فالذى حصل فى مرة من المرات ان العاهل المغربي علي بن يوسف بن تاشفين لاحظ ان تواريخ الرسائل تختلف ما بين بغداد ومراكش وكانت بالنسبة اليه مفاجاة ! لانه ما كان يتصور ان بغداد تصوم قبل المغرب او المغرب يصوم قبل بغداد ، ولذلك جمع العلماء من الاندلس والمغرب لدراسة قضية توحيد ..

ـ الارقام ؟

ـ بل توحيد الشهور وتوحيد الحساب حتى يصبح جناح المشرق مع جناح المغرب يعيش بتاريخ واحد ، وهي ظاهرة من اطرف الظواهر التى يسجلها التاريخ الذى يجمع بين المغرب وبين المشرق .

ـ شكرا يا سيدي

ـ ما رايكم فى اثارة هذا الموضوع وتنظيم ندوات مثل هذه الندوات التي اثيرت منذ اسبوعين مثلا ؟

ـ والله ، كما قلت ان الموضوع يحتاج من رجال الفكر ومن رجال السياسة كذلك الى عناية ، ففى نظري انه ينبغي ان تنظم ندوات يستدعي لها الاساتذة ورجال النشر ودور المطابع ويفسح لكل واحد المجال ليقول ما يشاء ، هناك جوانب ما تزال خفية عنا ، وقد يعرفها اخوان يوجدون هنا وهناك وكثير منها تحسه العامة ولا يحسها المثقف .. يعني انه يهمني حقا ان اسمع عن هذه الندوات لانها ليست فى صالح المشرق وحده ، ولا فى صالح المغرب وحده ولكنها فى صالح العروبة جميعا بل وفى صالح العالم كله ..

تطور الحضارة العربية وخصائصها

للدكتور
نقولا زيادة

1 ــ تطور الحضارة العربية وخصائصها :

بعد الفتوح العربية قامت الامبراطورية " ربية الاسلامية التي امتدت من اواسط آسيا وحوض سند شرقا الى شمال اسبانيا والمحيط الاطلسي غربا . وانتقل العرب الى محيطهم الجديد ونقلوا معهم مثلهم العليا التي جاء بها الاسلام ، ولغتهم الحية الناضجة التي نزل بها القرآن الكريم ، ونشاطهم وحيويتهم وعواطفهم . ومزجوا ذلك بأدب الفرس وعلم اليونان والهند وتشريع الرومان ، فخرج للعالم من ذلك كله هذه المدنية الاسلامية العربية التي انتشرت بدورها في ديارهم وخارج ديارهم .

وحري بنا ، قبل ان نأخذ أنفسنا بالتعرف الى معالم هذه الحضارة وتبين خصائصها ، ان نلم المامة سريعة بنشوئها وتطورها .

كانت القضايا الاولى التي انصرف العرب اليها ، ايام الخلفاء الراشدين وبني أمية ، تتعلق بالدرجة الاولى بادارة هذه البلاد الواسعة التي تولوا امرها . ذلك بانهم لم يكونوا أصحاب خبرة بالادارة على هذا النطاق الواسع . لذلك اخذوا انفسهم بالاهتداء بهدى القرآن الكريم والحديث الشريف فيما يتعلق بالعدل والمثل الاخلاقية ، وسمحوا لانفسهم بأن يفيدوا من تجارب من سبقهم من الامم . فمن ذلك انهم تركوا للولاة ان يصدروا من الاوامر ما يصون الامن والنظام ويحفظ حياة الناس وأموالهم ، وتركوا للقضاة ان يقيموا العدل والقسطاس . وظلت سجلات الدولة المالية مثلا تكتب بالفارسية في العراق ، واليونانية في ديار الشام ، والقبطية بمصر . كما ظل الناس على استعمال النقود البزنطية في مصر وديار الشام .

فلما استقر للعرب الامر ووجدوا من يستطيع ان يدون هذه القيود باللغة العربية فعلوا ذلك في ايام عبد الملك واولاده . وسكوا النقود الذهبية العربية الاسلامية . وبذلك جعلوا للامبراطورية العربية نظاما نقديا خاصا كان له اثر كبير في تدعيم التطور الاقتصادي الجديد .

ومع ان الامويين كانوا حريصين على العناية بالادارة واتمام الفتوح فانهم لم يغفلوا العلوم . فقد عني الامير الاموي خالد بن يزيد ، على سبيل المثال ، بالكيمياء وما اليها . لكن انتقال الملك العربي الى العباسيين سنة 132 هـ (750) وانشاء بغداد بعد ذلك بمدة قصيرة ، هو الذي فتح امام العرب مجال الاتصال العلمي والفلسفي والادبي بما عند الامم التي سبقتهم والجماعات المعاصرة لهم . اذ انهم اندفعوا نحو التعرف الى التراث الحضاري بأكمله . وكانت الترجمة السبيل الاول الى ذلك . ففي ايام ابي جعفر المنصور بدا نقل الطب والفلك الى اللغة العربية . وقد كانت الترجمة في بدء امرها فردية فيختار المترجم ما يلذ له وينقله بتشجيع من أولي الامر . لكن الامر لم يلبث ان اتخذ شكلا آخر ايام الرشيد والامين والمأمون. ففي هذه الفترة القصيرة ، الممتدة من سنة 170 الى

218 ، اصبحت الترجمة عملا رسميا منظما . وكان المترجمون ، بادىء ذي بدء ، من النصارى المقيمين في الامبراطورية العربية . وكانت الترجمة من اليونانية الى السريانية ثم من السريانية الى العربية ، لكنها لم تلبث ان اصبحت الكتب تترجم من اليونانية الى العربية رأسا .

فمدرسة حنين ابن اسحق وابنه وابن اخيه وبعض تلاميذهم ، عنيت بالتراث الطبي اليوناني بنوع خاص ، فتم على يدها نقل مؤلفات غالينوس وابقراط وديسقوروس الى العربية . لكن عمل هذه المدرسة لم يقتصر على ذلك اذ ان المترجمين منها نقلوا بعض اعمال افلاطون وارسطو ايضا . وقد انشأ المأمون دار الحكمة لتكون مركزا للترجمة والبحث وولى حنين بن اسحق رئاستها .

وكانت ثمة مدرسة ثانية للترجمة وهي التي اتبعت طريق يحيى بن عدي . فانصرفت الى الفلسفة، فنقلت الكثير من مؤلفات افلاطون وارسطو وافلوطين . والمدرسة الثالثة هي التي يمثلها ثابت بن قرة وهي التي يعود اليها الفضل في نقل المؤلفات الرياضية والفلكية اليونانية . وحرى بالذكر انه قبل انتهاء القرن الثالث للهجرة (القرن التاسع للميلاد) كان العرب قد تعرفوا الى اهم المؤلفات اليونانية بحيث ان ابن ابي اصيبعه اورد ذكر ما لا يقل عن مائة كتاب نقلت عن اليونانية في تلك الفترة .

ومع ان بغداد ترجمت الكثير ، فانها لم تكن المركز الوحيد لذلك . فقد نقلت كتب اخرى في مراكز العلم في العالم الاسلامي ، هذه المراكز التي انتشرت في طول البلاد وعرضها . ولنذكر منها ، على سبيل المثال لا الحصر ، فرغانة وبخارى ونيسابور والبصرة والكوفة والموصل وحلب ودمشق والقدس والقاهرة والقيروان وتونس وتلمسان ومراكش وفاس وقرطبة وطليطلة .

ودور الترجمة لم يطل امده على ما رأينا . فقد كانت حيوية العرب والمسلمين قوية ، لذلك لم يلبثوا ان اخذوا انفسهم بالكتابة في المواضع المختلفة — في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة . كما ان العلوم الاسلامية الصرفة ، وهي التي كانت العناية بها قد بدأت قبلا ، اخذت سبيلها الى النضج . فكان التفسير والحديث والفقه والكلام . ويجب ان نضيف الى ذلك الادب والتاريخ .

ولنذكر ايضا ان العرب استمروا في خدمة العلم والفكر قرونا طويلة . لذلك تمكنوا من اضافة الكثير الى ما اخذوه ، بحيث انهم ابتكروا اشياء كثيرة ضمت الى كنز المعرفة البشرية .

وحضارة هذا مدى اتساعها رقعة وامتدادها زمنا كانت لها خصائص لا بد ان تذكر قبل الانتقال الى التفاصيل . فما هي هذه الخصائص ؟

اول هذه الخصائص هو ان هذه الحضارة اسلامية الروح والصيغة . فالاسلام هو الذي حفز سكان الامبراطورية ، على اختلاف نحلهم وتباين مذاهبهم ، على العمل المستمر في سبيل العلم والفلسفة والتشريع وما الى ذلك . ونحن اذا تذكرنا ان الشريعة الاسلامية هي التي كانت اساس المعاملات والاحكام والعدل ، وتذكرنا اهتمام العاملين بها ، وجدنا ان هذه كانت من اكبر الخدمات التي تمت على ايدي العرب لا بالنسبة الى اهل الامبراطورية وسكانها فحسب ، بل بالنسبة الى العالم الحديث .

والامر الثاني الذي يجب ان نذكره هو ان هذه الحضارة كانت ديناميكية واسعة الافق والنظرة . فنحن اذا اخذنا بغداد وجوارها وجدنا ان المشتغلين بشؤون العلم والفكر والدين كانوا ينطلقون في آفاق لا تحد ، وكانوا يبحثون قضايا متنوعة تتعلق بالكون على عظمته والانسان والعلاقة بينه وبين الخالق . كما كانوا ينظرون في شؤون الناس وتخطيط المدن وامور الاسواق .

والحضارة العربية متكاملة من حيث اهتماماتها ونظرتها . فقد تناولت جميع القضايا في خطوط متوازية ومستويات متقاربة ، لان الاسلام لم يفرق بين الدين والدنيا . فكان من الطبيعي ان تكون النظرة شاملة ، والعناصر التي تتكون منها هذه الحضارة متآلفة يكمل واحدها الآخر ، ويتم عمل الباحث الواحد عمل المفكر الآخر .

صحيح ان الفلسفة كانت شغل عدد قليل من اهل الفكر ، والكلام كان يعني به قلة من الناس ، ولكن هذا من طبيعة الاشياء . ففي عصور التاريخ جميعها كانت الاشياء مقصورة على عدد صغير من الناس . لكن المهم ان سبيل الحصول عليها كان متيسرا لكل من أراد وسمت به همته الى الافادة من ذلك .

يجدر بنا ان نعنى بظاهرة هامة من مظاهر الحضارة العربية الاسلامية . وهي نظرة اهل الفكر والعلماء الى

وحدة العالم الاسلامي . فمنذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) هبت على الامبراطورية العربية الاسلامية الواسعة رياح التفرقة السياسية : فانقسم الى دويلات وقامت بينها حروب وخصومات ، وزالت دول وقامت أخرى ، كما انعقدت محالفات ومعاهدات. ومع ذلك فان الاديب والعالم والفقيه والمحدث والمفسر والشاعر لم يشعر قط بغربة في اي من اجزاء هذا العالم الواسع . كان ينتقل فيه من مكان الى مكان ، ومن بلد الى بلد ، ومن مدينة الى مدينة ، ومن بلاط الى بلاط ، حاسبا نفسه جزءا من كل هذه اينما حل ، لانه كان يرى ان الذي يربط اصلا بين اجزاء هذا العالم الواسع هو الاسلام فهو العروة الوثقى يمتن العلاقات ويقوي الروابط بين هؤلاء الافراد اينما حلوا. فهذا ابن بطوطة مثلا يتنقل بين طنجة في المغرب الاقصى واواسط آسيا فلا تهمه الحزازات والخلافات التي كانت تهب على البلاد في القرن الثامن للهجرة (القرن الرابع عشر للميلاد) . وهذا ابن خلدون يهجر بلاده في شمال افريقيا ويستقر بمصر ، فيعين في مناصب القضاء والتدريس . ومثل هذين مئات من حملة العلم ونلقته .

اشرنا من قبل ان الحضارة العربية كانت متكاملة النظرة . ونضيف الان انها كانت متكاملة في الامور العملية . فالرقعة الواسعة كانت تغل انواع الزروع المختلفة وتنتج المصنوعات المتنوعة وتنقل المتاجر بين اجزائها باستمرار . وليس المهم ذلك فحسب ، ولكن المهم هو ان الصانع والتاجر كان وضع اهتمام اولي الامر . وليس ادل على ذلك من وجود نظام الحسبة في الاسواق الاسلامية . فالمحتسب كان عليه ان يمنع الاذى عن الناس فيحول دون الغش ويراعي صحة الكيل والميزان ويراقب الاسعار ويمنع الاحتكار . وكان العمال ، في اماكن كثيرة ، ينضوون جماعات تحت لواء مؤسسات تهتم بهم وتنظم بعض امورهم .

والحضارة العربية كانت حضارة « مدينة » . ففي المدينة نشأت وفيها تطورت واتخذت شكلها الاصيل ومنها انتشرت . والمؤسسات الحضارية هي مؤسسات مدينة قلبا وقالبا ، على ما سنرى عندما نتحدث عن المدينة العربية .

وعندما نذكر الامور التي نقلها العالم عن العرب نجد ان هذه لم تقتصر على معرفة علمية هنا وهناك او صناعة في هذه الناحية او تلك ، ولكن ثمة امور متنوعة ناتجة عن هذا التكامل في الحضارة العربية الاسلامية ، التكامل بين النظرة المجردة والواقع العملي .

2 — المدينة العربية :

ما اكثر ما مصر العرب من المدن وانشأوا منها في تاريخهم الطويل وفي الرقعة الواسعة التي نمت فيها شخصيتهم العربية الاسلامية . وقد جاء بناء المدن واختطاطها أمرا طبيعيا بعد احتلال البلاد وفتح الاقطار . وكانت البصرة والكوفة وواسط والفسطاط والقيروان من اول المدن التي انشأها العرب . وكانت هذه ، اول امرها ، معسكرات للجند ومراكز للادارة . لكنها لم تلبث ان اصبحت أسواقا ومراكز للعلم .

وقد اتخذت كل دولة كبرى قامت في العالم العربي عاصمة خاصة بها .

فدمشق اتخذها الامويون عاصمة ، وبنى العباسيون بغداد للغرض نفسه . ومثل ذلك يقال عن القاهرة وتونس ومراكش وفاس وقرطبة . على ان نوازع الحضارة واتساع الملك وقيام الصناعة وانتشار التجارة ادى الى نمو عدد كبير من المدن لم تكن عواصم، ولكنها كانت تعج باصحاب الاعمال واهل العلم . واختيار الاماكن لبناء هذه المدن كان مرتبطا اصلا بامكانياتها الاقتصادية .

ولم يكن لتخطيط المدن عند العرب قواعد موحدة . فكان ذلك يتوقف على ما سبق وألفه الناس في منطقة معينة . فالبصرة كانت خمسة اخماس ، لكل قبيلة خمس . لكن بناء بغداد والقاهرة عني به المؤسسون عناية خاصة . فكانت بغداد مدورة يتوسطها المسجد الجامع وقصر الخليفة . والقاهرة اختطت بحيث تنزل القبائل التي جاءت مع جوهر الصقلي كل في مستقر لها . وكان الجامع الازهر وقصر الخليفة ايضا قلب المدينة . وكل مدينة كانت تدور بها الاسوار المنيعة ، خاصة اذا كان الخطر قريبا منها . الا انه سرعان ما كانت المدينة تضيق بسكانها فينتشرون خارج الاسوار في الضواحي القريبة ، وعلى الاخص اذا استتب الامن وساد النظام في البلاد .

وبحكم نمو هذه المدن كان يهبطها من السكان تدريجا من كل صنف وجنس ولون ومذهب . فلا حرج على الناس ولا منع ولا تحديد . فالبصرة بلغ عدد سكانها سنة خمسين للهجرة اى بعد انشائها بجيل واحد تقريبا نحو ثلاثمائة الف .

والمدينة العربية كانت مركز الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية : فيها قامت المدارس ونشأت الجامعات وعقدت مجالس الادب والمناظرة . وفيها نضجت الحياة العقلية . وفيها اختلف الناس شيعا . ومن هذه المدن انتقلت هذه الامور الى الريف فأثرت بعض الشيء . لكن المدينة ظلت الاصل .

ونحن اذا امعنا النظر فى المدينة العربية وجدنا ان كلا منها كان فيها مسجد جامع واحد على الاقل وقصر لصاحب الامر واسواق يمتار منها الناس حاجاتهم، ومعاهد للعلم يؤمها الطلبة ، واسوار تدور بهذا كله ، وقلعة تقوم فى ناحية منها للدفاع اذا جد الجد .

والذي يعنينا الساعة من عناصر المدينة بشكل خاص هو اسواقها ودور العلم فيها .

وقد كانت اسواق المدن تتأثر ، فى شكلها وتنظيمها وتنسيقها وموقعها وسلعها ، بالاقليم الذي تقوم فيه المدينة . فقد بقيت اسواق حلب ودمشق على قدمها . ولكن لما بنى المنصور بغداد صير الاسواق فى كل جانب منها . الا انه لم يلبث ان اخرج الاسواق الكبيرة الى خارج السور ، تيسيرا للناس . وكانت الدكاكين فى اسواق مصر وغرب آسيا تمتد على طول الشارع فى جانبيه . اما المألوف فى المدن الفارسية فكان جمع الدكاكين فى مكان واحد . ومن الملاحظ ، على كل حال ، ان الاسواق غالبا ما تحيط بالمسجد الجامع وخاصة اسواق الوراقين والبزازين وما الى ذلك . اما اسواق الجلود وما اليها فكانت بعيدة عن مجتمعات الناس .

والغالب على الاسواق ان تسقف وتظلل . فقد روى ابن جبير ان اسواق منبج فسيحة ، وسككها متسعة ، ودكاكينها وحوانيتها كانها الخانات والمخازن اتساعا وكبرا ، واعالي اسواقها مسقوفة . وكانت الاسواق تسمى بما يباع او يصنع فيها او بالنسبة الى منشئها . فسوق اسد بالكوفة سميت باسم اسد بن عبد الله القسري . وكان فى الاسكندرية سوق الخشب وفي اصفهان سوق الصرافين وسوق الارز فى عكاء وكذلك اسواق للجوهريين والدباغين والصيادلة.

ومع ان البيع بالمقايضة كان معروفا فى اجزاء مختلفة من العالم العربي ، فالواقع ان العرب ، ابان ازدهار اقتصادهم ، كانوا يلجأون الى الاقتصاد النقدي. وكان المبيع بالجملة يتم عادة فى القيساريات . ومن اكبر القيساريات المعروفة قيسارية البز فى حلب فى القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) ، وقيسارية مراكش .

ودور العلم ، على اختلاف انواعها ، كانت من العناصر الرئيسية فى تكوين المدينة فى الاسلام . وقد كان المسجد اول دار للعلم والتعليم والتربية فى الاسلام ، ومع انه حافظ على هذه الصفة ولا يزال فى كثير من الاماكن ، فان التطور الذي اصاب الحياة العلمية والعقلية عند العرب اضطرهم الى الانتقال الى ابنية خاصة للعلم . وقد تركزت دور العلم فى عواصم العرب الكبرى مثل بغداد ودمشق .القاهرة وقرطبة وفاس ، لكن كثيرا من عواصم الدول الاسلامية الصغرى شرقا وغربا كانت مراكز هامة للعلم مثل فرغانة وبخارى وغزنة ونيسابور والقدس والقيروان وغرناطة واشبيلية ومراكش .

فى القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) اخذ الناس ببناء دور خاصة للعلم والتعليم . لكن القرن التالي شهد نشوء المدارس الرسمية . بدأ بذلك نظام الملك الوزير السلجوقي فانشأ المدرسة النظامية فى بغداد ولم تلبث هذه ان انتشرت غربا حتى وصلت فاس ومراكش .

والمدرسة النظامية تمثل دورا خاصا فى المدرسة الاسلامية من حيث اشراف الدولة عليها . فقد كانت نفقاتها من الخزانة الرسمية ، كما كان اختيار اساتذتها ومدرسيها بيد الخليفة او من يتولى الامر فى البلد .

فى سنة 631 هـ (1234 م) انشأ الخليفة العباسي المنتصر بالله المدرسة المستنصرية ببغداد. وقد فاقت كل ما سبقها من حيث فخامة البناء وسعته، وجمال التأسيس واناقته ، وكان فيها اربعة اروقة كبيرة كل واحد منها خاص بواحد من المذاهب السنية الاربعة . ولكل فقيه خاص برأسه . كان عدد طلابها ثلاثمائة موزعين بالتساوي على الاروقة الاربعة وكلهم كانوا يتلقون العلم بالمجان ، ويعطى لكل طالب دينار واحد بالشهر ينفق منه على شؤونه . اما الطعام فكان يتناوله الجميع من مطبخ المدرسة الكبير . لكن العناية بالطلاب لم تقتصر على الاكل والمسكن بل كانت الاقلام والمحابر والاوراق والمصابيح تقدم لهم ، وكان فى المدرسة مكان تحتفظ فيه المياه الباردة للشرب. اضف الى كل هذا الحمام الذي كان مفتوحا للطلبة ، والمستشفى التابع للمدرسة لمعالجة المرضى منهم ، وكان له طبيب خاص .

وكان للقاهرة نصيب في حفظ التراث العلمي العربي الاسلامي مثل نصيب بغداد ، ان لم يزد عليه . فقد كان هناك الازهر ، من اقدم جامعات العالم الموجودة الان . انشيء الازهر سنة 378 هـ (972 م) لنشر الدعوة الفاطمية . لكنه لم يلبث ، بعد زوال الخلافة الفاطمية ، ان اصبح مركزا للدراسات الفقهية واللغوية ، فيه اربع مدارس ، لكل من المذاهب الاربعة واحدة . ومع ان الازهر معروف عنه انه جامعة دينية قبل كل شيء ، فعندنا رواية عن عبد اللطيف البغدادي انه حاضر في الطب في الازهر في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

وقد ازدهرت دور العلم في الاندلس في عهد العرب ، فقد كانت مكتبة صاحب الاندلس في القرن الرابع الهجري بتألف فهرسها من اربع واربعين كراسة ، في كل منها عشرون ورقة ولم يكن بها سوى اسماء الكتب . ومع اننا لا نعرف الا الشيء اليسير عن جامعة قرطبة التي بلغت شأوها في زمن عبد الرحمن الناصر والحكم ، فهذا اليسير الذي وصل الينا يدلنا على الدور الذي لعبته في توجيه الحياة الفكرية في الاندلس ، وتهيئة الجو العلمي للترجمة من اللغة العربية الى اللغات الاوربية التي تمت في اسبانيا في القرون التي تلت ذلك . وكان طلابها يعدون بالمئات ويفدون اليها من افريقيا واسبانيا وبقية أوربا . ولم يقتصر التعليم فيها على العلوم الدينية واللغوية ، بل تناول مواضيع الطب والرياضيات والفلسفة ، وفروعا اخرى من العلم . وكان من كبار اساتذتها ابو بكر بن معاوية والقالي صاحب الامالي وابن القوطية .

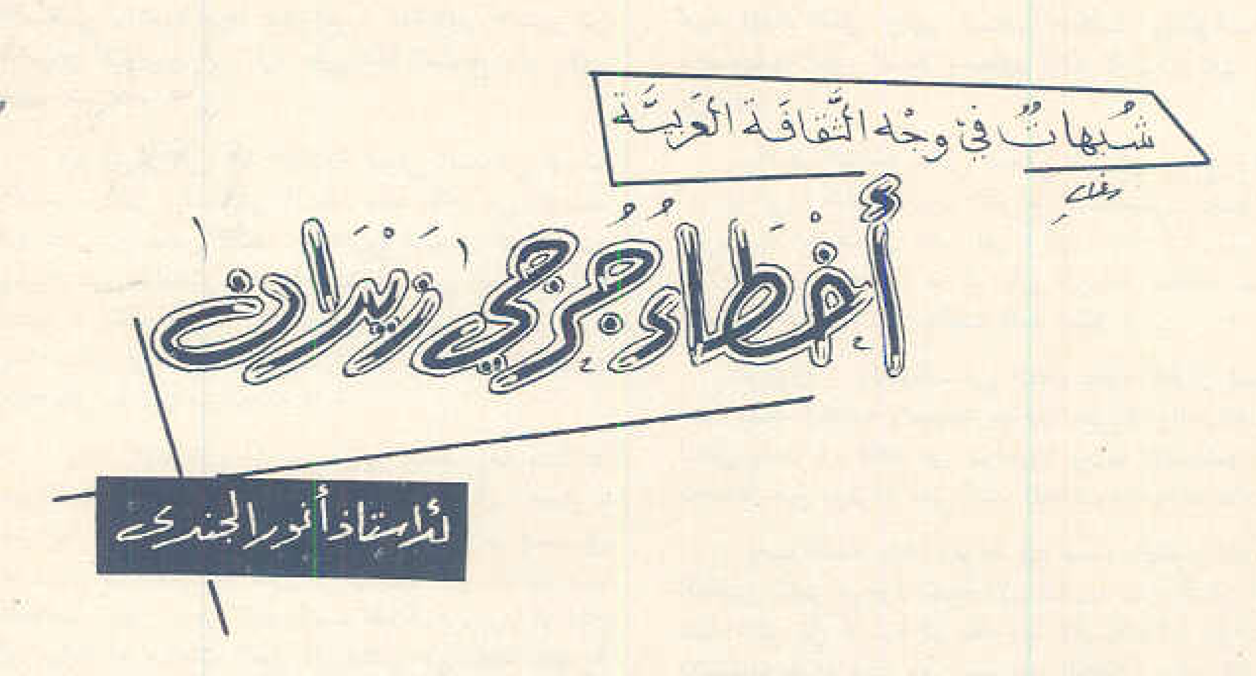
وقد حفظ لنا المؤرخون اخبار دور العلم والمدارس ، ونحن اذا ضممنا ما ذكروه الى بعضه البعض وجدنا انها قاربت الاربعمائة عددا . فقد كان في القدس مثلا اربع واربعون مدرسة ، وفي بغداد اربعون ، وتجاوزت مدارس دمشق المائة . وقد كان في دمشق في القرن السادس الهجري مثلا ثلاث مدارس فنية : اثنتان للطب وواحدة للهندسة ، وكان في حلب مدرسة للطب .

وكانت المدارس الحكومية تعطى فيها للاساتذة مرتبات ثابتة ، لكن بعض العلماء كان يرفض اخذ الاجر ثمنا للتعليم . فقد امتنع النووي في القرن الثامن أن يأخذ رزقا لتدريسه في المدرسة الاشرفية . وكان بعض العلماء يورق ويأكل من كسب يده . الا ان التعليم صار على توالي الايام مهنة يعيش منها المشتغلون بها . وقد أورد الجاحظ ان النحوي العروضي كان يكتفي بستين درهما أجرة للتعليم في الشهر .

اما مؤدبو الامراء فلم يرضوا بأقل من الف درهم كيحيى بن ثعلب . وكان لعبد الله بن طاهر مؤدب رزقه في الشهر سبعون دينارا ، وذلك في القرن الثالث الهجري . وكان ابن دريد في القرن الرابع الهجري يتناول أربعين دينارا في الشهر .

بيروت — نقولا زيادة





تجدد الحديث فى الفترة الاخيرة عن جرجي زيدان بمناسبة صدور كتاب جديد عنه ، وكان كاتب هذه السطور قد كلف باعداد كتاب عنه فى الستينات وصدر هذا الكتاب خلوا من فصل هام عن النقود والمآخذ على كتابات جرجي زيدان ولذلك كان من الضرورة معاودة النظر فى امور كثيرة تتعلق بهذا الباحث ذي الشهرة العريضة فى العالم العربي ، والذي اصدر الهلال اكثر من عشرين عاما ، فضلا عن مؤلفاته العديدة عن التمدن الاسلامي والادب العربي وتاريخ العرب وذلك كله بالاضافة الى رواياته عن تاريخ الاسلام . وقد تصدى بعض الباحثين في تاريخ جرجي زيدان الى عدة مواقف هامة وخطيرة فى حياة وانتاج هذا الكاتب ما زالت تحتاج الى التوقف عندها ومراجعتها وخاصة موقفه من احمد عربي ومصطفى كامل ومقاومة السودانيين للاستعمار البريطاني .

ولعل القاء نظرة سريعة الى مطالع حياة جرجي زيدان تكفي لتحديد اتجاه الريح فى حياة هذا الكاتب ذي الشهرة العريضة . فقد اشتغل فى قلم المخابرات البريطانية فى مصر ثم سافر مع الحملة النيلية الانجليزية الى السودان عام 1884 ، ويبدو انه قد حدد موقفه فى هذه الفترة فلم يلبث ان عاد الى بيروت فدرس اللغتين العبرانية والسريانية ، ثم رحل الى لندن فاقام فيها فترة ، فلما عاد الى مصر بدأ عمله ، باصدار الهلال وكتابة مؤلف هام عن تاريخ الماسونية ، وهو كتاب يؤازر بالطبع هذا الاتجاه، فقد كان هو من المشاركين فى هذه المنظمة الخطيرة ، وكذلك كان الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ومكاريوس وسليم سركيس والدكتور شبلي شميل وغيرهم من الطوالع الاولى لمعاهد الارساليات ثم كانت له (اي زيدان) مواقف مع الاتحاديين العثمانيين يفصلها السيد رشيد رضا فى ترجمته لجرجي زيدان حيث يقول عنه (1) : « ثم انه قد ظهر منه بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة تقدمتها نزعة عدت احياء المذهب الشعوبية ، ذلك بانه زار الاستانة ولقي فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية مستنكرا مجاراة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوبا خطة الاتحاديين الاولى فى تتريك العناصر وادغام العرب فى الترك وقد كتب فى الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب فى الاستانة وسوريا، وكانوا يحملون عليه فى الصحف .

اما النزعة التى سبقت هذه النزعة فهي مطاعن له فى العرب اودعها فى تاريخ (التمدن الاسلامي) فطن لها اخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن

(1) م 17 مجلة المنار سنة 1914 .

الاسلامي ونشره فيها بالتتابع ، فتشاور كثير من الشبان المتعلمين فى الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منهم شيء . »

ثم اشار الى نقد العلامة شبلي النعماني لهذا الكتاب وقال : علمنامن المنتقد عند لقائه فى الهند انه كان يرى بعض الغلط فى تاريخ التمدن الاسلامي وغيره من مؤلفات صاحبه فيحمله على الخطا وسوء الفهم ، ولكنه لما قرا مجموع طعنه على العرب جزم بانه صادر عن سوء قصد ، فهذا سبب شدة حملته عليه على ما كان من مودته له » .

وقال النعماني ان سبب ما انتقد وما ينتقد من الغلط على كتبه (اي كتب جرجي زيدان) بحق ، هو انه كان يقدم على الكتابة فى مباحث لم يسبق له دراستها معتمدا على مراجعتها من مظانها عند الحاجة اليها ، ومن كان يكتب المقالة فى يوم او ايام أو ساعة او ساعات لاجل ان تنشر فى مجلة شهرية ويؤلف الكتاب فى عدة اشهر لانه وعد بنشره في وقت معين من السنة ، قلما يستطيع ان يجمع بين المواد ، وتنسيقها وترتيبها » .

وقد اشار العلامة النعماني فى بحثه المطول عن كتاب التمدن الاسلامي الى (ان الغاية التى توخاها المؤلف ليس الا تحقير الامة العربية وابداء مساوبها ولكنه لما خاف ثورة الفتنة غير مجرى القول ولبس الباطل بالحق وبيان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلاثة ادوار ، فمدح الدور الاول ، ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين ، وبمدحه لبني العباس ، وهم ابناء عم النبي ، ورأى ان بني امية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم ، تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خفي حسنة الا وابتزها منهم » .

ويقول : وهو عرف حق المعرفة انه لو انتقد الخلفاء الراشدين ونال منهم صريحا كسد سوقه ، فدبر لذلك حيلا لا يكاد يفطن اليها اللبيب ، فعمد الى رؤوس المثالب ونسبها اليهم بأنواع الاحتيال ، فتارة بتبديدها فى ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية ، وتارة بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة يذكرها محتالا لا عذرا ، واذا دققت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدد ونظمت ما هو مفرق ، تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا أشد اعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا اهل الذمة وجعلهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يؤبه بهم) .

واشار العلامة شبلي نعماني الى ان مرجع ذلك ان جرجي زيدان (يزن التاريخ الاسلامي بميزان غيرنا، ولا يعرف ان هذا الفن (اي كتابة التاريخ) له أصوله وقواعده ، ما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية فلا يتلفت اليه اصلا) .

ويقول : وللمؤلف فى انفاق باطله اطوار شتى منها تعمد الكذب وتعميمه بواقعة جزئية والخيانة فى النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والفكاهات.

ومما اخذه عليه وقوفه فى صف خصوم العرب القائلين بأنهم حرقوا مكتبة الاسكندرية فقد اشار الى ذلك اكثر من اشارة ثم عقد بابا لاثبات ان خزانة الاسكندرية حرقت بأمر عمر بن الخطاب وقد اطنب فى ذلك واستدل عليه بستة دلائل (التمدن / ج 3 ص 40) واشار النعماني الى ان المؤلف اعتمد على روايات ثبت كذبها ، وقال ان اقدم من روى هذه الرواية هو (البغدادي) ذكرها من غير اسناد ومن غير احالة على مصدر .

وقال ان اول شيء يهمنا ، هو : هل ذكر القفطي والبغدادي هذه الرواية مسندة ، وذكرا مصدر الرواية واسم رواتها ، ام لا .

وانت تعلم ان البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع فأي عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول تذكر من غير سند ولا احالة على كتاب .

اما كتب القدماء الموثوق بها ، فليس لهذه الرواية اثر ولا عين ، وهذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة ، والاخبار الطوال للدينور ، وفتوح البلدان للبلاذري ، والتاريخ الصغير للبخاري وثقاة ابن حيان ، والطبقات لابن سعد ، قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ومع ان فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر (1)

وقال شبلي النعماني : واعلم ان مسالة احراق خزانة الاسكندرية موضوع مهم عند اهل اوربا وقد

---

(1) م 15 المنار 1914

اطال البحث فيه نفيا واثباتا ، وعني بهذا البحث جملة وتفصيلا : المعلم وايت والمعلم دساسي الفرنسي في ترجمة كتابه (الافادةو الاعتبار) واشنكن ادونك ، ودربير الامريكاني صاحب كتاب الجدل بين العلم والدين، وكرجين وسديو في تاريخ الاسلام، والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسي في خطبته عن الاسلام والعلم .

وقد طالعت كل هذه الابحاث والمقالات ، والحاصل ان محققي اهل اوربا قضوا بأن الواقعة غير ثابتة اصلا ، منهم جيبسون المؤرخ الانجليزي ، ودربير الامريكاني ، وسديو الفرنسي ، وكريل الالماني ورينان الفرنسي وعمدتهم في انكار ذلك امران :

« الاول » : ان الواقعة ليس لها عين ولا اثر في كتب التاريخ كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها واول من ذكرها عبد اللطيف البغدادي والقفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرا للرواية ولا سندا . و « الثاني » ان الخزانة كانت قد ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن انكارها .

— * —

هذا هو موقف العلامة شبلي النعماني ، اما العلامة رفيق العظم فقد اشار الى مخاطر كتابات جرجي زيدان على هذا النحو :

(اولا) اخذ بعض الاحاديث الضعيفة معتمدا على ما يفكر المؤرخون وقلما يعتمد على ما ينقلون من الحديث بغير سند صحيح لتفشي الموضوعات في كتبهم لندرة من اشتغل منهم برواية الحديث.

(ثانيا) الاجمال في بعض المواضع التى تقتضي البسط واهمها عند الكلام على العلوم التى اشتغل بها العرب في ابان مدنيتهم .

(ثالثا) الاكثار من مثالب الامويين ودولتهم العربية حيث يرى القاريء ان القسم المخصص لبني امية عار من مآثر القوم الا فيما لا يشكرون عليه كأنما هو خاص بمثالبهم فقط .

(رابعا) ان آرائك في بني امية مهدت للظن بأنك منحاز لغير العرب ، لهذا اطربت الدولة العباسية لانها اعجمية اكثر منها عربية وذهبت الى ان الفضل في رقيها العلمي والمدني راجع الى غير العرب .

— * —

اما فيما يتصل بالروايات التاريخية فان هناك اكثر من نقد وجه اليها حيث مجال التخيل والاضافة والحذف سهل يسير . فقد جرى خلط الوقائع التاريخية بالخيال ، وهناك شبهات تتصل بفرض مثل هذه الغراميات التى يرسم من خلالها القصة ، على الخلافات السياسية التى قامت بين بعض رجال التاريخ الاسلامي مما لم يرد عنه نص صحيح في اي كتاب من كتب التاريخ الموثوق بها ، ويقول الدكتور محمود حاق شوكت : انه حين يختار موضوع رواياته لا يختار فترات القوة والعظمة في التاريخ العربي الاسلامي .

ولكنه يختار المواقف الحساسة التى تمثل صراعا بين مذهبين سياسيين او بين كتلتين تتصارعان عليا لنفوذ والسيطرة فهو في الوقت الذى يحدثنا فيه عن (فتاة غسان) لا تجده يتعرض لفترة ظهور الاسلام في عهد الرسول ، ولا لفترة انتشار الاسلام وهو لم يتعرض لفتح مصر الاسلامي في رواية (ارمانوسه) .

وهو يعبر مراحل التاريخ الاسلامي ليقدم مواقف الصراع :

في اواخر عهد عثمان واوائل عصر بني امية : وهي (عذراء قريش) و (غادة كربلاء) و (الحجاج ابن يوسف) وهو لا يختار من العصر العباسي الاول الا شخصية ابي مسلم الخراساني التى تمثل الصراع بين العربية والفارسية ، و (العباسة) التى تمثل الصراع بين الرشيد والبرامكة ، وشخصيتي الامين والمأمون وهما يمثلان عودة الصراع بين العرب والفرس من جديد ، وهذا الاختيار الذى يعمد فيه جرجي زيدان الى فترات الصراع .

ويكشف هذا الاختيار ان جرجي زيدان لا يتجه الى التاريخ العربي الاسلامي باحساس قومي يدفعه الى ابراز امجاد هذا التاريخ ولعل هذا ما حمل بعض المؤرخين على اتهامه بانه تأثر في نظرته الى العالم الاسلامي تأثرا خفيفا بنظرة بعض المؤرخين الغربيين، من حيث انصاف الشعوب الاعجمية ، ووضع هالات مثالية حول الاديرة والرهبنة ، وتصوير

الخلفاء تصوير الوصوليين الذين يضحون فى سبيل الملك بأقرب الناس اليهم .

وهو لا يذكر حسنة واحدة للسلطان عبد الحميد وانما يجعله قلقا متوجسا وحشيا فى تصرفاته حتى انه حاك له اسطورة تقرب بينه وبين فرعون .

— * —

اما العلامة احمد الاسكندري فقد انتقد عمل جرجي زيدان فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) فقال :

المؤلف كثير النقل من مستعربي الافرنج من غير تمحيص لدعواهم ، فيه كثير من صور فلاسفة اليونان ونقلة السريان وصور خيالية لخرافات اهل القرون الوسطى من الافرنج واهم الامور التى تؤخذ على الكتاب :

1) الخطأ فى الحكم الفني أي انه يقرر غير الحقيقة العلمية سواء كان ذلك بقصد من المؤلف ام بغير قصد .

2) الخطأ فى الاستنتاج وهو ما يعذر فيه المؤلف لانه اجتهاد من عند نفسه فان اصاب فله الشكر وان اخطأ فمن! لذى ما ساء قط .

3) الدعوى بلا دليل وهو ما يقرره المؤلف من غير التدليل عليه ، وقد يكون فى ذاته صحيحا ولكنه فى سوقه ساذجا مجالا للشك .

4) الخطأ فى النقل فى عبارات المؤلفين بقصد اختصارها او من سرعة الجمع وقلة مراجعة الاصول .

5) قلة تحري الحقيقة بمراجعة الكتب المعتبرة والتواريخ الصادقة ، ووزن كل عبارة بميزان العقل والانصاف وقياس الامور بأشباهها بل كثيرا ما تروج عند المؤلف اقوال الخصوم من خصومهم ، وأقوال الكتب الموضوعة لاخبار المجان او لذكر عجائب الامور وغرائبها .

6) الاستدلال بجزئية واحدة على الامر الكلي وهو كثير الحصول فى كتب المؤلف .

7) تقليد المستشرقين فىمزاعمهم او نقلها من غير تمحيص .

8) اضطراب الباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها او لعدم صفاء الموضوع للمؤلف .

— * —

وقد اشار بعض الباحثين الى ان اسلوب العلامة احمد الاسكندري لجرجي زيدان كان يحمل طابع الاستيلاء وينقص هذا الراي هذه العبارات الهادئة المتصفة فضلا عن ان الاسكندري كان واحدا من اساطين الادب فى ذلك العصر ، بالنسبة لجرجي زيدان الذى لم يكن عاملا متخصصا ولا خريجا لاي معهد علمي ، كزملائه الدكاترة : صروف وفارس نمر وشبلي شميل ، وانما كان رجلا يعمل عاملا فى احد المطاعم فى بيروت ثم تطلع الى الادب والصحافة فليس هو اساسا من المراجع العلمية فى هذه الفنون التى طرقها ولا متخصصا فيها ولكنه كان مشتغلا بالصحافة والتاليف على النحو الذى يرضي القاريء المتوسط وانه كان يتكيء فى كل ما يكتبه على مؤلفات المستشرقين وكان على هواهم وربما كانت صلته بالمخابرات البريطانية فى اول شبابه لها اثرها البعيد المدى فى تاريخه وكتاباته حتى وصفه البعض بانه من طلائع دعاة التغريب فى اوائل هذا القرن .

ولكن ذلك كله لا ينفي ان جرجي زيدان قدم كثيرا من المعارف النافعة مع خلط من الحق والباطل ، وكل ما يقال فى ظل ما قدمناه مما وجه الى مؤلفاته، هو ان تؤخذ آراؤه بشيء كثير من الحذر والتحفظ .

القاهرة — انور الجندي



سريع البادرة حاضر البديهة ، لو شاء ان يجعل حديثه كله فكرا مرتجلة وحكما عفوية لاستطاع، ذلك هو ابو العيناء ، محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الاديب الفصيح ، الذى عده أصحاب الادب بحق من ظرفاء العالم . لم يسكت على سؤال ولم يحرج فى جواب ، لا يكاد الكلام يبلغ سمعه حتى ينبثق الجواب عنه كالسهم سرعة واصابة واحكاما ، حتى خافه الناس وهابه الخلفاء وحسب اهل زمنه له حسابا لم يحسبوه لجرير او دعبل او غير هذين من الهجائيين المخيفين .

أصيب بالعمي وهو في الاربعين من عمره ، فازداد نباهة وبديهة وقويت ذاكرته وحافظته ، حتى وصفه الشاعر ابو علي البصير ، وهو ضرير مثله ، فقال فيه :

قد كنت خفت يد الزمان
عليك اذ ذهب البصر

لم ادر انك بالعمى
تغنى ويفتقر البشر

ولد هذا الاديب العجيب فى الاهواز وعاش فى اليمامة ، فهو كما يبدو من اصل فارسي لانه كان هاشميا بالولاء وكانت ولادته فى العقد الاخير من القرن الثاني للهجرة ووفاته فى نهاية القرن الثالث فعاصر المتوكل ، وكان صديقا له كما كان محل اعجابه حتى قال فيه الخليفة : لولا انه ضرير لنادمته وسمع ابو العينا فتألم وخرج الجواب على شفتيه مسكتا محكماو محكما فى آن قال : اذا اعفاني الخليفة من قراءة الفصوص ورؤية الاهلة ، فاني اصلح للمنادمة .

كان شاعرا ، ولكن شعره اقل ادواته ، فلم يكن موهوبا فى هذا الباب وان اخذ بالنظم وليس ذلك بمستغرب على اديب يقرأ ويفهم ويعاشر الادباء والشعراء ، لان النظم كان سلوة الناس جميعا اما الشعر فهو ابن الموهبة والقريحة الملهمة ، وشعر الناظمين من مثل ابي العيناء اقرب الى النثر لخلوه من مقومات الشعر ، وقد وصف ابو العيناء ، اياما قضاها فى دير باشهرا على شاطيء دجلة ، كما يروي صاحب الديارات ، فلم يوفق الى ذلك كما كان يوفق فى هذه الاوصاف ابو نواس او مطيع او ابن الضحاك لان البون شاسع بين الشعر وغير الشعر.

ان الثروة الادبية التى ابقاها لنا ابو العيناء تكمن فى هذه الاخبار الطريفة ، والحكايات الخفيفة التى تريح النفس وتبعث البسمة على الشفاه ، وهي على كل حال ، لون من الوان الفن وقد خلد هذه الحكايات الصاحب ابن عباد الكاتب الكبير فى كتاب له ، ولكن الزمن ذهب بهذا الاثر النفيس فضاع سجل تاريخ هذا الادب الظريف .

طلب يوما من الوزير صاعد بن مخلد ان يكتب له كتابا الى مصر ، فاخذ الوزير يستفهم : الى مصر؟

فقال ابو العيناء : وما استبعادك مصر ، والله ، لما في صناديقك ابعد علي مما في مصر اشارة الى بخل هذا الوزير وشحه .

ومر بدار رجل يكرهه هو عبد الله بن منصور ، وكان هذا مريضا ، فقال ابو العيناء غلام الرجل . اي شيء خبر عبد الله ؟ فقال الغلام : كما تحب فقال : فما لي لا اسمع الصراخ والعويل فى الدار .

وكان معاصرا للجاحظ وصديقا له ، وكان الجاحظ يثيره ليسمع منه جوابه الظريف وقوله اللطيف ، وقد قيل له يوما : ان الجاحظ افضل منك فقال : ان ابا العيناء يدل على كنية والجاحظ يدل على عاهة والكنية وان سمجت أصلح من العاهة وان ملحت .

وانظر بعد ما مر بك الى هذه الاجوبة التى تدل على الذكاء ، كما تدل على تمكن فى اللغة ونباهة فى فهم الامور ،عمر المتوكل دارا جديدة فسأل ابا العيناء عن رايه فيها فقال : رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا وانت جعلت الدنيا فى دارك .

وانظر ايضا الى هذا الاعتذار العجيب الذى يدل على الفضل الراجح والحكمة البالغة ، فقد اراده المتوكل على ان يكون جليسا له فقال يعتذر: يا سيدي، لا اطيق ذاك ولا اقوى عليه وما اقول هذا جهلا بما لي فى هذا المجلس من الشرف، ولكني رجل محجوب – اي ضرير – والمحجوب تختلف اشارته ، ويخفى عليه ايماؤه ، ويجوز علي أن اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض ، وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هذين ، هلكت .

اليس هذا الكلام يدل على العقل ، ويدل على نفس تقطر حسا ورهافة على أن اصحاب النكتة فى الاغلب لا يفطنون الى تدوين ما يخطر على بالهم ، ولو كانوا من العلماء او الادباء والموهوبين فان انصرافهم الى النكتة ، يصرفهم بطبيعة موهبتهم ، عن الكتابة والتاليف والاملاء لذلك فان اكثرهم لا يخلف اثرا ، ولا يترك كتابا او ديوانا كما حدث لصاحبنا ابي العيناء ، ولولا اهتمام اصحاب التاريخ بهذه الشخصية النادرة لذهبت هذه الشخصية وعفا اثرها مع الزمان ، ولكن هؤلاء قد حفظوا عددا ليس بالقليل من حكايات وآثار هذا الاديب الامر الذى امكننا من معرفته والاستماع بظرفه وادبه .

وفى التاريخ الادبي ادباء كبار لم لم يخلفوا تراثا مكتوبا وهم ، رغم ذلك ، قد عاشوا وما زالوا يعيشون فى خواطر الادباء واذهان الكتاب من الاجيال التى جاءت على اثرهم ، لان الفن يحفظه الناس لحاجتهم اليه ، ويذكره الادباء لما فيه من ندرة وعبقرية ولو لم يسجل او يكتب كما قال شوقي :

ان تسل اين قبور العظما

فعلى الافواه أو فى الانفس

هذا هو الاديب الضرير أبو العيناء ، الذى عرف الخلفاء فلم يخش منهم احدا والذى كان جوابه ابلغ من الشعر واسمى من كثير من الادب .

لقد كان صديقا لعظماء عصره لانه كان عظيما فى ذكائه وادبه .

سوريا : احمد الجندي



للشام ادب ولهذا الادب طوابع ومياسم ، فما هو أدب الشام ؟

لقد رحت اسائل نفسي وانا ارى بلاد العرب شبيهات بالفتيات اللدات وهن نظائر نجلهن اب واحد وام واحدة . لكن لكل منهن ميزة خاصة تميزها من اخواتها في الطول والقصر ، والوسامة والجمال . ولون الشعر ورهافة القد وسحر العيون . وكل واحدة منهن تتصف قبل ذلك وبعده بالمواهب الروحية السامية ، ومزايا الفكر والشعور .

فما هي تلك الطوابع والمياسم في ادب الشام ؟..

اما الطوابع فكثيرة ، لقد تجلت في مظاهر اشتاتا ، فهي تارة مزايا وضاحة في المعاني والاساليب التي يسمو بها البيان العربي ، وحينا تفور في شياتها الملامح ، فاذا هي تقف وراء زجاج غير شفاف ، تبين اشكالها ولا تبين صورها ومعانيها الا حين يزحزح الناظر ذلك الحجاب الصفيق بين عينيه وبين مطالعها.

ولقد توسط الشاعر الفذ « البحتري » فكان شآمي الوضوح ، اخذ شعره من اشراقة شمس بلاده ومن خضرة الربيع كان زهو اشعاره ووشي معانيه وتعبيره .

اما استاذه وصاحبه « ابو تمام » فان (حوران) التي اطلعته من منابت قمحها الابدي ، جعلت شعره خبز الشعراء . افليس تلميذه وصاحبه البحتري يقول :

ـ ما أكلت خبزي الا بشعر ابي تمام ! .

وكذلك طعم ارغفة شعر الطائي كثير من الشعراء في عصره وبعده ، حتى امتلأت بطونهم به ووجدوا الصحة في غذاء ذلك القمح الذي كانت منابته من « جاسم » بحوران .

اما الذي اغمض الدهر عينيه عن رؤية الوجود الظاهري وفتحهما له في بصيرة العوالم التي كانت افلاكها تدور في داخله فيجد نفسه في دنيا تفوق الاحلام ، فهو شاعر الفلسفة العظيم ابو العلاء المعري. انه لم يبد صاحبا كصاحبيه ، وانما نسج على شعره ونثره رداء ثخينا يكاد يحجب عنه الشمس والهواء .

ان تاريخنا الادبي لم يحدثنا ان ابا العلاء غادر محبسه منذ انقطع اليه باختياره بعد اواسط عمره ورجعته من بغداد الا مرة واحدة حين حاصر صالح بن مرداس صاحب حلب المعرة بايعاز لصدره من وزير له كان قد غضب على اهل المعرة وهو من أصل رومي قادعى عنده انهم خلعوا عصا طاعته ونهضوا بثورة عليه ، وصحيح الخبر انهم ثأروا لانفسهم من أصحاب الدنايا في بلدتهم ، يومذاك خرج ابو العلاء لمقابلة صالح بن مرداس واستلال غضبته على أهل المعرة فشفع لهم عنده وصرفه عنهم بسلام وكان صالح يزمجر مهددا متوعدا وابو العلاء يطيب له الكلام فيقول له :

ـ الامير ادام الله اقباله ، كالنهار الماتع قاظ وسطه وابترد طرفاه .

ويقول فيه بشعره في اللزوم :

بعثت شفيعا الى صالح
وذاك من القوم راي فسد
فيسمع مني سجع الحمام
وأسمع منه زئير الاسد

وكانت حجرة ابي العلاء التى حبس بها نفسه حتى موته ينزل اليها بدرجات ، ولم يذكر احد انه كان يصعد منها الى فسحة داره حيث كانت الخبيزى مزروعة فيضحو للشمس ويستنشق الهواء الصافي. لقد حرم نفسه – على ما اظن – حتى من الشمس والهواء فعكس على شعره كل هذا فجاء ادبه غامضا فى معانيه معقدا فى الفاظه ومبانيه . لكن المستجلى لآثاره – اذا لقف العربية وعلومها – وجد لذة فى تفهمها لصعوبة دركها ولان درك الصعاب له لذة عقلية مثلى ... ومن مظاهر ادب الشام الصناعة فى الاسلوب والتعبير وقد افتن ذلك ابو تمام وجعله ديدنا فأجرى فنون البديع فى شعره ، وجرى على غراره البحتري وكثير من شعراء الشام من بعده حتى اليوم .

وكيف يعرى ادب الشام من جمال الكلام ونضارة الاسلوب وارض هذا الادب تعطيه فى كل يوم لونا زاهيا من الوان طبيعتها.. ان عرب الجاهلية على ما كان فى حياتهم من الجفاء والجفاف قد ندوا اشعارهم وطيبوها بعطر القرنفل وصانوها من وهج الشمس المحرقة وريح الرمل السافية ، فما بال شعراء الشام لا يتجاوبون مع أرضهم وسمائهم وبينهما هواء قل ان تجد مثله فى بلد من البلدان فوشي الغوطة وزاهيات مرابعها والافياء الندايا فى ضفاف بردى وشطآن العاصي حيث تترامى ضفائر الصفاف تتمرى على صفحة الماء فى ميماس حمص والبشريات فى حماه وما يجد الادب فى شبهة حلب وماضيها الحمداني الاثيل وقد كان فيها من شعراء الحمدانين سحرة بيان وما ترامى على اللاذقية من ادب الديار ، كل ذلك يتلألأ بالفكر وينضره الشعور.

حين مر احمد بن جبير الاندلسي الرحالة بدمشق فى اواخر القرن السادس للهجرة اختلبت لبه ازاهير رياضها وحلل بساتينها السندسية يقول فيها :

« تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل ، وتناديهم هلموا الى حسن ومقيل ، قد احدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، واكتنفتها الكمامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر ولله صدق القائلين عنها . »

« اذا كانت الجنة فى الارض فدمشق لا شك فيها، وان كانت فى السماء فهي تساميها وتحاذيها ».

ولقد ذكرت عند قول ابن جبير الشاعر الخالد احمد شوقي حيث يقول وقد رأى الشام :

آمنت بالله واستثنيت جنته
دمشق روح وجنات وريحان

وكان ابو نهضة الشام الاستاذ محمد كرد علي مشغوف الفؤاد برياها الى غوطتها ويغدو حتى كتب الكثير فى محاسنها ان ادب الشام باق فى عبقرية لغتنا العربية ما بقيت جبالها الشم وانهارها العواطر ومهادها الفيح يسير بها ركب الزمان على حداء الحضارة ليسكن فى منثور التعبير الرائع ومنظوم الشعر الخالد الذى تفضي به ، كلام الادباء والسنة الشعراء كذلك اقول : سائليني يا شآم .

الدكتور زكي المحاسني



كنت فى طور الحداثة ، حين ابصرت مرة ، رجلا فى شرخ الشباب ، أسمر البشرة ، متألق العينين، فارع القامة ، يلتف بعباءة دكناء ، وحين سألت عنه قالوا :

ـ هذا هو شاعر الثورة العراقية .. محمد رضا الشبيبي .

وبعد أيام كنا ندرس ، على مقاعد الدراسة ، قصيدة لا أروع فى وصف مدينة البحر ـ صيداء ـ للشاعر نفسه ، حيث يقول :

عروس من البلدان ليس لها مهر
ومصر سبتني لا العراق ، ولا مصر

والشبيبي واحد من ثلاثة تألقوا فى العراق ، فى أوائل هذا القرن هم الزهاوي والرصافي والشبيبي وكان لكل واحد منهم مزاياه الخاصة ، ومدرسته الشعرية، ولئن نهج الرصافي منهج العنف، فقد برز فى كونياته ، ولكنه كان أكثر بروزا فى شعره الاجتماعي المتحرر ، وفى شعره السياسي الجريء . وكذلك الزهاوي الذى عرف بتحرر عقله ، وصرامته ، ولكن طبعه الفلسفي غلب على شاعريته التى ابت ، مع ذلك ، الا ان تظهر فى كثير من ومضاته العاطفية .

بينما نرى الشبيبي سلك مسلكا حذرا ، معتدلا ، جمع حسن السبك الى وضوح المعنى .

على ان الشبيبي ، بحكم ثقافته الدينية التى تلقاها فى النجف الاشرف ، الذى كان بمثابة الازهر فى مصر ، بلد اعاظم الرجال ، تزدحم فيه شخصيات مختلفة ، شخصية العالم الديني ، وشخصية الاديب البحاثة ، وهو من اول من فكر باحياء التراث الادبي .

وشخصية السياسي ، وهو واضع الوثيقة المشهورة التى تعد الوثيقة الاولى التى تضمنت طلب الاستقلال وضمان حرية العراق ، دون وصاية ولا انتداب .

ومن عجب ان تلزمه شاعريته فى شبابه ، ثم يميل الى الهدوء والاقلال، بعد ما ولى عصر الشباب، لان شيطان السياسة قد استغواه ، وهو الذى لعب دورا عظيما فى احداث العراق ، ثم تقلبت عليه وظائف شتى، فمرة يراس المجمع العلمي ، ونادي القلم ، ومرة يراس مجلس الاعيان والنواب ، ومرة يدخل الوزارة مرارا ...

تلقى الشبيبي دروس الشعر والادب واللغة والدين فى النجف الاشرف الذى كان للعراقيين بمثابة الازهر للمصريين ..

ومن النجف ظهر كل الذين حباهم الله الملكات الشعرية ، والمواهب الادبية حتى كان بحق مقرا لرجال الدين ورجال الادب ... والشعر فى هذه

المدينة ، كان ولا يزال الكلمة المقدسة التي تعبر عن المشاعر والاحاسيس ، والتاريخ ايضا .

وليس بغريب ان يتأثر الشبيبي ، بطريقة الطبقة السابقة ، في النسج والتركيب والاسلوب وهي طريقة ورثها النجف من العصر العباسي امثال الشريف الرضي ، ومهيار الديلمي ، ممن عرفوا بمتانة السبك ورقة البيان ...

وله الوقفة الجريئة التي مثلت رغائب الامة في شجب حكومة الاحتلال والمطالبة بالاستقلال الكامل حتى هاجت النجف وماجت وايدت العشائر غضبتها .. الامر الذي حال بين السلطة المحتلة وتوقيف الشبيبي ونفيه من العراق ، ولكن هذا لم يمنعه عن الخروج احيانا من العراق ، طلبا للراحة والانطلاق.

— * —

اما ديوانه فهو قليل الغزارة بالنسبة الى اقرانه ، كان غزير العطاء في صدر شبابه ، ثم توقف فترة طويلة فلم ينظم شيئا ، وحين عاوده الشوق الى الشعر ، كان ينبوعه قد جف كما يقول :

عاودك الشعر حلما ، وما
عاود بعد القطع مشتاقا

ولعل آخر قصيدة له نظمها في مهرجان المتنبي الذي اقيم بدمشق سنة 1936 ، وفيها يقول :

يا قلب ! عادك من دمشق عائد
والذكريات من الحبيب تعاود

ايام تنشد في الجزيرة غاية
يسمو بفكرته اليها الناشد

ما بيننا الا شباب طامح
او ثائر ، او ناقم ، او واجد

ما اصدق هذا البيت الاخير في تصوير ذلك الجيل — جيل ما بين الحربين !.

اما ديوانه الاوحد فقد ظهر في اخريات حياته سنة 1940 وكتب مقدمته بنفسه ، وهو يحدد فترة نظم قصائد هذا الديوان بفترة لا تقل عن الثلاثين سنة .

وقد عين سمات هذا العصر بقوله :

— « امتاز هذا العصر بانه عصر اليقظة في الفكر والشعور ، حيث حاول الادب ان يمثل الحياة في مختلف صورها ، وشتى مظاهرها .

وما هذه المجموعة الشعرية في الحقيقة الا من وحي تلك الايام ، الى نهاية الحرب العامة بل الى ما بعدها بسنين ...

ان الديوان لم يكن نابيا عن بيئته ، ولم تكن اغراضه سياسته فقط وانما كانت اغراضا اصلاحية ، والازمات اكبر مصادر الالهام في هذا الديوان .. »

وهو في هذا التحديد لا يختلف عن شعراء عصره ، في غير قطره ممن اخضعوا شعرهم للسياسة والاصلاح ، وجعلوه ناطقا في الازمات ، وشاهدا في النكبات ، كأنما ينطبق عليهم ما يسميه اهل اليوم بالالتزام ..

وما كان الشبيبي شاعرا ذاتيا ، ينطوي على ذاته ، بل كان شاعرا يؤمن برسالة الشاعر ... ومن هذا المنطلق راح يتأمل في علل المجتمع ، فيقول :

« وحسبنا من هذا العلل استفحال الجمود ، وانتشار الفوضى ، وسيطرة الاوهام ، وفقدان الشعور بالواجب خصوصا لدى المسئولين .. »

كلمات قليلة ، لا نجد اصدق منها وعيا وتصويرا ونفاذ في قلب المجتمع المريض !

واما الهدف الذي اراده ..

« فنحن لم نكن نستهدف الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات » ، ورسالة الشعر عنده لا تعدو وصفة الدواء ، بعد تشخيص الداء ولا تعدل عن استخراج العظمة البالغة من سنن الاجتماع وعبر التاريخ ، ولا تتعدى الاشارة بقيم الفضائل ومكارم الاخلاق ، وبذلك تضطرم النفوس ، وتثور الارواح المتمردة ثم تفيض بهذه الصور الشعرية » .

— * —

واما تقسيم الديوان فهو تقسيم تقليدي جرى عليه شعراء عصره : الحماسة او القصائد الوطنية — الحكميات — الاجتماعيات — الاخلاقيات — والالهيات — الوجدانيات — الوصفيات — الرثاء ..

اما فى **قصائده الوطنية : فهو يرى ان الشعر لم يعد** مقتصرا على حياة الشاعر الخاصة ، وانما عبر الى الآفاق الواسعة من عوالم الدنيا ، وتغلغل فى اعماق الشعوب العربية وحرياتها وامانيها . وما اجمل قوله :

وقيل : تقاربنا وها نحن جيرة
ولما بدا الصبح انثنى قربنا بعدا

اما يضحك الوحش الشوارد حملنا
على بعضنا ما ليس تحمله حقدا!

واما فى **حكمياته** التى ارسلها امثالا ، وسرد عبر وعظات ، وتعبيرا عن خلجات نفس فهو يرمي الى تقويم الضمير قبل تقويم اللسان .

احدى العجائب عدا ان يثقفنا
قوم ثقافتهم فى ارضنا عجب

من معدن الشر ما سنوا وما شرعوا
ومن معانيه ما خطوا ، وما كتبوا

المال مأرب كل من صناعته
بئس الصناعة، لا كانت ولا الأرب

واما فى **اجتماعياته** : فتتمثل فيها النزعة الى التجديد فى عصر لا يزال يتمسك بالقديم ، وها هو يخاطب رجال الغد دافعا بهم نحو كل جديد :

انتم جيل جديد ، خلقوا
لعصور مقبلات جدد

كونوا الوحدة ، لا تفخها
نزعات الراي والمعتقد

لتكن آمالكم واضعة
نصب عينيها حياة الابد

لتعش افكاركم مبدعة
دابها ايجاد ما لم تجد

واذا لم تستقم افكاركم
ذهب العلم ذهاب الزبد

واما فى **الاخلاقيات** ، فقد كان الشبيبي الشاعر الجريء الذى لا تخدع الظواهر ناظره . ولعله ، فى هذا المجال ، كان له اكثر من لقاء مع حكيم الزمان — المعري — وتبقى قصيدته « فتنة الناس » القصيد اليتيمة التى لم ينظم مثلها فى الشعر الاجتماعي اذ تمثل فيها العمق ، واليسر فى النظم ، حتى كأنها مرقصة من المرقصات . وقلما وفق شاعر فى قصيدة اجتماعية مثل هذا التوفيق .

ومنها قوله :

فتنة الناس — وقينا الفتنا —
باطل الحمد ، ومكذوب الثنا

رب جهم حوله قمرا
وقبيح صيراه حسنا

ايها المصلح من اخلاقنا
ايها المصلح ! الداء هنا

كلنا يطلب ما ليس له
كلنا يطلب ذا ، حتى انا

ربما تعجبنا مخضرة
اربع فى الاصل كانت دمنا

لم تزل — ويحك — يا عصر افق
عصر القاب كبار ، وكنى

حكم الناس على الناس بما
سمعوا عنهم ، وغضوا الأعينا

فاستحالت — وانا من بعضهم —
اذني عينا ، وعيني اذنا

اننا نجني على انفسنا
حين نجني ، ثم ندعو من جنى

بلغ الناس الأماني حقها
وبلغناها ، ولكن بالمنى

اخطأ الحق فريق بائس
لم يلومونا ، ولاموا الزمنا

— * —

ومما يدل على سماحة الشبيبي فى تفكيره ، وعدم التشبث بما يراه هو صوابا ، قوله :

حجبت طلعة الحقيقة عني
ليتها تستشف خلف الحجاب !

اسفري ، يا مليحة الدل اني
صرت ازداد فتنة بالنقاب

لست أغتـــر بالصــــواب اراه
خطأ المخطئين أصــل الصــواب

— * —

وبالرغم مما احاط الشبيبي من ازمات ، فلا بد له من خلوة ينازعه فيها قلبه . ولابـد له من شعـر وجداني تنعطف عليه ذاتـه ، واكثـر هـذا الشعـر الوجداني نظمه فى مطلع صباه .

ومن ذلك ــ حديث القمر ــ ومحبوبتـه بيـن يديه وملء عينيه .

واشرقت ، يا بدر ! فعل الرقيـب
علينا ، لقد جئت احـدى الكبـر

أمايستلبنـــك مـــراى الفـــرام
فتهـوى ؟ وانى يلين الحجـر ؟

الى ان يقول :

وارسلـت الاربـــع الحالكـــات
فطولن ما فى الدجى من قصـر

واســود مــن شعرهـا لو تشـاء
نفضت عليـه ســواد البصــر

فمـا شوشتـــه يـــدا عابــث
ــ وحاشاه ــ الانسيم الشجـر

صورة رائعة فيها الجمال والطهر والحب !

— * —

وفى وصفياته ، تبقى له الرائعة الخالدة فـي مدينة « صيداء » وكأن جمال هذه المدينة الهاجعـة على البحر قد اذهله عن كل جمال ، حتى عن طبيعة بلاده ، بالرغم مما حاول ان يجمع بين جمالين :

وما هي الا الشعـر صيـغ مدينـة
فأنى يواتيني لانعتها ، الشعـر ؟

تمايلـت لا سكـرا ، ولكـن هلـة
لذكراك، او ذكرى العراق هي السكر

وما انـت يـا صيـداء الا مـلاءة
من الورد ، محبوب لرائدك النشر

ترجل ــ ان هبت ــ غدائرك الصبا
ويفسـل ، بالامواج ارجلك البحـر

أبت جملـة الاشيـاء الا لطـافـة
بصيداء ، حتى انت يا ايها الصخر

ونراه ، احيانا ، يميل الى ان يفلسـف وصفه ، شأن شعراء الطبيعة الذيـن ينفـذون مـن ظواهـر الاشياء الى بواطنها .

ومن ذلك وصفه لحديقة ، وهي مـن أوائـل شعره ، متعجبا من زهور تحيا حياة الجماعة وبشر يحيون حياة متفرقة متمزقة :

والمتـنـي مجتـلـي وردة
تكاد تذيب حشـا المجتلـي

ستقطفهـا بعــد اهمالهـا
يد الموت ، كالولـد المهمـل

حسـدت الزهور لان الزهـور
كأخوان جامعــة ، مثــل

ويا للمودة بيـن الغصـون !
اذا ما جرى نفـس الشمـال

فهذا يقول لـذاك : اعتنـق
وتلك تشيـر لـذي : قبلـي

فما لبنـي نوعنـا الاكرميـن
قد افترقـوا كالمها الجفـل

يبيد القوي حياة الضعيـف
ويودي المسلـح بالاعــزل

فمرتفعـــون لأوج العـلا
وهاوون فى الدرك الاسفـل

فكم تنظر الناس من تحتهـم
وهم ينظرون لنا من عـل !!

— * —

واما مراثيه فهي قليلة ، لعل اروعها ما رثى به شهداء دمشـق ، وهو رثاء لم يسترسل فى الحـزن حتى اضاء فيها شعاع الرجاء والمضاء :

يا أمتي ! لا تحزني ! أو فاحزني
حزن النفوس الشم زاد مضاءها

ان الضمائر والقلوب اذا دجت
دخل الاسى اعماقها ، فاضاءها

وكان آخر ما رثى به رفيقة عمره ، وكان الاسى العميق جعله يكتفي بالقليل دون الكثير :

في كل ركن من المأوى له أثر
فكيف تحجبها الأرماس والحفر ؟

— * —

وبالرغم من أن الشبيبي قد عمر فقد دخل العقد الثامن من عمره ، وهو ذو القامة الفارعة ، وذو العينين المتالقتين ، لم يشك أعباء السنين ، ولم ينؤ جسمه تحت وطأة الكلل .

تلك هي لمحات خاطفة من هذه الشخصية الخالدة ، وقبسات من شعر شاعر عبر به عن حياته، وزبدة تجاربه في ميادين شتى وأرخ فيه طموح امته ورغبتها في التخلص من عوامل الضعف والاحتلال ، دون ان يهمل تصوير آلام نفسه واشجانها ، في اسلوب طافح بالاحساس ، متقد بالعواطف راجح بالعقل ، له من الاقدمين النسج المتين ، وله من عصره وطموح جيله .

حتى ليصدق احيانا ، قوله في شعره :

ليس هذا الشعر ما تروذ
ان هذي قطع من كبدي !

حلب ـ خليل الهنداوي

دستور العدل ..

كتب احد ولاة عمر بن عبد العزيز اليه يقول : اني قدمت الموصل ، فوجدتها من اكثر البلاد سرقا ونقبا ، فان اذنت لي ان آخذ الناس بالظنة ، واضربهم على التهمة ، فعلت ، ولن يصلحهم غير ذلك ..

فكتب اليه عمر يقول : « خذ الناس بالبينة ، وما جرت عليه السنة ، فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله » .



بمناسبة حديثه الذى القاه بالتلفزة يوم عاشر شعبان ، فكان من احاديثه القيمة التى نستفيد منها جميعا ، وقد بعثني حديثه الاخير، على هذه الهدية ، التى عزمت على تقديمها فى نفس اليوم ، لولا انشغالي بتصحيح « الاوراق التي لم تترك لي متنفسا الا اليوم ، ولله الحمد .

محمد بن تاويت

ورد فى كتاب « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، ما يلي :

روى عن عنبسة انه قال : قدم ذو الرمة الكوفة، فوقف ينشد الناس بالكناسة ، قصيدته الحائية التى منها :

هي البرء والاسقام والهم والمنى
وموت الهوى فى القلب مني المبرح

وكان الهوى بالناى يمحى فيمحي
وحبك عندي يستجد ويربح

اذا غير النأى المحبين « لم يكد »
رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال : فلما انتهى الى هذا البيت ، ناداه ابن شبرمة : يا غيلان ، أراه قد برح ، قال : فشنق ناقته ، وجعل يتاخر بها ويتفكر ، ثم قال :

اذا غير النأى المحبين لم اجد
رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال : فلما انصرفت حدثت ابي ، فقال : اخطا ابن شبرمة ، حين انكر على ذي الرمة ، واخطا ذو الرمة ، حين غير شعره ، لقول ابن شبرمة انما هذا كقول الله «ظلمات بعضها فوق بعض، اذا اخرج يده لم يكد يراها » وانما هو لم يرها ولم يكد .

(قال عبد القاهر)

واعلم ان سبب الشبهة فى ذلك ، انه قد جرى فى العرف ، ان يقال ، ما كاد يفعل ، ولم يكد يفعل ، فى فعل قد فعل ، على معنى انه لم يفعل الا بعد الجهد ، وبعد ان كان بعيدا فى الظن ان يفعله ، كقوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون »فلما كان مجيء النفي فى « كاد »على هذا السبيل ، توهم ابن شبرمة ، انه اذا قال « لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح » فقد زعم ان الهوى قد برح ، ووقع لذي الرمة مثل هذا الظن .

وليس الامر كالذى ظناه ، فان الذى يقتضيه اللفظ ، اذا قيل : لم يكد يفعل ، وما كاد يفعل ، ان يكون المراد ، ان الفعل لم يكن من اصله ولا قارب ان يكون ولا ظن انه يكون .

وكيف بالشك في ذلك ، وقد علمنا ان « كاد » موضوع لان يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع ، وعلى انه قد شارف الوجود واذا كان كذلك ، كان محالا أن يوجب نفيه وجود الفعل ، لانه يؤدي الى ان يوجب نفي مقاربة الفعل الوجود وجوده ، وان يكون قولك «ما قارب أن يفعل» مقتضيا على البت، انه قد فعل .

واذ قد ثبت ذلك ، فمن سبيلك ان تنظر ، فمتى لم يكن المعنى ، على انه قد كان هناك صورة تقتضي الا يكون الفعل ، وحال يبعد معها ان يكون ، ثم تغير الامر ، كالذى تراه فى قوله تعالى «فذبحوها وما كادوا يفعلون» .

فليس الا ان تلزم الظاهر ، وتجعل المعنى ، على انك تزعم ، ان الفعل لم يقارب ان يكون ، فضلا عن ان يكون ، فالمعنى اذن فى بيت ذي الرمة ، على أن الهوى من رسوخه فى القلب وثبوته فيه ، وغلبته على طباعه ، بحيث لا يتوهم عليه البراح وان ذلك لا يقارب أن يكون ، فضلا عن أن يكون ، كما تقول : اذا سلا المحبون وفتروا فى محبتهم ، لم يقع لي وهم ولم يجز مني على بال ، انه يجوز علي ما يشبه السلوة ، وما يعد فترة ، فضلا عن ان يوجد ذلك مني واصير اليه .

وينبغي ان تعلم انهم انما قالوا فى التفسير : لم يرها ولم يكد ، فبداوا فنفوا الرؤية ، ثم عطفوا « لم يكد » عليه ، ليعلموك ان ليس سبيل « لم يكد » ههنا سبيل « ما كادوا » فى قوله تعالى « فذبحوها وما كادوا يفعلون » فى انه نفي معقب على اثبات ، وان ليس المعنى ، على انه رؤية كانت من بعد ان كادت لا تكون ، ولو كان « لم يكد » يوجب وجود الفعل ، لكان هذا الكلام منهم محالا ، جاريا مجرى ان تقول « لم يرها ورآها » فاعرفه ، انتهى ما فى دلائل الاعجاز .

وقد علقت على هذا فيما نشرت سنة خمسين بقولي :

« ما قال هذا المفسرون الا وانهم يرون الاصل فى التعبير ، ما فى آية الذبح ، لا آية الرؤية ، فيكون ما حدث بين ذي الرمة وابن شبرمة سديدا » وبالاختصار ، فان النفي مرة يسلط على كاد ومرة على مدخولها ، فيكون التقدير فى هذه « وكادوا لا يفعلون » بخلاف « لم يكد يراها » .

محمد بن تاويت

حسن اعتذار

حكي عن بنت عبد الله بن مطيع انها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمان بن عوف الزهري وكان من أجود قريش فى زمانه :

ما رأيت قوما الأم من اخوانك ..!؟

قال طلحة : مه . ولم ذلك ..؟

قالت : اراهم اذا ايسرت لزموك ، واذا اعسرت تركوك ..

قال طلحة : هذا والله من كرمهم ، ياتوننا فى حال القوة بنا عليهم ، ويتركوننا فى حال الضعف بنا عليهم ..



— 4 —

مرة اخرى نرى لونا من الوان الحرف العربي طالما أوحت به المادة الثرية والقوية بمدلولات حيرت الاذهان وشغلت الافكار فهامت فى اتجاهات وحيها الادبي كما راينا فى الحلقات الثلاث السابقة ، والمادي كذلك لحد التأثير ودفع ما من من شانه ان يطغى على الروح فيصرفها عن قرينها التى خلقت وإياه فى ازدواج لا يكاد يعرف الانفكاك الا فى ظروف قهرية تعمل على الفصل — ومعاني من هذا الصنف قد ملأت اوقات جمهرة من رجال الكشف والتصرف ممن انتاموا الى التصوف سواء منهم اصحاب الفيض ووحدة الوجود كابن عربي الحاتمي ، وجلال الدين الرومي او غيرهم من المتصوفة او اصحاب الشعوذة ان شئت ، فلعبوا بالحرف ادوارا تصيب وتخطيء تبعا للخاصية المودعة فى ذاته كما سنري

اسرار الحروف :

يعزو مؤلفوا العرب للحروف اسرارا خفية وتاثيرات مادية (يقول الاستاذ فريد وجدي فى دائرته فى مادة الحرف من الجزء 3 ص 412 : ولا نتعرض لهذه الدعوى بتصديق ولا بتكذيب — فالممكنات لا تحضر ، وما خفي عنا من قوى الاشياء اكثر مما ظهر .

وقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته التاريخية — عن علم تلك الاسرار المعروفة لعهده — القرن الثامن والتاسع الهجرى — بالسيميا نقل وضعه من الطلسمات اليه فى اصطلاح غلاة الصوفية والمتصوفة — اذ حدث هذا بعد الصدر الاول من الاسلام ، فجنحوا به الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على ايديهم كنتيجة للحرف والتصرفات فى عالم العناصر غير انهم اختلفوا فى سر التصرف الذى فى الحرف فمنهم من نسبه للمزاج الذى فيه — وقسم الحروف على الطبائع الاربعة ، واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصريف به — وتنوعت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير الى نارية وهوائية ومائية وترابية حسب تنوع العناصر التى رمز لها علماؤنا : « نهمت » واعطوا لكل عنصر منها حروفا سبعة — ثم جعلوا كنتيجة لهذا التقسيم — الحروف النارية كالالف والهاء والطاء — لدفع الامراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حسا او حكما — كتضعيف قوى المريخ فى الحروب والقتل والفتك . وهكذا دواليك فى باقي عناصر الحروف وطبائعها — راجع دائرة وجدي ج 3 ص 413 .

ونجد ابن عربي الحاتمي فى فتوحاته يسمو ف الحروف وبها فيضعها وضعا عاليا من الغرابة بمكان فيقول فى الجزء الاول منها ص 58 طبعة دار الكتب العربية العرب : اعلم وفقنا الله وإياكم ان الحروف امة من الامم مخاطبون ومكلفون وفيهم رسل من جنسهم ، ولهم اسماء من حيث هم — قال : ولا يعرف هذا الا اهل

الكشف من طريقتنا ـ وعالم الحروف افصح العالم لسانا ، واوضحه بيانا ، وهم على اقسام كاقسام العالم المعروف فى العرف فمنهم عالم الجبروت عند ابي طالب المكي ونسميه نحن (يقول الحاتمي) عالم العظمةو هو الهاء والهمزة .

وهذا المدلول فى حرف الهمزة بالخصوص نجده لعلماء الحس والعربية كذلك اذ يقولون فيها : هي كالتاج على رؤوس الملوك دائما تطمح الى السمو والعلو والفوقية فتجلس على رأس الالف او الواو او الياء لا ترضى بالانحدار والانسفال كما لها الاصالة من بين اصناف ادوات الاستفهام بحفظ مركزها حضورا او غيبة قالوا : « الهمزة الاصل فى الاستفهام من ذاك تختص بالانعدام » . ومنهم العالم الاعلى = عالم الملكوت كالحاء ، والعالم الوسط كالتاء ، والعالم الاسفل ـ عالم الملك والشهادة ـ كالباء ـ وعالمون آخرون ممتزج بعضهم ببعض ، الى آخر ما جاء به فى فتوحاته مطيلا فى الموضوع ومتدرجا للحديث عن حروف اوائل السور ـ 14 ـ حسبما يهدف اليه اصطلاح امثاله من اهل الكشف والفيض ـ والذوق الخاص الملفوف بتاويلات قد لا تتفق والواقع او عالم الشهادة .

وتخطى هذا رحمة الله عليه فعقد لكل حرف من الحروف بابا خاصا ـ واخذ يتحدث عما تنطوي عليه حرفيته ـ فعلى سبيل المثال نجده يقول فى الالف : الالف ليس من الحروف عند من شم رائحة من الحقائق ولكن قد سمته العامة حرفا ، فاذا قال المحقق انه حرف فانما يقول ذلك على سبيل التجوز فى العبارة ـ ومقام الالف مقام الجمع له من الاسماء: اسم الله ، ومن الصفات القيومية وله من اسماء الافعال : المبديء والباعث والواسع وسواها من الاسماء الحسنى ، وله من اسماء الذات : الله الرب وله ، وله .. وسار على هذه الوتيرة فى كل حرف يبديء ويعيد مما لا يدرك مداه ويذوقه الا من صفت مرآته، واتصل فى مسيرته بملكوت الغيب فراى ما راى واقتبس ما اقتبس .

وله فى كتابه ـ عالم السمسمة ـ ما يدعو مطالعه الى العجب ـ يقول العلامة البوني (1) كما جاء فى الدائرة : ولا تظن ان سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي . واما التصرف فى عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها ـ وتأثر الاكوان نتيجة عن ذلك ، فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا .

(ذلك ان اجزاء الكلام المعبر عنها بالحروف ـ هي روح ذلك التأثير والتأثر الصادر عنهما ـ فالحروف عند وصولها الى المخ بطريق الاذن تحدث تأثيرا من الداخل اذ لابد ان تكون لها قوة اخرى تؤثر على الاجسام من الخارج كما يشاهد تأثرها من الداخل ـ . ومن هنا بدأ البحث فى معرفة قوة كل حرف منفردا والمعنى المستكن فيه وجوهر فعله فى التأثير داخلا وخارجا على الانسان .

وقديما وحتى اليوم لا يزال البحث قائما على قدم وساق ـ عما هو الانسان وما هو وجه تفضيله عن بقية المخلوقات ـ واسفر البحث فى مجموعه ـ انه جسم وعقل . وامتياز العقل الذى اختص به ـ هو النطق ، واذ كان النطق يتركب من الحروف كانت الحروف هي القوة الفعالة فى تفضيل هذا النوع البشري ـ لانها ترجمان العقل والمعبر عن قوته الذاتية مسيرة هذا الكون ـ فكلمتان ربما نتج عنهما تغيير دمه الى درجة مؤثرة فى جسمه قد تؤدي بحياته كدرا وكمدا .

وكلمتان اخريان تملانه املا ، وتنعشانه من خموله ويأسه فيأتي من الافعال ما تعجز عنه القوى الكبيرة ـ وهناك كلمتان اخريان ـ ربما اثارت الحروب التى تذهب بالاف النفوس .

ويهدف الى عالم الحرف من الغرائب المدهشة التى لا يزداد عارفها الا ايمانا بمكانتها وتاثيرها بالخاصية المودعة فيها مما لا مجال لتكراره ـ ما اتى به المرحوم فريد وجدي فى الدائرة (ج 3 ص 416) قال : اطلعت فى جريدة العلم الصادرة فى 23 ابريل

---

(1) احمد بن علي بن يوسف ت : 622 هـ موافق 1225م صاحب المصنفات فى علم «الحروف» متصوف مغربي الاصل نسبته الى بونة (بافريقية ، على الساحل) توفى بالقاهرة له (شمس المعارف الكبرى) ط فى علم الحروف والخواص اربعة اجزاء ط وله غير هذا ، انظر المجلد الاول من قاموس الزركلي ص 169 .

سنة 1912 م (2) على بحث جاء فيه تحت عنوان : (مشاهدة غريبة ــ السلاح الحاد لا يؤثر فى الجسم الانساني) .

قال : اتصل بنا اول امس انه ستجري تجربة عجيبة ، ومشاهدة غريبة على جسم انسان فى عيادة بعض الاطباء فذهب احد محرري العلم الى تلك العيادة، وبها راى جمعا غفيرا منهم قليل من المصريين والاجانب رجالا ونساء، وفى منتصف الساعة الخامسة حضر الى قاعة العيادة مهندس مصري ، وثابت افندي سليمان من موظفي الحكومة فقدمه الدكتور بلا تشي هراري صاحب العيادة للحاضرين وقال : انه سيجري امامكم تجربة ليس لها مثيل وعند ذاك وقف حضرة المهندس وفى يده ورقة طولها نحو 20 سنتيمترا ، وعرضها نحو 12 سنتيمترا ، وقال: أن هذه الورقة تشتمل على بعض حروف مكتوبة بالحبر وانا مستعد لكتابتها على اية ورقة امامكم اذا أردتم ، وسامحو هذا الحبر الماء فى وعاء أمام اعينكم، ثم اضع اليه جانبا من الرماد وادهن به عضوا من أعضاء اي شخص منكم وبعد جفافه لا يمكن للسلاح ان يؤثر فيه بقطع او جرح ــ فمن شاء منكم ان يتقدم لاجراء هذه التجربة على جسمه فليتقدم ــ فأحجموا جميعا اجانب ووطنيين عن قبول هذه التجربة الخطيرة ولكن احد الشباب المصريين تقدم اخيرا وقال: انه يقبل اجراء هذه التجربة على ساقه، وبعد أن تأمل الحاضرون الورقة المكتوبة ــ احضر خادم الطبيب قدحا من الماء القراح ووعاء فأخذ حضرة المهندس يمحو الحبر من الورقة بالماء ، وبعد ما تلون الماء بالحبر ولم يبق اثر للورقة ــ وضع عليه التراب ، ثم لطخ به ساق الشاب ، وانتظر حتى جف وشربه الجلد ــ فى هذا الظرف الضيق المدهش ــ امر الاطباء ان يجربوا اسلحتهم ، فتقدموا اليه واحدا بعد واحد وكل منهم بيده سلاح مثل السكين والمشرط والموسى ــ ولما لم تؤثر تلك الاسلحة التى اعتادوا استخدامها فى العمليات الجراحية ، احضروا اسلحة لم تستعمل قبل مطلقا ــ فكان نصيبها نصيب الاسلحة الاولى ــ فازداد الدهش عند الحاضرين ــ وهنأوا المهندس بنجاح تجاربه المدهشة ــ اما الاطباء الذين كانوا يباشرون عملية التجربة فهم حضرات الدكتور مانفريد بناروبا والدكتور افايو ، والدكتور طاكس .

اما الورقة التى كتبها المهندس فكانت فيها الحروف الآتية : (ل ــ س ــ ع ــ م) مكتوبة ست مرات على اوضاع مختلفة . وقال انها وحدها لا تكفي للغرض المقصود بل السر فى ثلاثة حروف اخرى لا يمكنني ان ابوح بها لاحد ولاجل ذلك اكتبها بالماء على ظاهر الورقة ، وفعلا كتبها (3) .

وهذا شيء يبرر بطبعه ما كنا نرتاب فى اثره ونسمعه عن بعض الكماة من الابطال فى ساحة الحروب من سلامة اجسامهم رغم ما يصوب نحوهم من قذائف نارية ، واسلحة فتاكة على اختلاف انواعها وقوتها ــ بل كنا نرى ذلك من الاساطير والخرافات التى لا وجود لها فى عالم التأثير حيث لا تكاد تعدو الخيال بل حسبها طلاسم سحرية تموه على العيون فتقلب انظارها لترى غير الحقيقة .

لكن العلم والعلم بسر الحرف وما اكتنز فى فى عمقه من غيوب لا تدرك الا بالدرس والمثابرة وخلوص النية فى المقدمة فهي وهي الدعامة الاولى فى ابراز ما استتر وغاب واحتجب ــ هو المدفع الاساسي لكل ما يحدث من مشاهدات ، وينتج من غرائب تبعث بطبيعتها على قضاء العجب فى اندهاش .

واذا لا مناص للمتبصر من الاعتراف بثبوت ما نقلنا جزءا من جزئياته ممثلة فى العملية المنقولة آنفا .

انما من العمليات ما يؤثر بحمل تلك الاحرف كحجاب وحرز له مقاماته فى دفع ما يصوب للحامل من سهام . ومنها ما تجري عمليته بالكتب والمحو فى وعاء ودهن الشخص المراد ، نعم كنا نسمع نوعا من هذا عن بعض القواد والثوار على قلب نظام الحكومات، ــ كالجيلالي الزرهوني المعروف ببوحمارة ــ الذى قالوا عنه : ان بارود البنادق والاسلحة كان لا يعمل فيه شيئا ــ يعرف لدى العامة بالتبارد ــ فكان ما يقع عليه من بارود ورصاص يبرد فور وصوله للمدجج بسلاح الحرف الواقي بسره الكامن

ومن الملاحظ هنا ما عرف عن رجال الفن من أصحاب الاوفاق والسر وسر الحرف بالاخص من

(2) السنة المشئومة التى حمت فيها فرنسا المغرب قبل هذا التاريخ بنحو شهر .

(3) شأن الرياضيين ومن اليهم ممن حذقوا علما غريبا ان يبخلوا به حتى اذا قضوا قضي معهم .

الضنة على طالبيه حتى اذا ما تواروا قبر معهم (4) ، ونجد ابا القاسم مسلمة المجريطي الاندلسي ت : 3988 هـ 1007 م في كتابه – رتبة الحكيم – عند حديثه على علم الطلسمات يختار جانب الاغلاق والدقة لفرط ضنته ، وكمال بخله في تعليمه (5) وطبعا سينخرطون في سلك وعيد : « من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار .

ونجد المولى الحسن الاول قدس الله روحه كان من الذين لهم ولوع بالفن يبحث عن اهله اين كانوا – من هذا ما اخبرني به الكاتب المؤرخ المرحوم السيد عبد الحفيظ الفاسي ت : 1383 هـ 1964 م قال : ان المرحوم السيد الطاهر الجراري من كتاب السلطان المقدس الحسن الاول – كان من علماء الرياضيات ومن الذين يتعاطون النصبة الفلكية وصادف ان المولى الحسن في احدى رحلاته بمراكش عزم على مغادرتها فاستخدم الكاتب الطاهر المذكور النصبة فخرج له ان لا خير في السفر فبادر مسرعا واخبر السلطان بذلك – فقال له : حقا كذلك خرج لي – غير انه لا ينفع حذر من قدر (وتلك العقيدة) .

والقصة هذه تمت بصلة الى قضية المعتصم العباسي وقد قر عزمه على فتح عمورية للسبب المشهور – فقال له بعض منجمي البلاط من رجال الفن : ان الطالع يا مولاي نحس – اجابه الخليفة نعم نحس ، ولكن على الاعداء لا علينا ، ثم تقدم وفتح ، وعاد الى مجلس شرابه وافتض الكأس المختومة .

ومما يعلق بالموضوع ما جاء في كتاب مفاخر البربر ص 62 – قال ابو بكر عتيق ابن خلف التجيبي ت : 422 هـ 1031 م في كتاب الافتخار ، بمناقب فقهاء القيروان : كان في الاندلس قاض يقال له عباس بن ناصح ،و كان شاعرا مغلقا ، منجما حاذقا اقام سبع سنين على القضاء – لا يقضي حتى يقيم الطالع فما اراه علم النجوم قضى به فتقدم اليه رجلان ادعى احدهما على صاحبه انه سرق له ثورا من صفته كذا وكذا ، واحضر شاهدين فدخل القاضي بيته ، ورفع الطالع ، ثم خرج فقال للطالب : « ان غلامي قد مر من موضع كذا فرأى ثورا من صفته كذا ضالا في قرية كذا في دار من صفتها كذا – فتوجه الى هناك لعله ان يكون ثورك ، ولعل الرجل بريء «واعتقل الشاهدين – فتوجه صاحب الثور الى الموضع فأصاب ثوره كما وصف له القاضي» على ما ارته العملية الفلكية، فاخذ ثوره وانصرف الى القاضي وقال: هذا ثوري وجدته في الموضع – فأخرج القاضي الشاهدين وجدته في الموضع – فأخرج القاضي الشاهدين وضربهما – على ان عملا من هذا النوع لا يكاد يثبت حقا او ينفيه مجردا – نعم قد تساعد هذه العمليات النجومية المبنية على الحرف والرقم حدسا وظنا كدعامة وسناد لما يمكن ان يغلف القضايا من غموض واضطراب بعد البحوث والاجراءات القانونية. وها هي ذي العملية المتطورة قد اشتهرت حقا لولاها لذهب ضحية الزور والاتهام المصطنع على اننا لسنا ملزمين في استخراج الحقوق بامثال هذه الطرق التي هي الى الشعوذة امس منها بالحقيقة (امرت ان احكم بالظاهر والله يتولى السرائر) .

فبعلم الاختيارات (6) الباحث عن احكام كل وقت وزمان من الخير والشر والاوقات التي يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الامور وانتهائها وما الى ذلك من مسائل الفن – استطاع القاضي الوصول الى الحقيقة .

وبعد فقد عني الاقدمون شرقا وغربا بالكتب حول الحروف والارقام وعلم الاوفاق الهادف في جهات من مناحيه الى السحر – لذا فالميدان أوسع وأغزر من هذه النبرة التي تجعلنا نطل عن كثب – عن سر الصرف في علم الحرف – وما له من الصلات الوثيقة بالرياضيات والنفس . وهنا اقف على امل التوسع مرة أخرى أكثر ان شاء الله .

الرباط – عبد الله الجراري

(4) اشير الى هذا المعنى في التعليق قبل .
(5) الجزء الثاني من كشف الظنون ص 101 طبعة أولى .
(6) علم من فروع علم النجوم ج 1 من كشف الظنون ص 65 طبعة اولى .



دعاة المثل قلة فى كل زمان ومكان ..!

مردها الى انهم ينذرون نفوسهم فى سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي ويجندون طاقاتهم العقلية والشعورية لترصين مباديء الحياة الانسانية الخالية من الشوائب ويعملون من أجل ان يكونوا عبر التاريخ أنوارا على الدرب الطويل .

لا لشيء الا لانهم مفطورون على سلامة العقيدة وحرية الوجدان وايثار كرامة العلم والعمل ، مختارون بفعل غير ارادي لاداء مهماتهم بالقدر المتاح فى الميدان المتهيأ لهم .. تنبض باعماقهم منازع التوثب والاطلالة ، وتتوهج بدخائلهم نيات صادقة تحملهم على التفكير الحر القائم على التجربة والمشاهدة .

محمد بهجت الاثري من هذه الطبقة .. الراقية فى افكارها .. الفاضلة فى اتجاهاتها ... الراضية بحالها وواقعها ..

معناه انه داعية المثل ..

والداعية كما بدا لا يكون الا فى عداد النماذج النادرة من الرجالات ، تبرز مواهبهم الفذة كما يبرز الذهب الخالص من خلال الرماد ، ولا يكشف التاريخ عن شخصياتهم القوية .. الفارضة نفسها بسهولة .
اضطلاع الاثري باعمال ووظائف على مدى حياته العملية والشخصية ..

اصداره مؤلفات وتحقيقات فى شتى فروع الثقافة العربية الاسلامية ...

مشاركاته الفعلية فى المؤتمرات السياسية والدينية والندوات الادبية والعلمية من اجل اظهار الوجه الصحيح لقضايا التاريخ الاسلامي والادب العربي وما اعتورهما على تطاول الحقب ...

قيامه بالرحلات والاطلاعات الموصولة فى سبيل توضيح اهداف مساعيه ودعواته ...

تعرضه للتنكيل والسجن من جراء مناهضته قوى البغي والطغيان وتصديه لافتراءات الغربيين والشعوبيين وترويجه المضامين المستقاة من جوهر الحقائق والوقائع ومن صميم التجارب والحوادث فى السياسة والاجتماع والاخلاق والتشريع والقانون ...

نيله جوائز واوسمة تتويجا لاعماله وتقييما لآثاره وتقديرا لشخصه الشجاع ..

هذا كله بلا شك هو اللسان الصادق .. الناطق بذلك .. وهو كذلك الوسام الرفيع الذى كان وما يبرح يزين صدره وسيبقى شاهدا أمينا للاجيال الصاعدة

طبيعي ان تكون المثل التى يدعو الاثري الى تجسيدها مشتقة من ضمير الاسلام ومن عناصره الذاتية والانسانية ثم من طبيعة المراحل التى كان وما يزال يجتازها فى طريقه الى غاياته واقداره .

وبتعبير ادق أن مثله الاعلى هو الاسلام ...

يؤمن الاثري بالاسلام ولا يعرف عنه بديلا لكونه دينا ودولة .. كفيلا بما في الوجود والكون جملة وتفصيلا مسايرا لجميع الحضارات والمدنيات : ما تقادم منها .. وما يتعاقب .. وما يمكن ان تقوم في القوابل من الايام . يقول (فلا ريب في ان يكون مثلها الاعلى – الضمير يعود الى مجلة العالم الاسلامي التي حررها زمنا – هو الاسلام .. الصحيح كما نزل به الوحي .. النقي كما بلغته الرسالة – الحي كما رفت به ارواح الفاتحين الميامين ، الجديد الخالد كما هو بجميع خصائصه ومزاياه في جميع مناحيه واهدافه معدن جدة وخصب وخلود على وجه الزمان . فتستجلي عنه عقيدة جميلة تصل الانسان بالحقيقة الازلية السرمدية الواحدة. وفكرا حيا متوثبا مزاجه الصفاء والسمو وطبيعته الابداع والابتكار وشرعا سمحا مرنا قوامه وبلاغه مراعاة المصلحة العامة في كل زمان ومكان وتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض بالعدل والاحسان واخلاقا سامية تتوافق قوانينها بالانسان فيما يهم به ضميره وتضطرب به جوارحه – على مشارع الخير والرحمة والمعروف وسياسة عادلة تستهدف قواعدها الكلية توثيق اواصر الجماعات بالتعارف وتشييد المجتمعات على اركان الاخاء ودعوة الامم والشعوب الى التعاون العام لضمان سعادة الحياة ورفاهة العيش تحت افياء السلام) .

ليس في الاسلام نوافذ مغلقة يحار المرء دونها ولا يجد الوسيلة اليها ؛ ولا مشكلات عويصة تنتظر حلولا ناجعة لها ، ولا امور تحتمل الجدال والسجال، لانه دين مبني على اسس راسخة .. مستدامة .. شاملة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. (ان الدين عند الله الاسلام ..) .

من هنا فان البداية في ميادين الاصلاح والتجديد عند الاثري تكون من الاسلام نصا وروحا والاستعانة بخبرات الانبياء والعلماء والمصلحين ثم العمل بمقتضى السنن الصحيحة والحقائق الثابتة التي ترفض الحوار ، والبطلان . لنقرا ما يقوله الاثري : (وما زال الكتاب والسنة الصحيحة يبعثان في نفوس الاذكياء المثقفين الثورة على الوثنية والبدع والمحدثات والثورة على ترف المترفين واستبداد الملوك والثورة على الجمود والتقليد ومجانفة الفطرة وسنن الطبيعة التي لا تبديل لخلقها) ..

بيد ان الحضارة الاوربية – والمفروض ان تكون في صالح الانسانية جمعاء – جاءت – بدعوى تنازع البقاء – تعادي الاسلام وتحاربه في عقر داره بلا هوادة باظهار غير طبيعي .. شاذ كما لو كان عاملا من عوامل التخلف والانحطاط لتصرف المسلمين والعرب عن انبل ما وهبهم اياه الله منذ انبثاق النور المحمدي وعن اعز ما يملكون من تراث وذخائر ، حتى تعود شامتة به ساخرة منه يبرر افناؤه ويهون القضاء عليه .. فقد قال الاثري : (وقد كان هدفه – يريد الغرب – ولا يزال اذابة شخصية المحتلين في هذه الحضارة وتغيير ما بأنفسهم من روح الاعتزاز بعقيدتهم والتعلق بلغتهم وبتاريخهم والاكبار لحضارتهم تغييرا يسلمهم الى الخضوع لارادته والاستسلام لسلطانه والفناء في مذهبه فهو يعلم من سلطان كل اولئك على نفوسهم الشيء الكثير ويعلم انه لن يستطيع ان يؤدي عمله وينتهي الى غايته وينجح نجاحا تاما الا اذا مهد له السبيل توجيهات خاصة ومنازع جديدة تقطع صلة المسلمين بدينهم وتضعف نوازعهم الى الاستقلال عنه والتمرد عليه ..) .

لقد تاثر بهذه الظاهرة الخطرة اناس كان ينبغي لهم ان يكتشفوا السر المبطن وراءها بانفسهم ، لصيانة دينهم وشد ازره ، لكنهم اتخذوا من هذه الحضارة الزائفة .. الزائفة قبلة لهم وقدوة . بداوا يعيشون في مناخها المغري الموبوء ويستجيبون لاهوائها واضوائها ناعتين بالرجعية كل ما له صلة بالاسلام ، وواصمين قيمه الفكرية والروحية بافيون يخدر الاذهان والنفوس .

وما زاد الامر خطورة والهوة اتساعا الا سياستنا التهريجية .. الاتكالية ، اذ نحن استمرأناها واستسلمنا لسطوتها غير قليل ثم تغييرنا ما بانفسنا. اسمعه يقول :

يا رسول الله خير المرسلين
يا منيل العرب غايات الفخار

قم تأمل حالهم في العالمين
كيف بعد العز ذلوا في الاسار

هدموا ما شدت من دنيا ودين
فقضى الله عليهم بالبوار

اركضوا الاهواء فيهم خببا
ورموا وحدتهم بالشجب

كـل مـن تلقـاه ينحـو مذهبـا
ويحهم لم يتركـوا من مذهـب

ولكن مع هذا كله فلنرافق الاثري على رسل في كيفية مقارنته الحضارة الاسلامية التى اتت لاسعـاد البشـرية وانقاذها مما كانت تعانيه على تطاول الدهور بالحضارة الاوربية التى اتت لاذلال الشعوب وحجب الحريات والحقوق المشروعة عنها ثم تشويه الحقائق والقيم والمثل وتمجيد الطغاة .. الكفـرة ومصاصي الدماء :

(يقول المحرومون علم ما عمـل محمـد (ص) والجاهلون بتاريخ الاسـلام والحريـات : الثـورة الفرنسـية التى هدت (البستيل) هي التى منحت الانسـان الحرية والحياة ..

ونقول : بل اسالوا الدهر عن ثورة العرب بعد ما ثار بهم (ابن عبد الله) على الف بستيل وبستيل من سجون العقل والوجدان وقيود خرافات الكهنة وكهنة الخرافات .

ويقولون : بسمارك ونابليون ولينين وجان دارك وفلان فلان ..

ونقول : ابو بكر والفاروق وذو النورين وحيدر وخالد وخديجة وفاطمة وعائشة واسماء والخنسـاء..

ويقولون : دهاء تشمبرلين وعظمة الانكليز ..

ونقول : دهاء معاوية وعمرو والمغيـرة وزيـاد وعظمة العرب والاسلام .

ويقولون : مدنية القرن العشرين للميلاد ..

ونقول : مدنية القرن الاول للهجرة .. مدنية القرآن . مدنية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الاولى والاخيرة في تاريخ الانسـان من الازل لا الى الابـد .

ويقولون : الحضارة الغربية ..

ونقول : جسم بلا روح ووحشية في غير رحمة. غارات خانقة وآلات مدمـرات وتوثـب انسان علـى انسان وامة على امة من اجل البطن وظـلم القـوي للضعيف في غير هوادة ولا حساب ..

ويقولون : شرائـع اثينـا وروما وباريـس والناتوراليزم والشيوعية وامثال هـذه الواوات من لعنات الغرب ووقاحات المتجردين ..

ونقول ويقول معنا الدهر : الاسلام ثم الاسلام (ان الدين عند الله الاسلام) ..

ويقولون : ذكرى الجندي المجهول ؟

ونقـول : ذكـرى منقـذ العـالـم المعـروف **(محمـد) ..**

ويقولـون : القانـون ..

ونقول : كتاب الله ...) .

وبالرغم من دعوات الاثري الى الاسلام المثالـي واتباع تعاليمه لصالح بني الانسان في كل الاجيـال فانه لا يتوانى عن المطالبة بالاخذ من الحضارة الغربية ما هو ملائم لمقتضيات وجودنا وتقاليدنا وتطلعاتنا من الاساليب المبتكرة والفلسفات الحديثة والاكتشافات الفنية الرائعة . انه يقول : (.. الى جانب ما يتحتم علينا اقتباسه من علوم العصر واستخدامه من مرافق مدنية الغرب المادية من مخترعات آلية ومكتشفـات علوم العصر ولا كانت هذه العزلـة الروحيـة عـن الاسلام وهو اسمى ما عرفه البشـر الـى الآن مـن النظم العادلة الضامنة لسلامته) .

حيث ان القرآن ـ كما يرى الاثري ـ يتضمن التفسير العملي لما تحقق في رحاب الطبيعة ومضمار العلم من الانجازات والمشروعـات ، وهي التى طالمـا راودت الانسـان ..

ثم انه يمكن اللحاق بالركب الحضاري الاوربي اذا ما وعينا ذواتنا وادركنا ما يحاك ضدنا ورجعنـا الى كتاب الله وجعلنا الاسلام ارهاصا يرتكـز عليه هيكل حياتنا ووجودنا . يركز الاثري على هذا بقوله (كما يجب ان نفهم حق الفهم اننا بشـر كالاوربيين ان لم نكن ارهف حسـا واذكى ذهنا واعرق تاريخـا في الحضارات وان ما وصلوا اليه من الرقي المـادي نستطيع ان نصل الى مثله واحسـن منه في الماديات وان نكون الى ذلك بشـرا اسمى في خلقـه ومروءتـه وخلوص نيته وعمله لخير الانسانية بفضل القـرآن اذا صححنا فهمنا له ، واتخذناه دستـورا للعمـل وقاعدة للحياة) ..

اما مثال الاثرى في هذا الاسلام للانسان الكامل التكاملي فهو النبي (ص) ، منقذ البشرية من الضلال الى النور ورائدها الى الحق والحقيقة . وقد صدق: (ولا يزال الشعراء والفلاسفة والمسرحيـون مـن الامم الغربية خاصة دائبين على خلق الصـورة التى يتخيلونها (للابرمنش) الجرماني او (السـبرمان)

البريطاني .. واعجب شيء ان يفوت هؤلاء جميعا ان هذا الانسان الكامل بل المثل الاعلى للانسان الكامل قد سبق كونه ووجوده على سطح هذه الارض قبل اربع مئة والف عام فى اروع صورة فذة تليق بكرامة الانسان على الله وتنسجم مع الغاية التى ارادها لخلقه وبعث من اجلها رسله وفى اكمل ما يمكن ان يكون عليه البشر من سمو الذات وجلال الشان .. وان هذا المثل الاعلى للانسان الكامل فى هذه الصورة الرائعة الفذة الكاملة هو شخص محمد بن عبد الله النبي العربي ..) .

كذلك صدق الاثري قائلا فى قصيدته (صاحب البعثة الكبرى) :

وظهرت مثل الشمس الا انها
تخفى ونورك فى البرية سرمد

وبينت بالحق المبين فلا هوى
يطغى عليك ولا منى تترصد

الفتح عندك شرعة وعقيدة
واخوة وتراحم وتودد

دستورك القرآن اما وعظه
فهدى واما حكمه فمسدد

عال على الاهواء .. لا متملق
احدا ولا متعسف يتمرد

ثم ان فلسفة القوة هي الاصل الذى طالما نادى به الاثري واستند اليه فى دعواته ودراساته كوسيلة تطبيقية لاقامة نظام عدل وتثبيته على كرور الاماد .

لا شيء كالقوة يحقق المصير الانساني ويحدد اطاره وابعاده ثم يقيم دعائم ديمومته واستمراريته ، ولاسيما بعد ان تعقدت الحياة بفعل التقدم العلمي والحضاري وتطورت المقاييس والمفاهيم بالنسبة الى كثير من القضايا والمسائل ، وتألبت قوى الشر والظلم على الاسلام تبغي افتراسه وتركه اشلاء بشماتة وحقد بارد .

فالامة التى تريد الحياة الحرة الكريمة وتحمي دمارها وديارها من الغادرين الكائدين يجب ان يصبح كيانها مدعما بالقوة .. معززا باسبابها الكلية .

وهل من متطلبات هذا ، الا الوحدة والتعاون على جمع الكلمة وتسخير الامكانات والطاقات لقطع دابر المطامع الاستعمارية والثبات فى وجه المؤامرات والدسائس التى تنسج خيوطها ضد الاسلام والعرب فى الخفاء والعلن . ولعل فى كلام الاثري ما يؤيد هذا (فما من شك ان نظاما من الانظمة كائنا ما كان نوعه وشكله لا يكتب له التوفيق ما لم يكن له سناد من القوة واذا كان شطرا ، فالقوة التى تسنده هي شطره الثاني ، وبدونهما لا يعد للنظام وجود ومثلهما مثل الجسم والروح اذا اجتمعا كانت الحياة والا فالموت ..) .

ولما كان الاسلام فى جوهره ينهض على قاعدة مكينة من الاحاء والخير والعدل واحقاق الحق وازهاق الباطل فان الاثري بسبب من ايمانه بهذه القيم الانسانية وبحكم اعتماده القوة فى حل المشكلات المستعصية يطالب بالجهاد .. باستعمال القوة واعتبارها الفيصل الحاسم فى تحطيم العقبات التى يضعها الاستعمار لمآربه الخفية ورد كيد الاعداء الى صدورهم وارجاع فلسطين الى اصحابها الشرعيين. لان ما اخذ بالقوة لا يستعاد ولا يمكن ان يستعاد الا بالقوة . هذه بديهة ...

ان مصير العرب والمسلمين مرهون ايجابا فى عودة فلسطين الى ايدي اهلها مهما كانت وتكن الاسباب ، ومحدد سلبا فى ضياعها من هاته الايدي ..

لنتحاش لعنة التاريخ وحكمه ..؟!

من هنا ما فى الاتحاد والوحدة .. التكاتف والتعاضد على الجهاد فى سبيل استرداد الحق المسلوب والشرف المهدور من معنى ودلالة ..؟

لقد قال الاثري :

يا نياما ضيعوا ما ورثوا
ضيعوا عهد العلى والشرف

اما آن لكم ان تبعثوا
سيرة (الهادي) ومجد السلف

ان اهل الكهف قبل انبعثوا
من رقاد طال تحت السدف

واعادوا فى الحياة الدابا
ومنال المجد رهن الداب

فاستفيقوا واثيروا (العربا)
طال — يا قوم — رقاد (العرب)

لقد لعب الاستعمار بأساليبه وطرائقه اقذر الادوار لكي يطعن فى صميم العروبة والاسلام طعنة نجلاء باقامة دويلة الصهاينة فى اقدس بقعة من بقاع الدنيا ، لتتخذها منطلقا للوعيد والعدوان ، ومنطقة نفوذ مضمونة .

من اجل هذا كله يرى الاثري ان محنة العرب والمسلمين هي الانكليز . هذا صحيح الى اقصى حدود الصحة . اما قول غاندي ما معناه : اذا تنازع سمكان فى الماء كان الانكليز وراءهما . يأتي بعدهم الامريكان والفرنسيس والطاليان والروس ومن اليهم من أعداء الاسلام التقليديين ...

ولئن كان الاستعمار منذ اكثر من نصف قرن استهدف ، وما يبرح ، فلسطين كمرحلة اولى ، فانه يستهدف الاسلام — لانه القصد الاساسي — من خلال هذه المأساة التى لا احسب ان البشرية قد رات امض وافجع منها فى تاريخها الحديث كله .. انها ازمة حضارة تنذر بالانفجار والانهيار ، وانه افلاس خلقي على المستوى العالمي .

لعمر العلى لن يدرك العرب العلى
وهم فرق شتى وشمل مدمر ...

الا فاسلكوها وحدة عربية
لها من هدى الاسلام روح ومظهر

اما ايثار العلم والعمل معا على ما يناهضهما فمن هاته المثل .. يؤكد عليها الاثري فى اكثر ما نثر ونظم .. كتب وخطب انسجاما مع روح الاسلام وتمشيا مع نزعته الواقعية وتحقيقا لكل من الطموحات والغايات الخاصة والعامة . فعلاقة العلم بالعمل عضوية بداع من تاثيرهما الواضح فى مجريات الامور والاحداث . لا يصح فصل الواحد منهما عن الآخر وتفضيله عليه لاي سبب من الاسباب .

لا يتعارض الدين مع العلم لانه مشروع ومطلوب بالضرورة لانه اكسير الحياة على الا يكون وسيلة الى الشر والتدمير والانتقام . ذلك ان الاسلام الذى يمثله القرآن اصدق تمثيل يقدر العلم ويحله المحل الاعلى الخليق به ويحض العلماء على مواصلة البحث والدرس والتطلع لاستنباط ما يخامرهم والوقوف على ما يجهلون .

اما العمل فهو موجد المناخ الملائم للعلم وتطبيقاته ليؤتي اكله لصالح الآخرين .

وما دام العلم لا حد لآفاقه واتجاهاته يرفض الجمود والقناعة بما هو موجود ويوجب الحركة الديناميكية الدائمة فان العمل هو المهماز لاسبابه والكفيل بالتوصل الى افضل النتائج . (قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون) . والمهم ان يغدو ثمة اخلاص فى العمل وحسن نية لقيادة العلم وتوجيهه الوجهة السليمة .. المفيدة . يقول الاثري فى قصيدة (معجزة العلم) :

واليت فى البدء الاعاجيب الكبر
فكيف لو جاوزت اطوار الصغر

فكن على الخلق سلاما وندى
ولا تكن شرا ولا آلة شر !؟

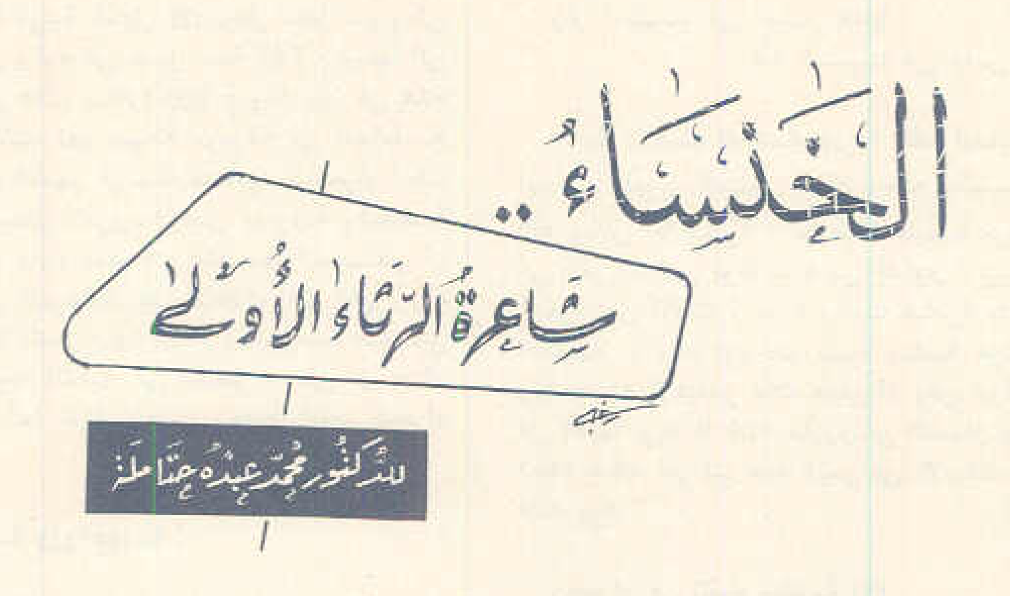
يا فاتق (الذرة) باقتداره
ووردها منك باذن والصدر

ما بالك اليوم خضعت طائعا
لزمرة من المجانين (نور) ؟

حبست ما لو اطلقوا من (ذرة)
لاصبح العالم ب (الذرة) ذر !

يا علم لو حازك غير طامع
لكنت الرحمة رفقا وابر

العراق : وحيد الدين بهاء الدين



الخنساء (557 – 646 م) : – هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح بن يقظة ابن عصية بن خفاف بن امريء القيس بن بهثة (وقيل نهية) بن سليم بن منصور (1) بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر وتكنى ام عمرو وانما الخنساء لقب غلب عليها واشتهرت به وهو مأخوذ من الخنس ومعناه تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع في الارنبة . ومن معاني الخنساء ايضا الظبية او البقرة الوحشية ، وقد كانت الخنساء رائعة الجمال .

مكانتها الاجتماعية

تنحدر الخنساء من اسرة عربية عريقة مجيدة تنتمي الى قبيلة بني سليم التي تعتبر من اقوى قبائل العرب ، قطنت بين مكة والمدينة على الحدود بين نجد والحجاز في بلاد خصبة غنية بالمعادن ،

---

(1) يلتقي نسب الخنساء مع الحجاج بن يوسف الثقفي في منصور بن عكرمة الخ .. والحجاج «661 – 741 م » ولد في الطائف . ولاه عبد الملك بن مروان ووجهه في عساكره الى الحجاز فرمى الكعبة بالمنجنيق وحاصر فيها عبد الله بن الزبير مدعي الخلافة وقتله يوم الثلاثاء 17 جمادى الاولى سنة 73 هـ (4 / 10 / 692 م) فأعاد الى الدولة الاسلامية وحدتها السياسية . ثم تولى على العراق سنة 694 – 718) فأخمد الفتن بحزم وقسوة . بنى مدينة واسط في العراق . له خطب مشهورة من أهمها تلك التي خطبها عند تولية العراق وافتتحها قائلا :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى اضع العمامة تعرفوني

وبعد الحجاج ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الاسلامية بطابع خاص في عهدها الاول ، أولهم الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وثانيهم زياد بن أبيه المولود في السنة الاولى للهجرة والذي استلحقه معاوية اخا له بعد مقتل الامام علي ، وقد توفي زياد سنة 53 هـ .
وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا ، وحاكما مستبدا ، وتدل خطبه على خواصه النفسية ومذهبه في السياسة والحكم واسلوبه الفني الذي يعتمد على الارهاب والشدة . وأم عبد الله بن الزبير هي أسماء ابنة أبي بكر الصديق « ذات النطاقين » اخت عائشة الكبرى ، ومن السابقات الى الاسلام ، تزوجها الزبير بن العوام ولقبت « ذات النطاقين » لانها شقت زنارها قطعتين لتحمل قربة الماء وكيس الخبز الى النبي (صلعم) وابي بكر عند الهجرة ، وقد بلغت من العمر مائة سنة ، لم يقع لها سن ولا أبيض لها شعر ولا انكر لها عقل ، غير انها فقدت البصر . (راجع كتاب : التنبيه والاشراف ، للعلامة المؤرخ الجغرافي ابي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفي سنة (345 هـ)، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوي القاهرة سنة (1357 هـ – 1938م)) .

كانت لها عناية تربية الخيل (2) رحل منها قوم الى ما بين النهرين وقوم الى مصر سنة 747 م ومنها الى المغرب مع بني هلال سنة 1050 م وقد برز فى هذه القبيلة كبار كانت لهم سيادة مرموقة فى الجاهلية والاسلام وكان اغلبهم فرسانا صناديد وشعراء اجلاء يتحلون بالخصال العربية من مروءة وشهامة وشجاعة وكرم واباء ضيم ، ويعتقد البعض ان الخنساء اشعر العربيات على الاطلاق فلم تكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها (3) ، واعتبرها البعض الآخر من الطبقة الثانية فى الشعر ، على أن هناك فريقا ثالثا ــ كما سيأتي بعد ــ يعدها اشعر شعراء زمانها .

خطبتها وزواجها :

قد تقدم لخطبة الخنساء أناس كثيرون ، من جملتهم دريد بن الصمة فارس هوازن وعميد بني جشم لكنها رفضته وآثرت التزوج فى بني قومها قائلة « يا ابت اترانى تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم او غد ؟ »

ثم انشدت تقول :

اتخطبني هبلت على دريد
وقد طردت سيد آل بدر

معاذ الله ينكحني حبركى
يقال : ابوه من جشم بن بكر

ولو امسيت فى جشم هديا
لقد امسيت فى دنس وفقر (4)

ولما رفضت الخنساء دريدا تقدم لخطبتها رواحة ابن عبد العزيز السلمي ، فتزوجته وانجبت له عبد الله ويكنى ابا شجرة ، ثم خنفه عليها مرداس بن ابي عامر السلمي فولدت له من الذكور : يزيد ومعاوية وعمرا ومن الاناث : عمرة وكانت شاعرة مثل امها الخنساء . وقد تزوجت عمرة بنشبة فولد لها منه ولد سمته الاقيصر مات صغيرا، ومن مراثيها قولها فى اخيها يزيد لما قتله هارون بن النعمان بن الاسلت آخذا بذلك ثار ابن عمه قيس بن الاسلت الذى كان قتله يزيد :

وحمراء فى القوم مظلومة (5)
كأن على دفتيها كثيبا (6)

تيممتها غير مستأمر
فعرقبتها (7) وهززت القضيبا

فظلت تكوس على اكرع (8)
ثلاث وغادرت أخرى خضيبا

وقلت لصاحبها لا ترع
فلم يعدم القوم نجحا قريبا

فراح يعدي على جسرة
امون وغادرت رحلا جنيبا

---

(2) وقد اهدى قوم الخنساء للنبي (صلعم) بعض الجياد منها : المرتجز ــ سمي بذلك لحسن صهيله ــ وكان لرسول الله (صلعم) افراس اخرى مثل : السكب ــ وهو الذى امتطاه يوم احد ــ ، لمزار ، الطرب ، اللحيف ، الزرد ، ملاوح ، اليعسوب والورد . وهذا الاخير هو الذى اهداه له تميم الداري . فهذه خيل رسول الله (صلعم) على ما ذكره ابن قتيبة وغيره . (راجع كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان تاليف الشيخ علي بن عبد الرحمن المشهور بابن هذيل الاندلسي ، اعتنى بطبعه لويس مرسييه ، باريس 1922 ، صفحة 48) .

(3) انيس الجلساء فى ديوان الخنساء ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين فى بيروت (1888 م) ص 7 ــ 8 وديوان الخنساء نشر محمد حسن ابو العز ــ مطبعة التقدم التجارية ، القاهرة سنة 1348 هـ صفحة 3 .

(4) انيس الجلساء صفحة 5 ــ 6 .

(5) مظلومة : ناقة نحرها لغير علة .

(6) الكثيب : هو التل من الرمل ، شبهت الشاعرة به سنام الناقة .

(7) عرقب الجمل : اذا قطع عرقوبه او رفع بعرقوبه ليقوم .

(8) الاكرع جمع كراع : وهو ما دون الركبة الى الكعب وهو فى الحيوان فى اليدين والرجلين وفى الانسان فى الرجل دون اليد .

وزق سباه لاصحابه
فظل يحيا وظلوا شروبا

وقالت عمرة بنت الخنساء تذكر اباها مرداسا وكان يقال له الفيض من سخائه كأنه فيض البحر :

والفيض فينا شهاب يستضاء به
انا كذلك فينا يوجد الشهب

فيها الذلول وفيها كل معترض
يفني ضفينته التعداء والخبب

قبا تنازعها الارسان قافلة
لا حققات ولا ميل ولا ثلب

اسلامها :

قدمت الخنساء مع قومها بني سليم على النبي (صلعم) فاعلنوا اسلامهم واسلمت الخنساء معهم ، فكان الرسول صلوات الله عليه يقربها منه ويستنشدها فكانت تنشده فيعجب بشعرها ويستزيدها قائلا « هيه يا خنساء » قيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألها : ما اقرح مآقي عينيك » قالت بكائي على السادات من مضر . قال: يا خنساء انهم فى النار ، قالت ، ذاك اجدر بعويلي عليهم ، اني كنت ابكي لهم من الثأر وانا اليوم ابكي لهم من النار . ذات مرة عذلها عمر رضي الله عنه ووعظها وقال لها : ان الذى تفعلين ليس من صنع الاسلام وان الذين تبكين هلكوا فى الجاهلية . فقالت: اسمع مني يا امير المؤمنين ما اقول فى عذلك اياي ولومك لي ، فقال هات فانشدته من شعرها فى اخويها فتعجب من بلاغتها وقال : « دعوها فانها لا تزال حزينة ابدا » . وصادف بعد هذا بقليل ان شاهدها رضي الله عنه داخل بيت الله الحرام وهي تطوف بالبيت محلوقة الراس تبكي وتلطم خدها وقد علقت نعل صخر فى خمارها كما كانت تعمل المراة فى الجاهلية اذا اصيب لها كريم حلقت شعرها واخذت تضرب راسها بنعليها فتعقره وتلطم خديها وتمزق ثيابها ونهى الاسلام عن ذلك كله ، فوعظ بها امير المؤمنين فقالت : اني رزئت فارسا لم يرزا احد مثله ، فقال : ان فى الناس من هو أعظم مرزئة منك وأن الاسلام قد غطى ما كان قبله ، وانه لا يحل لك لطم وجهك وكشف راسك . فكفت عن ذلك وقالت : ترثي اخويها معاوية وصخرا معا :

ولكني وجدت الصبر خيرا
من النعلين والراس الحليق

واني والبكا من بعد صخر
كسالكة سوى قصد الطريق

اذا ما الحرب صلصل ناجذاها
وفاجاها الكماة لدى البروق

واذ فينا معاوية بن عمرو
على ادماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد ولى حميدا
اصيل الراي محمود الصديق

واغتيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 23 هـ ـ 644 م فلبى داعي ربه قبلها بسنة او بسنتين فقط ،. غير ان بعض الباحثين مثل مؤلفي « الوسيط فى الادب العربي وتاريخه » احمد الاسكندري ومصطفى عناني ومؤلفي كتاب « المنتخب من ادب العرب » يرون ان الخنساء توفيت بالبادية فى خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة 46 هـ (666 م).

استشهاد اولاد الخنساء الاربعة فى وقعة القادسية :

عندما اتجه المسلمون لفتح فارس فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان اولاد الخنساء كلهم وامهم ـ فيما يقال ـ ضمن الذين خرجوا للجهاد وذات ليلة وقبل التحام الجيشين العربي والفارسي قدمت الشاعرة الام الرؤوم لبنيها هذه الوصية الخالدة بما تحويه من افكار رائعة ودرر غالية :

« يا بني انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امراة واحدة ، ما هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم ، واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أوراقها ، فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » .

فلما اضاء لهم الصبح تحرك المجاهدون على بركة الله تاركين مراكزهم وفى مقدمتهم ابناء الخنساء

ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم ، ولما التحم الجيشان قاتلوا في صبر وثبات ، قاتلوا قتال الابطال حتى قتلوا عن آخرهم في هذه المعركة المعروفة بوقعة القادسية (16 هـ — 637 م » ولما بلغها الخبر قالت :

« الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته » . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطيها ارزاق بنيها الاربعة وظلت تأخذها الى ان انتقلت الى رحمة الله سنة 24 هـ — 645 م (9) . وهكذا يظهر اثر الاسلام قويا في هذه الام الصالحة التي طالما ندبت حظ اخويها وبكتهما البكاء المر ، فلما جاء الاسلام شجعت اولادها بعقيدة راسخة على الجهاد من اجل دعوة الحق والصدق ، وطابت نفسا حين علمت بخبر استشهادهم في سبيل الله .

صفات معاوية وصخر :

كانا موصوفين بالحلم مشهورين بالجود معروفين بالتقدم والشجاعة ، محظوظين في وسط اسرة اكثر رجالها فرسان محاربون من الطبقة الاولى وقد عاشا مثال الشجاعة والفتوة والرجولة والفروسية ، حتى ان عمرو بن الحرث ابن الشريد اباهما كان يأخذ بيدهما في الموسم ويقول : « أنا ابو خيري مضر فمن انكر فليغر ، فلا يغير ذلك عليه احد » . وكان يقول : « من اتى بمثلهما اخوين من قبله فله حكمه ، فتقر له العرب بذلك » . وكثيرا ما كان معاوية وصخر ينصران من يقصدهما ويلجأ الى حمايتهما ويستغيث بهما من القوم كما كانا مولعين بالصيد ايضا .

سئلت يوما الخنساء ان تصف اخويها معاوية وصخرا فقالت :

« كان صخر جنة الزمان الاغبر وزعاف الخميس الاحمر ، وكان معاوية القائل الفاعل ، فقيل لها : فأيهما كان اسنى وافخر ، قالت : اما صخر فحر الشتاء واما معاوية فبرد الهواء، قيل لها فأيهما اوجع واقجع ، قالت : اما صخر فجمجر الكبد واما معاوية فسقام الجسد وانشدت :

اسدان محمرا المخالب نجدة
بحران في الزمن الغضوب الانمر

قمران في النادي رفيعا محتد
في المجد فرعا سؤدد متخير » .

كان معاوية اخا شقيقا لها اما صخر فكان اخاها لابيها فقط ، ومع ذلك كان احب الاثنين الى قلبها . واستحق صخر ذلك لامور كثيرة منها ما يرويه هذا الخبر : (ذات يوم طلبت عائشة ام المؤمنين من الخنساء ان تصف لها صخرا ، فقالت : ان زوجي كان رجلا متلافا للاموال ، يقامر بالقداح فاتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء ، فاراد ان يسافر فقلت له : اقم وانا آتي اخي صخرا فاساله ، فأتيته وشكوت اليه حالنا ، فعاد لي بمثل ذلك فاتلفه زوجي ، فلما كان في الثالثة او الرابعة خلت بصخر زوجته فعذلته ثم قالت : ان زوجها مقامر وهذا ما لا يقوم له شيء فان كان لابد من صلتها فاعطها اخس مالك فانما هو متلف ، والخيار فيه والشرار سيان ، فانشد يقول لامراته :

والله لا امنحها شرارها
وهي حصان قد كفتني عارها

ولو هلكت خرقت خمارها
واتخذت من شعر صدارها

ثم شطر ماله فأعطاني افضل شطريه ، فلما هلك اتخذت الصدار وحلقت راسي حزنا عليه وقلت : والله لا اخلف ظنه ولا اكذب قوله ما حييت » . قالت عائشة رضي الله عنها « مات رسول الله (صلعم) بين سحري ونحري) تعني انه مات مستندا الى صدرها، والمقصود شدة الاقتراب والالتزاق (10) وهكذا كان التصاق الخنساء بأخيها صخر ، اثناء حياته وبعد مماته .

---

(9) احمد حسن الزيات : تاريخ الادب العربي ، الطبعة الحادية والعشرون القاهرة ص 149 .
(10) كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا ، الطبعة الاولى ، بالطبعة الاميرية بالقاهرة (122 هـ — 1914 م) صفحة 60 — 61 .

مقتل اخويها معاوية وصخر :

قتل معاوية يوم حورة الاول نحو سنة 612 م (11) وهو من ايام العرب لسليم على غطفان، حيث كان بين معاوية وهاشم بن حرملة احد بني مرة ابن غطفان كلام بعكاظ (12) بالرغم من انهما كانا صديقين وفيين ، فجرى بينهما سوء تفاهم وجدال مما ادى الى تفرقتهما . وبعد هذا بايام معدودة تهيأ معاوية ليغزو هاشما فنصحه ونهاه اخوه صخر فأبى معاوية وخرج طالبا ديار بني مرة ، ولعدم ملاءمة الوقت وشدة العواصف رجع قافلا الى دياره ، فلما كانت السنة المقبلة غزاهم حتى وصل الى نفس المكان الذي تركه من قبل ووقع سوء تفاهم ادى الى انشقاق اصحابه عنه وتركوه راجعين من حيث أتوا ولم يبق معه لحمايته الا اربعة عشر شخصا فوردوا ماء يستسقون لشدة الظمأ واذا عليه خيمة فصاحوا بأهلها ، فخرجت اليهم امراة من جهينة احلاف بني سهم بن مرة بن غطفان وقد استطاعت المراة ان تنسل من ذاك المكان وان تخبر هاشم بن حرملة عن معاوية وعدته ، فثار هاشم مع بني مرة على معاوية وجماعته حتى خلا هاشم ودريد ابنا حرملة المريان بمعاوية وحصراه بينهما وجرت الملاحمة بينهم حتى اسقط معاوية هاشما عن فرسه الشماء وانفذ هاشم سنانه من بطن معاوية ، وكر عليه دريد ظانا انه اردى هاشما قتيلا (مع ان هاشما كان جريحا فقط) فضرب معاوية بالسيف فقتله ، ودفن معاوية بلية قرب حورة . وقال صخر يرثي اخاه معاوية عندما سمع بمقتله :

اذا ذكر الاخوان قرقرت عبرة
وحييت رمسا عندلية ثاويا

اذا ما امرؤ اهدى لميت تحية
فحياك رب الناس عني معاويا

وقالت الخنساء تحرض بني سليم وعامر على غطفان بعد قتلهم معاوية :

الا ابلغا عني سليما وعامرا
ومن كان من عليا هوازن شاهدا

بان بني ذبيان قد ارصدوا لكم
اذا ما تلاقيتم بأن لا تعاودا

اما هاشم بن حرملة فانه خرج ذات يوم منتجعا فلقيه عمر بن قيس الجشمي فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية لا والت نفسي ان وال ، فلما نزل هاشم كمن له عمرو بن قيس بين الشجر حتى اذا دنا منه ارسل عليه معبلة (13) ففلق تحفه فقتله ، فقالت الخنساء في ذلك :

فدى للفارس الجشمي نفسي
وافديه بمن لي من حميم

واضافت قائلة :

ونحن قتلنا هاشما وابن اخته
ولا صلح حتى تستفيد الخرائدا

فقد جرت العادات انا لدى الوغى
سنظفر والانسان يبقي الفوائدا

وقالت تذكر باس اخيها معاوية في الحرب :

دعوتم عامرا فنبذتموه
ولم تدعوا معاوية بن عمر

ولو ناديته لاتاك يسعى
حثيث الركض او لاتاك يجري

مدلا حين تشتجر العوالي
ويدرك وتره في كل وتر

اذا لاقى المنايا لا يبالي
افي يسر اتاه ام بعسر

كمثل الليث مفترش يديه
جريء الصدر رئبال سبطر (14)

وقالت في اخيها معاوية لما قتله هاشم بن حرملة :

---

(11) حورية قرية بين الرقة وبالس على الفرات .
(12) عكاظ : سوق كانت تجتمع فيه قبائل العرب فيتاجرون ويتفاخرون ويتناشدون وكانت تقام طيلة العشرين يوما الاولى من شهر ذي القعدة من كل عام . وانعقدت هذه السوق لاول مرة سنة 586 م اي بعد عام الفيل مولد النبي (صلعم) ب 15 سنة .
(13) المعبلة : نصل عريض طويل ج معابل .
(14) السبطر : اي على وزن هزبر اي يمتد عند الوثبة .

بلينا وما تبلى تعار (15) وما ترى
على حدث الايام الا كما هيه
فاقسمت لا ينفك دمعي وعولتي
عليك بحزن ما دعا الله داعيه

— ❋ —

كان قتل صخر في يوم كلاب او يوم ذات الاثل (16) نحو سنة 615 م وكان بنو خفاف يومئذ متساندين وعلى بني خفاف صخر بن عمرو بن الشريد وعلى بني عوف انس بن عباس فأصابوا في بني اسد بن خزيمة غنائم وسبيا واصابت صخرا يومئذ طعنة من رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى ابا ثور ، فادخل جوفه حلقا من الدرع فاحدث فيه جرحا لم يندمل وكان ذلك سبب موته . وعندما كان طريح الفراش اقبل عائد يعوده فسأل امراته سلمى التى كانت على باب الخباء فقال لها : كيف اصبح صخر الغداة وكيف بات البارحة ؟ » فقالت : « بشر حال لا حي فيرجي ولا ميت فينعي ، ولقد لقينا منه الامرين» ثم اتى عائد يوما آخر يعوده وام صخر على باب الخباء فقال لها العائد : « كيف أصبح صخر الغداة وكيف باب البارحة ؟ » . قالت : « باحسن حال ارجى له منا من يومنا ولا نزال بخير ما راينا سواده فينا » . وكان صخر وقتها ينصت ، فسمع ما اجابت به زوجته سلمى ، وما اجابت به والدته في ذلك :

ارى ام صخر لا تمل عيادتي
وملت سليمى مضجعي ومكاني

وحدث ان سمع صخر اخته الخنساء تسأل عنه امها : كيف كان صبره على الآلام فقال صخر في ذلك :

اجارتنا ان الخطوب تنوب
على الناس كل المخطئين تصيب

فان تسأليني هل صبرت فانني
صبور على ريب الزمان صليب

اجارتنا لست الغداة بظاعن
ولكن مقيم ما اقام عسيب (17)

وصخر يكنى ابا اوفى وابا حسان وكان الاشراف يكنون بكنية وكنيتين ، وتكون كنيتهم في الحرب غير كنيتهم في السلم ومصداق ذلك قولها في قافية الباء :

اورقت ونام عن سهري صحابي
كأن النار مشعلة ثيابي

فقد خلى ابو اوفى خلالا
علي فكلها دخلت شعابي

فلما قتل صخر جلست الخنساء على قبره زمانا طويلا تبكيه وترثيه . وفيه جل مراثيها وكانت في اول امرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل اخواها معاوية وصخر ، فرثتهما محرضة قومها على الاخذ بالثار ، وكان النابغة الذبياني (18) تضرب له قبة

---

(15) تعار : اسم جبل

(16) ذات الاثل : موضع بين ديار بني اسد وديار بني سليم .

(17) عسيب : جبل بارض بني سليم الى جنب المدينة به مات صخر فدفن هناك وقبره معلم قريب من عسيب .

(18) هو ابو امامة زياد بن معاوية احد اشراف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية واحد فحول شعراء الجاهلية ، لقب النابغة لنبوغه في الشعر فجاة وهو كبير ، وهو ممن تكسب بالشعر في الجاهلية، ولكنه آثر مدح الملوك ، ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام وكان ممن مدحهم من الاولين النعمان بن المنذر فقربه اليه ثم وشي به عنده وهم بقتله، ففر الى ملوك الشام، فمدحهم ولم يطلب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا في عفوه عنه . وطال عمر النابغة ومات قبل الاسلام ، ويعده الكثير من اصحاب المعلقات وان معلقته هي قصيدته التى اولها :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى واحجار

ومن اشهر قصائده قصيدته التى مدح بها عمرو بن الحارث الاصغر من ملوك بني غسان بالشام :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب

راجع كتاب البديع لعبد الله بن المعتز ، اعتنى بنشره اغناطيوس كراتشقوفسكي ، عضو اكاديمية العلوم في لينينغراد عام 1935 . صفحة 75 .

حمراء فى سوق عكاظ فيجلس لشعراء العرب على كرسي وتاتيه الشعراء فتنشده اشعارها فيفضل من يرى تفضيله ، فانشدته الخنساء فى بعض المواسم قصيدتها الرائية التى فى اخيها صخر فاعجبه شعرها وقال لها : « اذهبي فانت اشعر من كل ذي ثديين » ولو ان ابا بصير (يعني الاعشى) انشدني قبلك ، لفضلتك على شعراء هذا الموسم .

وقالت الخنساء ترثي صخرا وتعد هذه القصيدة من نوادر شعرها :

لم تره جارة يمشي بساحتها
لريبة حين يخلي بيته الجار

ولا تراه وما فى البيت ياكله
لكنه بارز بالصحن مهمار (19)

ومطعم القوم شحما عند مسغبهم
وفى الجدوب كريم الجد ميسار

قد كان خالصتي (20) من كل ذي نسب
فقد اصيب فما للعيش اوطار (21)

مثل الرديني لم تنفد شبيبته (22)
كانه تحت طي البرد اسوار (23)

فى جوف لحد مقيم قد تضمنه
فى رمسه مقمطرات (24) واحجار

وقالت ترثي اخاها صخرا كذلك :

اني ارقت فبت الليل ساهرة
كانما كحلت عيني بعوار (25)

ارعى النجوم (26) وما كلفت رعيتها
وتارة اتفشى (27) فضل اطماري

واضافت تقول :

ومن لكربة عان فى الوثاق ومن
يعطي الجزيل على عسر وميسور

وقالت :

وابكي اخاك لايتام وارملة
وابكي اخاك لحق الضيف والجار

وقالت فيه ايضا :

فخنساء تبكي فى الظلام حزينة
وتدعو اخاها لا يجيب معفرا

وقالت الخنساء فى روى السين :

يذكرني طلوع الشمس صخرا
واذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي
على اخوانهم لقتلت نفسي

اهم اغراضها الشعرية :

كان للعرب فى الرثاء اليد الطولى حيث بلغوا فيه مبلغا عجز عن ادراكه من تقدمهم من الامم السوالف . وتقاسمت هذا الفن الرجال والنساء على السواء حتى انهم كانوا يقولونه وقلوبهم تنضح بالحزن والاسى ، ومن احسن مراثيهم ما خلط فيه مدح بتفجع على المرثي ، فاذا وقع ذلك بكلام صحيح ولهجة معربة ، ونظم غير متفاوت فهو الغاية ،

---

(19) المهمار : المكثار يكثر للاضياف من القرى .
(20) خالصتي : اي الذى اخترته لنفسي وخلص لي وده .
(21) الاوطار : جمع وطر ، بمعنى البغية والحاجة ، اي ليس لي بعده فى العيش حاجة او غرض .
(22) اي لم يستمتع بشبابه ولم يتملأ ، والرديني : الرمح منسوب الى ردينة وهي امراة كانت تقوم الرماح .
(23) الاسوار : بالضم والكسر : قائد الفرس ، والجيد الرمي بالسهام ، والثابت على ظهر الفرس .
(24) المقمطرات : صخور عظام .
(25) العوار والعائر : القذى وكل ما اعل العين .
(26) ارى النجوم وهو تصحيف .
(27) اتفشى : اتفطى وفى سورة نوح « واستغشوا ثيابهم ، اي تغطوا .

وكذلك كان رثاء الخنساء التى طار ذكرها فى أواخر الجاهلية وصدر الاسلام ، تقول المقطوعات من الشعر باكية اخويها العزيزين معاوية وصخرا اللذين اشتد جزعها عليهما حتى صارت مضرب الامثال عند العرب فى المناحة والرثاء وبكاء الاهل والاحباب واهم اغراضها الشعرية الرثاء ثم الفخر . وهما متقاربا الاسلوب ، يحدوهما خيال متشابه ، وتزجيهما عاطفة متماثلة ، وتحوطهما الحقيقة بثوب شفاف من الالم الصادق والحزن العميق ومن العجب والتباهي. قالت فى الرثاء لمصابها الجال فى اخويها ، وشدة تأثرها لفقدهما ، وطول بكائها عليهما حتى ابيضت عيناها من الحزن وفقدت بصرها . وفخرت بأبيها واخويها لانهم كانوا من الصفوة المختارة من مضر . ولها شعر فى غير الرثاء والفخر من الاغراض. ونستخلص من النماذج المتقدمة ان شعر الخنساء فى الرثاء يعد من اجمل وافخم ما فى الادب العربي ، لانه يصدر عن قلب موجع وعاطفة حارة خالية من كل تكلف . ومراثيها تتناول معاني كثيرة يدور معظمها حول ذكر الموت ، وتذكر الفقيد والحزن والتوجع عليه مع ذكر خصاله الحميدة وابداء الالم الشديد لفقده ، وشعر الخنساء ذو اثر محزن عميق فى نفس السامع والقاريء لانها تمكنت ببراعة اسلوبها وجودة لفظها وقوة خيالها ان تصور ما فى نفسها من الآلام تصويرا مجسما يكاد القاريء او السامع يراه بعينه ، ويلمسه ببنانه ، فيصبح شريكها فى اشجانها واحزانها ويتأثر لمصابها حتى لتحسبه يجهش بالبكاء مثلها .

هذا وبعد دراستي الوافية لشعرها وتمعني فى مراثيها وفى ديوانها اعتبرها فلتة من فلتات الدهر قلما يأتي الزمان بمثلها من حيث الرثاء وبكاء الفقيد على الاقل . وذلك لقوة شعرها ورقة لفظه وجمال اسلوبها وسلاسة معناه . ولعلها بهذه الصفات فاقت كثيرا من فحول الشعراء ، حتى ان النابغة الذبياني وجرير بن عطية وبشار بن برد يرون انها افضل من الرجال شعرا . على أن شعرها ظل فى الحقيقة بدوي الصبغة ، جاهلي الطابع ، لم تظهر عليه امارات التأثر بالاسلام رغم انها اسلمت وحسن اسلامها .

جامعة غرناطة ــ د. محمد عبده حتامله





بقلم الاستاذ عبد القادر القادري

طالعنا فى العدد 152 من مجلة العربي لشهر يوليوز 1971 « ترجمة الشيخ ابو الهدى الصيادي » (1849 ــ 1909) . بقلم سامي الكيالي . ولقد لفت نظرنا بصفة خاصة الحملة الشعواء التى حملها صاحب الترجمة على السلطان عبد الحميد الثاني : حيث قال بالحرف الواحد :

« ... اما السلطان الاحمر فهو السلطان عبد الحميد الثاني ، سلطان البحرين وخاقان البرين وخادم الحرمين الشريفين والذى ظل فى دست السلطنة خليفة للمسلمين مدة ثلاثة وثلاثين عاما (1876 ــ 1909 وقد اطلق عليه لقب « السلطان الاحمر » لسياسة البطش التى اتخذها اثناء حكمه . ولا نعرض لسيرته وقد كتبت عنها المجلدات واصبحت سيئاته وحسناته ان كانت له حسنات بيد التاريخ المنصف العادل وكثيرا لا ينصف . انتهى بلفظه .

ومن عجب انه رغم مرور نصف قرن على وفاة هذا السلطان المسلم فما زال بعض كتاب المشرق العربي يحملون حقدا عليه ولم ينصفه فيما نعلم الاكاتبان مسلمان هما المرحوم الامير شكيب ارسلان فى كتابه « حاضر العالم الاسلامي » وانور الجندي فى كتابيه « الاسلام والاستعمار » و « قضايا الاقطار الاسلامية » .

اما نحن المغاربة فلا نكن للسلطان عبد الحميد الثاني الا التبجيل والاحترام لاسباب ثلاثة :

اولا : ان المغرب لم يخضع قط الى حكمه والى حكم اسلافه آل عثمان فى حين ان المشرق العربي وليبيا والجزائر وتونس خضعوا لهم .

ثانيا : اغلبية المغاربة بربر ولا يحملون حقدا على الاتراك العثمانيين بخلاف كتاب المشرق العربي وخصوصا منهم العرب المسيحيين الذين يحملون حقدا لا مزيد عليه على الاتراك العثمانيين .

ثالثا : موقف السلطان عبد الحميد الثاني المشرف الواضح من الصهيونية والاستعمار الاوربي.

لقد آن الاوان بعد ما كتبه سامي الكيالي عن هذا السلطان ان ننظر الى موقف هذا الاخير من التاريخ بعين الانصاف .

ارتقاء عبد الحميد الثاني عرش آل عثمان

كان ارتقاؤه الى العرش سنة 1876 فى آن شديد عصيب فقد كانت الدولة ، يقول الامير شكيب ارسلان فى «حاضر العالم الاسلامي» ، على ابواب الحرب العثمانية الروسية وكانت الحكومة فى ايدي عصبة من الساسة يسعون سعي المصلحين فى تجديدها على الطراز الحديث والنهج بها على المناهج السياسية الدستورية الغربية ، فلما اخذ عبد الحميد بازمة الامور اخذ يستصرخ الامم الاسلامية فى كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي لتمديد العون اليه وتشد ازره بالالتفات من حوله قاصدا بذلك قذف الرعب فى روع الدول الغربية التى خالها ربما كانت تأمر فيما بينها وتتشاور وتتخذ الوسائل وتقوم بالتدبيرات للانقضاض على المملكة العثمانية .

ويروي الامير محمد سليم افندي كبير اولاد هذا السلطان : « كان الارناووط فى يد والدي يهدد بهم أوستريا وجميع دول البلقان . كما انه كان

يهدد بخيالة الاكراد روسيا بعظمتها كلما فتح للآليات الحميدية حسابا . وكان يهدد بالعرب الدول الغربية بأسرها فتظن هذه الدول انه بالعرب يخلق لها مشكلات لا تنتهي » .

الرجل المريض

لقد ظلت بريطانيا وفرنسا وروسيا، يقول انور الجندي اطال الله عمره ، سنوات طويلة تعمل للقضاء على دولة الرجل المريض وتحول دون قيام نهضة او قوة فى العالم الاسلامي من شأنها ان تجدد شباب الامبراطورية او تبني دولة جديدة .

مطيحو الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني

1 ـ الحركة الشعوبية

وقد حملت الحركة الشعوبية الضخمة التى كانت مصر اكبر مراكزها حيث كان البريطانيون يفتحون الابواب لجماعات مختلفة من الدعاة واصحاب الصحف من مختلف الاجناس والاديان ممن يجمعهم العداء للاسلام والدولة العثمانية ـ لواء العمل لتحقيق اشياء كثيرة تحققت فعلا بعد الحرب العالمية الاولى :

اولا : تمزيق الدولة العثمانية التى تمثل قوة اسلامية كبرى وتجد لها فى مسلمي الهند واندونيسيا ومختلف انحاء العالم الاسلامي صدى وتأييدا .

ثانيا : السيطرة على الاجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سلطان الاحتلال البريطاني والفرنسي والايطالي .

ثالثا : اقامة اسرائيل فى فلسطين قلب العالم الاسلامي .

ومن هنا فقد كانت خطة القضاء على الدولة العثمانية هدفا اساسيا للقوى الاستعمارية وللاقليات المختلفة الموالية لنفوذ الاستعمار وهدفا اساسيا للحركة الصهيونية الوليدة التى عمدت الى الاتصال بالدولة العثمانية وبالسلطان عبد الحميد بعد ان عقدت مؤتمرها الاول فى بال بسويسرا عام 1897 وحاولت ان تحصل على اذن بالهجرة الى فلسطين عن طريق الاغراء بقرض قدره خمسون مليونا من



الجنيهات لخزينة الدولة العثمانية وهبة قدرها خمسة ملايين من الجنيهات لخزينة السلطان خاصة.

وقد كان موقف السلطان عبد الحميد مشرفا بالغ القدر فى الجراة والصدق فقد رفض ذلك العرض رفضا تاما واعلن فى كلمة خالدة استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة . وقد تكشف للسلطان من بعد تنازله عن العرش ان واحدا من الذين اعلنوا اقصاءه عن السلطة كان هو نفسه الذي جاء يعرض عليه ذلك العرض الصهيوني .

2 ـ حزب الاتحاد والترقي

هؤلاء « الاتحاديون » هم ثمرة الدعوة التى كان طابعها فى اول الامر الحرية والدستور والتقدم والتى بدات عملها منذ وقت طويل وكانت خصما عنيدا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني تحت شعارات براقة مغرية هي : شعارات الحكم النيابي والخروج من الجمود والتأخر . واي مقارنة بين حكم السلطان عبد الحميد الثاني وبين حكم الاتحاديين دعاة الحرية والاخاء والمساواة يكشف ـ يقول انور الجندي ـ مدى الفارق البعيد ويصور كيف تحولت دعوة الحرية فى ايديهم الى تسلط وعنف وطغيان لا حد له .

3 ـ الدونمة Donmeh

هم اتباع المسيح الدجال شبتاني زقي (1626 ـ 1636) الذى اعتنق الاسلام فى الظاهر طمعا

بالامتيازات وخوفا من عقوبة الموت . ويرى بعض المؤرخين ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا من اليهود الدونمة (1)

وقادت جماعة الدونمة (اليهودية التى اسلمت تقية) فى سالونيك Salonique بتركيا قيادة المعركة ضد الجامعة الاسلامية تحت اسماء مختلفة اهمها حركة حزب الاتحاد والترقي واتخذت من صفار المحافل الماسونية مراكز لها للعمل وخلقت فى فترة طويلة تزيد عن اربعين عاما حركة ضخمة سداها ولحمتها الحملة على السلطان عبد الحميد الثاني واتهامه بالاستبداد (2)

والمعروف ان الدونمة فى مدينة سالونيك المجاورة لليونان حيث مقر المحافل الماسونية ومراكز الاتحاديين .

كانت منطلق حركة خلع السلطان عبد الحميد كما انطلق فيها بعد ذلك بسنوات الذين حملوا لواء الغاء الخلافة وكان واحد من الثلاثة الذين حملوا للخليفة وثيقة التنازل هو احد الذين حملوا اليه وثيقة الصهيونية فى القرض اليهودي نظير سماحه بدخول فلسطين كان معنى هذا واضحا ان الصهيونية قد استطاعت ان تزيل عن طريقها اخطر عدو لها .

وقد اكد الباحثون المثقفون ان جمعية الاتحاد والترقي كانت القناع الخارجي الذي تقنعت به جماعة الدونمة المتظاهرين بالاسلام من يهود اسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سالونيك مقاما لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش التى نصبها الاسبانيون لمخالفيهم فى العقيدة سواء من المسلمين أم اليهود .

4 ــ الماسونيــة

قد كان للماسونية دور بعيد المدى فى تقويض الدولة العثمانية . وقد اجمع المؤرخون وتكشفت الحقائق فى الفترة الاخيرة عن ان الماسونية Franc-maçonnerie كان لها اليد الطولى فى اسقاط الدولة العثمانية والغاء الخلافة وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وان دعوتها الاساسية كانت تهدف الى بناء هيكل سليمان فى مدينة القدس على انقاض المسجد الاقصى

\ وللماسونية يرجع الاثر الاكبر فى اذاعة صورة كريهة للسلطان عبد الحميد الذى يمثل اقوى مراحل المقاومة للنفوذ الصهيوني وموقفه من الصهيونية المشرف الواضح ما زال يحمل طابع الشرف والكرامة لهذا الرجل الذي احيط بصورة خطيرة من الاتهام . فقد وقف موقف المدافع عن القدس ورفع لواء الوحدة الاسلامية فى وجه النفوذ الاجنبي فى جهاته المختلفة ورفض ان يمنح اليهود شبرا واحدا من ارض فلسطين بالرغم من العرض الضخم المغري الذى تقدموا به اليه فى وقت كانت الدولة العثمانية فى اشد حالات العجز المالي والافلاس .

5 ــ الصهيونية والاستعمار

قد بدات الصهيونية فى حملتها مع الدولة العثمانية الى الاغراء فالتآمر ثم استغلت قوة داخلية تركية اساسية لهدم الدولة بعد ان ازاحت السلطان عبد الحميد الذى استطاعت الصهيونية العالمية بالاشتراك مع الاستعمار الاوربي ان ترميه بكل نقيصة فى محاولة اظهاره للمسلمين فى ابشع صورة بعد ان استطاع خلال اربعين عاما ان يشغل اوربا بمشاكلها الخاصة وان يحبط مؤامراتها وذلك برفع لواء الوحدة الاسلامية . وقد حاول سفير بلغاريا فى اسطنبول ان يؤلب الدول الاوروبية على السلطان عبد الحميد الثاني حين قال انه من طراز السلطان محمد الفاتح الذى سبق له ان طرق بجيوشه ابواب اروبا وان عبد الحميد يهدف الى اعادة عظمة الدولة العثمانية واعادة مجد المسلمين فعليكم تناسي خلافاتكم ومعرفة اي شخص تواجهون .

الواقع ان تاريخ السلطان عبد الحميد الثاني لم يكتب بعد الا من جهة واحدة هي جهة خصومه واعدائه من اليهود والاستعمار والغربيين واتباعهم من اصحاب الاقلام التى تكتب باللغة العربية وتحمل الجنسية العربية المسيحية كأصحاب الهلال والمقطم وسركيس وغيرهم وكتاباتهم عن هذا السلطان المسلم الشجاع فيها كثير من المبالغة الصادرة عن الخصومة الشخصية او المذهبية .

ومفتاح تصحيح شخصية السلطان عبد الحميد الثاني فى نظر انور الجندي انما يتصل بنقطة واحدة

(1) مجلة العربي العدد 153 شهر غشت 1971 صحيفة 128 .
(2) راجع مقالنا عن الدونمة فى مجلة « دعوة الحق » السنة الثانية .

هي : موقفه من الصهيونية ومقاومته لها وتآمر الصهيونية مع النفوذ الاجنبي على اقصائه .

فالنفوذ الاجنبي قد أحس بالعمل الخطير الذى أزعج اروبا وهو دعوة عبد الحميد للمسلمين أن يجتمعوا فى جامعة اسلامية تواجه الزحف الاستعماري وان هذه الدعوة وجدت استجابة تحت تأثير الغزو العسكري والسياسي الذى كان يجتاح جميع اجزاء العالم الاسلامي ولم يجد المسلمون نقطة التقاء او عروة تجمع الا فى الدولة العثمانية التى تضم العرب والترك .

ومن هنا كان الضغط شديدا على هذه العروة لفصمها وتمزيقها .

والجدير بالذكر ان عرب المشرق من اشد المتحمسين الى الجامعة العربية منذ ان قاموا بثورتهم ضد الاتراك فى حين ان عرب وبربر المغرب من المتحمسين الى الجامعة الاسلامية لعدم خضوعهم للحكم التركي .

ـ انخداع كتاب العرب المسلمين .

لقد انخدعنا طويلا وراء ما ترويه المجلات المصرية والسورية واللبنانية وكتب التاريخ الحديث المطبوعة فى المشرق العربي عن الدولة العثمانية وعن السلطان عبد الحميد الثاني وجرينا وراء العبارات التى حاولت ان تصور هذه الدولة فى صورة الاستبداد والظلم والتاخر وتركز هذا كله على رجل واحد وعصر واحد هو السلطان عبد الحميد الثاني ! ولا نظن ان قائدا فى التاريخ كله امكن ان توجه اليه مثل هذه الاتهامات الزائفة وان تعيش طويلا فتظل تغذي اجيالا بعد أجيال دون ان تنكشف حقيقة الامور التى تختلف كثيرا عما زيفه الكتاب المارونيون اللبنانيون الذين كانوا عملاء النفوذ الاجنبي والذين نفذوا خطة دقيقة رسمتها ايدي وعقول غربية قادرة على الغزو الفكري وتعرف ما وراء الكلمة من قدرة على اقناع الشعوب والامم على الاعتقاد بوقائع زائفة توضع موضع الحقائق وتسبغ عليها كل عوامل البقاء والاستمرار .

في ضوء هذه الملاحظات من هنا وهناك يمكن النظر الى موقف السلطان عبد الحميد الثاني من التاريخ بعين الانصاف وفى السنوات الاخيرة اخذت تظهر وثائق كثيرة تكشف حقيقة هذا الرجل وتدفع عنه كثيرا مما شاب اسمه من اتهامات وشبهات الصقها به النفوذ الاستعماري والصهيونية والعرب المسيحيين على السواء .

اما فيما يخص اتخاذ ابي الهدى الصيادي الصوفية وسيلة لمطامحه الكبرى فقد غفل صاحب الترجمة عن ذكر انتساب المترجم له انتسابه الى الطريقة الرفاعية التى بسببها الف الشيخ رشيد رضا كتابه : « الحكمة الشرعية فى محاكمة القادرية والرفاعية » فكان هذا الكتاب هو السبب فى عداء أبي الهدى الصيادي لرشيد رضا وسر كراهيته لمجلة المنار ومنع دخولها الى بلاد الدولة العثمانية .

فمتى يكف كتاب المشرق العربي وخصوصا العرب المسيحيين عن اتهام السلطان عبد الحميد الثاني بما هو بريء منه ونرجو ان تكون حملة الكاتب سليم الكيالي فى مجلة العربي على هذا السلطان المسلم ـ الذى يعتبر فى نظر شكيب ارسلان داهية من اعظم دهاة العصر الحديث وسياسي فى منتهى الحصافة ـ آخر حملات كتاب العرب المسيحيين عليه .

الرباط ـ عبد القادر القادري



كانت دولة بني امية عربية بحتة في مظهرها ولسانها وبيانها وميولها وعواطفها ، وربما وصلت في ذلك كله الى حدود العصبية الهوجاء ، والتحيز البالغ ، ووصل الحال في هذا الاعتقاد الى درجة انها لا تطمئن لما ليس بعربي في المأكل او المشرب او المسكن او اللباس ، فان علموا ان احدا زوج امراة من الموالي نكلوا به ، وفرقوا بينه وبينها ، ولم يكن من حق المولى ان يغشى مجلسهم الا للخدمة ، وقضاء الحاجة ، واستخدامه كما يستخدم العبيد والمماليك .. وقد تكفلت كتب التاريخ بسرد الاخبار العجيبة ، والقصص النادرة ، في هذا السلوك الذي كانت تعامل به الموالي من العناصر الدخيلة ، والافراد غير العربية هنالك ، ولم يثبت ان انسانا من هؤلاء شعر فيما بينهم بكرامة الآدمي ، وتقدير الانسان للانسان ، ولم يكن له ان يتعلم او يتولى مراكز القضاء او القيادات العامة.. ولما كان بنو العباس يترقبون زوال دولتهم ، ونهاية حكمهم ، فقد كانوا يعلنون السخط على هذه السياسة ، والكراهية لهذا العنف ، ويعدون الناس انهم سوف لا يأخذون بهذا الاسلوب ، ولا ينهجون ذلك النهج ، ولا يجلسون في تلك الابراج العاجية ، وانما سيجعلون من انفسهم نكرات شائعة في غمار العامة لا فرق بين عربي ونبطي ، وكردي ورومي ، لانهم كلهم لآدم ، وآدم من تراب ... وقد كانوا وهم يتخذون الاوكار والمراكز السرية التي تنطلق منها دعوتهم يجعلون من خراسان — في بلاد فارس — الحصن الحصين ، كما كانوا يجعلون من الفرس انفسهم العضد القوي ، واليد اليمنى ، وكان ابو مسلم رجلهم الاول الذي يطمئنون اليه ، ويثقون فيه ، ويعتمدون كل الاعتماد على جهوده الجبارة ، ولذلك قوبل صنيعهم به — بعد ان وصلت الخلافة اليهم — بالاستنكار والسخط، حتى من ذويهم واقرب الناس اليهم ، وان كان ذلك لم يكن قطعا للفرس ، ولا ابعادا لهم عن مراكز الحكم والسلطان ، والانتفاع بآرائهم في السياسة ، وادارة شؤون البلاد ، وقد ظهر منهم جماعة استطاعت ان تجعل لها كيانا مرموقا ، ومركزا ممتازا ، كان على راسهم — في اول الامر — جدهم خالد بن برمك الذي وزر للمنصور بعد السفاح ، والذي يخاطبه بشار بقوله :

اخالد لم اخبط اليك بذمة
سوى انني عاف وانت جواد

فان تعطني افرغ عليك مدائحي
وان تأب لم يضرب علي سداد

ركابي على حرف وقلبي مشيع
وما لي بأرض الباخلين بلاد

اذا انكرتني بلدة او نكرتها
خرجت مع البازي على سواد

ويقول عنه ابن طباطبا في كتابه « الفخري في الآداب السلطانية » كان خالد عظيم المنزلة عند الخلفاء، قيل ان السفاح قال له يوما يا خالد ما رضيت حتى

استخدمتني ، ففزع خالد وقال له كيف كان ذلك يا اميرالمؤمنين واناعبدك وخادمك، فضحك وقال ان ريطة ابنتي تنام مع ابنتك في مكان واحد ، فأقوم بالليل فأجدهما قد سرح الغطاء عنهما فارده عليهما ، فقبل خالد يده وقال مولى يكتسب الاجر في عبده وامته.. وكثر الوافدون على باب خالد ومدحه الشعراء ، وانتجعه الناس ، وكان الوافدون قبل ذلك يسمون سؤالا فقال خالد اني استقبح هذا الاسم لمثل هؤلاء وفيهم الاشراف والاكابر ، وسماهم الزوار ، وكان خالد اول من سماهم بذلك ، فقال له بعضهم والله ما ندري اي اياديك عندنا اجل ، اصلتنا ام تسميتنا ؛ ولما بنى المنصور مدينة بغداد عظمت النفقة عليه فأشار عليه ابو ايوب المورياني بهدم ايوان كسرى ، واستعمال انقاضه . فاستشار المنصور خالد بن برمك في ذلك فقال له لا تفعل يا امير المؤمنين فانه آية الاسلام ، فاذا رآه الناس علموا ان مثل هذا البناء لا يزيله الا امر سماوي ، وهو مع ذلك مصلى علي بن ابي طالب عليه السلام ، والمؤنة في نقضه أكثر من الانتفاع به ، فقال له المنصور ابيت يا خالد الا ميلا الى العجمية ، ثم امر المنصور بهدمه فهدمت منه كلمة فبلغت النفقة عليها اكثر مما حصل منها ، فأمسك المنصور عن هدمه ، وقال يا خالد قد صرنا الى رايك وتركنا هدم الايوان ، فقال له خالد انا الآن اشير بهدمه، لئلا يتحدث الناس انك عجزت عن هدم ما بناه غيرك ، فاعرض عنه ولم يهدمه .. ولما تولى المنصور الخلافة اقره على وزارته واكرمه واستشاره ، وحين آلت الى الرشيد قرب اليه يحيى بن خالد وجعله وزيره الاول ، وكاتم سره ، ومحل ثقته ، والمستشار الذى يأخذ برايه ، ويعمل بتوجيهاته ، وكانت ام الفضل زوجة يحيى بن خالد البرمكي قد ارضعت هرون كما ارضعت ام هرون الفضل بن يحيى ، وهذا بعض الاسباب التى جعلت ليحيى التمكن فى دولة الرشيد ، لانه ابوه من الرضاع ، وهرون ولده ، واخو ابنه الفضل ، وكان فى يحيى مع هذه المنزلة صرامة ، وميل للجد ، وحب للحق ، وولوع بالعدل ، ورغبة صادقة فى التزام السلوك السوي فى كل اعماله وتصرفاته ، وكان فى سمته وهندامه ومظهره يشبه الملوك والسادة ، واهل المجد والرفعة ، والابهة والعزة ، لا يرى منه احد اسفافا ، ولا يلحظ عليه نزولا عن مستوى العلية من الناس ، وكان ابنه الفضل يحكيه فى وقاره وادبه ، واتزانه وهدوئه ، وعقله ورايه ، وحكمته وسداده ، وترفعه عن الدنايا ، وبغضه للمجون ، وكراهيته للهزل ، ونفوره من اللهو ، وتطلعه دائما ابدا الى معالي الامور ، واعراضه عن سفسافها . وكان على العكس من ذلك كله جعفر بن يحيى اخو الفضل ، لذلك كان الرشيد ينفر من الفضل ، ولا يحب ان يغشى مجلسه ، او يكون له فى دولته نصيب ، اما جعفر فقد كان محظيا عنده ، مقربا لديه ، حبيبا الى قلبه ، ينادمه ويجالسه ، وينال حظوته عنده على الرغم من كونه ليس اخا له ، وكان فى جعفر من خفة الروح ، وحضور البديهة ، والمعية الذهن ، واجادة النكتة ، وحفظ النوادر والاخبار ، والحكايات والقصص ، والمعرفة بأيام الناس ، وانباء القرون ، ما يجعل لمثله مكانة عظمى عند الملوك والخلفاء ، ومع ذلك فقد كان جعفر هذا اول ضحية حل بها الفتك ، حينما تغير الرشيد على هذه الاسرة وقلب لها ظهر المجن ، ولم يذكر وقد صنع بهم ما صنع اياديهم التى قدموها ، ولا وشائجهم التى ربطتهم به ، ولا ملكه الذى دبروه له ، ولا سلطانه الذى حفظوه برماحهم .. وقد اختلف المؤرخون فى السبب الذى حمل الرشيد على ان يقضي على البرامكة هذا القضاء ، ويجعل مجدهم الباذخ ، وسلطانهم المتمكن ، ودولتهم القوية ، وصوتهم المدوى ، اخبارا تروى ، وعبرة تذكر ، وعظة يعرف منها الناس ، ان الدهر لا يدوم على حال ، وان الدنيا تلعب بأهلها، وتخدع المغتر بها ، المطمئن اليها ، الذى يأخذ عليها العهد ان تظل على ودها له ، واقبالها عليه ..

وقد قال بعض هؤلاء ان الصلة التى تمكنت ما بين جعفر والرشيد قربت ما بين جعفر والعباسة اخت الرشيد ، واكدت حبال الود بينهما ، ولم تزل تلك الصلة فى ازدياد حتى تحولت الى وله وعشق ، وحب وغرام ، وحنين وانين ، وشغف وقلق ؛ وهوى وميل ، وفى هذه الآونة ثارت فى نفس هرون حميته واباؤه فلم يجد بدا من ان يجعل ذلك كله فى خبر كان حتى لا يتناوله لسان ، او يلوك حديثه انسان ... وقال بعضهم ايضا ان الرشيد عهد الى جعفر بقتل رجل من العلويين فتستر عليه ولم يقتله وزعم له انه نفذ امره فيه ، ثم اطلع بعد ذلك على كذبه وعدم امتثال الامر فقتله ، وكان قتله هذا من الحوادث التى اثارت سخط الناس وعدم رضاهم عن هذا الصنيع المؤسف ، اذ بعث اليه الرشيد خادمه مسرور وامره ان يباغته فى داره ويجيء به على الحال التى يكون عليها من غير تهيىء للحضور او

لبس الثياب التى تعود ان يلقي الخليفة بها ، فلما دخل عليه مسرور لم يستاذن فى الدخـــول ، ولم يسلم عليه ، فقال له جعفر لقد ملأت نفسي بهجــة بقدومك عندي ، ولكنك اثرت فى الظنون والريب ، والهلع والفزع ، اذ لم تستاذن فى الدخول ، ولم تسلم علي ، فقال مسرور لا سلام ولا كلام ، ولامر خطير ، والساعة رهيبة ، والليل حالك السواد ، ثم قاده الى مكان فى قصر الخلافــة انفصلت فيــه رأسه عن جسده ، وكان ذلك مطلع القصيــدة ، او ابتداء الملحمة ، اما ابوه واخوه الفضل وبقية الاسرة البرمكية فقد زج بها الى السجن ، وصودرت املاكها ، وجردت من اموالها . ولبعض المؤرخيــن راي آخــر ينسب اليه تلك النكبة خلاصته ان الرشيد خرج الى الحج ومعه ولداه الامين والمامون وكان بصحبته وزيره يحيى والفضل وجعفر ، وكان يحيى ملازما للرشيد كما كان الفضل وجعفر ملازمين للامين والمامون ، فلما اهتز كل واحد للندى ، وسحت يده بالجود ، واخذت العطايا تنساب الى المعوزين والفقراء من اهل الحرم الشريف ، تبين للناس ان سخاء البرامكة غطى على سخاء الرشيد واولاده فاثــار ذلك حفيظة الرشيــد وولديه الامين والمامــون .. الا ان هــذه الاسبــاب وامثالها مما يذكره المؤرخون لا تعدو ان تكون حدسـا وتخمينا مما يحاوله المؤرخ من الاجتهاد للوصول الى ما عساه ان يكون سببا صحيحا ، او باعثا حقيقيا ، لان سياسة القصور ، واسرار الخلفاء ، ليست من السهولة الى هذا الحد الذى يجعلها فى متناول عامة الناس ليجعلوا منها مقدمات طبيعية تنتهي ــ هكذا ــ الى نتيجة تصير فيما بعد قضية مطروحة للنظر او التعليق ، ولهذا فاني اعتقد ان الامر كان اشد خطورة من ذلك كله ، ورجل كالرشيد بالذات لا يمكن ان تكون هي شهوة الملك ، وحب الشهــرة ، ورغبــة السيطرة ، والمنافسة فى التعالي والكبرياء ، التى حملته على هذا الصنيع ، والا نزلنا به الى صفــوف الدهماء ، وانحدرنا به الى مستوى العامة ، ولطخنا تاريخه الذى كان ناصعا بما يلطخ به تاريخ الجبارين فى الارض ، ولابد ان يكون هنالك سبب آخــر وراء ذلك كله ، وربما كان هذا متعلقا بما نسميه نحن الآن « بقلب نظام الحكم » وقد كان الفرس منذ مقتــل ابي مسلم الخراساني يتحينون الفرصة المتاحة لاخذ الخلافة لاعتقادهم انهم هــم اصحــاب الفضــل فى انتزاعها من ايدي الامويين ، وفى اخذ بني بويــه لها فيما بعد تأييد لهذا الــراي ، علــى ان العنصــر الاجنبي مطلقا اشبه بالسرطان الذى يصحب جسم الامة ، والفرس ثم الاتراك الذين استقدمهم المعتصم كانوا مثل المسمار الذى دقه القدر فى نعش دولة بني العباس ، ومن غريب امر التاريخ الذى يعيد نفســه كما يقولون ان زوال ملك المسلميــن بالاندلس كــان بعض اسبابه القوية اختلاط الدم الاسباني بالــدم العربي اذ تزوج الخلفاء والامراء هنالك من نساء هذه البلاد ، وبهذا برد الدم العربي ، والاباء العربي ، وهان على المسلمين ان يفرطوا فى مجــد عزيــز ، وسلطان كريم ، ودولة كانت غرة فى جبين التاريخ « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

القاهرة ــ د. ابراهيم علي ابو الخشب

الدوافع التاريخية لحركة القومية العربية

للاستاذ أحمد حسن الجوي

افضينا فى البحث السابق الى القول بأن حركة القومية العربية لم تكن لا رجعية ولا عنصرية ولا مبنية على التعصب الديني ، وبأنها وليدة دوافع تحررية قبل كل شيء ، لا تهدف سوى لنيل الانسان العربي حقه الكامل فى التمتع بحياة الكرامة وفى ابراز شخصيته التى لها ماضيها وفضلها فكريا وحضاريا .

فهي ليست بالرجعية لانها تسير فى المجرى التاريخي وتكون ظاهرة عادية تاخذ بها كل الشعوب التى تسعى لان تتبوا مكانها بين الامم الحرة المستقلة. فهي على العكس من ذلك حركة تقدمية . وقد تنصرف بعض الاذهان الى الرد على هذا الزعم اذا ما تم الاخذ بالراي السائد الان فى البلاد الغربية ، من ان عهد القوميات قد انتهى وان الوقت وقت تكتلات واتحادات ، وان المستقبل بين يدي الجماعات الدولية الكبرى التى تؤسس اتحادها على التعاون والتكامل الاقتصادي ، ولو ادى الحال الى تداخلها وتنازلها عن بعض مظاهر السيادة الوطنية لفائدة الهيئة العليا التى تشرف على تنسيق انشطتها وعلاقاتها من اجل تحقيق البرنامج الاقتصادي المشترك بينها . لكن اذا كانت بعض الدول فى العصر الحاضر ، وبالاخص دول اوربا الغربية اخذت تتخطى القوميات لتشترك فى تكتلات اقتصادية واتحادات سياسية وعسكرية كالوحدة الاوربية ، والحلف الاطلسي ، والاتحاد الاوربي للفحم والفولاذ ، والسوق الاوربية المشتركة ، فلا يعني ذلك أن هذه الدول لم يسبق لها ان قطعت هي الاخرى مرحلة القومية التى تقطعها الآن الدول العربية . على ان التيار السائد فى العالم الآن ، وحتى فى دول اوربا الغربية نفسها، تطغى عليه فكرة « الاولوية الوطنية » والصبغة القومية القضايا والمشاكل . ويكفي ان نلقي نظرة على الصحف البريطانية بجميع اتجاهاتها ونحن الان نعيش المحادثات الجارية بشأن انضمام انجلترا الى السوق الاوربية المشتركة ، لنتكهن الصعوبات التى ستواجهها الحكومة البريطانية لاقناع الراي العام البريطاني الممثل فى نوابه فى مجلس العموم من اجل الموافقة على هذا الانضمام .

وليس معنى هذا انه يجب على كل دولة عربية ان تنكمش على نفسها وترفض كل تكتل او اتحاد مع غيرها من الدول العربية لغاية اقتصادية او سياسية أو عسكرية ، او ان دول العالم العربي يتحتم عليها بعد قطع مرحلة القومية واكتمال تحررها السياسي والاجتماعي والاقتصادي واكتفائها الذاتي ، أن تعيش فى عزلة عن باقي دول العالم وترفض التعاون والمشاركة فى بناء وتحقيق المشاريع الكبرى لفائدة الانسانية .

فيبقى اذن من حق الدول العربية ان تمر كغيرها بمرحلة القومية التى هي حركة عادية وظاهرة طبيعية وخطوة تقدمية بالنسبة لتطورها التاريخي كي تحتل المكانة اللائقة بها فى حظيرة الامم الحرة .

وتحقيقا لهذه الغاية فان القومية العربية المتمثلة في دول الجامعة العربية لم تقتصر على ما انشأته فيما بينها من اتحادات سياسية او عسكرية او اقتصادية كاتحاد الجمهوريات العربية ومشروع المغرب العربي الكبير واتحاد الدول المنتجة للنفط ، بل هي تسعى لتبرهن عن وجودها ككتلة لها اتجاهاتها الخاصة ضمن هيئة الامم المتحدة كما انها تكون الاغلبية او تمثل حجرة الزاوية في عدة منظمات او كتل اخرى كدول عدم الانحياز ومنظمة الوحدة الافريقية ، ورابطة العالم الاسلامي .

والقومية العربية ليست كذلك بحركة عنصرية

لانها لا تستند على كراهية للغير او على حملة دعائية للجنس او ميز في اللون والدين ، فالعالم العربي المتمخض عن تطور طويل نحتته الاجيال وصنعته العصور ، اصبح اليوم واقعا خالصا وراسخا يلتقى فيه على صعيد واحد العرب الاصليون والعرب المستعربون، والمسلمون وغير المسلمين، والاسياويون والافريقيون ، والبيض والسود ، ولم يبق للعصبية القبلية وللنعرة الجنسية فيه مكان . والدليل على ذلك الفشل الذى منيت به بعض الحركات العنصرية او الجهوية التى قامت في بعض نقط العالم العربي بايعاز طائفة من الطموحين المحليين او من فلاسفة الاستعمار . وفي هذا الصدد نشير الى حركتين كان لهما اثرهما في تعزيز حقيقة القومية العربية وفي لمس الواقع العربي . فاولاهما في مصر حيث قامت نزعة « الفرعونية » واشتعلت نارها ولكنها لم تكن سوى نار من هشيم سرعان ما انطفأت وباء بالخيبة موقدوها ، والثانية هي «النزعة البربرية» التى خلقها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وفي المغرب وحاول تسخيرها لبث داء التفرقة بين افراد شعبين لم تكن لمسألة الوحدة او القومية عندهما ما يدعو الى اثارة او معالجة اي مشكل جنسي . فالظهير البربري الذى استصدرته سلطات الحماية في المغرب سنة 1930 كان — كما هو معلوم — مثار احتجاج عنيف من لدن الشعب المغربي قاطبة والامة العربية جمعاء . وقامت حوله حركة وطنية وسياسية ببلادنا لم تفتر منذ ذلك الحادث الخطير عن التشهير بنوايا المستعمر الفرنسي والمطالبة بالاستقلال والجلاء .

فان اوضح معيار ليقظة الشعوب والامم وبلوغها مرحلة الوعي والنضج القومي هو حلول اللحظة التاريخية التى يتم فيها تخطي الجدلية العشائرية وتجاوز الفوارق السلالية والخصائص الاقليمية ويحصل ادراك مفهوم النفع العام والمصلحة الوطنية

والذين يسيرون في المجرى المعاكس لحركة القومية العربية لم يفتروا من ترديد اسطورة الفوارق العنصرية وتحريك اختلاف الطوائف الجنسية والنزعات المذهبية داخل اقطار الرقعة العربية ليعارضوا بعضها بالآخر ، مستغلين ما يمكن ان يستغل من فروق مصطنعة ما بين عرب وبربر ودروز واكراد ومسلمين ومسيحيين واقباط وغير ذلك .

فلم يكن المسعى الاول لحركة القومية ، وهي تسير نحو تحقيق اهدافها التاريخية ، الا اجتياز معوقات العقلية الاقليمية ، والانتقال من شكل المجتمع التقليدي الركودي الى الجدلية التقدمية والتحرك التاريخي ، لان القومية العربية — كسائر القوميات — ترمي في مقدمة ما ترمي اليه الى تحقيق البنية العصرية للمجتمع العربي لمواجهة تحديات العالم الغربي من حوله .

اذا لم يكن لحركة القومية العربية التى يرميها فلاسفة الاستعمار والصهيرنية بالعنصرية اي هدف عدائي او توسعي ، لان مفهوم القومية عند العرب لا يتعدى في وسائله تحقيق البنية الحضارية للمجتمع، وفي اهدافه خلق الطاقات القادرة على رفض الغزو بجميع اشكاله والتشبث بالذاتية وتركيز الشخصية ، وهذا المفهوم لم يدرك — كما هو الشأن بالنسبة لدول الغرب — مجال الدخول في خصومات الجوار والاطماع التوسعية التى ادت الى نشوب الحرب العظمى واقتسام الدول الضعيفة من لدن قوى الاستعمار ، وادت الى الحرب العالمية الثانية وصعود الامبريالية على مسرح العالم باشكال « الاعتداء » الجديدة ، وادت كذلك الى زرع قاعدة اسرائيل لسلب اراضي فلسطين العربية وللوقوف في وجه حركات التحرير العربية .

ومن هنا كان ما يدعى « بالمظاهر الايجابية » (1) للقومية الاوربية ، من فعل امم ودول استرجعت استقلالها وسيادتها منذ عهد بعيد واصبحت تحارب من اجل الحصول على موارد جديدة واستغلال ثروات

(1) انور عبد المالك « الفكر السياسي العربي المعاصر »
« La pensée politique arabe contemporaine » - Editions du Seuil - Paris.

بعيدة عنها سواء فى اوربا او خارجها . فلم يكن هدف الدول العظمى التى شنت ـ باسم القومية الايجابية ـ حروبا متعددة فى اوربا خلال الاربعة قرون الماضية ، هو تركيز ذاتيتها او ضمان وجودها القومي ، بل كان هدفها هو الاستيلاء على دول اخرى فى اوربا او فى القارات المجاورة لها من اجل توسيع ابناء جنسها وبث ثقافتها واستغلال شتى الموارد والخيرات لحسابها الخاص .

فهل هذا هو مفهوم القومية عند العرب ؟

لا . بل على العكس من ذلك ، لان المعركة التى يخوضها العالم العربي ضد دول الاحتلال بجميع اصنافه ، لا تستهدف الا استرجاع السيادة القومية واجلاء القوات الاجنبية عن التراب الوطني وقلع جذور القواعد التى زرعها المستعمر ، وبعبارة استرداد حق تقرير المصير فى جميع الميادين الوطنية، وتلك هي الوسيلة لاثبات الذاتية وتركيز الشخصية من اجل تحقيق بناء نهضة حضارية تستمد اركانها من الاصول الثقافية والتاريخية الصحيحة بالنسبة لها وتتجه فى تخطيطها حسب الارادة القومية .

وهنا ندرك الاسباب التى تحمل الدول المنهمكة فى معركة التحرير على البحث لنفسها عن شتى الدعائم لتعزيز موقفها ، فتجدها فى الدول الغير الاستعمارية وفى المنظمات الدولية وكذا فى احزاب سياسية ومؤسسات وهيئات ومذاهب فكرية يتخطى اشعاعها حدود بلادها .

ولذا فان ما يعتبره دعاة الامبريالية موقفا سلبيا بالنسبة للقومية العربية : متجليا فى « رفض التعاون مع الغير » ويعدونه انكماشا على النفس وكراهية Xenephe انما يرمي فى معلول القومية العربية الى رفض التعامل مع « الغير » الذى هو متجرد لا يطمع فى استيلاء او استغلال ، ومن ثم فان ما يفسره الطرف المتسلط بالسلبية والكراهية لم يكن فى الحقيقة بالنسبة للقومية العربية سوى ارادة هادفة للتبرم من منافيخ الاستعمار ولتوجيه النظر نحو نافذة اخرى يطل منها على العالم الخارجي لكسب دعائم الحرية وانصار التعاون المثمر النزيه .

فلم يكن هناك اذن ما يدعو الى رمي القومية العربية بتعصب اعمى او بانكماش على النفس ، وانما هناك تصرف فى اختيار الاصدقاء وارادة الاسترجاع الذاتية واثبات صحة الوجودية وتدعيم الشخصية ، وبالتالي لم يكن هناك بالنسبة للكفاح الذى تخوضه القومية العربية من اجل البحث عن نفسها ، اي قصد عدائي او عنصري ولا اي هدف توسعي بل على العكس من كل ذلك ، فان معركة العالم العربي تتجه صوب محور من الايجابية البناءة لخلق قيم ومؤسسات تقدمية ، بينما الهالة التى تحيط بها الدول الامبريالية مفهوم القومية « الايجابية » سواء فى اوربا او خارجها ، ترمي فى اهدافها ووسائلها الى الاعتداء السياسي والغزو الثقافي والاكتساح الاقتصادي وتتجه بالتالي الى توسع جنس معين على حساب جنس غيره ، وتلك هي العنصرية .

طنجة ـ حسن احمد الحجوي

لعبة الموضة... وأصابع الصهيونية



> « انه لا بد من اشاعة الفوضى الاخلاقية فى العالم ، حتى نتمكن من السيادة اذ بتأثير الفوضى الاخلاقية يمكن عزل الجماهير عن واقعها السياسي، وهو مدخل حساس ، عن طريقه تتم الغلبة وتتحقق السيادة » .
>
> **بروتوكولات ـ حكماء صهيون ـ**

من يدري ان الصهيونية هي التى تلعب اليوم ببراعة (لعبة الموضة) ؟؟ فهي التى تخطط ، وهي التى تروج ، وهي التى تقبع خلف تلك الدعاية الضخمة لها ؟؟

ليس جهلا كما ليس غريبا اذا انكر المرء هذا الامر ؟؟ اذ ليست هناك قضية فى حياتنا تدور وتأخذ مجراها بمثل ما تدور لعبة الموضة الان ، آخذة مجراها المعروف فى شكلها الحاضر ، ودون ان يعرف ما ومن الذى يقبع وراءها ؟؟

ففى عالم السياسة ـ الذى يعتبر من اكثر العوالم تعقيدا فى الدوافع والاهداف وهوية المخططين ـ يتضح كل شيء مع الزمن ، من خلال تفاعل الاحداث وتحفز ظواهر مختلفة متشابهة بحيث لا يمكن حينئذ اعتبار جهل المرء بالنسبة الى قضية سياسية الا تجاهلا او جهلا حقيقيا او من نوع عزلة عن الحياة العامة .. فالحياة الاعلامية لم تعد حياة مغلقة .. فالانباء تتواجد اني تتواجد جهاز فى حجم علبة الكبريت اسمه « الترانسيستور » ..

ولكن فى مثل هذه الحالة بالذات ترى المرء يجهل تماما لعبة الموضة . وبسبب هذا الجهل المطبق لا يعود امرا غريبا هذا الركض العجيب خلف لعبة الموضة وهذا الانسجام الكامل معها ، بحيث لم يعهد لامر ان لقي رواجا وتقبلا فى فترة قليلة مثل ما تلقى الموضة الآن من الرواج والترحيب والاستقبال .

ومن هنا تكتشف ان اصحاب هذه اللعبة ـ وهي الصهيونية بطبيعة الحال ـ اضافة الى انهم قد اتقنوا اللعبة ، يمارسون فى نفس الوقت لعبتين فى آن واحد :

الاولى هي لعبة الموضة نفسها .

والثانية هي اغفال الجماهير الساذجة منها والذكية .. (!!)

ان الحقيقة المرة هي ليست فى نجاح لعبة الموضة ذاتها كما هي ليست فى نجاح عملية التضليل الجماهيري .. فالجماهير العامة هي دائما مسرح ناجح لامثال هذه التجارب والعمليات والالعاب ، لسذاجتها وغفلتها اولا ، ولعاطفيتها الطاغية ثانيا ..

كلا ليس فى هذا كله .. لانها قضايا طبيعية ليست فريدة من نوعها ، وهي وقعت وتقع باستمرار ما دام الجمهور ساذجا ، وما دام المتآمرون عليه فى اعلى مستويات الذكاء والخبث ..

وانما الحقيقة المرة هي فى انخداع الطبقات الذكية او المتذاكية التى انساقت هي الاخرى بأكثر عاطفية وغباء وراء اللعبة .. متجاهلة على الاقل اضرارا ومضاعفات الانسياق خلف اللعبة من الناحية الاخلاقية .. دع عنك النواحي الوطنية والسياسية..

وتبدو الحقيقة اكثر مرارة حينما تقف على تعمق هذا الانخداع فى اوساطنا الموجهة واجهزتنا الدعائية والصحفية .. التى تجدها مستعدة فى كل لحظة ان تضع بين يديك عشرات من الاوسمة الوطنية وعشرات من شهادات حسن السلوك واخرى شهادات تفوق نالتها بفضل وطنيتها ، واخلاصها.. و و و الخ .. (؟؟!)

كما ان الحقيقة تبدو مريرة اكثر فاكثر حينما يجد المرء ان الذين ينتصرون للموضة الخليعة المنفلتة هم انفسهم اولئك الذين يتقمصون رداءالدفاع عن الاخلاق والانتصار للقيم (؟!)

والواقع الذى لا مفر من الاعتراف به بكل اذعان هو: ان هذه الظاهرة بمجموعها ان كانت تدل على شيء فانما تدل من جهة على تفوق الصهيونية العالمية فى ممارسة وابتداع اساليب المكر بالانسانية ، والوقيعة بالاخلاق ، والغزو الكاسح للقيم حتى فى عقر دارها .

ومن جهة اخرى تدل على تفوقنا فى البساطة والسذاجة والجهل هذا اذا كنا لا نريد تجاوز حدود اللياقة -- وعلى تفوق دوائرنا فى العمالة والذيلية والوصولية ، اذااردنا الصراحة والكشف عن الواقع بلا مجاملة .

ان حركة الازياء والموضة الفتانة التى اخذت تكتسح أكثر اوساطنا حتى بعض الاسر المحافظة ، وان ما تحمله معها هذه الحركة من ميوعة ودلع مثير وعرى وبما تؤدي من اثارة واشاعة لروح الانحلال ، وتمييع الرجولة والفتوة فى شبابنا الطليعي .. ان هذهالحركة ليست الا حركة مقصودة عالميا ومقصودة بالذات بالنسبة للمنطقة .. وخصوصا فى هذه الظروف ونعني ظروف مواجهتنا مع الصهيونية .. وهي حركة يقبع خلفها ، ويأخذ بخيوطها ويحركها ، ويروجها ويصرف عليها الصهيونية العالمية التى تتطلع نحو استعمار واستغلال عالمي وقبل ذلك استعمار محلي مسرحه الارض التى نعيش عليها وضحيتها شعبنا بأسره .. اذ الغرض من هذه الحركة هو الهاء الشعوب عن قضاياها المصيرية باستدراجها الى الفساد والتحلل تمهيدا للاستعمار والاستغلال ..

وحتى لو لم تستطع الارقام -- رغم كثرتهاوتواترها ودلالتها -- من اثبات هذا الامر ، فان تصريح حكماء صهيون -- المنقول بتصرف فى مطلع هذا المقال -- يكفي لاثبات الامر ، والكشف عن الوجه الحقيقي لاصحاب لعبة الموضة الحقيقيين .. فان التصريح المذكور وان كان لا يشير بالتحديد الى ظاهرة الموضة الا انها اكثر دلالة من الدلالة على الموضة التى قد تعتبر مدخلا لاشياء اخرى ومرحلة تمهيدية ليس اكثر ...

وبعد بات لاصحاب الرأي المخلصين ان يروا رأيهم ..

ولا ننسى ان نقول ان هذا القول موجه بالطبع الى الذين يجهلون حقيقة الامر حقيقة، واما الذين يعلمونها ويسكتون عنها وبالاحرى يتجاهلونها وهم ابصر بها من امورهم الشخصية فان امرهم متروك للعدالة الحقيقية مهما شئت ان تسميها : عدالة التاريخ ام عدالة الجماهير أم عدالة الله ...

جعفر الهادي

من الملحمة العربية

حاتم الطائي

للدكتور زكي المحاسني

أين يا ركب منزل للعلاء بات فيه العافون عند الطائي

« حاتم » لم ينم ليترقب الضيفان والنار مورد الظلماء

اوقدي يا فتاة فالليلة القرة تسفي الرياح فى البيداء

ان جلبت الضيوف للمست فى الصبح رحيلا ولن ترى فى الاماء

يا شبوب النيران فى الحندس الدامس اومأت فى الظلام لرائي

فأتى سبرك الشريد وحط الجفن فوق الوسادة الميثاء

واذا القفر ضم اعمى شريدا جولت أكلب الندى بالعواء

فمضى نحوها الكفيف يرود الصوت حتى احتواه روح الخباء

« حاتم الجود » يا مغيث الملاهيف صنعت المعروف غير مرائي

كنت انت الفداء ان طلع السلم ووجه العروبة السمحاء

انت حاربت عالم الفقر والجوع وقارعت فى امر بلاء

خلد الطعن والمضارب اهليك وخلدتهم بلا ايذاء

والمروءات تسفك الدم فى الحرب وفي السلم سفكة بسواء

ونجيع العراك يروي المفاوير ويشفي الطى دم الاعداء

ارخص الدهر كل شيء سوى الحربة الحمراء قد سكها بالدماء

غير ان الوداد والحب ابقى من سلاح يفل يوم اللقاء

خبرني اسطورة البذل قد كنت لعمري حقيقة الصحراء

زعمت طغمة الشعوبي ان الرمل قد جف محرق الرمضاء

انه اطلع السيوف على الافق وجاد القفار بالأرواء

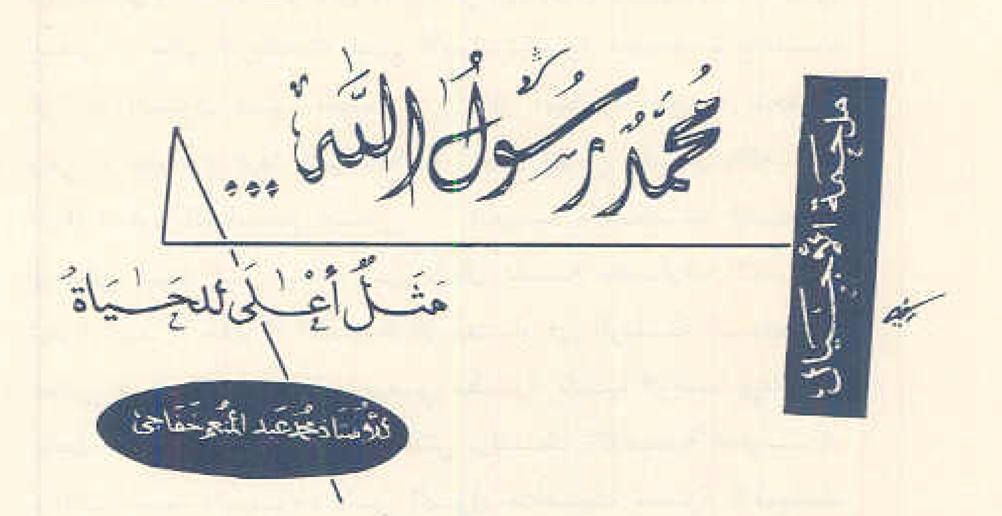
من مناد يطوف بالركب يطوي البيد والشمس مسعر للشواء
فيه ولهى من الرجال الى الظل وظمأى من النسا للماء
رحلوا يبتغون « طيا » على الرقد فضلوا وامعنوا فى الفضاء
واظل الليل البهيم مناهم حين مروا بفتية اصفياء
سألوهم ابن السبيل فدلوهم على شيخهم سمير السماء
قال جوزوا مطاف نجم المزاويد تروا دربكم على الجوزاء
فخذوا مرحلا تمر به « الشعرى » عبورا تنأى عن الغمصاء
فهما كوكبان كانا عشيقين بروحين امعنا بالوفاء
ًمما بالهوى زمانا ولما آذن الدهر فيهما بشقاء
فارقا مطلع اللقاء على الصبح وحادا عن مطمح الامساء
لهما ادمع تهل مع الامطار رمزا لساكب فى البكاء
فاذا غاب فى الثرى ذلك النجم رايتم مفاتن الاسراء
ظللتكم هام « الثريا » عناقيد بنور يومي لكم بالسناء
ليتني فى الصبا فأرتاد فيكم دارة الجود حيث لاح مضائي
فى عروقي من « حاتم » دم جود فاريقوا بساحتيه دمائي
وانحروني فداء يوم الاجاويد فانى ضحية المعطاء
انا « عوف » ابو المساعير فى الحرب وفى السلم لم أوفر بلائي
لا ابالي ان لم يصاحب مطاياكم دليل والزاد ملء الاناء
سلكوا دجنة واقبل صبح مشرق الوجه بالشموس الوضاء
هذه « طي » فى حلاها على البيد نخيلا وموردا للظماء
وارى « حاتما » يطوف فيها مستهلا بشاشة الانداء
طمحتنا « ابا عدي » عجاف لم نجد دون « حاتم » من رجاء
مرحبا بالضيوف ، هاتوا رياشي فاطرحوها ببهرة من فنائي
وانحروا الكوم واعرقوها ولا تبقوا سناما يعج بالدهناء
اين مني « ماوية بنت حجر (1) هل تراني فى فرحة السعداء
ان تقل ما دهاك بالبذل حتى كدت تلقى فى زمرة التعساء
لم تغادر جنون جودك والدهر سيعدو وما لنا من وقاء
يا ابنة الاكرمين شانك ما شئت فهذا دائي وهذا دوائي
عند « غسان » فى الشام مطاياك فهل عدت للمشوق النائي

---

(1) ماوية بنت حجر الغسانية زوجة حاتم الطائي .

فى غد انحر «الرهام» جوادي   فاكتمي السر واسلكي فى عزائي
ايها العرب ذاك دابي على العصر الى ان يحين يوم فنائي
ومضى « حاتم » يحثحث فى الآباد ذكرا مضمخا بالثناء
كركرته السنون عصرا لعصر   مثل اسطورة سمت بالعطاء
رتلي يا نجوم فيها نشيدا   تحت ليل يحار بالقفراء
اسكنيه غور المسامع حتى   لتعيه مسالك الصماء
وافتحي فيه كل بيت من المال عليه مطارف الاغنياء
زهرة البيد « حاتم » اطنعت ظلا وماء فى الرملة الشعثاء
فعلى « عارض » تهل دموعي مطرا يكسب الوفا برثائي
باهت العرب بالحماسة والباس وفتك الكتيبة الخرساء
واطاعت حد السيوف على الهول فتاهت بعزة الاقوياء
وعلى السلم كاثرت بالاجاويد فجنحت جنونها بالسخاء
لم يكن « حاتم » فريدا ابا الجود فغالى به اخو العرباء
فالقطاريف كل فيهم عديدي   واستباحوا مجاهل الاحصاء
من مضح بالروح والولد الفرد اذا عزه جدى الاوفياء
او مناد على مشارف « مكة » يدعو لمطعم وحساء
ونجاد قد جاوبتها وهاد   للهيف الضيوف والغرباء
وبنات الاشعار هامت على الوصف تجيل النداء خلف النداء
ردد السهل والهضاب هواها   غير فان فيها مدى الاصداء
لو تفيد العيس الكلام لباحت   برضاها فى سفرة الغبراء
حاملات عبر الجزيرة روادا بغاء لنفحة الكرماء
عشقوا الفضل واستراحوا لاهليه بلا منة ولا اغراء
واحلوا تاريخنا هامة العز وخطوا الندى بغير رياء
سادة فى الوغى عبيدا لضيف   لم يطيعوا فى البذل حرص النساء

دمشق ـ الدكتور زكي المحاسني



انت يا عيد بالمنى جذلان ... وانا فيك ضاحك نشوان
ان تبديت فالحياة عيون ... او تحدثت فالورى آذان
ينتشي الدهر شاهدا وسميعا ... وبك الخلد والربى تزدان
فيك للسحر والجمال معان ... دونها الشعر ساحرا والبيان
والربيع الجميل منك شذاه ... منك يا عيد الروح والريحان
اين آذار منك يا عيد حاكت ... يده وشى الزهر او نيسان ؟
واذا ما اشرقت يبتسم الكو ... ن ، ويرنو لك العلا والزمان
انت بالمجد والجلال غني ... انت بالدين والهدى ملآن
ويدوى الوجود يا عيد بالذكـ ... ـرى ، ويشدو بحمدها الايمان
لم ير الدهر مثلها ابدا ذكـ ... ـرى وعتها العصور والازمان
قدمت فالايام فيها وضاء ... ومشت والايام منها حسان
ونشيد القرون ملحمة الاجـ ... ـيال غنى انتصارها الانسان
رددتها الدنيا وقاعا ، وشعت ... بسناها الامصار والبلدان
من شذاها ومن حلاها ومن رو ... عتها كان ذلك المهرجان
وعلى مجدها الحضارات قامت ... وسمت امة ، وعز مكان
سلم الفرس والهنود المقاليـ ... ـد اليها ، والروم واليونان
وعنا المالكون : لا قيصر يسـ ... ـقى المنايا ، ولا انو شروان
وتولى الاقيال ، باد الطواغيـ ... ـت ، فاين العروس والايوان ؟

وهنا فى قلب الجزيرة غنى   للنجاشي والفرس قبل القيان
ثم راحوا وراح للروم دولا   ت ، فلا (حيرة) ، ولا (جولان)
ومضى (هودة) ، و (ابرهة) والـ   حارث الغساني ، والنعمان
وطوت ملكهم خطوب الليالي   نسيته الايام والنسيان
حدث (الفيل) اعقبته انتصارا   ت بذي (قار) حار فيها الزمان
ومشى الرمل ضاحكا يتغنى   بعلاها ، والبيد ، والكثبان
لو رايت الصحراء وهي شتان   ورايت الصحراء وهي كيان
ورايت الصحراء قد اصبحت بر   كان بعث من خلفه بركان
ورايت الحياة تمشي وتمشي   حولها مثلما مشى الطوفان
قلت: ماذا ارى هنا أ اخيال   وانا فى الاحلام ام يقظان ؟
قلت : حسبي ، فتلك معجزة اللـ   ـه تجلت ، تبارك الرحمان
حدث (مكة السلام) به غنـ   ـت ، وغنى غناءها الركبان
ومشت فى الدنيا الرواة به، فى   فمها طاب السحر والالحان
بذرى بيت فى الشعاب هناك الـ   ـبشر والبشرى والمنى والامان
والسنا حوله يضيء الدياجى   والحنايا تحوطه والحنان
وقفت ورقاوان قد هزجا بالـ   ـنغم الحلو ، فانتشى الصوان
واشمخر البيت الرفيع ، وجرت   حوله تهوى ثم تهوى الرعان
ويركن فى البيت (آمنة) مذ   هولة حولها الرؤى والعيان
وعلى ثغرها ابتسامات آما   ل وضاء ، وقلبها فرحان
هي لا تدري ما هناك ، ولا يـ   ـدري سواها، وسار سار البنان
ليرى فوق راسها تاج مجد   حوله تاج ، حونه تيجان
ويداها ، ويا لها ، فى يديها   صار فى قبضتيهما الصولجان
ورنت نحو الطفل يسبح فى نهـ   ـر من النور ، ماؤه ظمآن
ثم مدت ايه راحتها ، تمد   ستار عطرا ، وطفلها وسنان
طبعت قبلة على خده يقـ   ـتادها الشوق والهوى اللهفان
واتى جده يبارك للام (م)   ويمشي من حوله عدنان
وانحنى نحو المهد فى فمه حلـ   ـو تسابيح ، ذوبها الشكران
ومشى بالمهد العظيم الى الكعـ   ـبة ، فاهتز الحجر والاركان
واحاطته الكعبة النور بالنـ   ـور ، وغضت جفونها الاوثان
عهدها باد والزمان جديد   حولها يمشي الوحي والتبيان

لم يعد بعد ذلك اليوم للشر   ك بقاء ، ولا له اعوان

احمد الحق والهدى والموازيـ   ـن اتى ، فاستوى به الميزان

واتى الدين فيه كل جميل   وعظيم ، وآيه الفرقان

الورى والحياة عزا به والـ   ـناس والفكر والنهى والجنان

وبه ساد المسلمون وعزوا   مثلما عز العقل والوجدان

انه الوحي والرسالة جاءا   انه الذكر اين منه البيان ؟

ليس هذا ملكا ولا دولة ، لا   هو يا قوم دعوة واذان

وهو النور والشريعة والدنـ   ـيا ، ومجد لا ينتهي، ورهان

وسباق فى الخير لله ، للانـ   ـسان لا شرك ، لا ، ولا طغيان

وهو للمشركين حرب عوان   وهو توحيد جل لا كفران

مثل اعلى للحياة ، ونهج   مستقيم ، ميزانه الاحسان

احمد يومه بشير به فالـ   ـدين والدنيا عنده صنوان

وبه العالم اهتدى من ضلال   وبه الناس للرشاد استبانوا

هو للشعب شعلة من مضاء   هو للفرد النبل والعنفوان

وهو للامة الطموح سنان   وسلاح فى الروع واطمئنان

كلما مرت الليالي خطوبا   مداهمات ، قلت : جاء الاوان

واتى النصر فجره لاح والنو   ر بدا فى الظلام ، والربان

ومضى اليأس والهزيمة والحز   ن وليل الشقاء والعدوان

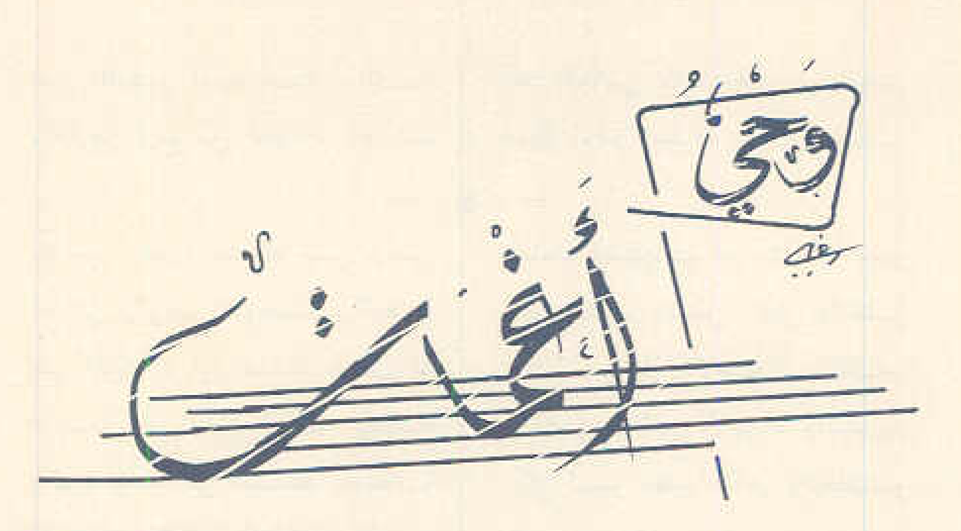
وانتهينا اليك يا قدس جئنا   قادنا الشوق عاصفا والطعان

وانحنينا نقبل المسجد الاقـ   ـصى ومنا قد ماتت الاحزان

دون ماضينا قد عشقنا المنايا   وبايماننا علا القرآن

وقريب ما كان منا بعيدا   ذلك الحلم رد الايمان

د. محمد عبد المنعم خفاجي



للشاعر المدني الحمراوي

« أغمات » يا واحة التاريخ والعبر ... ويا خميلة مجد خالد عطر

وقفت فى ربعك المحزون مندهشا ... لما اصابك من شجو ومن غير

بكيت مجدا رايت الدهر اخلقه ... فصار فى جدث ، وغاب فى حفر

لاحت معالمه تكلى مولهة ... تطل من طلل بال ومن حجر

آه على عزة راحت موسدة ... تحت الرجام ، وبين الوهم والفكر

دكت شوامخها ، بادت رواسخها ... لم يبق منهن غير الرسم والأثر

عاينت ساحتها فقلت فى أسف : ... لهفي على حسب عاف ومندثر

— * —

فأين «يوسف» والدنيا له تبع ... والجيش من حوله سد من البشر ؟

والدهر ذو رغد ، والنعام مندفق ... والمجد مؤتلق ، والدين ذو ظفر

وملة الحق قد غم الصليب بها ... فى كل مزدحم وكل مشتجر

بأرض « اندلس » كانت مواقفها ... لشعب « اطلسنا » اجل مفتخر

« زلاقة » لم تزل اصداء وقعتها ... فى أذن مستمع تطن بالخبر

ولم تزل قصة فى الدهر خالدة ... وخير سطر بنور المجد مستطر

— * —

« اغمات » ذكرتني مجدا به حفلت ... رباك فى زمن بالعز مزدهر

أين المواكب والدنيا تسالمها ... اين المدارس فى بدو وفى حضر ؟

اين المساجد قد غصت جوانبها ... بكل مبتهل لله مدكر ؟

اين الأئمة للاملاء قد جاسوا ... والهدى وهبوا مراحل العمر ؟

تغير الدهر فاجتاحت غوائله ... تلك المحاسن فاستخفت من البصر
واقفرت أربع من أهلها ، وغدت ... مجال وهم وطيف حائر ضجر

— * —

لله من رقدوا هناك من زمر ... ضاعت مضاجعهم فى منزل غبر
قد عز زائرهم ، وحار رائدهم ... وضل عنهم وميض الفكر والنظر
غير المليك « ابن عباد » فان له ... بيتا تسربل بالاجلال والكدر
غريب دار أتى والملك يندبه ... والقصر مبتئس الابهاء والسرر
والمجد ودعه فى الشط منتحبا ... يبكي أسير عظيم القدر والخطر
قد شيعت ركبه دنيا به نعمت ... وامرعت بينبوع طيب خضر
وسار مركبه والنهر يائمه ... وسكب الدمع فى صمت وفى حذر
اشجته حادثة ازرت بسيده ... فظل مكتئبا من ضربة القدر
راى عرين الحمى دكت معاقله ... بخطب دهر عظيم غير منتظر
فحار فى قدر ما شاء يفعله ... وليس يدفعه تدبير مبتدر
كم فى تصاريفه للناس من عبر ... تبدو لدى نظر بالدهر معتبر

— * —

فيا غريبا بأغمات لقد ملأت ... ذكراك كل فؤاد فيك مفتكر
اتيت قبرك محزونا ومفتقدا ... رفات منتبذ فى القفر مصطبر
وقفت حوله والتاريخ يغمرني ... بما روى لك من مجد ومن سير
وجئت ممتلئا بالعطف متصفا ... بحال منكسر ، وذل معتذر
أرثيك باسم قريض كنت تكرمه ... وكنت فى جيده أبهى من الدرر
وكنت فى دولة الآداب مهجتها ... وكان عصرك فى الأزمان كالغرر

— * —

يا مالكا ميز التاريخ دولته ... بالفن والجود والتمدين والفخر
عليك أطيب تسليم يمازجه ... عطف عميق وحب غير منحصر
أتيت « أغمات » والآلام عاصفة ... بالصبر ، والقلب عن بلواه لم يطر
بالحب مفتتن يرعى مسارحه ... ولا يمل وان القاه فى خطر
فجئت منتجعا مثواك ملتمسا ... من فيضك الأريحي صفوة الوطر
لعل روحك بالتأنيس تسعدني ... ان عز متمسيي و ضاق مصطبري
بيني وبينك فى الآداب آصرة ... متت اليك بعزف غير منبتر
فاقبل عواطف قلب ماؤه شغف ... بكل ذي ادب للفن منتصر

وحسب قدرك ان الدهر يعرفه — وان مجدك فى التاريخ ذو أثر
وعذر «يوسف» فيك لن تضيق به — فلا تلم يا عظيم غضبة القدر

— * —

« اغمات » مجدك لن يبلى وان عبثت — يد الحوادث بالاسوار والحجر
كأنني بك بعد اليوم آهلة — يعيش حاضرة جم ومنتشر
فانني قد رأيت العزم فى همم — لساكنيك ، وروح الجد فى نفر
و « للجماعة » فيك سعي منتصب — وحزم منتهض ، وحرص مبتكر
فى ظل خير الملوك المرتضى حسن — ستصبحين غدا روضا من الزهر
يا ام « مراكش » الحمراء لا برحت — ذكراك فى خلدي أن غبت عن نظري
وللأحبة فى مغناك عاطفتي — فالقلب عن ربعهم يأبى من السفر
تركته عندهم ، فالجسم فى سقم — والعيش فى كدر، والنطق فى حصر

— * —

افدي معاهدكم حييت ساحتها — وكم بها عشت فى انس وفى سمر
وكم عرفت بها للحب مرتبعا — وكم توخيت من عصر ومن سحر
فيا ميممها بممت منتجعا — يزهو بحسن بديع اللون والصور
حي الجنوب ومن فى ربعه سكنوا — وقل لمن سألوا : اني لفي سعر
وفى « جليز » ــ أخي ــ ذكر احبتنا — ومل الى « الموقف » المحبوب وابتدر
واشهد بحيرتها « نفيس » وجيرتها — والليل فى حال من سطعة القمر
تلك المناظر والاجواء ما برحت — مرسومة الظل فى فكري وفى بصري
اشتاق طول المدى الى مباهجها — لله ما سعرت فى القلب من شرر
« بانت سعاد » وبنا عن منازلها — فمن اقلب بخطب البين منفطر ؟

— * —

ريح الجنوب تثير الشوق ان عبرت — على نخيله والانهار والشجر
احس رحمتها فى القلب سارية — فانتشي بأريج منعش عطر
يا ليت شعري هل الى منازله — عود ، وهل يرتجى ورد بلا صدر ؟
وهل بـ « كديات جليز» ستبصرنا — عين تقد الحشى بالسحر والحور؟
وهل على «موقف» الاحباب يسعدنا — دهر بوقفة موعود ومنتظر ؟
وهل يعيد الزمان مثل ليلتنا — حول «البراج» بنفس الانس والسهر؟
منى علينا كريمات تراودنا — فان يعد أمل بهن ننتظر

المدني الحمراوي



للشاعر سليم الرافعي

يا تراثا سما الى الزهراء … واستوى فى «الرباط» و«البيضاء»

حملته الانام والروح يوما … من صبا « مكة » وغار « حراء »

هل اناجيك من وراء عصور … يا تراث الهداة والانبياء ؟

الرجال الكبار والحق والمجد وركب البناة والعظماء

معقل الفاتحين يوم أقاموا … دولة المسلمين فوق الماء

يا أساطيل حدثينا اذا ما … سئل الموج عن نسور السماء

« طارق » يعبر المضيق الى الغرب كضوء يشع فى الظلماء

هاديء النفس مؤمن القلب يبكي … من خشوع ، وينتشي من رجاء

ايها القائد العظيم تقدم … انه النصر يا فتى الصحراء

كيف خلفت ذلك البحر يرغي … فى عتو الامواج والانواء ؟

واطلت حياته فى ذهول … ثم غابت فى باطن الدأماء

كيف احرقتها مع الحطب الجزل سفينا من عابرات الفضاء ؟

سمع المؤمنون صوتك يعلو … كنداء البناء يوم البناء

صرخة تلك او وعينا صداها … لنهضنا من مخبأ الجبناء

« ايها الناس لا مفر ولا عود ولا تنصرون دون فداء »

خلدت موقفا وبحرا وصخرا … لرواة التاريخ فى الاسماء

كيف يروى الاباء دون جلال ؟ … كيف يروى الجلال دون اباء ؟

كيف تسمو حقيقة او نظام … دون سر السمو فى الاشياء ؟

صرخة فى عقيدة . وانطلاق فى يقين . وقدرة فى صفاء

ليس بالموت ينتهي المرء . لكن قد يطل الخلود يوم الفناء

— * —

طوق المغرب العظيم هلال كان عصر الفتوح رمز اللواء

وامد الاسلام بالخيل والرجل امتدادا للوحي فى الارجاء

صوته صوت طارق فى الليالي أبدي الالهام والايحاء

— * —

يا رجال الاسلام فى كل قطر لكم الفجر عبقري الضياء

من بني المشرق المكافح اهدي قبلة من اخ ـ دليل الاخاء !

ما اعتزازي بالمغرب الحر الا بسمة الشكر ـ يا لها من عطاء !

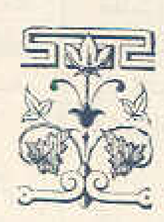
أينما تتجه تلاق شعوبا وحدتها الآلام فى الارزاء

ما بعدتم بني العمومة عنا اوليس الاسلام اقوى انتماء ؟

أن صرختم « الله اكبر » نسمع فى وميض الصباح وقع المساء

وامام المحراب اخوة حق فى صفوف الاجداد والآباء !

طرابلس ـ لبنان : سليم الرافعي





للأستاذ محمد المنوني

لكل جهة اسلامية عادات تخصها بمناسبة شهر رمضان المعظم ، والمغرب ـ كبلد اسلامي عريق ـ له بدوره تقاليد يمتاز بها فى هذه المناسبة الدينية، حيث تعم اكثر اوضاع البلاد .

ويأتي المسجد فى الطليعة ، فتتضاعف انارته الليلية ، وتطفى على دروسه النهارية مواد الدين على مختلف المستويات ، وبالتالي تتصاعد ارقام غاشيته من المومنين .

وخلال العهد الوطاسي ابتدع الامام ابن غازي ـ فى هذا الشهر ـ بالذات ـ عادة اسماع صحيح البخاري من اوله الى آخره ، واتخذ مقرا لهذه الدراسة مقصورة الخطيب من جامع القرويين شرفه الله بذكره (1) . وبعد هذا امتد العمل بهذه العادة فى كثير من مدن المغرب وارباقه : فى المساجد والرباطات وبلاطات الملوك .

حتى اذا كانت القرون الاخيرة صار يضاف الى رمضان الشهران قبله ،فيبتدي اسماع نفس الكتاب من فاتح رجب ليختتم عند اواخر رمضان فى الغالب،

ولا تزال هذه العادة قائمة حتى عامنا هذا فى كل من مدينتي مكناس وزرهون (2)

— * —

وبالنسبة لسير الحياة اليومية بالمغرب اثناء هذا الشهر ، أثارت اهتمام كاتب اجنبي (3) ووصفها كالتالي :

« ان رمضان لم يكن فى فاس وفى غيرها من اجزاء المغرب العربي حدثا دينيا جليلا فحسب ، بل كان حدثا اجتماعيا ، فقد كانت المدينة تغير نمط الحياة فيها مدة شهر كامل كل سنة ، كانت وجبات الطعام توخذ عند الغروب ثم فى آخر الليل ، وكانت ثمة فئة من المسحرين يدورون بأنحاء المدينة فى الوقت المناسب ، ويقرعون الابواب مذكرين الناس باقتراب موعد الامساك عن الطعام .

والى جانب تناول طعام الافطار والامساك فقد كان جزء من الليل يصرف فى الاجتماعات ، ففى رمضان كانت تتم الزيارات الليلية الى الاقارب

(1) « المزايا . فيما احدث بأم الزوايا » لمحمد بن عبد السلام الناصري ، مع «الفهرسة الصغرى» للمنجور ، مخطوطتان خاصتان .

(2) هذا موضوع واسع لا يزال بحاجة الى دراسة خاصة .

(3) هو روجيه لوتورنو فى كتاب « فاس فى عصر بني مرين، تعريب الدكتور نقولا زيادة ، نشر مكتبة لبنان — ص 192 — 193 .

والاصدقاء ، وكان الناس يتأخرون في النوم ، وكان يترتب على ذلك ان يبدو على المدينة في الصباح انها مهجورة : فالشوارع خالية بحيث ان الاطفال كانوا يتمتعون باللعب فيها ، الامر الذى لم يكن ممكنا فى الاوقات العادية، والحوانيت والمصانع مقفلة ، اذ ان الناس كانوا يعودون الى النوم بعد صلاة الفجر ، ليمتعوا انفسهم بغفوة الصباح التى لم يكن يستغنى عنها ، وفى الصباح المتأخر كانت المدينة تعج بالحركة ، ويعود اليها نشاطها ويستمر ذلك الى ما قبيل المغرب .

وعلى العموم فقد كان نشاط المدينة العادي يخف ـ كثيرا ـ فى هذه الشهر ، الذى كان شهر عبادة وتضحية ، لكنه كان ـ ايضا والى درجة محدودة ـ شهر راحة وعطلة جزئية .

وكان يحتفل بليلة القدر ، فى السابع والعشرين من رمضان (4) احتفالا خاصا ، اذ فيها اوحى بأول آيات الذكر الحكيم ، ففيها كان يقرا القرآن الكريم باكمله خلال الليل فى مساجد المدينة الرئيسية ، وكان يتناوب على ذلك رجال نذروا انفسهم لذلك ... »

— * —

ومما يتصل بنفس الشهر انه شهد احداثا هامة فى تاريخ هذه البلاد .

ففى شهر رمضان وضع اساس المغرب الاسلامي المستقل ، ووقعت بيعة الامام المولى ادريس الاول ، عند يوم الجمعة رابع رمضان عام 172 هـ/789 م (5)

وفى نفس الشهر كانت البداية الاولى لتشييد جامعة القرويين ، حيث كان الشروع فى حفر الاساس الاول لهذه البناية فى يوم السبت فاتح رمضان من علم 245 هـ (6) / 859 م .

ثم كانت نهاية الغزاة الاندلسية الثالثة للمنصور الموحدي ، توافق هذا الشهر من عام 593 هـ / 1197 م ، جاء فى البيان المغرب (7) فى هذا الصدد:

« ثم رحل «المنصور» حتى وصل قرطبة ، فختم الجهاد بالحضور بجامع قرطبة لختم كتاب الله ليلة سبع وعشرين لرمضان » .

وفى العصر المريني الاول كانت هذه المناسبة ميعاد عقد السلم الاول بين ابي يوسف وبني الاحمر من جهة ، والقشتاليين من جهة اخرى، على اساس احترام مصالح الاندلس والاندلسيين ، وذلك بتاريخ اواخر رمضان عام 676 هـ / 1278 م (8) .

ومن بين المكاتبات بين فاس والقاهرة ، توجد رسالة شرقية تحمل تاريخ سادس رمضان عام 745 هـ / 1345 م ، وهي صادرة عن عاهل الشرق العربي ابي الفداء اسماعيل بن الملك الناصر المملوكي ، ليخاطب فيها كبير ملوك الغرب الاسلامي ابا الحسن المريني ، ويكون كاتبها من انشائه هو الاديب المصري الشهير ، صلاح الدين الصفدي (9) .

وبعد بضع سنوات من هذا التاريخ ياتي اليوم الثامن والعشرون من الشهر نفسه عام 751 هـ / 1351 م ، ليكون بداية تشييد المدرسة العنانية بفاس (10)

— * —

ومن جهة اخرى فقد عاصر شهر رمضان انبعاثات مغربية واكبت العصر الحديث : فكان فاتح نفس الشهر من عام 1182 هـ / 1769 م ، هو تاريخ تحرك الجيش المغربي لتحرير مدينة الجديدة، بقيادة السلطان العلوي : محمد الثالث (11) .

---

(4) لا شك انه سقط من النص كلمة ليلة

(5) من مراجع هذا روض القرطاس ط . ف ، 1305 ـ ص 7 .

(6) من مراجع هذا نفس المصدر الاخير ـ ص 33.

(7) القسم الموحدي . ط تطوان ـ ص 201 .

(8) روض القرطاس ـ ص 237 .

(9) ورد نص الرسالة الشرقية بتاريخها عند المقري فى « نفح الطيب » ، المطبعة الازهرية المصرية ـ ج 2 ص 544 ـ 547 .

(10) هذا التاريخ لا يزال منقوشا على لوحة التحبيس الرخامية المعلقة يسرة الداخل لمسجد المدرسة.

(11) الاستقصا الطبعة المصرية ـ ج 4 ص 106 .

وفى 28 رمضان عام 1268 هـ / 1852 م ، وقع الفراغ من تعريب اول ترجمة مغربية فى نفس العصر ، وذلك هو كتاب « الجامع المقرب النافع المعرب » ، الذى قامت جماعة بترجمته من الفرنسية الى العربية ، تحت اشراف السلطان العلوي محمد الرابع وهو لا يزال وليا للعهد . (12)

وفى مثل هذا الشهر صدرت اول صحيفة عربية في القطاع المغربي المستقل . وكانت هي جريدة «المغرب» التى كانت تصدر بمدينة طنجة مرة فى الاسبوع ، حيث يحمل اول عدد منها تاريخ الاربعاء رابع عشر رمضان عام 1306 هـ/1889م(13)

ثم فى نفس هذا الشهر انتهى وضع مشروع اول دستور مغربي ، وتم تحريره يوم الاحد خامس عشر رمضان عام 1326 هـ / 1908 م (14)

وبعد هذا ببضعة اعوام يأتي يوم خامس رمضان من عام 1330 هـ / 1912 م ، وهو تاريخ وصول المجاهد المغربي المعروف احمد الهيبة الى مدينة مراكش ، لمحاولة الوقوف فى وجه التغلغل الاستعماري بالجنوب المغربي (15) .

— ✻ —

واخيرا : سيصل بنا المطاف الى رمضان 1391 هـ ، حيث يعلق عليه المومنون آمالا واسعة ليس فى المغرب فحسب ، ولكن فى سائر العالم الاسلامي ، ليمكن الحق — سبحانه — للاسلام والمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، بالرجوع الى التعاليم السماوية ، والتمسك بالوحدة ، وتحقيق النصر .

الرباط — محمد المنوني

---

(12) انظر عن التعريف بهذه الترجمة : محمد المنوني : « الجامع المقرب النافع المعرب : ترجمة مغربية لكتاب فلكي بالفرنسية ..» ، مجلة « دعوة الحق » ، السنة الثامنة : العدد التاسع والعاشر « مزدوج » — ص 107 — 110 .
مع مجلة « البحث العلمي » : العدد التاسع، السنة الثالثة — ص 115 — 120 .

(13) انظر عن هذه الجريدة : محمد المنوني « مظاهر يقظة المغرب الحديث » ، مجلة « تطوان » ، العدد السادس ص 78 — 81 .

(14) كان اول من تحدث ن هذا المشروع جريدة« لسان المغرب التى كانت تصدر بمدينة طنجة ، ثم تحدث عنه الاستاذ ابو الفداء فى مجلة « المغرب الجديد » ، العدد السادس السنة الاولى — ص 1 — 8 .

(15) ورد تحديد هذا التاريخ فى الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » — ج 2 ص 295 .



لا يخفى على من له ادنى المام بالتاريخ الحديث ان الدول الغربية ، وبصفة خاصة ، فرنسا وانجلترا واسبانيا ، بدات تفكر بجد في غزو اقطار افريقيا الشمالية في اوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وان فرنسا اخذت تهتم الاهتمام البالغ بشؤون المغرب الاقصى ، وتدرس بتيقظ ، وعن كثب ، ما يقع فيه او حوله من احداث منذ ان نشبت اظافرها بالقطر الجزائري ، فجندت ، لاعداد الاستيلاء عليه ، امهر ساستها ، واحذق علمائها ، واصبر روادها على ركوب الاخطار وتحمل الشدائد، واقدر مغامريها على التقاط الاخبار واستطلاع الاسرار ، وعلى نشر الاراجيف وشراء الضمائر .

في سنة 1904 م قال دلكاسي (Delcassé) وزير الشؤون الخارجية بفرنسا اذ ذاك : « ان الجغرافية ، والسياسة ، والستراتيجية ، وكذا وسائلنا المادية تحدد بالضبط تحديد امبراطوريتنا في افريقيا . واني لارى من الضروري ان يكون المغرب الاقصى جزءا من تلك الامبراطورية » .

في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الميلاديين اخذ يتوافد من فرنسا على المغرب ، برا وبحرا ، عدد كبير من الاساتذة المستشرقين ، ومن الضباط المخططين ، والعلماء المتخصصين ، كانوا يجوسون خلال سهول البلاد ونجودها ، رجالا وركبانا ، متنكرين في ازياء مغربية بسيطة ومستصحبين ، في غالب الاحيان ادلاء يهود ، وهكذا استطاعوا ان يضعوا خرائط جغرافية دقيقة ، وان يحرروا تقارير ضافية عن السكان ، وما لهم من عادات وتقاليد وميولات ، وما لديهم من زاد وعتاد .

كانت مدينة طنجة اذ ذاك مقصد المراكب التجارية والسفن الحربية الغربية والامريكية والتركية، ومقر ممثلي الدول الاجنبية لدى الحكومة المغربية ، ومحط رواد الاستعمار ، وشذاذ الآفاق ، وصيادي الصفقات الرابحة والمضاربات الناجحة ، وهواة المغامرات ، لكل جنس منهم « علم » يؤيد مطالبه بالوعيد والتهديد ، وعند الاقتضاء بالتخريب والتدمير ، ولكل ناعق منهم « جريدة » بطنجة ترفع عقيرتها لمساندة مزاعمه فتردد اصداءها جرائد غربية موالية .

حقا لقد كانت طنجة ، بفضل ما أحدث فيها من جرائد ، وما اقيم فيها من فروع لمصارف اوربية ، وما فتح فيها من نواد ومقاه ومتاجر ... مسرحا خطرا لمختلف مظاهر التنافس بين الدول الغربية ، كل منها تعمل للاستحواذ على خيرات البلاد وثرواتها. ولكل منها عيونها ومراصدها .

وفي مستهل القرن العشرين ، عندما اختير الكنط دي سان اولار Le Comte de Saint-Aulaire للعمل بجانب ممثل فرنسا بالمغرب ، قال له بول بورد (Paule Bourde) موجه الصحافة الاستعمارية

« للرسميات » وكان يستحسن فى بيته « العيشة المغربية » ويستقبل زواره ومساعديه ببساطة وبشاشة الا ان استاذا فرنسيا اشتغل معه عدة سنين اكد لي انه كان « لا دينيا » لا يصلي ولا يصوم كما اكد لي ابن احد مستكتبيه ، عاشره مدة طويلة بطنجة وسلا ، انه ما رآه دخل مسجدا للصلاة او سجد لله فى منزله . ومهما يكن من امر فان الكنيسة كانت ترتصده ولما اشتد به المرض اخذته من منزله الى المصحة الملحقة بالكنيسة المركزية بالرباط وهو فى حالة احتضار فلفظ نفسه الاخير بين يدي احد الاساقفة وتكلفت تلك المؤسسة بتنظيم جنازته ودفنه ، وان لم يؤثر انه كان من المترددين على الكنيسة او من المعتبرين لرجالها .

هذه هي اهم مراحل حياته الشخصية والعائلية ، فلننتقل الآن الى الكلام عن اعماله فى المجالات العلمية والسياسية .

الظاهر انه تعلم العربية العامية والفصيحة بالمغرب وان سعة اطلاعه على شؤون المغرب وطول معاشرته لاهالي شمال البلاد ورحلاته المتوالية للقرى والحواضر الداخلية كل ذلك كان مما لفت اليه نظر الم. لوشاتوليه مؤسس البعثة العلمية المشار اليها اعلاه ، ونظر ممثلي الحكومة الفرنسية بطنجة ، ثم نظر المقيم العام الفرنسي الاول ، المرشال ليوطي الذى كان يعطف بصفة خاصة على اهالي اقليم الالزاس . وهكذا اسند اليه فى فترات مختلفة القيام بعدة مهام ، وكلف بابحاث واستطلاعات ودراسات تتعلق بتاريخ المغرب وبما عليه أهله من عادات وتقاليد وكل ما يرجع للادارة وللاقتصاد وللقضايا الاجتماعية كالحفلات العائلية والمواسم الطرقية والنزعات القبلية الخ ..

ان الم . لوشاتوليه (1855 ـ 1929) كان من احذق المخططين للاستعمار ومن اذكى رواده اذ خدمه اصدق خدمة ضابطا ، واستاذا وصحفيا ومؤلفا .

التحق بالجمعية الجغرافية الباريزية ، وهي فى طور النشوء ، فكان من المنظمين لبعثة فورو لامي (Foureau Lamy) بصحراء القطر الجزائري ، كما كان احد المؤسسين للجنة افريقية الفرنسية Comité de l'Afrique Française الا ان ما جبل عليه من قدرة على العمل ومن الاستبداد فى الطبع حفزه على ان ينشيء منظمة خاصة يكون هو رئيسها والقابض على ازمة العاملين بها ، وهكذا احدث بباريز مجلة العالم الاسلامي ، وبطنجة «البعثة العامية المغربية» (سنة 1903) .

سهر على تسيير وتوجيه البعثة الى 1920 وقد جعل من أهم اهدافه تحقيق « الاستيلاء السياسي » على المغرب (Pénétration politique du Maroc) فى حين ان ترمي اعمال لجنة مراقبة الدين (Le Contrôle de la Dette) الى تنظيم اقتصاده، والبعثة العسكرية (La Mission Militaire) الى تصفية ما انتشر فيه من اضطرابات وفوضى .

فمجلة العالم الاسلامي (1906 ـ 1926) ـ تلك المجلة التى احدثت حولها وحول صاحبها فى القاهرة ضجة سنة 1330 هـ (1911 م) حيث كانت نشرت بحثا عن اعمال الارساليات البروستنتنية بالبلاد الاسلامية جعات عنوانه : الغارة على الاسلام (La Conquête du Monde Musulman) (1) ـ يسرت لمؤسسها ومساعديه القيام بابحاث واستطلاعات حول جميع القضايا التى تروج فى البلاد الاسلامية وذلك ليمهد السبيل للاستعمار ويتيح له الوسائل

(1) ورد فى مقدمة البحث التى كتبه لوشالوتيه نفسه ما يلي :
« ينبغي لفرنسا ان يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ـ (اي التأثير على عقول ابناء الشرق وقلوبهم) ـ ولا يتم لها ان تزحزح العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها الا ببث الافكار التى تتسرب مع اللغات الاوربية ... »
قام اذ ذاك بترجمة البحث للغة العربية الكاتب المناضل محب الدين الخطيب ، ونشرت فصوله بالتتابع فى جريدة المؤيد ابتداء من 20 ربيع الثاني 1330 هـ (1911 م) ثم نشر فى كتاب مستقل بالقاهرة سنة 1350 هـ (1931 م) تحت عنوان : « الغارة على الاسلام » واعيد طبعه بجدة سنة 1387 هـ ـ 1967 م .

المواتية لتوطيد اركانه ، اذ كان يرى ان لا نجاح لسياسة لا تكون مبنية على « المعرفة ، والتقييم والاستنتاج » . وتضم مجموعة المجلة الآن ستة وستين مجلدا وهي في حقيقة الامر موسوعة تشتمل على تحليل اكثر من الفي كتاب ولخص فيها ما كان ينشر في حوالي الف وخمسمائة صحيفة او مجلة تهتم بشؤون البلاد الاسلامية ، هذا بالاضافة الى المقالات الاساسية والتعاليق الضافية التى كان يحررها لوساتوليه وطائفة من مساعديه ذوي الاقدام الراسخة في البحث والتنقيب ، مثل ماسينيون (2) وهوداس Houdas وهيار Huart وسلوش Slouseh الخ .

كان الاستاذ ميشوبلار يكتب من آن لآخر في مجلة العالم الاسلامي الا ان اكثر ابحاثه ودراساته نشرت في كتب مستقلة او بمجلة المستندات المغربية Archives Marocaines التى كانت تصدرها البعثة العلمية المغربية وتطبع بباريس .. وتوالى على تسييرها الم . لوشاتوليه ، ثم الم . سلمون ثم الم . ميشوبلار وكان المقصود منها وضع مرجع دقيق لكل ما له صلة بالمغرب وتاريخ مدنه ، وقبائله ، وطوائفه ونظمه ، ومعاهده وعلاقاته بالدول الاخرى الخ ... قصد معرفة السياسة الواجب اتخاذها يوم تتمكن قدم فرنسا بالمغرب » .

نشر اول عدد من مجلة المستندات المغربية سنة 1904 ، وتشتمل مجموعاتها الآن على حوالي الثلاثين مجلدا بين دفتي كل منها نحو الثلاثمائة وخمسين صفحة ، الشيء الذي يشهد على نشاط فكري وعلمي جدير بالتقدير .

ومن اسماء الكتاب التى تكررت فيها بالاضافة الى لوشاتولية وميشوبلار ، الم جولي A. Joly والم . مرسي L. Mercier والم . كوفوري L. Confourier الخ ..

هذا ومن جهة اخرى فان الاستاذ ميشو بلار شارك في تأليف وتنسيق عدة دراسات حول المدن والقبائل المغربية نشرت من سنة 1914 الى 1930 في ثمانية مجلدات تحت عنوان «مدن وقبائل المغرب» Villes et Tribus du Maroc

وكان يسهم في تحرير فصولها ، بعد توقيع عقد الحماية والشروع في توطيد اسسها ، رجال مصلحة الاستعلامات ومصلحة الشؤون الاهلية ، ونشرت فيها دراسات وافية عن طنجة والرباط وسلا والدار البيضاء ، وقبائل دكالة وعبدة وآيت باعمران الخ ..

انه قد يكون من العبث ان ننكر الآن على صاحبنا ما اتسمت به حياته الشخصية والعائلية من مظاهر التمويه والغموض ، او ان نستغرب من « سذاجة » او « طمع » المغاربة الذين كانوا يمدونه بالمعلومات والوثائق والمراجع.. فانه كان يخدم لصالح بلاده بصدق واخلاص ، ويرى من دون شك « ان الغايات تبرر الوسائل » . ومن جهة اخرى فان الظروف التى عرفها المغرب قبل الحماية كانت تفرض عليه ان يعيش عيشة مغربية صرفة ، واعماله كمشتغل بدراسات اجتماعية ودينية لا يتأتى استيعاب عناصرها الا لمن يعاشر المغاربة ذوي الخبرة والجاه ويبادلهم المنفعة والمودة من غير ان تثير تصرفاته الشكوك حول معتقداته (3) .

ومهما يكن من امر فانه من المفيد جدا ان يحيط الباحث المغربي علما بما كتبه من مقالات تاريخية واجتماعية ، وما الفه من كتب في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والادارية ، وسنحاول ان شاء الله ، في مقال آخر ، القاء نظرة فاحصة على آثاره قصد معرفة مدى ما يمكن ان يفيده منها ذوو الغيرة على التراث المغربي .

الرباط ـ عبد القادر الخلادي

---

(2) لما احتجبت مجلة العالم الاسلامي ، صدرت بباريس مجلة الدراسات الاسلامية ، باشراف الم . لويس ماسينيون ومشاركة معهد الدراسات الاسلامية في باريس ، والمعهد الفرنسي في دمشق ، وكانت تظهر كل ثلاثة اشهر مرة ، وتنشر في العدد الاخير من كل سنة ثبتا بالمصنفات الاسلامية (1927 1954) لجميع المراجع ومختصرا لمحاضرات اساتذة الاستشراق في باريس طوال العام ، على اسلوب منظم شامل يحيط بالنواحي التاريخية والجغرافية في الاسلام احاطة واسعة.

(3) ورد في الجزء الاول (ص 233) من كتاب الدكتور نجيب العقيقي « المستشرقون » ان ميشو بلار (لم يذكر تاريخ ولادته ولا وفاته) كان : « من اعلام المتضلعين من تاريخ المغرب الاقصى واجتماعه وعلومه ، وناشر الكتب والابحاث المفيدة عنه ، وقد قام زمانا مديرا للبعثة العلمية الفرنسية بطنجة **واسلم** وتزوج من مغربية وعاش عيش اهلها **عبادة** وزيا ولهجة » !!

من أعلام الأندلس

القاضي أبو بكر بن العربي

(543 - 468)

للأستاذ سعيد أعراب

– 6 –

وتبريرا لموقف ابن تاشفين من امراء الاندلس، الذين اثاروها ضجة كبرى ، وملأوا الدنيا صراخا وعويلا ، وقالوا « .. انه لا تجب طاعتك ، حتى يكون لك عهد من الخليفة .. » (1) – استصدر ابن العربي من شيخه الامام الغزالي : فتيا يذكر فيها راي الاسلام صريحا في الموضوع ، فاصدر فتوى (2) مسهبة، اورد أبو بكر خلاصتها في «شواهد الجلة»(3) واعتذر عن ايرادها بنصها – لطولها .

وقد مهد لها بمقدمة ، جاء فيها :

« .. وقالوا لا جهاد الا مع امام من قريش ، ولست به ، او مع نائبه ، وما انت ذلك ، فقال انا خادم الامام العباسي ، فقالوا له : اظهر لنا تقديمه لك ، فقال ، أوليست الخطبة في جميع بلادي له ؟ فقالوا ذاك احتيال ، ومن دواعي النفاق (4) ... فهل يجب قتالهم ؟ واذا ظفر بهم ، كيف الحكم في اموالهم ؟ وهل على مسلم حرج في قتالهم ؟ وهل على الامام العباسي ، ان يبعث له بمنشور يتضمن تقديمه له على جهادهم ، فانهم انما خرجوا عليه ، لان الامير خادمه ، وهو يخطب له على اكثر من الفي منبر ، وتضرب السكة باسمه ، الى غير ذلك ؟ ..» (5) .

وكان جواب الغزالي :

1 – لقد اصاب الحق في اظهار الشعار الامامي المستظهري ، وهذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من اقطار المسلمين ، فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للامام الحق ، بلفهم صريح التقليد من الامام، او تاخر عنهم ذلك لعائق .

2 – واذا نادى الملك المستولى بشعار الخلافة العباسية ، وجب على كل الرعاية والرؤساء الاذعان والطاعة له، وعليهم ان يعتقدوا ان طاعته طاعة للامام، ومخالفته مخالفة للامام ، وكل من تمرد واستعصى ،

---

(1) انظر نهاية الارب ، 22 / 285 .

(2) وينفي الدكتور حسين مؤنس ، ان يكون الغزالي افتى في ذلك ، قال : وهذا خطابه في « شواهد الجلة » – يؤيد ما نقول تأييدا صريحا . (قلت) لعل الدكتور لم يستوعب ما جاء في المخطوط المذكور ، والا فابن العربي قد اورد الفتيا والخطاب متواليين : (30 – 31 ب) . على ان الخطاب نفسه ، صريح في ذلك ، « .. وافتيت فيه بما اقتضاه الحق ، واوجبه الدين » وانظر بحث مونس المنشور في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد . م : 11 – 12 (مزدوج) ص 120 وما بعدها .

(3) انظر مجموع الخزانة العامة بالرباط رقم (1020 د) ورقة 30 – 31 .

(4) انظر جانبا من هذا الحوار في كامل ابن الاثير 10 / 93 .

(5) انظر شواهد الجلة (30 – ا).

وسل يده من الطاعة ، فحكمه حكم الباغي ، فيجب على الامير وأشياعه ، قتال هؤلاء المتمردة (6) . ولاسيما وقد استنجدوا بالنصارى والمشركين اوليائهم ، الى أن يعودوا الى طاعة الامير العادل ، المتمسك بطاعة الخلافة العباسية ، ومهما تركوا المخالفة ، وجب الكف عنهم ، واذا قوتلوا ، لم يجز ان يتبع مدبرهم ، ولا ان يجهز على جريحهم .

3 — واما ما يظفر به من اموالهم ، فمردود عليهم او على ورثتهم ، وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم ، فمهددة لا ضمان فيها .

4 — فالامير — وان تأخر عند صريح التقليد ، للعوائق المانعة من وصوله ، فهو نائب بحكم قرائن الاحوال ، اذ يجب على امام العصر ، ان يأذن لكل امير عادل ، استولى على قطر من الاقطار ، وهو يخطب له ، وينادي بشعاره ، ويحمل الخلق على العدل والنصفة .

ولا ينبغي ان يظن بالامام توقف في الرضى بذلك ، والاذن فيه ، لاسيما وقد ظهر حال هذا الامير بالاستفاضة ، ظهورا لا يشك فيه .

5 — فان لم يكن على ايصال الكتاب وانشائه عائق ، وكانت هذه الفتنة لا تنطفيء الا بان يصل اليه صريح الاذن، والتقليد بمنشور ، ومقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الامراء — فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك ، فان الامام الحق ، عاقلة اهل الاسلام ، ولا يحل له ان يترك في اقطار الارض فتنة ثائرة ، الا وسعى في اطفائها بكل ممكن .

6 — وتنتهي هذه الفتيا بقوله : « .. فهذا حكم كل امير عادل في اقطار الارض، وحكم من بغى عليه ، والله اعلم (7) » .

خطاب الغزالي الى ابن تاشفين

وارفق الغزالي مع فتياه ، خطابا وجهه الى ابن تاشفين (8) ، يحض فيه على التمسك بالعدل ، وقد اورد عدة أحاديث في ذلك ، منها حديث : سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ، امام عادل .. قال : ونحن نرجو ان يكون الامير ، جامع كلمة الاسلام وناصر الدين ، من المستظلين بظل عرشه ، يوم لا ظل الا ظله ، فهو منصف لا ينال الا بالعدل في السلطنة ، وقد اتاه الله السلطان ، وزينه بالعدل والاحسان .

وينوه بمحامد سيرته ، ومحاسن اخلاقه ، ويذكر الدور الايجابي الذى قام به ابو محمد بن العربي ، وولده أبو بكر في اشاعة ذلك ، مما تعطرت به ارجاء العراق ، وسارت به الركبان في الآفاق ، « .. وتركته (9) مشمرا عن ساق الجد في طلب خطاب شريف ، في حضرة الخلافة ، يتضمن شكر صنيع للامير ناصر الدين ، في حمايته لثغور المسلمين ، ولم يبالغ احد في مناقب قوم ، مبالغة هذا الشيخ في بث مناقب الامير ، واشياعه المرابطين، ولم يقنعه ما فعله بنفسه ، بل كلف جميع من رجا بركة دعائه ، الدعاء لهم في تلك المشاهد الكريمة ، والمناسك العظيمة .. » (10) .

ويذكر ان الخلافة دعت الشيخ الفقيه ابن العربي الى الاقامة ببغداد ، تحت البر والكرامة ، فأبى الا الرجوع الى ذلك الثغر ، لملازمة الجهاد مع الامراء ، ولا ينسى ان ينوه بمقام ابي بكر في العلم والمعرفة ، وما أحرزه من علوم ومعارف في رحلته الطويلة بأقطار الشرق ، وفي بغداد بصفة خاصة ، «والشيخ أبو بكر قد احرز من العلم في وقت تردده الي ، ما لم يحرزه غيره ، مع طول الامد ، وذلك لما خص به

---

(6) وبمثل فتوى الغزالي ، أفتى علماء الاندلس من ذي قبل ، وخالفهم قاضي ابن عباد ، فعمل ابن تاشفين بالايسر ، فلم يقتل الامراء الذين وقعوا في يده ، بل نفاهم الى اغمات واحسن معاملتهم ، انظر نوازل الجهاد ، من المعيار الجديد 3 / 12 — وما بعدها .

(7) انظر المرجع السابق (31 — ب)

(8) لم يذكر تاريخ كتابته ، ويبدو من سياق حديثه انه كتب قبل منشور الخليفة المؤرخ برجب سنة (491 هـ) .

(9) يذكر الغزالي في هذه الرسالة ، انه خرج الى الحج وترك ابن العربي ببغداد ، يحاول الحصول على خطاب من الخليفة ، وهذا غير معروف عن الغزالي فيما تحدثت عنه كتب التراجم والسير ، وعليه فيكون الغزالي حج مرة اخرى سنة (490 هـ) .

(10) المرجع السابق ، ص (31 — أ)

من توقد الذهن ، وذكاء الحس ، وانفاذ البصيرة ، وما يخرج من العراق ، الا وهو مستقل بنفسه ، حائز قصب السبق بين اقرانه ..» (11) .

وفى نهاية الخطاب ، يوصي ابن تاشفين ، بالشيخين خيرا ، لانهما أهل لذلك ، ومن احق بالاكرام ، من اهل العلم (12) ؟! .

مغادرة ابن العربي بغداد

غادر ابن العربي بغداد فى طريق عودته الى وطنه ، فى حدود اواخر سنة (491 هـ) (13) ، بعد ان قضى بها مدة عامين كاملين، كلها نشاط علمي (14) وسياسي ، « .. ثم قفلنا ، وقد قضينا من الهجرة الى الخلافة المفترض ، وحصلنا من العلوم على بعض الفرض ، وكان بودي ، ان لو اخلقت هناك برد شيبتي ، وافنيت معهم بقية عمري .. » (15)

وكان يؤازره فى ذلك والده ، وهو عالم اديب (16) ، وسياسي خريق ، وكان بيته ــ فى بغداد ــ منتدى العلماء والادباء ، والسياسيين والاخباريين (17) .

وعرجا فى طريقهما الى الاسكندرية ، على دمشق ، والقدس الشريف ، وجدد ابو بكر العهد بشيوخه فى اقطار الشام ، وطاف على مزارات بيت المقدس ، ولاحظ ان بعض معالمها قد تغيرت ، وكأنها تنذر بشر قريب (18) ؟

« و » ــ فى الاسكندرية

دخل ابن العربي الاسكندرية اوائل سنة (492 هـ) (19) ، ونزل على استاذه ابي بكر الطرطوشي ، الذى انتهى به المطاف الى هذا الثغر ، واتخذه وطنا ثانيا له ، واصبح له مكانه المرموق ، فالرجل قد احيا المذهب السني بهذه البلاد ، وحارب البدع والضلال ، وكان صريحا فى الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وابن العربي ليس جديدا على هذه

---

(11) نفس المرجع .
(12) انظر مجموع الرباط رقم 1020 ــ د ورقة (31 ب) .
(13) ذهبنا الى هذا التقدير : بناء على ما يلي :
أ ــ يذكر ابن خير فى فهرسته ص 418 ــ ان ابن سرحان سمع من ابن العربي (الاب) فى ربيع سنة (491 هـ) قصيدة ابن حزم : (انا الشمس فى جو العلوم منيرة) مع قصائد اخرى .
ب ــ يروى فى النفح عن ابن عساكر ــ 2 / 233 ــ ان ابن العربي خرج من دمشق فى طريق عودته الى وطنه سنة (491) .
ج ــ يحدثنا ابن العربي فى كتابه الاحكام 2 / 56 ــ انه زار بيت لحم ــ للمرة الثانية فى محرم عام (492 هـ) .
(14) تذكر بعض الروايات ان ابن العربي لم يخرج من بغداد حتى ادرك مقام المشيخة بها ، وتولى التدريس بمنابرها . انظر تذكرة الحفاظ 4 / 1294 .
(15) انظر شواهد الجلة (32 ب) .
(16) من الذين اخذوا عن ابن العربي (الاب) ــ وسمعوا من ادبياته ، ابو الحسن بن سرحان ، انظر فهرسة ابن خير ص 418 .
(17) حاول الدكتور مؤنس ان يقلل من شأن هذا العالم الاديب ، ولكن النصوص متضافرة على ما كان لهذا الرجل من مكانة سامية فى الادب والسياسة ، انظر المطمح ص 62 ، والصلة 1 / 284 ، والديباج 281 ، وتذكرة الحفاظ 4 / 1294 ، والوفيات 3 / 423 ــ 425 . وانظر بحث مؤنس المنشور فى صحيفة الدراسات الاسلامية م 11 ــ 12 .
(18) انظر الاحكام 2 / 56 .
(19) نقدر دخوله اوائل هذه السنة ، لما اسلفناه آنفا ، من انه اهل عليه محرم سنة (492) ــ وهو ببيت المقدس ، فى طريقه الى الاسكندرية انظر المرجع السابق .

المدينة ، فقد مر بها منذ ثمانية اعوام (20) ؛ وقد تعرف على استاذه الطرطوشي (21) ببيب المقدس ، وقضى الى جانبه ، ـ يكرع في علمه الفياض ـ ازيد من ثلاثة اعوام (22) ، وكان الطرطوشي يعامل الفتى ابن العربي ، لا كتلميذ وحسب ، بل وكصديق ايضا ، يذاكره ويستشيره ، ويستعين به ويعينه ، وتوثقت اواصر الاخوة بينهما ، وعاشا صديقين حميمين ، مدة ست سنوات او تزيد (23) ، وتأثر ابن العربي بشيخه الطرطوشي ، تأثرا كبيرا ، في سلوكه وسائر مناحيه .

« .. وفي اثناء القفول ، لقيت زاهد الوقت ، مبرأ من المقت ، المحرز من العلوم الاثل والنحت ، الحائل منها كل خشن شخت ـ بثغر الاسكندرية ، اللقاءة الثانية ، واقمت معه نتجاذب ذيول الاشكال ، ونختبر فصول القيل والقال .. » (24) .

وابن العربي كثير الحديث عن شيخه الطرطوشي ، وهو لا يذكره الا مقرونا بالتجلة والاحترام ، يصفه بالعلم والفضل ، والزهد في الدنيا (25) والاقبال على ما يعنيه (26) .

ولابد ان ابن العربي اتصل بشيوخ آخرين ، فأفاد منهم وافادوا منه (27) .

حدثــــان

قدر لابن العربي ، ان يصدم ـ اثناء اقامته بالاسكندرية ـ بحدثين خطيرين ، كان لهما اثرهما في نفسه :

1 ـ استيلاء الصليبيين على بيت المقدس (28)، والمجازر الوحشية ، التى قاموا بها في البقاع المقدسة ، واستشهد كثير من شيوخه ومعارفه ، من بينهم استاذه الحافظ ، مكي بن عبد السلام الرميلي (29) .

والتاريخ ـ كما يقولون ـ يعيد نفسه بخيره وشره ، وقد اهتزت الدنيا لهذا الحادث الفاجع ، واتجهت الانظار الى بغداد ، وتجمعت الجموع حول قصر الخلافة، وحضر المستنفرون من كل جهة ومكان،

---

(20) كان مرور ابن العربي بهذا الثغر ، في حدود اواخر ربيع الثاني من سنة (485 هـ) ، وارجو القارىء ان يصحح خطأ وقع في القسم الثاني من هذا البحث ، ع 4 س 14 ص 149 ، ذلك انني قررت هناك ان وصوله الى القاهرة ، كان في اواخر سنة (485 هـ) ، والصواب كما يدل عليه كلام ابن العربي نفسه ، الذي اطلعت عليه بعد ، ـ دخلها في حدود اواخر ربيع الثاني من السنة المذكورة . انظر العواصم من القواصم 1 / 45ـ طبع الجزائر .

(21) انظر في ترجمة الطرطوشي ، الصلة 2 / 545. بغية الملتمس ص 125 ـ 129 ، والديباج ص 276، ووفيات الاعيان 3 / 393 .

(22) انظر دعوة الحق ، العدد الرابع ، س 14 ص 161 .

(23) قضى معه ببيت المقدس نحو ثلاث سنوات ، وفي الاسكندرية مثلها ـ وانظر المرجع السابق .

(24) شواهد الجلة ، (31 ب)

(25) قال سمعته يقول : اذا عرض لك امران : امر دنيا ، وامر اخرى ، فبادر بامر الاخرى ، ويذكر انه كان كثيرا ما ينشدهم في مجلسه :

ان لله عبادا فطنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
جعلوها لجة واتخذوا	صالح الاعمال فيها سفنا

(26) انظر وصفه لهديه ، واعجابه بصلاحه ونسكه، ومدى انتفاعه بعلمه وعمله ـ في قانون التأويل (140 ـ ا)

(27) انظر الصلة لابن بشكوال 2 /545 .

(28) وكان ذلك في شعبان ، سنة (492 هـ) ، انظر النجوم الزاهرة 5 / 151 ، وتاريخ ابي الفداء ، 1 / 110 .

(29) انظر النجوم الزاهرة 5 / 151 .

وخطب الخطباء ، وبكى الشعراء (30) مأساة المسلمين في فلسطين والقدس الشريف ، ولكن خليفة بغداد ، الذي اضحى في يد الامراء السلجوقيين ، مثل دمية الصبيان ، — لم يحرك ساكنا ، فيا لسخرية القدر من خليفة ، تشد الرحال من اقاصي المغرب الى رحابه ، طلبا لعونه ورفده ، وهو اعجز من ان يدفع الشر عن نفسه ، ويذود الدخيل عن حماه !

على ان السلجوقيين ، وامراء الطوائف بالاندلس ، هم الذين فتحوا باب الشر على المسلمين في الشرق والغرب ، وازالوا هيبة المسلمين في قلوب اعدائهم ، بسبب تهافتهم على مصالحهم الشخصية ، وتناصرهم على كراسي الحكم ، وما اكثر الخونة في كل زمان ومكان ! .

ولكن التاريخ لا ينسى خيانتهم وغدرهم ، وسيذكرهم بالسبة والعار ، ابد الدهر ، كما سيذكر بكل اعتزاز وفخر ، الابطال المخلصين ، امثال صلاح الدين الايوبي ، ويوسف بن تاشفين ، الذين اعطوا للصليبيين درسا قاسيا ، وسيبقى رمزا للبطولة الاسلامية مدى الاجيال !

واننا لننتظر في حفدة ابن تاشفين ، وصلاح الدين، ان يثأروا لشرفهم، ويثيروها — مرة اخرى — حربا شعواء على الغاصبين المعتدين ، وما ذلك على همة المخلصين بعزيز .

2 — الحدث الثاني ، وفاة والده ، رفيقه في الرحلة ، وانيسه في القربة ، وساعده الايمن عند المدلهمات .. « .. ومعي صارم لا اخاف نبوته ، وحصان لا اتوقع كبوته ، اب في الرتبة ، واخ في الصحبة ، يستعين ويعين ، ويسقي من النصيحة بماء معين .. » (31) . وكانت وفاته في محرم عام (493 هـ) (32) ، وكأن بموت هذا الوالد ، انطفأ نور ذلك الامل الذي كان ينشد ، ويعملان جنبا الى جنب ، لتحقيقه والوصول اليه ، وأنى له ذلك ، وقد تحطمت السفينة التي كانت تقوده ، وغرق ربانها في الاعماق !..

ولعل ذلك مما جعل ابن العربي يعتزل حياة الناس ، ويعيش ردحا من الزمن — الى جانب العباد والزهاد ، في المحارس والربط .!

وينسدل حجاب كثيف عن اقامة ابن العربي بالاسكندرية ، وتطبق المصادر بالصمت ، والمعلومات التي لدينا جد ضئيلة ، لا تكاد تمثل الى جانب من جوانب هذه الحياة الطويلة ، التي عاشها ابن العربي بهذا الثغر الوادع ، وكل ما نعرف :

1 — انه رابط بثغر الاسكندرية ، اياما — على حد تعبيره ، وكأنه اراد ان يشارك الناس في حياتهم العملية ، ويتدرب على الجندية ، وخشونة العيش ، والصبر على الابتلاء ، والتفرغ للعبادة وطهارة النفس .. « .. كنا بثغر الاسكندرية ، مرابطين اياما ، وكان من اصحابنا رجل حداد ، وكان يصلي معنا الصبح ، ويذكر الله الى طلوع الشمس ، ثم يحضر الى عمله ، حتى اذا سمع النداء بالظهر ، رمى بالمزبرة ، واقبل على الطهارة ، وجاء المسجد فصلى ، واقام في صلاة وذكر .. حتى يصلي العصر ، ثم ينصرف الى منزله لمعاشه .. » (33) .

2 — وانه تولى التدريس بمحرس ابن الشواء ، وربما كان سكنه به ، وهو مطل على البحر ، تقام فيه الصلوات الخمس ، وما اكثر المحارس والمساجد بثغر الاسكندرية ، « .. فحضر عندي — يعني شيخه الطرطوشي (34) — بمحرس ابن الشواء بالثغر ، موضع تدريسي ، عند صلاة الظهر (35) ، ودخل

(30) وقد صور الشاعر الدمشقي ابو المظفر الابيوردي ، حال الرؤساء والمسلمين عموما لهذا العهد — في قصيدة مطولة ، جاء فيها :

وكيف تنام العين ملء جفونها	على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحي مقيلهم	ظهور المذاكي او بطون القشاعم
يسومهم الروم الهوان وانتم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

وما اصدقها على حالتنا اليوم !؟ انظر نصها الكامل في النجوم 5 / 151 ، وابي الفدا 1 / 126 .

(31) انظر شواهد الجلة (27 — ا)

(32) انظر الديباج ص 28 .

(33) انظر الاحكام 2 / 292

(34) كما سنرى في النص ، الذي اوردناه عند حديثنا عن مواقف شيخه الطرطوشي .

(35) انظر رحلة ابن جبير ص 15 .

المسجد فى المحرس المذكور ، فتقدم الى الصف الاول، وانا فى مؤخره قاعد على طاقات البحر ، اتنسم الريح من شدة الحر ، ومعنا فى صف واحد ، ابو ثمنة رائس البحر وقائده ، مع نفر من اصحابه ، ينتظر الصلاة ويتطلع الى مراكب تحت الميناء..» (36)

3 ــ وربما كان يتردد من حين لآخر ، على مكتبات الاسكندرية ، للوقوف على أصول عتيقة بها، قد لا توجد فى غيرها (37) .

4 ــ ومن مشاهداته بهذا الثغر ــ ان القوم اذا مات منهم ميت ، صنعوا له تمثالا من خشب ، ووضعوه فى مكانه من بيته ، وكسوه بزينته ان كان رجلا ، وبحليه ان كان امراة ، واغلقوا عليه الباب ، فاذا اصاب احدا منهم مكروه ، فتح الباب عليه ، وجلس عنده يبكي ويناجيه ، حتى اذا طال بهم الزمان عبدوها فى جملة الاصنام والاوثان (38) .

5 ــ ومن عاداتهم ، انه ليس لهم بتلك الديار ، احد يحمل الجنائز ، ولكي يبرز الميت على الطريق ، ويقال : احملوا تحملوا ، فيبادر الناس اليه ، حتى يتضايقوا عليه ، فاذا مات العلماء ، فلا يحملهم الا اصحابهم ، « .. ومات رجل من اصحابنا بالثغر ــ ولعله يعني به والده ــ فحملته انا والطرطوشي ــ رحمه الله ..» (39) .

6 ــ ويحدثنا عن مواقف شيخه الامام الطرطوشي ، فى احياء السنة ، واماتة البدعة ، الى درجة ان يعرض نفسه للهلاك ، ويتحدى الطغاة والجبابرة ، وهو معروف بذلك ، وكم عانى فى هذا السبيل ، من محن واهوال فصبر واحتسب .. « .. دخل المسجد ، فقام يصلي ، فرفع يديه فى الركوع ، وفى رفع الراس منه ، فقال ابو ثمنة قائد البحر (40) ، لاصحابه : الا ترون الى هذا المشرقي ، كيف دخل مسجدنا ؟ فقوموا اليه فاقتلوه ، وارموا به فى البحر ، فلا يراكم أحد ، فطار قلبي من بين جوانحي ، وقلت ــ سبحان الله ــ هذا الطرطوشي فقيه الوقت ! فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؟.. فقلت كذلك كان النبي (ص) يفعل .. وجعلت اسكتهم واسكنهم ، حتى فرغ من صلاته ، وقمت معه الى المسكن من المحرس (41) ؛ وراى تغير وجهي فانكره ، وسالني ، فاعلمته ، فضحك وقال : ومن اين لي ان اقتل على سنته ؟.. » (42)

رسالة الطرطوشي الى ابن تاشفين

وليعتضد مركز ابن تاشفين ببلاد الاندلس ، وقد تآمر المتآمرون، وارجف المرجفون ، ــ لابد ان ينضم الى راي الغزالي ، صوت عالم آخر ، له وزنه **فى** المجتمع الاسلامي ، وصداه البعيد فى الشرق والغرب، ذلك هو ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، لذا راينا ابن العربي يلتمس منه خطابا يوجهه بدوره الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، ينصحه فيه، وهو يعرف عنه اكثر من غيره ، ويتصل من حين لآخر بحجاج المغرب ، فيحدثونه عن جهاده وعدله ، وطيب سيرته ، ومحاسن اخلاقه .. فكتب رسالة مطولة ، فى نحو عشر صفحات (43) ، يوصيه فيها بتقوى الله وطاعته ، واشاعة العدل بين رعاياه .. وقد حشدها بالآيات القرآنية ، واحاديث الرسول ، ووصايا العلماء والصالحين .. وهي كقطعة من كتابه « سراج الملوك » ــ فى اسلوبه ومنهجه آ ومما جاء فى هذه الرسالة ، قوله :

« ومما اتحفك به ، وهو خير لك من طلاع الارض ذهبا (44) ، لو انفقته فى سبيل الله ــ حديث « لا تزال طائفة من اهل المغرب ، ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله » ــ والله اعلم ، هل ارادكم رسول الله (ص) معشر المرابطين ، او اراد بذلك جملة اهل المغرب ، وما هم عليه من التمسك بالسنة

---

(36) انظر الاحكام 2 / 309 .
(37) نفس المرجع 2 / 317
(38) نفس المرجع 2 / 189
(39) انظر العارضة 4 / 262
(40) الآنف الذكر
(41) محرس ابن الشواء ، كما سبق آنفا
(42) انظر الاحكام 2 / 309 .
(43) انظر شواهد الجلة ، (32 ــ 39)
(44) طلاع الارض : قدرها ، او ملؤها .

والجماعة ، وطهارتهم من البدع والاحداث فى الدين؟ وانا لنرجو ان تكونوا اولي بقية ينهون عن الفساد فى الارض ، ولقد كنا فى الارض المقدسة ، جبر الله مصابها – تترى علينا اخبارك ، وما قمت به من اداء فريضة الله تعالى فى جهاد عدوه ، واعزاز دينه وكلمته .. ولئن كنت تستنصر بجنود اهل الارض ، فلقد كنا نستنصر لك بجنود اهل السماء ، حتى قدم علينا الارض المقدسة ، ابو محمد بن العربي ، وابنه الفقيه الحافظ ابوبكر ، فذكرا من سيرتك فى جهاد العدو ، وصبرك على مكافحته ومصابرته ، واعزازك للدين واهله، والعلم وحملته .. حتى تمنينا ان نجاهد الكفار معك ، ونكثر سواد المسلمين فى جملتك ..» (45) . وينهي رسالته بالتنويه بتلميذه ابي بكر ، ومقامه العلمي والديني .. ويوصي الامير بأن يشد يديه عليه ، ويحفظ وصية الله فى امثاله :

« .. والفقيه ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ، ممن صحبنا اعواما ، يدارس العلم ويمارسه، بلوناه وخبرناه ، وهو ممن جمع العلم ووعاه ، ثم تحقق به ورعاه ، وناظر فيه وجد ، حتى فاق اقرانه ونظراه ، ثم رحل الى العراق ، فناظر العلماء ، وصحب الفقهاء ، وجمع من مذاهب العلم عيونها ، وكتب من حديث رسول الله (ص) ، وروى صحيحه وثابته ، والله يؤتي الحكمة من يشاء ، وهو وارد عليك بما يسرك ، فاشدد عليه يديك ، واحفظ فيه وفى امثاله ، وصية الله سبحانه لنبيه عليه السلام –: « واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا، فقل سلام عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة » (46) .

مدة رحلة ابن العربي

تختلف الروايات فى المدة التى قضاها ابن العربي فى رحلته ، واصحها انها عشر سنوات او تزيد ، وقد ابتداها فى مستهل ربيع الاول فى سنة (485 هـ – 1092 م) (47) وانتهى منها عام (495 هـ – 1101 م) (48) .

ولنترك ابن العربي يحدثنا فى هذا الصدد ، وهو خير من يتحدث فى مثل هذا الموضوع الذى اضطربت فيه آراء الناس ، حتى من تلاميذ (49) ، وكان الواجب – على الاقل – ان تتحد كلمتهم فى ذلك ، فيقول :

1 – « .. وقد تولجت تلك الاقطار الكريمة ، ودخلت تلك الامصار العظيمة ، وجبت الاقطار القاصية ، نيفا على عشرة اعوام (50) ..»

2 – وقال – وهو يتحدث عن خلفاء بغداد : المقتدى ، والمستظهر .. « وخرجت عنهم سنة خمس وتسعين – يعني واربعمائة .. » (51)

3 – ويستأذنه احد تلاميذه فى الانصراف الى وطنه ، بعد ان جالسه طويلا ، فكان جوابه « .. ما هذا القلق!؟ اقم حتى يكون لك فى رحلتك عشرة اعوام ، كما كان لي ..» (52)

نتائجها :

اما نتائج هذه الرحلة – وقد قال ابن العربي نفسه : كل من رحل لم يأت بما اتيت به انا

---

(45) انظر شواهد الجلة (ص 39 ب)

(46) نفس المصدر .

(47) انظر الصلة 2 / 558 .

(48) اكثر الروايات ، على ان عودة ابن العربي الى وطنه كانت سنة (493 هـ) ويرى الدكتور احسان عباس ، ان رواية سنة (495 هـ) – شاذة انفرد بها ابن فرحون فى الديباج، ولعله لم يقف على النصوص الواردة عن ابن العربي نفسه ، كما سنرى ، واهل مكة ادرى بشعابها ، كما يقول المثل. انظر بحث الدكتور احسان ، المنشور فى مجلة « لابحاث اللبنانية ع 2 س 16 ص 217 – وما بعدها » .

(49) كما نجد بين ابن بشكوال فى الصلة والضبي فى النفية ، وهذا الاخير وان لم يكن من تلاميذ ابن العربي ، فهو يروي عن الشيوخ الذين اخذوا عنه .

(50) انظر العواصم من القواصم 2 / 82 ، طبع الجزائر

(51) انظر العارضة (9 / 68 – 69 .

(52) انظر الضبى ، بغية الملتمس ، ص 83 ، طبع مجريط سنة 1885 م .

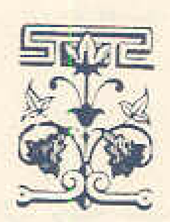
والباجي (53) ـ فيجملها العالم الروسي : ا ـ ي . كراتشوفسكي ، فى هذه الكلمة : ان ابن العربي قدم لنا ـ فى خلاصة هذه الرحلة ـ مادة ضخمة فى مجال الحضارة الثقافية والاجتماعية لذلك العصر » (54) .

ويذكر ابن العربي فى هذا الصدد (55) ـ وهو يتحدث عما أفاده فقط ـ من استاذه الطرطوشي ، « .. وصدرت عنه مملوء الحقائب من الرغائب» (56) فلندعه وهو يودع ذلك الشيخ الوقور ، الذى أفاض عليه من علمه ،واحاطه ببره واكرامه ، وقد احتزم حقائبه ، وضم رغائبه ، متأهبا للسفر الى وطنه ، يحمل مشعل النور ، ونبراس الفكر الحر ، فالى ان نلتقي به فى اشبيلية بلده وكأني به وهو يردد مع الشاعر :

بلادي وان جارت علي عزيزة
وقومي وان ضنوا علي كرام

تطوان ـ سعيد اعراب

(53) انظر ازهار الرياض ، 3 / 63 .
(54) انظر تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم 1 /298 .
(55) وقد نوه ابن خلدون برحلة ابن العربي فى المقدمة ايما تنويه انظر ص 809 و 1017 ـ طبع لبنان
(56) شواهد الجلة ، (31 ب)



ابن المواعيني

او الريحان والريعان

للاستاذ حسن بن علي بن النجمة

قرات مقال الاستاذ محمد مرسي الخولي فى عدد يناير 1971 من دعوة الحق القراء عن كتاب الريحان والريعان ، فسرني اجتهاده المشكور فى التعريف بهذا الكتاب ومؤلفه ، ثم جاء مقال الاستاذ العلامة عبد الوهاب بن منصور فى عدد مايو 1971 من دعوة الحق ، فالقى باشراقة قلمه وسعة علمه نورا ساطعا على ابن المواعيني مؤلف « الريحان والريعان » ، محققا نسبه ادق تحقيق ، يستقريا مصادر التاريخ عن ترجمته ، وذاكرا نبذا من شعره ونثره .

واراني لا على خطل اذا قلت : ان من عرف ابن المواعيني فى مؤلفه «الريحان والريعان» وسبر اغوار ثقافته وتحرى روافدها المتدافقة المنسابة من فيضل تراث امتنا الحافل بعمم الفكر والمعرفة ، تيقن ان ابن المواعيني ما هو الا واحد من اولئك الاعلام المغاربة ، الذين ظهروا فى سماء الغرب الاسلامي فامدوا تراثنا فيه بسوانح من طيوب العلم النير واشتات الفكر الانساني الرحب ، واذابوا المهج فى سبيل بنيان اغنى وزرعوا فى حقول الدنى سنابل مثقلة بالجنى والعطاء ، ما زالت تهمي نورا ، وتسح عارفة وجودا ، وتملي خلودا فى سفر التاريخ على كر الجديدين وزحام الحقب والازمان .

لقد الف ابن المواعيني كتابه «الريحان والريعان» مقتفيا فى ذلك اثر سابقيه من المغاربة والمشارقة فى هذا الفن من التصنيف الادبي ، او ما يمكن ان نسميه بمصنفات الادب الجامعة ، والمراد بكلمة الادب معناها الواسع الشائع عند القدماء ، فمثل هذه المصنفات تبحث فى شتى المعارف الانسانية العامة ، فهي تجمع الى جانب المباحث الادبية الخالصة كالشعر والنثر الفني ، المباحث اللغوية والنحوية ، والاخبار والقصص والمواعظ . ومن هنا كانت اهمية مثل هذه المصنفات كما كان اثرها فى الحياة الفكرية والتربوية، فهي تتعدى الى جانب كونها مصادر لطلاب الادب ودارسي الذوق والحس وتطورهما من عصر لعصر ، وارتباطهما بظواهر الزمان والمكان ، الى مصادر لدارسي التاريخ والاثر وطلاب البحث عن علوم الدين والباحثين عن الاجتماع وانماط الحياة وصنوف العادات والتقاليد ، وشتى ضروب العيش . وبقدر ما تتعدد مناحي هذه المصنفات تتعدد اساليبها ، وبقدر ما تتنوع محتوياتها تتنوع اتجاهاتها وتتباين طرقها ومناهج التصنيف فيها ؛ ويدخل فى تقدير قيمة هذا الكتاب او ذاك وامتيازه عن غيره ، امتياز المؤلف في مقدار تحصيله من التراث وهضمه وانتخاله ثم تقيمه لما حصل وانتخل .

ولا عجب ان تمثل كل هذا فى كتاب الريحان والريعان ، وان مثل خير صورة لما وصل اليه هذا الفن من التصنيف على يدي ابن المواعيني من تقدم ورقي ، توفرت على خلقه براعة الكاتب الموحدي الكبير وعبقريته الفذة . ولست اريد فى هذه العجالة ان استقصي البحث فى هذا كله ، فما مرادي هنا الا استكمال التعريف بهذا الكتاب .

اخال ان الامر قد اشكل على الاستاذ الخولي في تعريفه بالكتاب ، عندما اعتقد ان نسخة مكتبة الفاتح باستامبول والمصورة بمعهد المخطوطات هي نسخة مؤلفة من جزئين حيث قال « هذا ويقع الكتاب في جزئين عدتهما مائة وسبع وسبعون ورقة»، والصحيح ان هذه النسخة المذكورة لا تحتوي الا على الجزء الاول فقط من الريحان والريعان والذي ينتهي بنسب اليمن من العرب العاربة . اما الجزء الثاني كما وجدته بالدراسة والمقارنة مع باقي نسخ الكتاب المخطوطة والمصورة لدي فيبدا « بمرتبة الاشعار والاخبار » ، ويقدم ابن المواعيني لهذه المرتبة بقوله : « وعليها في هذا المجموع عدة المدار وانما كان كافة ما قدمناه ونظام ما رسمناه كالمقدمة لهذا المجتلب المكتسب والمختار المنتخب من لباب المحاضرات وسرارات اسرار الكتب وقد ضمناه اساليب عليها خوم مطار الاختبار ، والآداب التى لمحرزها مزية الفخار ، واجتهدنافي ايراد مستحسنات من الاشعار اكثرها لشعراء العرب المبرزين بحلبة المضمار واقتصصنا طرفا من مشهور ايامها ، ومآثرها وآثارها في جاهليتها واسلامها وتحرينا بوسع المستطاع في ضم نشر خصائصها وتتميم ما جالت فيه الروية والرواية من احاديث عمائرها ونوادرها الخ . .»

ثم يفصل ما جاء في الجزء الثاني من مراقب فيقول :

«تفصيل مراقب هذا الكتاب بحول الله وقوته».

مرقبة الصبر والقناعة ونزاهة النفس وبعد الهمة .

مرقبة الورع والأمانة والوفاء وآداب السيادة .

مرقبة الدهاء وافادة التجارب في زيادة العقل والعلم .

مرقبة جمهرة نوادر من اخبار الجماهير .

مرقبة الجود والسماحة والكرم والمياسرة .

مرقبة الاقدام والحماسة ولمعة من اشعار اهل الملك والرئاسة .

مرقبة سرعة الجواب الحاضر والكلام المسكت في المحاضر .

مرقبة الملح والمناقلات والنوادر والمضحكات .

مرقبة المواعظ والتزهيد والانتباذ عما في العاجلة من الحظ الزهيد .

يتضح لنا من كل ما سبق ذكره مقدار العلم الواسع المتباين زمانا ومكانا ، الذى عرف ابن المواعيني بحسه النقدي وملكته الادبية الاصيلة كيف يجتبي اجمل ازاهره ، ويجتني اغنى ثماره ، وهو لم ينس ابدا ان يقدم لنا من ادب شيوخه وبني وطنه الاندلسيين ، نماذج فريدة من شعر ونثر لا توجد في مصادر اخرى على قلة ما وصل الينا من هذه المصادر، مثال ذلك مختاراته النثرية لشيخه « ابي عبد الله بن ابي الخصال وابي بكر بن عبد العزيز وابي الحسين بن سراج وابي اسحاق الخفاجي وابي محمد بن مالك وابي مروان بن ابي الخصال وابي القاسم بن الجد والفتح بن خاقان ، ولغيرهم من اعلام الفكر والبيان في الاندلس ما يعين رواد البحث على دراسة تطور النثر الفني الاندلسي، وتصور طبيعة المفاهيم الادبية والنقدية السائدة ، والعلاقات القائمة بين الادباء في تلك الحقبة من الزمان .

اما مختاره من الشعر فقد جاء مزيجا من نماذج لقدماء ومحدثين اندلسيين مثل احمد بن برد الكاتب والقاضي ابي الوليد بن العربي ، وابن هارون الاصبحي ، وخلف بنهارون وعالم الاندلس عبد الملك بن حبيب ولغيرهم من الشعراء فيها من الجدة والطرافة ما ينفع الباحثين في مجال الشعر .

ولا اريد ان اطيل اكثر في الكلام عن «الريحان والريعان » ومؤلفه ابن المواعيني ، ويطيب لي ان اذكر اني اقوم منذ عامين بدراسة هذا الكتاب ومؤلفه وعصره مع ربطه بمصنفات الادب في عصور الاندلس الاخرى ومقارنته مقارنة نقدية مع مصنفات الادب بالمشرق وذلك ضمن بحثي المعد لنيل الدكتوراه بجامعة كمبردج بالاضافة الى تحقيق هذا الكتاب تحقيقا علميا معتمدا في تحقيقي له على 4 نسخ مخطوطة ، وهي النسختين المخطوطتين بالخزانة الملكية العامرة بالرباط ، ونسخة جامعة ليدن بهولندا ونسخة مكتبة الفاتح باستامبول .

ولا يفوتني ان اذكر هنا ان المستشرق « سانكيونتي » قد نشر جزءا من مرقبة الملح والمناقلات والنوادر والمضحكات وذلك في عام 1853 في « جورنال اشتيك »

معتمدا على نسخة ليدن فقط ، ولقد وقعت عدة اخطاء فى تعريفه بالمؤلف وفى مواضع من النص ، نبهت عليها فى تحقيقي لكتاب « الريحان والريعان ».

واخيرا أتوجه الى جلالة الملك الحسن الثاني بأسمى آيات الشكر والعرفان اذ تكرم باذنه السامي فسمح لي بتصوير هذا الكتاب حفظه الله ورعاه ، وللاستاذ الجليل عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة الشكر والثناء على عونه وكرمه ، ولجميع الاخوة المغاربة على ما قدموه لي من عون وما أسدوه لي من آراء سديدة وجدت فيها الخير ، ووجدت فيهم المعين الثر والصوى الهادية للسارين فى هذه الدروب والمسالك ، حبا وتعلقا منهم بتراث الضاد واحيائه ، وشعورا برابطة الدم والقربى وتمسكا بالعروة الوثقى ، جزاهم الله كل خير وأثابهم اجزل ثواب .

والله ولي التوفيق والسداد .

انجلترا ـ حسن بن علي بن النعمه

من اعذار المنهزمين فى المعارك ...

ذكر الراغب الاصبهاني فى « محاضرات الادباء » :

قيل لرجل : انك انهزمت ! فقال : غضب الامير علي وانا حي ، خير من ان يرضى وانا ميت !

وقال زفر بن الحارث :

الا لا تلوماني على الجبن انني	اخاف على فخارتي ان تحطما
ولو انني ابتاع فى السوق مثلها	اذا شئت ما باليت ان اتقدما

وقال آخر :

يقول لي الامير بغير نصح :	تقدم ! حين جد بنا المراس
وما لي ان اطعتك من حياة	وما لي بعد هذا الراس راس

وهرب الوليد من الطاعون : فقيل له : « قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ، واذا لا تمتعون الا قليلا » فقال : ذلك القليل اطلب .

وقيل لرجل يوم صفين قد انهزم :ما خبر الناس ؟ فقال : من صبر اخزاه الله ، ومن انهزم نجاه الله ...



للأستاذ محمد أحمد الغربي

– 2 –

يختص المغرب بموقع وشروط قارية واقليمية واستراتيجية قلما تجتمع فى بلد من البلدان ، فهو قبل كل شيء دولة بحرية يحيط بها من الغرب المحيط الاطلسي ، الذى اصبح المجال الحيوي للقوات البحرية الحديثة ، وطريق المواصلات الامثل بين العالمين القديم والحديث ، ويحدها من الشمال البحر الابيض المتوسط الذى قامت على شواطئه مختلف الحضارات القديمة ، واقوى الامبراطوريات التى عرفها التاريخ القديم والوسيط .

وفيما عدا هذين الحدين لا يوجد اي خطر او احتمال غزو خارجي ، حيث ان الصحراء تقوم كحد لا يمكن اجتيازه ، وحتى فى الاحوال التى يتم فيها اختراق هذا الحاجز الطبيعي الجبار فان من يقوم بذلك هم المغاربة الذين تعرفوا على البلدان والاقاليم الافريقية واتصلوا بها عن طريق الغزو او التجارة او الارتياد الاستكشافي .

فالبحر الابيض المتوسط خلال الحقب التاريخية القديمة ، ثم المحيط الاطلسي منذ بداية العصور الحديثة ، قد فرضا على المغرب السير فى طريق تعزيز قواته البحرية وتحصين ثغوره الساحلية فى الوقت الذى اخذت مكانته الدولية والسياسية تتعزز بالقياس الى دول العالم الاخرى .

– واذا كان بناء القوة البحرية المغربية قد اجتاز عدة مراحل اعدادية لابد منها لانجاز وانجاح عمل من هذا القبيل ، فمما لا شك فيه ان الظروف الخارجية وحدها هي التى دفعت الى هذا الاختيار، بل جعلته يأخذ شكلا الزاميا ويبدو وكأنه ضرورة ملحة واداة لا غنى عنها .

وخلال المدة التى عاشها الحكم الادريسي بالمغرب كان الاهتمام بالشواطيء والتجهيز البحري فى حالة دنيا . وذلك لاسباب عديدة ابرزها :

– ان المروانيين فى الاندلس بالاضافة الى العبيديين كانوا ينهضون بالكفاية المطلوبة بمهمة مجابهة الدول المسيحية البحرية، بل كانوا يفرضون سلطانهم عمليا على سواحل شبه جزيرة ايبيريا والشمال الافريقي .

– ان الادارسة لم يعمروا طويلا فى الحكم . ورغم قصر مدة ايالتهم فانهم قد انصرفوا الى توطيد المغرب، ومحاربة البورغواطيين، وكبح جماح المطالبين بالملك والثائرين فى انحاء البلاد .

– ان هذه الدولة ، وجدت من الانسب لها ان تعمد الى نشر الاسلام والتبشير برسالته فى الجنوب الوثني . وهكذا فان الجيش الادريسي ، او على الاقل بعض المجاهدين قد طرقوا ابواب افريقيا السوداء ووصلوا الى مالي الحالية. ومن بعض الوجوه فان نظرة الادارسة الاستراتيجية هي بمثابة ايحاء لما اقدم عليه السعديون فيما بعد من تجريد الحملات

البرية عبر الصحراء ، بعد ان سدت في وجوههم منافذ الشمال التي تعتمد في الاساس على كفاية الاساطيل وعملها .

ولقد استمرت العوامل السالفة كعنصر مؤثر ودافع للسياسة المرابطية في المجال الاستراتيجي واذا اعتبرنا اجتياز يوسف بن تاشفين الى عدوة الاندلس عام 1086 للميلاد كبداية مباشرة للاهتمام بالاساطيل البحرية التي كانت نواتها الاولى الاسطول الاندلسي الذي الحق بقطاعات الجيش المغربي ، تكون قد حددنا تاريخا تقريبيا لقيام هذه القوة البحرية التي غدت ولمدة اربعة قرون أعظم قوات العالم .

وبقطع النظر عن بعض الاجتهادات التي وردت في كتابات قلة من المؤرخين وفي مقدمتهم صاحب « الحلل الموشية في اخبار الدول المراكشية » الذاهبة الى ان ملك قشتالة طلب من يوسف بن تاشفين ارسال اسطوله اذا رغب في محاربة الاسبان فوق ارض المغرب فمن المقطوع به ان الاسطول المرابطي لم يكن شيئا مذكورا بل لم يكن موجودا على الاطلاق قبل مرور اكثر من نصف قرن على قيام تلك الدولة .

وليس ادل على ذلك من حيرة ابن تاشفين أمام اسوار سبتة طيلة اربعين سنة وكان بامكانه لو توفر على بضع قطع بحرية ان ينفذ اليها وينهي حكم الحاجب سكوت البورغواطي الذي استعصى امره على الادارسة من قبل ولم يستطيعوا ان يفعلوا كما لم يستطع المرابطون اي شيء امام مناعة المدينة من جهة البر .

ويذكر التاريخ ان الامير ابن تاشفين استنجد باسطول المعتمد بن عباد الذي كان مستقرا بسواحل الاندلس الجنوبية ، ويذكر ايضا ان المعز بن المعتمد وكان قائدا لذلك الاسطول توجه لتوه الى سبتة واعطى فرصة للجيش البري كي يفتك بتلك المدينة ذات الاهمية القصوى في كل عملية عبور الى الاندلس والقارة الاوربية . ولقد نبهت هذه الحادثة ــ مع ما كان يختمر في نفوس القادة المغاربة في موضوع الاسبان ــ الى اهمية الاسطول البحري ، كوسيلة لا غنى عنها لاي عمل خارج المياه المغربية ، وللدفاع عن حدود المغرب ذاتها .

ويعطينا ابن خلدون في مقدمته رقما ثابتا لعدد القطع البحرية التي بناها المرابطون ووزعوها على مراسي المغرب الرئيسية ، وهذا الرقم هو مائة قطعة مختلفة الاحجام والاشكال ومتباينة التجهيز والعمارة.

غير ان ابن خلدون ــ فيما نعتقده ــ قد اغفل اساطيل دويلات الطوائف بالاندلس ذلك انه من المعروف ان الحاق شبه جزيرة ايبريا بعد موقعة الزلاقة عام 1086 قد نتج عنه الحاق العساكر العربية بالجيش المغربي بما في ذلك كل الادوات والآلات والمراكب الحربية . والثابت تاريخيا أن الاسطول الاندلسي ظل كما كان الشأن من قبل يعمل في المياه الاوربية ، وان كان قد تجمع لاسباب عسكرية محضة في ميناء « المرية » كما يذكر نفح الطيب . ويبدو ان السبب راجع الى كون الاندلس في الاعتبار الاستراتيجي الحديث كانت خط النار الاول بالنسبة للمرابطين ، وليس افضل من المرية الواقعة على الساحل الشرقي للاندلس للنهوض بمهمة مراقبة الاساطيل المعادية في البحر الابيض المتوسط ، وحماية الجزر العربية المغربية المنتشرة على هذا البحر .

فما هي المهمات التي انجزها هذا الاسطول القوي العتيد ؟ .

وكيف استطاع ان يقلب ميزان القوى في البحر المتوسط وفي العالم قبل الوسيط ، ويصبح القوة التي لا تغلب ؟

ليس من السهل كما يبدو الجواب الاجابة عن هذين السؤالين بالاحاطة والدقة المطلوبتين . ذلك ان الاسطول الفتي بادر الى مساندة عرب الاندلس ضد التحرش بل ضد الطغيان المسيحي الجارف ولا يتعلق الامر بالقوارب الكبيرة والمتوسطة التي نقلت الجيوش والعتاد من سبتة والقصر الصغير وطنجة الى طريف والجزيرة الخضراء لان ذلك ليس من مهمة الاسطول كاداة حربيه من نوع خاص ولكنه يتعلق ، وهذا ما يعنينا في البرنامج ، بالمعارك البحرية ، ومداهمة المواقع الارضية الساحلية . وبطول الحديث اذا ما اوردنا جميع المواقع التي خاضها اسطول المرابطين او اشترك فيها لى جانب الجيوش الزاحفة برا ، زيادة على ان المؤرخين لا يعطون صورا حقيقية لتلك المعارك مكتفين بابراز العمل العسكري التقليدي ، باستثناء ما دار على سواحل جزر البليار ضد اساطيل القطلونيين والبروفانس والبيزيين، وجنوب ايطاليا ضد سفن جنوة والاسطول

النورمندي وعلى طول السواحل التونسية التى غدت بعد سقوط المهدية عاصمة العبديين فى يد الصليبيين مهددة بالغزو الاروبي مباشرة . ولقد استنجد العديد من الامراء والدول باسطول المرابطين ، كما اعجبت بعض الامم به الى حد الانضمام اليه بشكل تطوعي ، ويتعلق الامر هنا باسطول الانجليز الذى عمل مدة طويلة تحت الراية المغربية اعتبارا من سنة 1125 كما سنرى فى حلقة قادمة .

اما كيف استطاع اسطولنا ان يصبح القوة التى لا تغلب ، فذلك يتعلق بالتفرغ الكامل لعملية بنائه ، وتجميعه فى مراسي محصنة ، وتكليف اشهر القادة البحريين بقيادته وتدريب جنوده ، وخلق انسب الظروف لاية عملية بحرية ، ودراسة ملابساتها ، ومعرفة احوال الاماكن ، والطقس ، وغير ذلك مما اصبح من جديد شرطا لنجاح المعارك على البحار .

سلا : محمد احمد الغربي





للأستاذ صاحب الإمضاء

يعاني الادب المغربي من سوء العناية بمصادره ما يؤسف ويخجل ، ومما يؤكد لناشئتنا احقية فقرنا الادبي . ولا يقتصر ذلك على اهمال دراسته وتحقيقه ونشره فقط بل يتعداه الى جهلنا احيانا حتى بأسماء مؤلفي هذه المصادر كما هو الشأن بـ « مفاخر البربر وبلغة الامنية والحلل الموشية ، والذخيرة السنية وغيرها كثير

فهل بهذا نواجه من يشك او يشكك في وجود ادب مغربي في حقبه البعيدة ؟ وهل بهذا الجهل نريد ان ننهض به ونحببه لناشئتنا لاشعارهم بذخائر اسلافهم ودفعهم للغيرة عليه ؟

اذا كان الامر خلاف ما ذكرت ، فما احوجنا الى تكوين لجن من المختصين من ذوي النيات الحسنة . ومنحهم التفرغ لدراسة مآت المخطوطات التي تشغل رفوف مكتباتنا فضلا عن غيرها حتى نعيد لانفسنا ثقتها وللمغرب امجاده ، ونثبت له وجوده الثقافي العريق الذي لا يمكن بدونه ايجاد كيان ثقافي مغربي حديث ، على اعتبار ان النهضات الفكرية في مختلف مجالاتها تنشأ نتيجة تعاقب الاجيال وتكاملها .

جرني للحديث عن هذا الموضوع ملاحظة طريفة وانا بصدد اعداد بحث عن الاديب المغربي مالك بن المرحل فقد كان من جملة مصادره كتاب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية . وكما علمت من قبل ، فقد اكد لي استاذي الخبير بمصادر الادب المغربي على الخصوص سيدي العابد الفاسي قيم مكتبة كلية القرويين ، ان مؤلف الكتاب مجهول .

قرات الكتاب ونقلت من نصوصه ما تعلق ببحثي وأعدته لاستعير غيره ، ولكن استاذي الكريم الح ــ ونعم الالحاح منه حفظه الله ــ في ان اعيد قراءة كتاب الذخيرة السنية من جديد ، وصادف ان حصلت في هذه الاثناء على نسخة من كتاب روض القرطاس الطبعة الفاسية 1303 هـ ارتأيت الاطلاع عليها زيادة في الاستفادة لعلاقته بالموضوع .

وبعد اطلاعي على مقدمة روض القرطاس ، انتقلت الى القسم المخصص للدولة المرينية وتاريخها، وقد شعرت من خلال قراءتي له بما يشبه سابق علمي او اضطلاعي على بعض صفحاته ، وعجبت من ذلك وانا ما سبق لي ان عرفت من الكتاب الا اسمه وموضوعه وقفز لذهني ان يكون صاحب الذخيرة المجهول قد استعان ببعض نصوصه للاستدلال بها ، فعدت بسرعة للتأكد من ذلك في كتاب الذخيرة السنية ، واخذت في البحث ، فهالني تشابه الكتابين على وجه العموم وكان الذخيرة السنية نسخة من روض القرطاس طعمت بزيادات تفصيلية او آيات وأحاديث دون اختلاف في الاحداث العامة موضوع الكتاب . والى هذا الحد قررت عقد مقارنة بين الكتابين فتناولت النقط الآتية :

اولا : عصر المؤلف فى الكتابين

ثانيا : المقدمة فى الكتابة

ثالثا : العناوين فى الكتابين

رابعا : طريقة سرد الاحداث فى الكتابين

خامسا : الاسلوب فى الكتابين

اولا ـ عصر المؤلف :

عصر المؤلف على العموم هو عصر المرينيين وقد عاش فى عهد السلطان ابي سعيد عثمان بن ابي يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، ويدل على ذلك من الكتابين ما يأتي :

أ ـ فى روض القرطاس

يقول فى مقدمة الكتاب ص 2 : « اما بعد اطال الله بقاء مولانا الخليفة الامام معلي الاسلام ورافعه ومذل الكفر وقامعه تاج العدل وناشره وماحي الظلام وهاتكه ملك الزمان وسراج الاسلام والايمان امير المسلمين ابو سعيد عثمان بن ...

وايده الله وخلد ملكه وايامه وفسح له فى البلاد شرقا وغربا » .

وفى خاتمة الكتاب يقول : « وفى سنة ست وعشرين امر امير المسلمين ابو سعيد ايده الله تعالى ونصره ببناء القنطرة آخر سوق الصباغين ... نفعه الله تعالى بذلك وابقى ايامه وخلد ملكه وابده وامتع ببقائه المسلمين واسعده ولا زال سعده متصلا وملكه فى ازدياد واعتلاء ما تعاقب الجديدان واشرق النيران بمنه وطوله وصلى الله على سيدنا محمد. »

ب ـ وفى الذخيرة السنية :

يقول فى مقدمته : « اما بعد أطال الله بقاء مولانا الملك الرفيع ذكره وقدره ... الامام العادل الرشيد والملك المنصور السعيد امير المسلمين ابو سعيد بن .... »

ويقول فى الباب العاشر وهو القسم الاخير حسبما وزع اليه الكتاب :

« الباب العاشر فى خلافة ملك الزمان وسراج الاوان الامام السعيد الخليفة العادل الرشيد امير المسلمين ابي سعيد بن مولانا .... ابي يوسف بن ع الحق ، اطال الله ايامه وخلد ملكه ونصر أعلامه » .

ثانيا ـ المقدمة فى الكتابين :

وتكاد تتفق رغم انها فى روض القرطاس مقدمة الكتاب يؤرخ ابتداء من الدولة الادريسية ودخول ادريس الى المغرب مارا بالمرابطين فالموحدين ثم المرينيين الى عصر أبي سعيد عثمان ابن يعقوب المذكور ، بينما يكتفي فى الذخيرة السنية بالقسم المتعلق بالمرينيين المنتهى ايضا بأبي سعيد عثمان بن يعقوب يقول صاحب «روض القرطاس» ص 2 و 3 :

« الحمد مصرف الامور بمشيئته وتدبيره .. والدعاء للدولة السعيدة العلية المرينية العثمانية اعلى الله كلمتها ورفع قدرها وابقى على مر الايام فخرها بالتايد والتمكين والنصر والفتح المبين » .

ويقول : « واني لما رايت مكارم دولته السعيدة اطالها الله وخلدها واعلى كلمتها وايدها تنظم نظم الجمان ، وسور محاسنها تتلى بكل لسان وغرر مآثرها وبركاتها تشرق بكل ناحية ومكان ، وغرر انوارها تلهي عن الغزل وتسير سير المثل ، اردت خدمة جمالها والتقرب الى كمالها والتفيؤ بظلالها ، والورود من عذب زلالها بتاليف كتاب ... **فالفت هذا المجموع المقتضب** انتقيت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها والمرجوع اليها سوى ما رويته عن اشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب .. وسميته الانيس المطرب القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . والله سبحانه يعصمنا من الزلل ويجنبنا الخطأ فى القول والعمل » .

ويقول صاحب الذخيرة ص 5 :

« الحمد لله رب العالمين والدعاء للدولة السعيدة العثمانية بالنصر والتأيد والظهور والبقاء والتأييد ، اعلى الله تعالى امرها وخلد الله على مر الايام ملكها وفخرها » .

ويقول : « واني لما رايت الخلافة العبد الحقية العثمانية باهرة وغرر مآثرها الكريمة على اوجه

محاسنها سافرة ، واخبار مكارمها ومآثرها تنتظم نظم الجمان ، وسور محاسنها تتلى بكل لسان ، وشموس عوارفها وانوار محامدها تشرق بكل افق ومكان ، اردت خدمة جلالها والتقرب الى كمالها والتفيؤ بظلالها والورود من عذب زلالها بتاليف كتاب اؤرخ فيه ايام الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية، اخلد فيه محاسنها واسطر فيه مآثرها ... معتمدا في جميع ما اذكره من ذلك على ما شهدته وقيدته ، وما رويته عمن اثق به من الاشياخ والثقاة .. »

ويقول :

« وسميته الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية ، والله سبحانه يعين على ما اردته وينجح القصد فيما املته ورجوته ويعصمنا من الخطا والزلل في القول والعمل » .

وهكذا تتفق اهداف الكتابين في التاريخ للدولة المرينية في ظل ملكها ابي سعيد عثمان بن يعقوب مع ملاحظة ما ذكرناه من اختصار روض القرطاس الذي يشير بدوره الى ذلك بقوله في مذكرتنا الخاصة فالفت هذ المجموع المقتضب .

ثالثا ـ العناوين في الكتابين :

عناوين الكتابين تتطابق على بعضها باستثناء بعض تفصيلات الاخبار ، ولا عجب ما دامت المرحلة التاريخية واحدة ولنفس الدولة وفي ظل نفس الملك الذي يظل مؤلف الكتابين .

وساضع العناوين في الكتابين متقابلة حتى يسهل مقارنتها فيما بينها

*

الذخيرة السنية		روض القرطاس
الباب الاول في ذكر بني مرين	=	الخبر عن الدولة السعيدة المرينية
الخبر عن نسبهم الصريح ونجارهم العلي الصحيح	=	الخبر عن نسبهم الصريح ونجارهم العلي الصحيح
الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السني المعجب	=	الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السني المعجب
الباب الثاني في ذكر الامير .. ابي محمد عبد الحق بن محيو	=	الخبر عن دولة الامير المبارك ابي محمد عبد الحق
الباب الثالث في ذكر الامير .. ابي سعيد عثمان بن عبد الحق	=	الخبر عن دولة الامير ابي سعيد بن عبد الحق
الباب الرابع في ذكر ابي معرف محمد بن عبد الحق	=	الخبر عن دولة الامير ابي معرف بن عبد الحق
الباب الخامس في ذكر ابي يحيى بن عبد الحق	=	الخبر عن دولة الامير ابي يحيى
الباب السادس في خلافة ابي يوسف بن عبد الحق	=	الخبر عن دولة الامير ابي يوسف يعقوب
الخبر عن سيرته الجميلة ومآثره الجليلة	=	الخبر عن سيرته الجليلة ومآثره الجميلة
خروجه لحرب ابي دبوس ـ ويغمراسن ـ والعرب ببلاد درعة وسجلماسة ففتحها		
خروجه من فاس برسم النظر في امور الاندلس للجهاد	=	جوازه الى الاندلس برسم الجهاد الجواز الاول
غزاته وملاقاته مع دونون امير النصرانية	=	غزاته الى دي نون زعيم النصرانية
غزاته الثانية	=	غزاته الثانية في جوازه الاول

بناء المدينة البيضاء دار المملكة		جوازه الى الاندلس الجواز الثاني ـ غزاته الرابعة ـ الخامسة ـ غزاة البرت ـ جوازه الرابع الى الاندلس
الباب السابع فى خلافة امير المسلمين ابي يعقوب يوسف	=	الخبر عن قدوم الامير ابي يعقوب من العدوة
الباب الثامن فى خلافة امير المسلمين ثابت عامر	=	الخبر عن دولة ابي ثابت عامر بن عبد الله بن يعقوب
الباب التاسع فى خلافة امير المسلمين ابي الربيع بن ابي عامر	=	الخبر عن دولة ابي الربيع سليمان بن ابي عامر
الباب العاشر فى خلافة ملك الزمان و .. ابي سعيد عثمان	=	الخبر عن ملك الزمان .. ابي سعيد ...

*

وهكذا نلاحظ ان العناوين التى لا توجد فى القرطاس عناوين جزئية تفصيلية .

رابعا ـ طريقة سرد الاحداث فى الكتابين :

يتخذ طريقة ذكر السنة ثم يسرد الاحداث التى وقعت فيها وهي فى الذخيرة اكثر ضبطا وتنظيما

ـ يقول فى القرطاس ص 194 :

« وفى سنة ستمائة كمل سور مدينة فاس بالبناء والتجديد وتم باب الشريعة وركب مصراعه ، وفى هذه السنة قام العبيدي بجبال ورغة فظفر به وقتل وعلق راسه على باب الشريعة المذكورة بالبناء وركب مصراعها فسميت باب المحروق ، وفى سنة احدى وستمائة بنى يعيش عامر الناصر على مدينة الريف سور مدينة بادس وسور المرية وسور مليلية حياطة على ذلك من فجاة العدو ، وفى سنة اثنين وستمائة ولي الحفصيون عمالة افريقيا وفى سنة اربع وستمائة جدد سور مدينة وجدة وفيها امر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الاندلس بفاس » .

ـ وقال فى الذخيرة السنية :

« فى اول عام ستمائة قيام العبيدي بجبال ورغة من احواز مدينة فاس وادعى انه الفاطمي المهدي الذى ينصر الاسلام ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا فتابعه كثير من قبائل المغرب وبواديه وجميع جبال غمارة فظفر به فقتل وحمل راسه الى الناصر فأمر ان يرد الى مدينة فاس ويعلق راسه على بابها ولا يزال ابدا ، فعلق راسه على باب الشريعة من ابوابها واحرق جسده فى وسط الباب المذكور بعد ان صلب عليها خمسة عشر يوما ، وكان حرقه فى اليوم الذى تم فيه سور المدينة المذكورة بالتجديد والبناء والاصلاح ، وتمت الباب المذكورة بالبناء وركبت مصارعها فسميت به باب المحروق لاجل حرق العبيدي فى وسطها يوم تمامها ، وكان العبيدي رجلا صالحا متخشعا كثير الورع والعبادة»..

« وفيها توفي الفقيه العالم الزاهد الورع ابو الحسن علي بن احمد بن يحيى الاسدي المعروف بالجياني ... وفى اول محرم منها توفي الفقيه الحافظ ابو محمد عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن هشام ...

وفى سنة احدى وستمائة بنى يعيش عامل امير المومنين الناصر الموحدي على بلاد الريف سور مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلة خوفا عليها من فجاة العدو النصراني ، وفيها توفي الفقيه الحاسب ابو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين من اهل مدينة فاس .. وفى سنة اثنين وستمائة ولى الحفصيون بلاد افريقيا وعمالتها للناصر الموحدي بعد أن فتح المهدية .. وفيها توفى الفقية ابو محمد عبد العزيز بن يوسف.. وفى سنة ثلاث وستمائة رجع الناصر من افريقيا الى مراكش وفيها ولد الامير ابو بكر بن عبد الحق .

وفى سنة اربع وسمائة جدد سور مدينة وجدة وفيها امر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الاندلس من مدينة فاس ... الخ » .

ونلاحظ بجانب تشابه سرد الاحداث زيادات بنسخة الذخيرة وتفصيلات لا توجد بروض القرطاس .

خامسا ـ الاسلوب فى الكتابين :

لا اظن بعد الذى ذكرته اننا فى حاجة الى الاستدلال بما ينص على تشابه الاسلوبين اذا ما قدمنا على احد الكتابين يكاد يكون نسخة طبق الاصل من الآخر لا فى سرد الاحداث وتطابق العناوين والغرض من التاليف فحسب بل وفى الالفاظ المستعملة والاوصاف ايضا . ورغم ذلك فسنأتي على ذكر بعض الفقرات لنرى ما استعمل فيها من كلمات وعبارات واحداث تشابهت فى الكتابين :

اولا ـ فى القرطاس :

الخبر عن الدولة السعيدة المرينية ص 198 :

« قال المؤلف عفا الله عنه : اما بنو مرين فهم اعلى قبائل زناتة حسبا واشرفها نسبا واغزرها كرما واحسنها شيما وارعاها ذمما وارجحها احلاما واشدها فى الحروب بأسا واقداما واكثرها دينا واحسنها وطنا واصحها يقينا واوثقها عقدا واوفاها عهدا واوفرها عددا واطولها فى الشدائد يدا لهم شرف النجار وحفظ الجوار وحماية الذمار ووقود النار واكرام الضيف والضرب بالسيف والبعد عن الغدر والعار والحيف ... الخ »

ثانيا ـ فى الذخيرة السنية :

الباب الاول فى ذكر بني مرين وقبائلهم ص 8 :

« قال المؤلف عفا الله عنه : اما بنو مرين فبهم اقام الله تعالى فى المغرب الدين .. الى قووله وهم اعلى قبائل زناتة حسبا واشرفها نسبا واعزها كرما واحسنها شيما وازكاها ذمما وارجحها احلاما وانفذها رمحا وامضاها حساما واشدها فى الحروب بأسا واكثرها اقداما واقواها دينا واصحها يقينا وأوثقها عقدا واوفاها عهدا واوفرها عددا واطولها فى الشدائد يدا ، لهم شرف النجار وحفظ الجوار وحماية الذمار ووقود النار واكرام الضيف والضرب بالسيف والبعد عن الغدر والعار والحيف .. الخ »

وتحت عنوان : الخبر عن نسبهم الصريح وحسبهم العالي الصحيح ص 198 جاء فى القرطاس:

« قال المؤلف عفا الله عنه : نقلت تقييد الفقيه ابي علي الملياني بخط يده قال : بنو مرين فخذ من زناتة وهم من ولد مرين ... والسبب فى تغيير لسانهم عن العربية الى اللغة البربرية ما ذكره علماء التاريخ واهل المعرفة بالانساب وأيام الناس ان مضر بن نزار كان له ولدان الياس وعيلان امهما الرباب بنت حندة ... »

وتحت نفس العنوان جاء فى الذخيرة السنية ص 9 :

« قال المؤرخ لايامهم عفا الله عنه : ذكر الفقيه الكاتب البارع ابو علي الملياني رحمه الله فى نسبهم ما نذكره ان شاء الله ، ونقلته من تقييد بخطه ، اعلم وفقنا الله واياك لطاعته ان بني مرين فخذ من زناتة وهم ولد مرين ... الخ . والسبب فى تغيير لغتهم عن لغة اجدادهم العربية الى اللغة البربرية ما ذكره علماء التاريخ واهل المعرفة بالانساب فانهم اتفقوا على ان مضر بن نزار بن معد كان من ولد الياس وعيلان وامهما الرباب بنت حندة . »

ولا حاجة للتنبية على ما بين مختلف الفقرات من تطابق فاحداها كما رأينا نسخة مكررة من الاخرى .

وهذا باختصار نقط المقارنة التى تؤكد التشابه بين الكتابين مما يؤيد ما عنونا به مقالتنا هذه من ان كتاب الذخيرة السنية قسم مطول من كتاب روض القرطاس . وبذلك يصح القول بأن مؤلف كتاب الذخيرة السنية هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحليم مؤلف روض القرطاس .

* * *



اختيار وتصحيح عمر أبو النصر
تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن تاويت

هذه الآثار عبارة عن رسائل بعضها ، وهو الغالب ، مطبوع ، وبعضها لم نره الا فى هذه «الآثار»، وهي على كل حال ناطقة بكونها للجاحظ حقيقة ، وان لم يبرهن الناشر على ذلك ، فاسلوب الجاحظ بين واضح ، وهو وحده الدليل على صحة النسبة .

على ان رسالتين من هذه الرسائل، قد نشرهما عبد السلام هارون بأطول مما نشرا عليه هنا ، وهما رسالة صناعات القواد ، كتاب الحجاب .

ومما تجدر ملاحظته ، أن عبد السلام هارون ، نشر من هذه الرسائل ، زيادة على ما ذكر ، رسالة القيان ، ورسالة فى ذم اخلاق الكتاب ولم ينشر باقي ما نشر هنا ، وهو رسالة النساء ، ورسالة الشارب والمشروب ، ورسالة فى بني امية ، واستحقاق الامامة ، وفضل هاشم على عبد شمس ، وحجج النبوة ، ورسائل اخرى خاصة ، بدئت برسالة الى ابي الفرج بن نجاح الكاتب ، وليست هذه التى نشرها عبد السلام هارون .

كما ان هذا ، اختص برسائل اخرى ، سنتكلم عليها ، مع غيرها فيما بعد ، وهي ، فى مناقب الترك ، والمعاش والمعاد ، وكتمان السر وحفظ اللسان وفخر السودان على البيضان، والجد والهزل، ونفي التشبيه، والفتيا، وفصل ما بين العداوة والحسد والنابتة ، ومفاخرة الجواري والغلمان ، والبغال ، والحنين الى الاوطان .

اما « الآثار التى نحن بصددها ، فقد ورد من عناوينها الموجهة « رسالة فى العباسية » ولا وجود لهذه الرسالة فيما نشر من الرسائل ، كما ذكرت « الرسالة فى صناعة القواد » برقم « 3 » صفحة 95 ، ثم ذكرت برقم « 8 » صفحة 160 ، الا انها هنا لم ينشر منها الا صفحتان ، وقد نشرت سابقا فى خمس ، زاد عليها عبد السلام هارون ، صفحات اخرى ، كما اشرنا الى ذلك ولا شك ان هذا من صنيع الطباعة ، وليس من عمل المختار المصحح .

لقد قدم هذا السيد لعمله بكلمة عن الجاحظ ومكانته العلمية والادبية ، وعن المحيط الذى كان يحيى فيه والظروف التى واجهها ، والآثار التى خلدها ، ثم شفع ذلك بكلمة عن طريقة الجاحظ فى تاليفه والطابع الذى تتسم به .

وان كان لنا من كلمة على عمل المصحح ، فانما هي فيما يتصل ببعض التعليقات او للكلمات التى حرفت او صحفت فى صلب الرسائل ففى الصفحة 25 نجد عند ذكر « فصول لم تنشر » ان ابا «اسحاق الحصري من علماء القرن الخامس فى الاندلس »

ومعلوم ان الحصري وان زار الاندلس ، فليس منها ، بل هو قيرواني ، ولا تشفع هذه الزيارة فى هذه النسبة ، والا لكان لنا ان نقول بالنسبة الى المغرب الاقصى ، الذى اقام به فى سبتة وطنجة وغيرها . وقضى نحبه فيه .

وفى الصفحة 42 يقول ، بعدما يأتي بنماذج من تلك الفصول : فهذه مختارات من آثار الجاحظ لم تنشر .. كذا يقول ، ولكن من ضمن تلك الفصول، ما كان من التربيع والتدوير ، وهي منشورة مطبوعة ، وهو نفسه فى صفحة 35 يذكر ذلك .

وفى الصفحة 48 ، ينص على ان الجاحظ بفتح الجيم ، ولا ارى وجها لهذا التنصيص على ذلك ، ولا على كون « الحاء المكسورة بينهما الالف وفى آخره الظاء المعجمة » ثم ذكره للجاحظية بانها « فرقة من المعتزلة ، وهم اصحاب ابي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ البصري ، صاحب التصانيف الحسنة ، وكان من اهل البصرة ، واحد شيوخ المعتزلة ،،، الخ . فيبدو انه نقل هذا الكلام ، بنصه من غيره ، لانه لا محل له هكذا ، ونحن فى سياق كلام قد تقدم منه شطر عظيم فى التعريف بالجاحظ.

وفى الصفحة 61 ورد اسم كاتب للرشيد هكذا (يزد ابعدان) وعلق عليه بقوله « كذا فى الاصل » وصوابه هكذا : « ازدانقاذار » كما فى البيان والتبيين » والوزراء والكتاب للجهشياري ورسائل لجاحظ ، بتحقيق وشرح عبد السلام هارون وهو فى نفس المصدر ـ ذم اخلاق الكتاب ـ وذكر فى البيان أن « لكنته لكنة نبطية » وذكر له فى ذلك قصة مليحة ، كما ذكر فى موضع آخر منه ان «من تمام آلة الخمار ان يكون ذميا، ويكون اسمه ادين او شلوما او مازيار او ازدانقاذار او ميشا » ولا ندري معنى اشتقاقيا لهذه الكلمة التى يبدو عليها انها محرفة عن الفارسية ويذكر الجهشياري انه من النهروان وينقل قصته عن البيان والتبيين ولم نجد لهذا الرجل ذكرا فيما عدا المصادر المذكورة .

وفى الصفحة 77 ورد بيت هكذا :

رماه الكرى فى الراس حتى كانه
يرى فى سواد الليل فسله سفرا

وعلق على البيت بقوله « كذا فى الاصل وليس البيت فى ديوان جرير » ، وصواب الكلمتين الاخيرتين : قنبرة قسرا كما فى الرسائل .

ولا يوجد البيت حقيقة فى ديوان جرير ، اما البيتان المذكوران بهذه المناسبة ، واحدهما للفرزدق والآخر للاخطل فيوجد الاول منهما بديوان الفرزدق، وهو من قصيدة فى زياد ، الذى اراد ان يختدعه ليقع فى يديه ، ولا وجود لبيت الاخطل فى ديوانه ، ويبدو انه كبيت جرير ، من مفردات الابيات ، نظما لمعارضة بين الفرزدق ، الوارد فى القصيدة سلفا، ولهذا لم يحتفظ بها والقصة التى وردت فيها الابيات لم نعثر عليها فى مصدر آخر الا فى العقد الذى جعلها مع سليمان بن عبد الملك مع انه تولى بعد موت الاخطل بست سنوات .

وفى الصفحة 78 وردت العبارة « فكتبت كتابا وصلته بجناح طائر من الهوى » فعلق عليه لقوله « كذا الاصل » والصواب ـ كما فى الرسائل ـ بطائر من الهدى ، وهو بضم الهاء وتشديد الدال ، جمع هاد ، الحمام الزاجل

وفى الصفحة 80 ورد بيت هكذا :

عاود القلب سعادا
فقلى الطرف السهادا

وعلق على « فقلى » بقوله : فى الاصل (فعلا) والصواب « فقلا » كما فى «الرسائل» لانه من قلا يقلو اذا ابغض وليس منه قلى يقلي .

وفى الصفحة 188 ورد بيت هكذا :

جعلت فداؤك من كل سوء
الى حسن رايك اشكو اناسا

وواضح ان صوابه « فداءك » والبيت ثالث ثلاثة لاسحاق بن ابراهيم الموصلي

وفى الصفحة 194 ، ورد وصف هاشم بانه « صاحب الفيل والطير والابابيل » ولا شك ان الواو مع الابابيل لا محل لها وهو صفة للطير .

وفى الصفحة 219 ورد بيت هكذا :

نميل على جوانب كانا
اذا ملنا نميل على ابينا

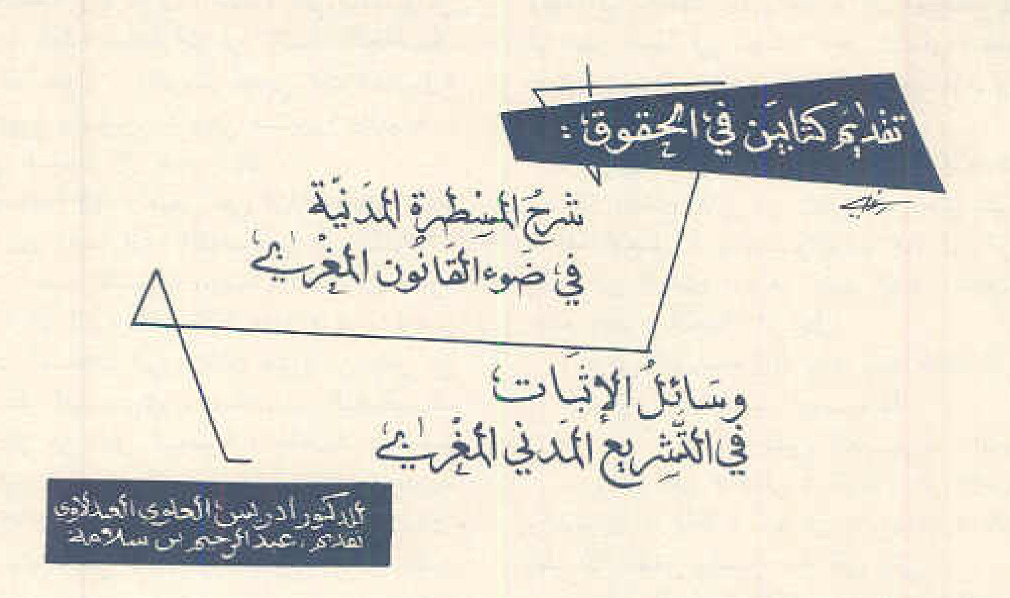
والصواب نميل على جوانبه كانا .

وفى الصفحة 231 ورد « فاين انتم عن علي بن الحسين ،، واين انتم عن علي بن عبد الله ،، واين انتم عن موسى بن جعفر ،، واين انتم عن علي بن محمد ... »

وواضح ان « عن » هذه حلت محل « من » وقد تركنا التنبيه على مثل هذا التصحيف فى عدة مواضع ، وانما نبهنا عنه هنا لتكرره كما نجد فى الصفحات 190 ، 225 ، 227 ، 228 ، 238 ، 239، 249 ، 252 ، 255 ، 256 ، 266 ، 270 .

هذه نظرة وجيزة فيما يتصل بهذه الآثار ، التى قدم لها واشرف على اخبارها وتصحيحها السيد عمر ابو النصر ، فاحسن عملا ، جزاه الله خيرا ، وسوف نتعرض الى « الرسائل » التى حققها السيد عبد السلام هارون ، ان شاء الله .

تطوان : محمد بن تاويت



صدر حديثا مؤلفان قيمان يعالجان موضوعات هامة تتعلق بقانون المسطرة المدنية، وقانون الالتزامات والعقود المغربي ، وهذان الكتابان هما : شرح قانون المسطرة المدنية فى ضوء القانون المغربي ، ووسائل الاثبات فى التشريع المدني المغربي الذى يعتبر نموذجا حيا فى الدراسة والبحث العلمي ، وهو الكتاب الذى نال به المؤلف اطروحته من كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس سنة 1967 .

فى هذا العرض المختصر سنعرف اولا بالمؤلف، ثم نقدم نظرة موجزة عن محتويات كل كتاب ، والجدير بالذكر انه من الصعب احاطة القاريء بكل الموضوعات التى اشتمل عليها الكتابان فى حوالي الف ومائتي صفحة . ولذلك ننصح المهتمين بالدراسات القانونية باقتناء هذين المؤلفين اللذين صدرا لحسن الصدف فى زمن واحد عن مطبعتين احداهما فى لبنان والاخرى فى المغرب .

— * —

التعريف بالمؤلف

يعتبر الدكتور ادريس العنوي العبدلاوي اول شاب أحرز على لقب الدكتورة من كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس ، بعد ان تسلق فى سلم الشهادات الجامعية حيث نال من نفس الجامعة الاجازة فى الحقوق سنة 1962 ودبلوم الدراسات العليا سنة 1965 ، واحرز على شهادة دكتورة الدولة فى الحقوق بميزة حسن، وقداحرز على هذه الشهادات بدرجات جيدة خولته ان يكون مدرسا كفئا بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية واستاذا محاضرا بالمدرسة المغربية الادارية منذ سنة 19o3 حتى الآن ، وقد انعكست جهوده فى حقل التاليف فى الكتابين اللذين نتولى تقديمهما للقاريء الكريم ومن المنتظر ان يصدر قريبا الجزء الثاني لهذين المؤلفين حيث سنتولى تقديمهما بحول الله .

— * —

(1)

شرح المسطرة المدنية فى ضوء القانون المغربي

هذا المؤلف كما ذكرنا تعاون فى تأليفه الدكتوران ادريس العلوي ومأمون الكزباري وهو يتكون من حوالي 600 صفحة وزعت بين موضوعات ثلاثة هي :

الاحكام ، وطرق الطعن ، والتحكيم ، وكل موضوع من هذه ، يشكل قسما خاصا فى الكتاب ، وقد وزعت الاقسام الثلاثة الى ابواب وفصول ومباحث ونقرات اعتمد المؤلفان فى تحليلهما على نصوص التشريع المغربي الصادر فى نطاق المسطرة المدنية ،

كما استشهد فى شروحهما لكثير من القضايا بأقوال الفقهاء وأحكام المحاكم واجتهادات القضاء المغربي والسوري واللبناني والمصري والفرنسي ، وقرارات المحاكم وتطورها بحسب الزمان والمكان والاشخاص . وبما ان الدراسة التى يشتمل عليها هذا الكتاب حلقة متصلة الاجزاء يشد بعضها بعضا لا يمكن اختصارها ولا الاكتفاء منها بموضوع دون آخر لانها مبنية على مواد ونصوص فانه من الصعوبة بمكان مسها بالتحليل فى هذا التقديم ، ولذلك سنسلط الاضواء فقط على الجانب الذى يقرب معنى قانون المسطرة المدنية الى الاذهان :

ان الدولة فى العصر الحاضر لا تجيز للافراد اقتضاء حقوقهم بأيديهم عن طريق القوة والا استحكمتهم الفوضى ، ولذلك فمن يدعي حقا قبل الغير عليه ان يلجأ الى القضاء للمطالبة بما يدعيه . اذن فالقضاء اصبح وظيفة اساسية فى الدولة يتولى حل النزاعات التى تنشأ بين الافراد والجماعات فى المحاكم .

وهكذا اصبح للاحكام القضائية قوة خاصة فى فض النزاعات عن طريق التنفيذ القهري.

وقانون المسطرة المدنية ، قانون يعنى بدراسة الاحكام وشروط اصدارها وشكلها واركانها الاساسية وطرق الطعن فيها وتسبيبها من الناحية الشكلية وآثار هذه الاحكام .

والاحكام عادة لا تصدر الا بعد دراسة نقط النزاع وتمحيصه والاطلاع على اقوال الخصوم ومستنداتهم ونتائج التحقيق ، وبعد تبادل الآراء بين القضاة والرجوع لما اعتمد عليه الخصوم فى دفاعهم من النصوص وآراء الفقهاء ، وهذه المرحلة التى تجتازها القضية بعد اقفال باب المرافعة فيها وتهيئتها للحكم تسمى فترة المداولة ، ولكي يضمن المشرع عدم تحيز القضاة فى قضائهم، وكذلك عنايتهم فى تقدير ادعاءات الخصوم وفى فهم ما احاط بها من مسائل قانونية ، فقد اوجب تسبيب الاحكام حتى تتمكن محكمة النقض من اداء مهمتها المثلة فى مراقبة احكام المحاكم والسهر على حسن تطبيق القانون ولذلك قيل بأن محكمة النقض تحاكم الاحكام لا الاشخاص .

من كل ما تقدم يتبين القاريء أن قانون المسطرة المدنية (1) هو مكنة الحق ووسيلة الحصول عليه ولذلك نجد الفقهاء الحقوقيين يعطون تعريفات كثيرة لهذا الفرع من القانون الخاص ، فنجد بعضهم يعرف قانون المسطرة المدنية بأنه « مجموعة من القواعد التى يجب على المحاكم تطبيقها وعلى المتقاضين اتباعها توصلا الى العدالة فى حسم النزاع بينهم » وعرفه فقيه آخر (بأنه القانون الذى ينظم القضاء والتقاضي) . اما الدكتور علي الزيني الذى كان عميدا لكلية التجارة بجامعة القاهرة فقد عرف قواعد قانون المسطرة المدنية بقوله : « القواعد التى يشتمل عليها قانون المسطرة تنقسم الى قسمين : احدهما يتعلق بالاختصاص أي بتوزيع السلطة القضائية التى تملكها الدولة فى المحاكم المختلفة التابعة لها سواء بحسب قيمة الدعوى ، اي نصابها ، او بحسب نوعها او بحسب مركز الحكمة ، والآخر خاص ببيان الاجراءات التى تتبع فى رفع الدعوى للمحكمة المختصة بالنظر والفصل فيها وكيفية السير فيها من وقت رفعها الى تنفيذ الحكم الصادر فيها تنفيذا نهائيا .. » .

(2)

وسائل الاثبات فى التشريع المدني المغربي

اذا كان الكتاب السابق تناول موضوعات المسطرة المدنية ككل فان هذا الكتاب يعالج الموضوع الاساسي فى قانون المسطرة وهو وسائل الاثبات ، ولذلك جاء المؤلف ليتمم الجهود التى قدمها لنا الدكتور العلوي فى شروحه للمسطرة المدنية .

يقع كتاب (وسائل الاثبات) فى نحو 650 من الحجم المتوسط فى طباعة جيدة وتبويب رفيع ، وقد قسم المؤلف موضوعات كتابه الى جزئين :

(1) تختلف الاصطلاحات القانونية من بلد لآخر وقد ذكر هذا الاختلاف فى الجزء السابع من مجلة اللسان العربي « مجلد المعاجم » التى صدرت عن المكتب الدائم للتعريب فى العالم العربي لسنة 70 – 1971) وهذا هو الشأن بالنسبة لقانون المسطرة المدنية ففى فرنسا يعرف بقانون الاجراءات المدنية والتجارية وفى سوريا يطلق عليه اسم أصول المحاكمات المدنية وقد انتقلت هذه التسمية الى لبنان والاردن والعراق اما فى مصر فتسميه بقانون المرافعات المدنية والتجارية ، وقد سبق الاسلام القوانين الحديثة الى تسميته بعلم القضاء .

ـ الجزء الاول ويشتمل على :

مدخل : تحدث فيه عن القواعد العامة لوسائل الاثبات .

القسم الاول : وخصه للاثبات بشهادة الشهود.

القسم الثاني : حلل فيه الاثبات بالقرائن .

ـ الجزء الثاني ويشتمل على :

القسم الثالث : وعالج فيه موضوع الاثبات بالكتابة

القسم الرابع : وخصه للاثباب بالاقرار واليمين

القسم الخامس : وقد تناول فيه موضوع الاثبات بالمعاينة والخبرة وقد احتوى الكتاب على مقدمة فى 40 صفحة توخى فيها المؤلف التعريف بالاثبات واهميته العلمية ، والادوار التى مر بها عبر التاريخ ، وانواع الاثبات والتمييز بين الاثبات القضائي والاثبات التاريخي والعلمي ، ثم خصص فقرة لدراسة التنظيم القانوني للاثبات ومختلف دوره ومذاهبه .

ونحن يهمنا ان نقدم بعض التعاريف التى اوردها المؤلف للاثبات ومنها : « الاثبات لغة هو تأكيد الحق بالبينة وهو فى لغة القانون يعني اقامة الدليل امام القضاء بالطريقة التى يحددها القانون لتأكيد حق متنازع فيه له أثر قانوني .

لذلك كان الاثبات فى جوهره اقناعا للمحكمة بادعاء او بآخر من جانب هذا الخصم او ذاك » ويعرف الاستاذ السنهوري الاثبات بانه : اقامة الدليل امام القضاء بالطرق التى حددها القانون على وجود واقعة قانونية ترتبت آثارها » .

اذن نستخلص من هذه التعاريف ان الاثبات او البينة سلاح الخصوم فى معركة الخصومة القضائية حيث تتصارع المصالح وتتقارع المزاعم فهما الوسيلة العلمية التى يعتمد عنيها الافراد فى صيانة حقوقهم كما انها هي الاداة الضرورية التى يعول عليها القاضي فى التحقيق من الوقائع القانونية ذلك ان ادعاء وجود حق محل نزاع من جانب احد الاشخاص أمام قضاء ان لم يصطحب بتقديم الدليل عليه الى القاضي فان هذا الاخير لن يكون ملزما بل انه لا يستطيع ان يسلم بصدق هذا الادعاء ، فالحق له اركان ثلاثة هي طرفاه ومحله والحماية التى يسبغها القانون عليه . والاثبات ليس ركنا من اركان الحق ذلك ان الحق قد يوجد دون ان تتوفر الوسيلة لاثباته ومع ذلك فللاثبات أهمية علمية بالغة ، فالحق بالنسبة لصاحبه لا قيمة له ولا نفع منه اذا لم يقم عليه دليل وكثير من الذين يخسرون دعاواهم وحقوقهم يكونون مفتقرين الى اقامة الدليل ، ولذلك فان الفقيه (اهرنج) يعبر عن ذلك بقوله : « ان الدليل هو فدية الحق » . فالحق يتجرد من قيمته ما لم يقم الدليل عليه ، والدليل هو قوام حياة الحق ومعقد النفع منه فلا حق حيث لا دليل يؤكده ولا دعوى حيث لا اثبات تستند اليه والدليل هوالذى يظهر الحق ويجعل صاحبه يفيد منه والحق بدون دليل يعتبر هو والعدم سواء .

وعن المراحل التى مر بها الاثبات او الدليل يقول المؤلف : ان المراحل التى مر بها الاثبات عبر التاريخ كانت مسايرة لتطور الانسانية وتقدمها فقد كان الانسان فى طوره الاول مستندا الى القوة والعنف فكان قاضي نفسه ثم رأينا الدور الثاني الذى هو دور العقيدة الذى كان يلجأ فيه الكهنة الى ضروب السحر والشعوذة ، وفى الدور الثالث بدأت الانسانية تتدرج الى الادلة المفيدة كالشهادة وغيرها. والحقيقة انه باختراع المطبعة وانتشار التعليم بدا الناس يلجأون الى الكتابة فى الاثبات وحصرت شهادة الشهود وقرائن الاحوال فى مجال ضيق ، وتهذبت اليمين ثم تطور الاثبات بالكتابة من الكتابة العرفية الى الكتابة الرسمية .

الرباط ـ عبد الرحيم بن سلامة



تأليف الأستاذ غسان كنفاني
عرض وتلخيص الأستاذ توفيق علي وهبة

تتصاعد عمليات المقاومة المسلحة في الارض المحتلة يوما بعد يوم حتى اقلقت العدو ، وحيرت قواته ، واحدثت الذعر والاضطراب بين جبهته الداخلية ، فأصبح الفرد لا يامن على حياته يعيش مهددا ليل نهار ، يقضي الليل فى المخابيء ، ويمضي نهاره فى عمله بلا استقرار لتوقعه ضربا لفدائيين وهجومهم فى اية لحظة .

وصحا العالم من غفوته على صوت المقاومة يدوي فى كل مكان مناديا بضرورة تحرير الارض وعودة الاهل ، وتناقلت الاذاعات ووكالات الانباء العالمية اخبار الانتصارات الباهرة التى تحققها يوميا ، وهكذا استطاع ابناء النكبة ان يفرضوا وجودهم على العالم الذى نسيهم او تناساهم طيلة العشرين عاما الماضية ، ليعلم كل البشر اينما كانوا ان هناك مليون فلسطيني يطالبون بأرضهم التى اغتصبها العدو الاسرائيلي ، ولا يزال هؤلاء الفلسطينيون يعيشون فى ظروف قاسية مروعة لا يقبلها انسان ، ولا يرضى عنها ضمير الاحرار في العالم ، بينما ينعم حفنة من مشردي الانسانية بارضهم وبلادهم .

ان هذا الوضع الذى خلفته مأساة عام 1948 على مرأى من العالم وبتواطؤ الاستعمار والامم المتحدة لا بد ان يجد حلا ، وسوف يضع هذا الحل ابناء الارض المغتصبة انفسهم .

ولم يقتصر عمل المقاومة على الجبهة المسلحة فحسب ، بل امتد – وباصرار – منذ النكبة الى مجال الثقافة، اذ حاول العدو ان يقضي على عروبة الاقلية العربية التى بقيت داخل الارض المغتصبة ، ففرض انواعا من التعليم تبعد العرب عن قوميتهم ولغتهم ، ولكن هؤلاء الذين قبلوا البقاء فى أرضهم رفضوا بشدة الرضوخ الى محاولات العدو .

ومن الابحاث الجيدة التى نشرت عن هذا الصراع الفكري داخل الارض المحتلة دراسة الاستاذ غسان كنفاني «الادب الفلسطيني المقاوم ضد الاحتلال 1948 – 1968 » والتى نشرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت عام 1968 . وينقسم هذا الكتاب الى ثلاثة فصول : 1 – الوضع الثقافي لعرب فلسطين المحتلة . 2 – ادب المقاومة الفلسطيني « ابعاد ومواقف » . 3 – نماذج من الشعر والقصة والمسرحية .

ويعرض الكتاب لمحاولات العدو محو الثقافة العربية واحلال الثقافة اليهودية مكانها ، ومدى الاضطهاد والتعسف الذى يلقاه عرب الارض المحتلة ومن ذلك ما عرضه المؤلف ص 18 من الكتاب متمثلا فى مناقشة مفتوحة منشورة بمجلة « هذا العالم » الاسرائيلية العدد 38 (ايار سنة 1967) يقول خلالها مثقف اسرائيلي :

« اعتقد ان الكيان القومي هو فوق كل اعتبار، حتى فوق الاعتبارات الخلقية . ان وجود اقلية عربية

فى اسرائيل بشكل اكبر خطر عليها ، اذا لم يكن الآن وفى هذا المستقبل ففى المستقبل البعيد ، وحتى نمنع وقوع مثل هذا علينا ان نهمل كل شيء بشكل لا يثير الاحتجاجات العالمية علينا ان نجد لذلك غطاء ملائما وعبارات جميلة ولكن اذا لم يكن بد من ذلك فعلينا ان نتجاهل الراي العام » .

« علينا ان نقصر خطواتهم وان نأخذ اراضيهم، كل عربي ينهي دراسته الثانوية او الجامعة لا نعطيه عملا وليبحث عن عمل خلال ثلاث او اربع او خمس سنوات حتى ييأس ويفهم انه لا مكان له فى هذه البلاد ، وليبحث عن بلاد اخرى ، علينا ان نقنع العرب بعدم سماع الراديو العربي علينا ان نقطعهم عن الثقافة العربية ونضعهم تحت تأثير الثقافة اليهودية » .

ــ وماذا سيحدث اذا ما قرروا الاستمرار بسماع الراديو المصري ؟ واذا لم يفهموا الاشارة ويغادروا البلاد ، ما العمل ؟

ــ سيفهمون وسيهاجرون .

ــ واذا رفضوا التخلي عن شخصيتهم الثقافية القومية او رفضوا الهجرة ؟

ــ لا سيفهمون .

ــ كن جريئا وقلها بصراحة : علينا ان نقيم اوشفتز ، واوشفتز معسكر اعتقال نازي فى بولونيا شهد عمليات قتل جماعية بالغاز لليهود) .

وتدل الاحصائيات الرسمية على انخفاض مستوى التعليم فى الوسط العربي، فنسبة المتخرجين العرب من الجامعة منخفض جدا حيث كانت عام 1967 مائتي طالب عربي مقابل 19 الف يهودي كما ان الجيل العربي الذى بدأ التعليم فى الصف الاول عام 1957 ترك المدرسة منهم 45 ٪ فى عام 1964 . وكانت نسبة الناجحين فى الشهادة الثانوية فى نفس العام 4 او 5 ٪

ويعرض المؤلف ص 20 لمذكرة منظمة «الارض» في اسرائيل التى بعثت بها الى يوطانت فى مطلع عام 1964 والتى فضحت هذه الاوضاع حيث تقول:

« ان نسبة التعليم المرتفعة فى ظل الانتداب انخفضت الى الحضيض خلال الست عشرة سنة الماضية . ان نسبة النجاح فى شهادة الميتركيولشن (باغروت) فى المدارس العربية الخاضعة لاشراف وزارة التربية هي فقط 4 و 5 بالمائة .

ان هذا الانخفاض يعود الى الاسباب التالية :

1 ــ التدخل المؤذي والوقح فى شؤون التعليم من قبل رجال الحكم العسكري والمباحث (شن بت) ولهاتين الفئتين الحكام والعسكريين ورجال المباحث الكلمة الاولى فى اختيار المدرسين دون ادنى نظر لكفاءاتهم العلمية . انهم يختارون بناء على ما يقدمون من خدمات للحكم العسكري وللمباحث ، ويفترض فيهم ان يكونوا ممالئين ، متواطئين وابواق دعاية للحزب الحاكم .

2 ــ عدم وجود مدارس كافية فبالرغم من الازدياد المضطرد فى عدد التلاميذ فان عدد المدارس لا زال محدودا جدا . ان وزارة التربية تتجاهل عن عمد تنفيذ قانون التعليم الاجباري بالنسبة للاقلية العربية .

3 ــ النقص الشديد فى الكتب المطلوبة والمختبرات والتجهيزات والخرائط والمكتبات .

4 ــ هنالك بعض الموظفين المسؤولين الذين يستغلون وظائفهم فيقومون بنشر بعض الكتب المتدنية هادفين الربح من ناحية وتسميم عقلية الجيل الجديد من ناحية اخرى .

هناك خمس مدارس عربية ثانوية فى اسرائيل، واحدة منها فقط (على الناصرة) تدرس العلوم .. ان سياسة الحكومة السلبية بالنسبة للثقافة العربية ترمي الى محو اي ارتباطات بين الجيل الجديد وبين ماضيهم المجيد لتخدر كل مشاعرهم القومية وآمالهم فى مستقبل مشرق .

وفى الحقيقة فانها تقدم لهم بديلين احلاهما مر : اما الهجرة واما الانصهار .. وهكذا تمضي اسرائيل ــ عن عمد ــ فى حرمان العرب من حق العلم ، فمن المعروف ان عدة كليات علمية فى الجامعات الاسرائيلية محرمة نهائيا على الطلاب العرب .

وهناك بعض المعلمين القدامى فى المدارس العربية يتمردون على سياسة الحكومة التى تبغي القضاء على الثقافة العربية ولكن الحكومة على لسان المسئول عن تعليم العرب وجهت اليهم انذارا بفصلهم والاستغناء عنهم ، وبالفعل فان السياسة المتبعة حاليا فى اسرائيل هي الاستغناء عن قدامى المدرسين

واحلال آخرين محلهم . كما ان الحكومة ـ في مجال القضاء على اللغة العربية ـ تدعو الى استخدام اللغة العامية ، ولكنها لا تجد استجابة من عامة المثقفين العرب لذلك تقوم بعمليات قمع واعتقال ضدهم وتمنع تعيين هؤلاء العرب في المكاتب الحكومية والعامة .

ان الحرب النفسية والاقتصادية والسياسية التي تشنها السلطات الاسرائيلية على الثقافة العربية والمثقف العربي كان لها الاثر الاكبر في بلورة الانتاج الادبي العربي في فلسطين المحتلة على الصورة التي نراها ، ومن ذلك اللجوء غالبا الى الرمز ولم يحدث هذا اللجوء الا لان تفسيره « موجود في اكثر من سجن واحد ، وفي فصل اكثر من معلم عربي واحد » .

وقد وصل هذا القمع في ابشع صوره واكثرها اتساعا وقسوة في حزيران 1967 فقد تلقى مئات من المثقفين العرب اوامر تحديد الاقامة بناء على المادة 109 من قانون الطواريء الاسرائيلي المعمول به بالنسبة للعرب منذ 1948 حتى الآن . ان هذه المادة جزء اساسي في حياة عرب الاراضي المحتلة وخصوصا بالنسبة للمثقفين ، ويندر ان تسمع عن اديب أو شاعر او كاتب عربي في اسرائيل لم يتنق مثل هذا الامر بين الفينة والاخرى .

وبخلاف ذلك فقد جرت عدة اعتقالات بالجملة للمثقفين العرب اثر حرب حزيران (يونيو) 1967 ورافقت هذه الاعتقالات والاحتجازات عمليات عنف وضرب وتعذيب كما رافق هذا (التعذيب الرسمي) سلسلة من « الاعتداءات الشعبية » حيث كان يعتدي الصهيونيون على عرب الارض المحتلة . (ص 30) .

هذا الوضع الذي يواجهه الاديب والمثقف العربي في فلسطين المحتلة والذي تابع باصرار لا مثيل له تحديه طوال عشرين عاما من الاغتصاب ، هل استطاع ان يزعزع ثقة العربي بجذور ثقافته وآفاقها او ان يحول دون شروق الادب المقاوم الذي يتوهج الآن كشمس متفائلة في الحياة الثقافية عموما ؟. لقد كان عرب فلسطين المحتلة يدركون منذ البدء خطورة المعركة التي يخوضونها تحت سياط الحكم العسكري الاسرائيلي ، ومنذ البدء عبروا عن وعيهم بالمخطط الموضوع ضدهم ، باختصار ولكن بعمق . في جملة واحدة موجزة تلخص كل شيء « كل الناس في العالم يقفون على اقدامهم ، الا الحاكم العسكري فانه يقف على اذنابه » .

وقد ادى ذلك الى تطور اسلوب التعبير تكليف في الاساس مع متطلبات (جبهة القتال) الثقافية، فقد لجا الشاعر مثلا لانشاء مقاصده شعرا بواسطة الطريقة الرمزية .. فالقصيدة الشعرية هي ميدان فسيح للكتابة الرمزية ، يعبر فيها الشاعر عما يخالجه من شعور قومي دون ان يفصح عن ذلك ، وكم من مرة خاطب الشعراء احباءهم قاصدين الوطن ، فاذا ما كتب الشاعر في قصيدته « الويل يا ظالم » لا يمكن للسلطات ان تعرف قصده لتتخذ ضده الاجراءات القانونية اما القاريء اللبق فيفهم مرمى الشاعر ويحس بنفس احساساته .

ولقد حقق شعر المقاومة درجة من التقدم الفني اكثر بكثير مما أتيح لفن القصة او الرواية . وسنكتفي فيما يلي ببيان نماذج من الشعر المذكور بالكتاب :

يقول الشاعر محمود درويش في قصيدته « عن الامنيات »

لا تقل لي :
ليتني بائع خبز في الجزائر
لأغني مع ثائر
لا تقل لي :
ليتني راعي مواش في اليمن
لأغني لانتفاضات الزمن
لا تقل لي :
ليتني عامل مقهى في هفانا
لأغني لانتصارات الحزانى
لا تقل لي :
ليتني اعمل حمالا صغير
لأغني للصخور
يا صديقي :
أرضنا ليست بعاقر
كل أرض ولها ميلادها
كل فجر وله موعد ثائر

ويقول في قصيدة اخرى :

شدوا وثاقي
وامنعوا عني الدفاتر

والسجائـــر
وضعـــوا التـــراب على فمـــي
فالشعــر دم القلــب
ملــح الخبــز
مــاء العيــن
يكتــب بالاظافــر
والمحاجــر
والخناجــر

ويستقبل الشاعر سميح القاسم 5 حزيران بصورة فريدة فى قصيدة عن الفدائي تنتهي كما يلي على لسان الفدائي الشهيد :

يا مـــن ورائـــي
لا تخونـــوا موعـــدي
هـــذي شرايينـــي
خذوها وانسجـــوا منهـــا
بيـــارق نسلنـــا المتمـــرد

كما كتب توفيق زياد فى قصيدته الرائعـــة « كلمات عن العدوان » :

انكـم تبنـــون لليـــوم وانـــا
لقـــد نعلـــي البنـــاء
اننا اعمق من بحـــر واعلـــى
من مصابيـــح السمـــاء
انـــا فينـــا نفسنـــا
أطول من هذا المـــدى الممتـــد
فى قلـــب الفنـــاء

وبعد فان هذه بعض النماذج الشعرية التى ان دلت على شيء فانما تدل على صلابة المقاومة داخل فلسطين المحتلة ، وتمسك المثقفين العرب بلغتـــهم وثقافتهم ، مهما كانت ضراوة العدو وصلابتـــه فى محاولة القضاء على شخصيتهم وادماجهم فى كيانه العنصري الذى يهوى تحـــت ضربـــات المقاومـــة الفلسطينية الباسلة المسلحة والثقافية .

والله نسأل ان يحقق النصر لابناء هذه الامة انه نعم المولى ونعم النصير .

القاهرة ـ توفيق علي وهبة





عرفت القرية ـ عندما كنت صغيرا ـ شيخا مسنا يدعى « الشيخ جابر » ، وكان «الشيخ جابر» حديث القرية كلها ، والقرى المجاورة ايضا ..

واستطاع هذا الانسان العجيب أن يأخذ بالباب اهل القرية كلهم ، فأذهلتهم تصرفاته ، وهم الذين عاشوا فترة غير قصيرة من الزمن يتحاشون حتى من ذكر اسمه فيما بينهم .

كانت القرية تقع بين سفحي جبلين ، وفوق احد اعلى المنحدرين كان يبدو بناء صغير يطل على كل البقعة الممتدة ، ولم اكن اعرف بالطبع ما هذا البناء العالي ، وظللت الى امد طويل لا اعرف .. لكنه وقع الشك في نفسي منذ ذلك اليوم البعيد .

كنت عائدا من المدينة الى القرية ، يصحبني والدي ، وقد حملنا من المدينة قماشا زاهيا لامي .. وثيابا مختلفة لاخوتي ، كنت طوال الطريق ادندن باغنية صغيرة تحفظها القرية كلها ، متناسيا ثقل ما كنت احمل .. مستبشرا ـ وانا احلم بارتداء السترة والبنطال .. واتخيل نفسي كيف سأبدو فيهما وانا اتعثر في مشيتي داخلا مدرسة القرية لاول مرة .

وكنت اتساءل ـ بيني وبين نفسي ـ بمنتهى الغباء :

ـ كيف سأستطيع ان اسير بالبنطال وانا لم لم اتعود ارتداءه في حياتي ..؟

لكن البسمة ما تلبث ان تزحف على شفتي ببطء وانا اردد :

ـ ربما هذه ضريبة المدرسة .. ان البس البنطال واخلع الجلباب ..

وكنا قد اقتربنا من القرية ، واصبحت قبابها تصافح عيوننا ونحن نجد في المسير .

ولست ادري كيف لاح لبصري ذلك البناء العالي البعيد فوق اعلى المنحدر .. وفجأة سألت والدي ، كأنما ارى هذا البناء لاول مرة في حياتي :

ـ ما ذلك المسكن يا والدي ..؟ وكيف يستطيع بشر ان يرقي ذلك المرتفع الخطير ..؟

تنحنح والدي ، وتلك كانت عادته عندما كان يحرج او يغتاظ .. لكنه في ذلك اليوم كان محرجا ومغتاظا في وقت معا .

فأعدت عليه السؤال بعد ان تجاهلني ، واضفت قائلا :

ـ ولماذا لا يسكن اهل ذلك المأوى العالي في القرية ..؟

فانتهر فجأة وارتعش ، وقال لي بلهجة كلها شدة وحزم :

ـ اخرس يا محمود ...

فخرست ...

وظللت مطبقا انفاسي حتى وصلنا منزلنا فى القرية .

وما ان وصلنا ، حتى خرجت الينا امي واخوتي ، وراح الجميع يتخاطفون ما كنا نحمله انا ووالدي من المدينة .

ونسيت بين جمع المتخاطفين امتعتي الخاصة .. السترة والبنطال .

وسمعت اختي « صافية » تقول ساخرة وبصوت عال :

ـ هذا ليس لي ...

وضحكت اختي « هنادي » ، وارتفع صوتها وهي تداعبها قائلة :

ـ بل هو لك ...

فصاحت « صافية » بغيظ قائلة :

ـ تريدين ان تضحك علي القرية وانا البس السترة والبنطال ، وقالت :

ـ انصرفي انت وهي ... جنيتان خبثتان .. هذا لمحمود .

وتلفتت حولها لتجدني قابعا فى صحن الدار ، تحت شجرة الخوخ قرب المصطبة ، فاستفربت انزوائي ، وجاءت الي بالسترة والبنطال فى يدها ، وقالت فى شبه عتاب :

ـ لماذا تركت السترة والبنطال بين يدي الجنيتين يا محمود ..؟

قلت فى حزن عميق :

ـ لن البسهما يا امي ..

فشهقت مستغربة ، وهي تقول :

ـ ماذا ...؟ وهل من المكن ان تذهب الى المدرسة بالجلباب .. كانك لم تسمع ما قاله الاستاذ بالامس : لن يدخل باب المدرسة من لا يرتدي السترة والبنطال ..؟

قلت فى اعياء :

ـ وكذلك لن اذهب الى المدرسة ...

قالت فى حدة :

ـ ماذا تقول .. ؟

اعدت على مسمعها فى اصرار :

ـ لن اذهب الى المدرسة ...

ونهضت من جلستي ابغي الانطلاق ، ولاخفي وجهي بعيدا عن نظرات امي ...

لكنها تمسكت بطرف جلبابي ، وشدتني اليها تصيح :

ـ ولماذا لن تذهب الى المدرسة ..؟

وتعثرت الكلمات على لساني ، لكنني وجدت اخيرا ما اقول :

ـ لن اذهب الى المدرسة لانني ما زلت طفلا صغيرا ..

فقالت مستغربة :

ـ ومن قال انك كذلك ..؟

قلت :

ـ ابي .

قالت :

ـ ابوك ..؟

قلت في تذمر :

ـ اجل . ما دمت اساله اي سؤال فيقول لي اخرس ، فانا ما زلت طفلا صغيرا .

قالت ، وكانما اطمانت الى سبب قلقي :

ـ وماذا سالته يا محمود ..؟

قلت فى امتعاض :

ـ ونحن فى طريقنا الى القرية ، عند اول الساقية الشمالية ، لفت نظري ذلك المأوى العالي البعيد فوق اعلى المنحدر ، فسالت ابي من يسكن هنا .. ولماذا لا يعيش اهل هذا المنزل التالي مع اهل هذه القرية ، فقال لي : اخرس ...

وارتعشت امي فجاة ، وقالت لي وهي ترتجف:

ـ اخرس يا محمود .. اخرس ... واياك ان تعود الى هذا السؤال مرة اخرى .

نظرت اليها ، وقد طفرت الدمعة من عيني ، وهمست الى نفسي :

– حتى انت يا اماه ... ؟

وانصرفت ...

ومضت الايام ، وتلاحقت الاعوام ... وفى كل مرة عندما كان يصل السؤال ذاته الى لساني اخرس .. وامضي دون ان اتحقق من الامر فى شيء.

حتى اذا كبرت بي الايام ، ولم اجد حولي من يقول لي : اخرس ...

– قل لي يا عم عبد الجبار ، من الذي يسكن ذلك المأوى العالي البعيد فوق اعلى المنحدر ..؟

قال « العم عبد الجبار » متسائلا :

– هل تعني اليوم ام بالامس ..؟

سألت فى استغراب :

– وهل تغير الساكن ..؟

قال مبتسما :

– كلا لم يتغير .. انه هو هو ..

قلت مندهشا :

– ولكن ماذا تعني بكلمة اليوم والامس ؟..

قال المختار بهدوء يشبه الصمت :

– انها قصة طويلة يا محمود ...

قلت :

– ارجو الا تقول لي اخرس عن هذا السؤال ، كما قالها لي ابي يوما ..

قال « العم عبد الجبار » :

– رحم الله والدك يا بني .. لقد كان ايضا واقعا تحت تأثير لغط القرية وهمسها الظالم تجاه الشيخ جابر .

سألته فى استغراب عميق :

– ومن هو الشيخ جابر هذا ..؟

قال « العم عبد الجبار » ، والابتسامة الهادئة تداعب وجهه :

– الشيخ جابر انسان اليوم ، ولكنه كان حفيد اسرة عريقة من اسر الجان بالامس .

ضحكت وانا اقول :

– ماذا تعني بمزاحك هذا يا عم عبد الجبار ..؟

قال فى اصرار :

– بل الامر كذلك يا بني .. وانا بالطبع لا استغرب جهلك للشيخ جابر ومكانته بيننا اليوم ، وتصوراتنا عنه بالامس .. وغيابك البعيد عن القرية جعلك لا تقف على حقيقة هذا الانسان .

سارعت اسأل « العم عبد الجبار » فى حيرة:

– بربك قل لي الحقيقة ، فتارة هو انسان واخرى هو سليل اسرة من اسر الجان ..

من هو الشيخ جابر هذا ..؟

قال المختار :

– قد لا اعرف ، ولا يعرف احد من اهل القرية من هو الشيخ جابر هذا ، ولا من اين جاء ... ولا كيف ارتضى بمكانه القصي العالي مأوى له ومنزلا .. ولكن كل الذى نعرفه ان واحدا من اهل القرية قال فى يوم مضى : انه راى شبحا يتسلق الجبل وبيده عصا من نار .. ولاقدامه – وهو يمشي – صوت كصوت الرعد واقوى .. اما وجهه فلم يتبينه ، لانه خاف ان يتطلع عليه ...

وتناقلت القرية هذا الخبر حتى عم كل دار .. ونزل الرعب فى كل نفس وارتعدت من مجرد ذكر اسم الشبح ... وظل الجميع الى سنوات يتطلعون الى ذلك المأوى العالي البعيد وترتجف قلوبهم وترتعد .. ويمتنع اهل القرية من المشي او العمل ليلا ، او حتى من ذكر اسم الشيخ .. لاسيما وانه جني من الاسرة السابعة عشرة التي تنتمي الى ملك الجان الاخضر .

قاطعت « العم عبد الجبار » قائلا:

– اذن .. لهذا قال لي والدي – يوما – وعندما سألته عن ساكن ذلك المأوى البعيد العالي : اخرس .

قال « العم عبد الجبار » مكملا :

ـ اجل .. لقد قيـل لكـل من سأل عنـه : اخرس ... لان الجميع كان يخاف من معرفتـه او السؤال عنه .

قلت مستوضحا :

ـ ثم كيف اكتشفتم انه انسي وليس جنيا ..؟

قال « العم عبد الجبار » :

ـ عندما مرض الحاج مسعود ـ مختار القرية الذى نعرفه ـ تحير الناس فى امر مرضه ، فلا نفع فيه العشب ولا الكي ولا التعصيب .. وفجأة وجدنا فى منزل الحاج مسعود رجلا غريبا لم نكن قد رأيناه من قبل .. جلس قرب الحاج مسعود ووضع يده فوق جبينه ، وراح يقرأ آيات من القرآن والدعاءات بصوت فيه الخشوع وفيه الجلال ، ووجدنا الحاج مسعود يتنهد فى فراشه ، وبعد مضي وقت تفصد العرق من جبينه وتنفس براحة وتنشق عبير الصحة ...

وظل هذا الشيخ الوقور يزوره حتى شفـي تماما .. وعند آخر زيارة له ، شكره الحاج مسعود، وسأله : لم تقل يا اخي من انت ، ولا من اين جئت..؟

فقال الرجل الغريب : انني عبد الله الشيخ جابر .. واسكن ذلك المأوى العالي البعيد فى ارض اللـه ..

قلت للعم عبد الجبار :

ـ وكيف كان وقع الامر فى نفوس الناس ..؟

قـال :

ـ لقد صعق الجميع وفوجئوا .. وتبينوا فداحة خطئهم تجاه هذا الانسان طوال الاعوام التى انقضت .. ولكن الحاج مسعود اراد ان يتأكد بنفسه من الامر فذهب بنفسه الى المأوى فى اعلى المنحدر ، ولاقى هناك الشيخ جابر يمضي النهار والليل فى عبادة وابتهال وصلاة .. وعاد الى القرية وهو يقول لاهلها : لقد ظلمتم عبدا من عباد الله الاتقياء .. فالشيخ جابر انسان صالح .. وانسان كبير .

وصمت « العم عبد الجبار » قليلا .. بينما زحفت الى خيالي صورة من صور الماضي البعيد ، حين كانت امي تصرخ فى ابنتيها الجنيتين ، وهما تشدان بينهما سترة وبنطالا لصبي صغير ، قيل له عند اول سؤال : اخرس ...

سوريا ـ عدنان الداعوق



المغــــــرب :

* انتدب وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد الحاج احمد بركاش ناظر الاوقاف بالدار البيضاء لينوب عنه فى تدشين المسجد الذى اعادت هذه الوزارة بناءه بالتواصر .

وقد حضر حفلة التدشين رجال السلطة المحلية وجمهور من المواطنين الذين التمسوا من ممثل الوزارة تبليغ ولائهم واخلاصهم الى حضرة مولانا امير المومنين دام له النصر والتمكين ودعواتهم الصالحة بأن يبقيه الله ذخرا للاسلام يعلي مناره ، ويحيي اثاره وللوطن يحقق ازدهاره ويقر عينه بولي عهده المحبوب سيدي محمد وسائر أفراد اسرته الكريمة.

* صدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بأمر من صاحب الجلالة امير المومنين الحسن الثاني نصره الله الجزء الثالث من كتاب التمهيد، لما فى الموطا من المعاني والاسانيد تاليف الامام الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي المولود عام 368 والمتوفي عام 463 رحمه الله .

وصدر للكتاب معالي وزير الاوقاف وحققه وعلق عليه المرحوم بكرم الله الشهيد السيد محمد التائب السعيدي خريج دار الحديث الحسنية .

وموضوع هذا الجزء « باب الراء » وترجمة ربيعة الراي وثناء الامام مالك عليه .

ويليه الجزء الرابع واوله حديث ثامن لزيد بن اسلم يجري مجرى المتصل وهو صحيح من وجوه..»

* يعقد علماء المغرب بقيادة رابطتهم مؤتمرهم الرابع بمدينة مراكش فيما بين 3 و 5 دجنبر المقبل الموافق لمنتصف شوال . ويحضر المؤتمر اكثر من مائتي عالم يقصدون مراكش من جميع انحاء المغرب . ويستعرض المؤتمرون الوضع الاسلامي الحاضر فى البلاد من جميع نواحيه الدينية والخلقية والاجتماعية ومن اهم المسائل التى تتناولها مباحثات المؤتمر قضية التعليم الديني وقضية انتشار الفساد وتعاطي الخمر وقضايا المسلمين الكبرى فى فلسطين وباكستان والفلبين وغيرها .

* قامت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية باعادة بناء مسجد سيدي الغماري بالرباط .

وقد قام السيد الوزير بتدشين هذا المسجد حيث ادى فيه صلاة العصر صحبة رجال السلطة المحلية والناظر وجمهور من المؤمنين .

* فى نطاق عملية بناء المساجد وتجديدها ، قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية باعادة بناء سيدي العايدي بمدينة سلا .

وقد انتدب السيد الوزير الفقيه السيد محمد الطنجي ليدشن هذا المسجد الى جانب سعادة باشا المدينة وناظرها وجمهور غفير من المواطنين ، حيث ادى الجميع صلاة العصر به .

* دشن سعادة عامل اقليم تطوان والاستاذ السيد الطنجي نيابة عن معالي وزير الاوقاف المسجد الذي بنته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بدار الشاوي باقليم تطوان ، وحضر حفلة التدشين رجال السلطة المحلية وجمهور غفير من المؤمنين .

* انتدب السيد الوزير الفقيه محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ والارشاد لينوب عنه فى تدشين المسجد الذي شيدته وزارته بسوق جبل الحبيب باقليم تطوان .

وقد حضر حفلة التدشين سعادة العامل ورجال السلطة وناظر الاوقاف وجمع غفير من المؤمنين .

* دشن وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية المسجد الكبير الذي شيدته مصالح الوزارة بمدينة

الجديدة تنفيذا لتعليمات جلالة الملك وتلبية لرغبات المواطنين .. وقد ادى به صلاة العصر .

* تراس السيد عامل الرباط وسلا مولاي عبد السلام الوزاني اخيرا جلسة عمل بحضور نظار الاحباس وقضاة العدوتين ورجال السلطة المحلية والهيئات العلمية وخصصت الجلسة لتهيىء وتنظيم حملات الوعظ والارشاد التي جرت بمناسبة شهر رمضان المعظم بمختلف مساجد العمالة تنفيذا للتوجيهات الملكية السامية .. واثناء هذا الاجتماع تم تعيين المساجد التي ستنظم بها الدروس الدينية والفقهاء الذين ستسند اليهم مهمة القائها .

واصدر السيد العامل اوامره للمسؤولين الساهرين على هذه الحملة الدينية لكي تعم الدروس سائر مساجد العمالة حتى تؤتي ثمارها فى تعريف المواطنين بدينهم الحنيف وتعاليمه السامية والاخلاق النبيلة التي يحض عليها فى سبيل خلق مواطن صالح متشبث بدينه حتى يساهم فى بناء المجتمع من الوجهة الروحية التي بها ينمو مجتمع بدون مشاركة من القيم الروحية لدينا .

* تنظم وزارة الانباء بمناسبة عيد الاستقلال مباراة شعرية ومسرحية تخليدا لهذه الذكرى العزيزة على كل مواطن من المواطنين واعتزازا بالكفاح الذي صنع ملاحمه المتتالية عرش وشعب فى مشاهد استحقت التقدير والاعجاب والخلود .

وهكذا فيما يخص القصائد الشعرية ستعطى جوائز تقديرية ثلاثة للقصائد الاولى الفائزة فى هذه المباراة مصحوبة بهدايا رمزية .

ويشترط الا تجاز ابيات القصيدة المتبارية اربعين بيتا حتى يمكن تقييم الانتاج الشعري المشارك فيما يكفي من الوقت الزمني والتمحيص المطلوب .

اما فيما يتعلق بالمسرح فان جوائز وهدايا مماثلة ستقدم للروايات الثلاثة التي يتقرر فوزها فى هذه المباراة .

بينما ستعرض الرواية التي احرزت على الدرجة الاولى فى مهرجان شعري ومسرحي سيقام بهذه المناسبة .

اما الروايتان الاخريان الفائزتان ، فسيقع عرضهما على شاشة التلفزيون .

هذا ويشترط فى كل رواية مشاركة الا تتعدى ساعة من الزمن مع ما يلزم من التركيز .

وستشكل فى الوقت المناسب لجنة من المختصين للنظر فى مجموع الانتاج المشارك .

فعلى السيدات والسادة الذين يرغبون فى المشاركة ان يبعثوا بانتاجهم الى وزارة « الانباء » القسم الثقافي وان يكتبوا على جانب الظرف : «المباراة الشعرية والمسرحية » ، آخر اجل لقبول الانتاج هو اليوم العاشر من نوفمبر المقبل .

* فى نطاق الاحتفال بذكرى مرور 2500 سنة على تأسيس الامبراطورية الايرانية ومشاركة من المغرب فى تخليد هذه الذكرى تراس السيد احمد العسكي وزير الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاصلي وتكوين الاطارات والسيد علي بهرامي سفير ايران بالرباط حفلة تدشين معرض الكتاب الاسلامي الفارسي .

وبهذه المناسبة القى السفير الايراني كلمة شكر فيها الوزير على تفضله برئاسة هذا الاحتفال .

كما تحدث باسهاب عن المنجزات التي تحققت فى عهد الامبراطورية الايرانية .. واثر ذلك عرض شريطين اولهما عن عهد شيروط الاكبر وشريط آخر عن الفن الارياني .

وحضر هذا الاحتفال عدد من اعضاء السلك الديبلوماسي وجمهور غفير من المهتمين بشؤون الثقافة والفكر .

* استقبل وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية سفير رومانيا بالمغرب برافقه الوفد الذى حل ببلادنا بدعوة من حكومة صاحب الجلالة الى مسلمي رومانيا الصديقة ويتركب هذا الوفد من سماحة المفتي السيد عبد الستار يعقوب والسيد لطيف جمال الدين ، وقد دار الحديث فى جو مفعم بالاخوة الاسلامية ، واكد الوزير للضيوف استعداد وزارته لمد يد المساعدة الكاملة فى الميدان الثقافي والديني للاخوة مسلمي رومانيا .

ومعلوم ان عدد المسلمين فى رومانيا يبلغ 45 الف حسب الاحصائيات الرسمية، ويعيش معظمهم فى اقليم دبرودجة وعاصمة كوستانزا حيث يوجد المسجد الكبير على ساحل البحر الاسود ويعيش المسلمون على الصناعة الصغيرة وعلى الصيد والصناعة التقليدية ، وينحدرون من اصل تركي ومغولي .

* تعلن وزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاصلي وتكوين الاطارات ، أن مسابقة سنة 1391 (1971) لنيل جائزة المغرب في ميادين الآداب والعلوم والفنون والابحاث ، افتتح باب الترشيح فيها ابتداء من 1 شعبان 1391 الموافق 22 شتنبر 1971 الى غاية 15 رمضان المعظم 1391 الموافق 4 نونبر 1971 .

فعلى من يرغب من الكتاب في ترشيح نفسه لهذه الجائزة ، ان يوجه طلبا بذلك مع خمس نسخ من كتبه، سواء كانت مطبوعة ام مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مع نسخة من عقد ازدياده وشهادة اقامته ، ونسخة من السجل العدلي، وذلك الى مقر الوزارة المذكورة(القسم الثقافي) وستحتفظ الوزارة بجميع الوثائق والانتاجات فازت أم لم تفز . كما لا يجوز للذين احرزوا على هذه الجائزة ، أن يرشحوا انفسهم لها ، الا بعد مرور خمس سنوات على تاريخ حصولهم عليها .

* عقد مجلس الامانة العامة لرابطة علماء المغرب اجتماعا بمقر الرابطة العام في العاصمة، صبيحة يوم الخميس 2 شعبان 1391 الموافق 23 شتنبر 1971، وكان موضوع الاجتماع هو تعيين موعد انعقاد مؤتمر الرابطة الرابع .. وقد اتفق الحضور على تحديد موعد انعقاد هذا المؤتمر في منتصف شوال الذى هو يوم الجمعة الموافق 3 دجنبر بمدينة مراكش كما كان مقررا من قبل .

هذا وطرحت في المجلس بعض القضايا ، ومنها قضية التعليم الاصلي ، فاتخذ المجتمعون بازائها موقف التريص حتى ينعقد المؤتمر ويجتمع علماء المغرب كافة ليقولوا كلمتهم من جديد في هذه القضية المزمنة وفي غيرها من القضايا التي تهمهم وتهم جميع المسلمين

* اصدرت وزارة البريد والتلغراف والتليفون طابعا خاصا يوم الاثنين 11 اكتوبر 1971 قيمة 1,00 وذلك بمناسبة الذكرى 2 500 لامبراطورية ايران .

* من منشورات اقلام صدر للدكتور محمد زنيبر الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس ورئيس الشعبة التاريخية فيها ((الهواء الجديد)) وهي مجموعة قصصية كتبت في ظروف مختلفة منها ما يرجع بالكاتب الى بداية عهده بالكتابة ، ومنها ما كتب منذ زمان قريب ، وقد نشر اكثرها في مجلات متعددة ، وهذه القصص تمثل وقفات فنية خاصة ، تفصل بينهما فواصل زمنية طويلة ...

ويشتمل الهواء الجديد على مقدمة للمؤلف تحدث فيها عن نظرته للقصة عموما والقصة القصيرة بوجه خاص وهي لا تخلو من نظرات واعية ، وآراء ناضجة عن القصة والنقد التى الفناها من الدكتور محمد زنيبر في جل ابحاثه ودراساته .

ومن بين القصص التى اشتمل عليها الكتاب ، بين ضحى وعشية ، والذنب لمن ؟.. في سبيل تلك اللحظة .. اليد على الحلقوم .. الدراجة التى تطير .. اولاد الجنة .. السهرة عند بهيجة .

طبعت هذه القصص بمطبعة دار النشر المغربية بالدار البيضاء .

* قام وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بتدشين المسجد الذي بناه المحسن السيد الحاج محمد المومني في بداية شارع الحسن الثاني بالرباط ، حيث ادى به صلاة العصر صحبة سعادة عامل المدينة مولاي عبد السلام الوزاني وناظري الاوقاف وجمهور من المواطنين .

وقد شكر سيادته في كلمة القاها المناسبة هذا المحسن على اريحته وغيرته الدينية وبلغه تقدير وزارته لحسن صنيعه ، ثم رفعت الدعوات الصالحة لمولانا الامام بطول العمر ودوام النصر والتاييد وان يحفظه الله .. وولي عهده المحبوب سيدي محمد بما حفظ به الذكر الحكيم .

* كلف معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ناظر الاوقاف بزرهون بتدشين المسجدالذى قامت وزارته باعادة بنائه والمعروف بمسجد العامة .

وفي حفل حضره رجال السلطة المحلية وجمهور من المواطنين رفعت أكف الضراعة والابتهال الى الكريم المتعال بأن يحفظ للبلاد راعيها الامين جلالة الحسن الثاني نصره الله ويبقيه ذخرا للاسلام والمسلمين .

* نظمت مديرية الشؤون الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي ... معرضا بمقر الوزارة للكتاب الاسلامي الفارسي ، ضم 150 كتابا في التراث الاسلامي نذكر منها صحيح الامام البخاري وسنن أبي داود وسنن ابن ماجة ورسائل اخوان الصفا ورباعيات عمر الخيام والاغاني لابي الفرج الاصفهاني وصبح الأعشى للقلقشندي ومقامات الهمداني واحياء علوم

الدين للامام الغزالي والتفسير الكبير للفخر الرازي. وطائفة اخرى من الكتب الادبية والدينية والتراثية .

* اوفدت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بامر من مولانا امير المؤمنين الملك الحسن الثاني نصره الله ، وفدا يتركب من عشرين استاذا لالقاء الدروس الدينية على مختلف الجاليات المغربية العاملة بالبلدان الاجنبية التالية : اسبانيا ، فرنسا ، المانيا ، هولاندا ، بلجيكا ، وستلقى هذه الدروس بمناسبة شهر رمضان المعظم فى المدن الآتية :

الاستاذان آل عزيز ابو طاهر ومحمد يسف بمدريد.

والاساتذة محمد الفاسي وعبد السلام جبران واحمد العدوي ومحمد البكاري بباريس ، والاستاذ احمد محمد الكبير البكري بمرسيليا، والاستاذ محمد الشاتي بيوردو ، والاستاذ عبد الله الجراري بليون ، والاستاذ العبادي الحسن باستراسبوغ ، والاستاذان الحسين وجاج وعبد الله الجرسيفي بمدينة ليل ، والاستاذ مولاي مصطفى العلوي ببون .

والاستاذ حسن الزهراوي بدسلدورف ، والاستاذان عبد الرفيع البصري واحمد البودراري بامسطردام .

والاستاذ عبد الحي العمراني بروتردام ، والاستاذان محمد العبدلاوي والكنوني الوزاني ببروكسيل .

والاستاذ محمد سحنون بليج ببلجيكا .

* افتتح بمدينة الريصاني المهرجان الديني الكبير الذى نظم بمناسبة موسم مولاي على الشريف .. والمهرجان يخلد ذكرى تاسيس الدولة العلوية ... وبالمناسبة اقيمت صلاة الجمعة بمسجد مولاي علي الشريف ورتلت آيات بينات من الذكر الحكيم ، كما تليت الامداح النبوية ووزعت على المحتاجين والفقراء هبة ملكية قدمها صاحب الجلالة بهذه المناسبة الدينية الكبيرة .

وتعرض خطيب الجمعة الكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد عبد الرحمن الدكالي الذي كان ضمن الوفد الرسمي الذي حضر المهرجان الديني حيث تعرض المراحل التاريخية التي ظهرت على اثرها الدولة العلوية التي جاء مؤسسها من الجزيرة العربية بطلب من سكان سجلماسة وابرز كذلك التقدم الذي شهده المغرب فى العهد العلوي واستمرت المهرجانات الدينية الى ساعات متأخرة من الليل .

* نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ما يلي :

« ارسل المعهد مجموعة من مطبوعاته الى الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط ، المملكة المغربية ، وهي مؤسسة علمية قومية تؤدي اجل الخدمات للتراث العربي وللثقافة العربية بصورة عامة

وكان المعهد قد تلقى من محافظ الخزانة ، الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني هدية قيمة للمعهد تضم الكتب التالية :

1 ـ التبصرة والتذكرة لعبد الرحيم العراقي ثلاثة اجزاء .

2 ـ فواصل الجمان فى انباء وزراء الزمان لمحمد غريط .

3 ـ الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام لعباس ابراهيم المراكشي وهو فى خمسة اجزاء .

4 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ، وهو فى ثلاثة اجزاء .

5 ـ التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والاسانيد لابن عبد البر النمري فى جزئين .

6 ـ السقف لمحمد ابراهيم بوعلو .

* صدر للاستاذ الكبير عبد الله الجراري المفتش الاول بوزارة التعليم الجزء الاول من كتاب (من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا) وقد تناول المؤلف فى هذا الجزء تاريخ الرباط وسلا ، وامكنة التعليم والدراسة فيهما والكتاب القرآني وتعليم البنت تعلميا جديدا وحالة التعليم الحاضرة وازمة الكتاب المدرسي ، وموضوع يتعلق بكيفية تغلب الشعوب الحرة على مكافحة الامية الى غير ذلك من الابواب المفيدة الهامة .

وما زالت بعض الكتب للاستاذ تنتظر النشر كالجزء الاول من شعراء المغرب الاقصى وادبائه المعاصرين ، والمجالس الادبية (ومن اعلام الثقافة

والفكر) ، (وهذه مذكرتي فى جزئين) ، وجزء من المعجم القرآني احتوى خمسة أحرف : ص. ض. ه. و. ى. وعشرة إيام فى مراكش ، والتاليف ونهضة المغرب فى القرن العشرين فى مجلدين ، و « فتاوي » عامة فضمها وادبا وتاريخا فى جزئين . الخ .

* اتفقت هيئة الاذاعة البريطانية ، مع صديقنا الدكتور عبد الله العمراني على اذاعة حديث له عن « الشاعر الاسباني فديريكو غرسيا لوركا » فى برنامج (عالم الادب) الذي اذاعه القسم العربي يوم الجمعةعلى الساعة الخامسة والنصف مساء ، بتاريخ الاتفاق 30 \ 9 \ 1971 .

هذا وقرا حديث الدكتور العمراني نيابة عنه احد المذيعين بالقسم العربي التابع لهيئة الاذاعة البريطانية بلندن .

* صدر للاستاذ محمد داود الجزء السادس من تاريخ تطوان ، وبذلك يؤكد المؤرخ الاستاذ محمد داود استمراره فى بذل هذا المجهود العلمي الدائب الذي يهدف منه الى اغناء المكتبة الوطنية بمصادر دقيقة عن تاريخنا الوطني .

* صدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي كتاب « الرواية المغربية » الذي كتبه بالفرنسية الدكتور عبد الكبير الخطيبي .. وقد ترجم الكتاب الى العربية الاستاذ محمد برادة .

* نظم بالرباط ابتداء من 2 نونبر الذي يصادف يوم ذكرى وعد بلفور الى الخامسة منه مناظرة حول موضوع « القضية الفلسطينية فى أبعادها الفكرية » .

ونظمت هذه المناظرة بدعوة من اتحاد كتاب المغرب (فرع الرباط) ومشاركة الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطينية وحركة التحرير الوطني « فتح » (فرع المغرب) .

* صدرت فى الجزائر الطبعة الثانية بالفرنسية لكتاب « من المنغلق الى المنفتح » لمؤلفه الدكتور محمد عزيز الحبابي ، الاستاذ بالجامعة الجزائرية وقد تولت طبع الكتاب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع التي صدرت الكتاب بمقدمة أثنت فيها على مجهودات الدكتور الحبابي الثقافية فى ميدان توحيد المغرب العربي .

وكتاب « من المنغلق الى المنفتح » عبارة عن مجموعة احاديث فى موضوع الثقافة الوطنية والحضارة الانسانية فى افق شخصاني ، ويهدف المؤلف كما جاء فى نفس المقدمة الى اجراء حوار موسع بين الثقافات والاندماج فى الحضارة الحالية ، دون التنكر او الجحود.

الجزائر :

* أعلن السيد بوعلام بن حمودة وزير العدل الجزائري ان اللغة العربية حلت محل اللغة الفرنسية فى المحاكم الجزائرية .

وقال ان المحاكمات ستجري باللغة العربية فقط على ان تتبعها ترجمة بالفرنسية .

واضاف قائلا فى خطاب افتتح به العام القضائي الجديد فى حفل تراسه الرئيس هواري بومدين ان الوقت سيحين للاستغناء حتى عن الترجمات الفرنسية

وينسجم تصريحه هذا مع سياسة الحكومة التي تقضي بادخال اللغة العربية تدريجيا محل اللغة الفرنسية فى جميع مرافق الحياة فى الجزائر .

تونس :

* تقوم بتونس حركة نشيطة لمناصرة التعريب والدعوة اليه فى جميع المجالات ويهب انصار العربية من اساتذة وطلبة بنشر المقالات واصدار البيانات واقامة المنابر والمحاضرات ، وقد اقيم اسبوع ثقافي أطلق عليه اسبوع التعريب يلقي فيه اساتذة كبار محاضرات مركزة يعقبها نقاش صريح واضح مما يقيم الدليل على ان الاصالة العربية والاسلامية مكينة الجذور ثابتة الاصول لا يمكن لاحد ان يقتلها او يعبث بها .

* حسين احمد جفام اسس فى تونس دارا للنشر بعنوان : « الكتاب العربي » وقد صدر الكتاب الاول بعنوان « دراسات فى الادب العربي الحديث » للاديب المصري الدكتور عطية عامر فى 160 صفحة .

* صدر العدد الاول من السنة السابعة عشرة من مجلة « الفكر » التونسية خاصا بالدراسات الايرانية مشاركة من الشعب التونسي للشعب الايراني فى احتفاله بمرور 2 500 سنة على اعلان ملكه كروش لحقوق الانسان ، وقد تضمن العدد الدراسات الآتية :

بعض مؤثرات ايران القديمة فى فـن العمـارة بافريقية للاستاذ ابراهيم شبوح، ومساهمة فى التعريف بتزاوج والانغام العربية والفارسية وباهم مسالك الغناء للاستاذ احمد خالد واصول الطب العربي فى بلاد الفرس للاستاذ سليم عمار ، وابو عبد الله جعفـر بن محمد الرودكي رائد الغنائية فى الشعر الفارسي لعلي الشابي ونص منشور كورش .

※ قامت الرابطة الدولية للتنمية التابعة للبنـك الدولي بمنح تونس قرضا يبلـغ 4ر8 مليـون دولار لمساعدتها فى تمويل برنامجها الخاص بتنظيم الاسرة . ويهدف هذا المشروع ، على وجه الخصوص ، الى بناء مجموعة من المستشفيات والمستوصفات ليتسنى زيادة عدد السيدات اضعاف ما هو عليه فى الوقت الحالي .

وقد زاد عدد سكان تونس فى السنوات الاخيرة بمعدل 2ر8 ٪ سنويا وهي نسبة تعتبرها الحكومة التونسية مرتفعة مع وجود البرنامج الذي وضعته فى عام 1966 لتحديد النسل .

※ صدر عن نادي القصة فى تونس مجموعة قصص بعنوان : « مشموم الفل » للبشير خريف .

وصدر عن دار الكتب الشرقيـة مسرحيـة : « الفتنة لمصطفى الفارسي » .

※ عقدت اخيرا بتونس جمعيـة الجامعـات الاسلامية التى يراسها الاستاذ محمد الفاسي وزيـر الثقافة والتعليم الاصلي بالمغرب الاقصى سابقـا ، وشارك فيها من الجانب التونسي الدكتور الاستـاذ محمد الخطيب بلخوجة عميد الكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين ومن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وفد تحت رئاسة فضيلة الشيخ الامين العام للجامعة الاسلامية ، ومن الاردن فضيلة الشيخ عبد العزيـز خياط ، ومن سوريا الدكتور عبد الرحمن الصابوني ، عميد كلية الشريعة واتخذت الجمعية عـدة قرارات هامة فى دعم التعليم الاسلامي وتعميقه وتعصيره بالنسبة لعموم الجامعات والكليات الاسلامية .

※ تعمل « جمعية ابن منظور » التى اسسها فى مدينة قفصة الاديب التونسي الاستـاذ ابو القاسم محمد كرو على جمع وتحقيـق المؤلفـات المخطوطـة للعالم الكبير ابي الفضل محمد بن مكـرم بن علي بن احمد ، وينتهي نسبه الى رويفع بن ثابت الانصاري الخزرجـي من أصحـاب رسول الله (ص) (630 — 711 هـ) .

وكان قد اقيم ملتقى فى مدينة قفصة بتونس فى ابريل (نيسـان) الماضي اطلق عليه اسم « ملتقى ابن منظور » القيت فيه المحاضـرات عن التعريـف بابن منظور وآثاره وشارك فى هذا الملتقى والي قفصة ورئيس اللجنة الثقافيـة للحـزب ووزيـر الشؤون الثقافية والاخبار وعدد من رجالات الادب والعلم فى مقدمتهم مؤسس الجمعية الاستاذ ابو القاسم محمد كـرو .

واقيم معرض فى دار الشعب بمدينة قفصة ضم معروضات للتعريف بآثـار ابـن منظـور المطبوعـة والمخطوطة والمفقودة :

ومن آثار ابن منظور المطبوعة :

1 — لسان العرب ، وصدر فى طبعات مختلفة .

2 — مختار الاغاني وقد حققه معهـد المخطوطـات ونشر بالتعاون مع وزارة الثقافة فى جمهورية مصر العربية .

3 — اخبار ابي نواس .

4 — نثـار الازهـار .

اما آثار ابن منظور المخطوطة فهي :

1 — مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر .

2 — سرور النفس لمـدارك الحـواس الخمـس للتيفاشي ويطبع منـه الآن القسـم الخـاص بالاحجار فى دار الكتب المصرية .

3 — تهذيب الخواص من درة الغواص للحريري .

4 — مختصر مفردات ابن البيطار .

5 — مختصر الذخيرة لابن بسام

6 — مختصر الطبقات الكبير لابن سعد .

أما مؤلفاته المفقودة فهي :

1 — مختصر زهر الاداب للحصري .

2 — مختصر الحيوان للجاحظ .

3 — مختصر يتيمة الدهر للثعالبي .

4 — مختصر العقد الفريد لابن عبد ربه .

5 ـ مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

6 ـ مختصر ذيلـه لابن النجار .

7 ـ مختصر صفوة الصفوة لابن الجوزي .

وقد تقرر فى هذا الملتقى ان يجري الاحتفال فى كل سنة بواحد من امثـال ابن منظـور ممن صنعـوا تراثنا العربي الاسلامي الضخم ، للتعريف به وبآثاره.

افـريقيـا :

كينـيـا :

❊ عقدت الجمعية الاسلامية بممباسا اجتماعـا هاما فى قاعة المسلمين ودعت كبار الشخصيات الاسلامية ورجال الدعوة ورؤساء الجمعيات والهيئات الدينيـة الاسلامية التى حلتها حكومة تنزانيا منذ ثلاث سنوات الاجتماع هو دراسة موقف الاموال المتحجرة فى كل من حكومات شرقي افريقيا الثلاثة اي كينيـا وبوغنـدا وتنزانيا الاموال التي كانت تملكها جمعية الاسعـاف الاسلامية التى حلتها حكومة تنزانيا منذ ثلاث سنوات مضت ووزعت اموالها على حسب فروع هذه الجمعية .

وقد تقرر فى هذا الاجتماع الذي كان براسـه الدكتور محمد ران رئيس الجمعية الاسلامية تقـرر ارسال وفد الى وزير العدل المستر جونجو وشرحـه اهمية افراز اموال هذه الجمعية لصالح مسلمي كينيا الذين يعانون عدة مشاكل تجاه حركاتهم ومشاريعهـم الاسلاميـة .

❊ تم افتتاح مدرسة اسلامية والتى كلف بناؤها حوالي 75 الف شلنغ كيني ، وكان قد وضع حجـر اساس المدرسة فضيلة العالم العلامة السيد احمـد مشهور طه الحداد الداعية الاسلامي الكبير الذي شجع فروع بناء هذه المدرسة المسماة بمدرسة مفتاح الهدي الاسلامـي .

وقد حضر عدد كبير من المسلمين ومن بينهـم السيد العلامة سالم بن علوى الذي القى شعرا بهـذه المناسبة كما حضر الحفل العلامة السيد علي احمـد البـدوي .

❊ نيروبي ـ اجتمعت الجمعية الوطنية لاتحـاد مسلمي كينيا بمقرها العام نيروبي وكانت المواضيع التي نوقشت فى هذا الاجتماع البحث عن سبل التعاون مع باقي الهيئات الاسلامية فى البلاد وقد تقرر ارسـال الوفود الى جميع مدن كينيا وقراها والتحدث مـع المسؤولين حول هذا الشأن .

❊ جوهانسبرج ـ قرر نحو 20 الف مسلم التاؤر لبناء اكبر مسجد فى جنوب افريقيا وذلك فى ضاحية « ليناسيا » التي يقطنها الهنود فى جوهانسبرج .

وسيبدا العمل فى المشروع الذي ستبلغ نفقاته نحو ربع مليون جنيه استرليني فى اول يناير القادم .

❊ قامت شخصيات مسلمة من الداهومي بزيارة استغرقت اسبوعين للاتحاد السوفياتي وكان الوفـد يتالف من عباس تاج الدين نائب رئيس جمعية الشبيبة الاسلامية ، وبيرثاسيدي باراسو عضو الفرع النسائي للجمعية الداهومية للدفاع عن الاسلام، والحاج شاكبور معلم القرآن . وزار هؤلاء الضيوف بدعوة من المديرية الروحية لمسلمي آسيا وقازاحستان كلا من موسكـو وطشقند وسمرقند وبخارى ودوشنبى .

وقضى اعضاء الوفد يومين فى لينينغراد وهي من اكبر المراكز الصناعية والثقافية للاتحاد السوفياتي .

❊ عقدت جمعية الدعوة الاسلامية للكوكيويون فى ممباسا جلسة لها حيث ناقشت الاسباب التي جعلت الدعوة الاسلامية فى كينيا ضعيفة وضئيلة اذا قورنت بالحركات التي يقوم بها المسيحيون فى جميع انحـاء البلاد وقد تقرر مواصلة العمل والقيام بواجب مهمات شؤون الدعوة حتى النصر ونشر الدعوة الاسلامية فى كل منطقة من مناطق البلاد .

❊ قام وفد من كبار علماء الازهر برئاسة فضيلة الدكتور عبد الحكيم محمود وكيل الازهر بزيارة تسع دول افريقية للتعرف على احوال المسلمين وبحـث امكانية تدعيم التعاون الثقافي الاسلامي بين الازهـر وهذه الدول ، وصرح وكيل الازهر بان هـذه الزيارة استغرقت ثلاثة أسابيع ، وشملـت تشـاد ومالـي وموريطانيا وداهومي وتوجو والسنغال وسيراليـون والنيجر وفولتا العليا . نحن نتمنى ان تتوثق عـرى الاخوة بين العرب المسلمين واخوانهم الافارقة الذين يعيشون فى فراغ روحي وفكري .

دكـــار :

* ابلغ الرئيس السنغالي ليوبولد سنغور للصحفيين لدى وصوله مدينة نيس الفرنسية وهو فى طريقه الى ايران لحضور الاحتفالات هناك بمناسبة مرور 2500 عام على انشاء الامبراطورية الايرانية بانه قد قرر القيام بمهمة حساسة جدا تتعلق بالوضع فى الشرق الاوسط ورفض الرئيس سنغور الادلاء بشيء عن هذه المهمة .

لاجـــوس :

* يقوم عصمت عبد المجيد وزير الدولة المصري بجولة فى اربعة دول افريقية حاملا رسائل خاصة حول الموقف فى الشرق الاوسط هذه الدول هي : نيجيريا ، الكونغو (كينشاسا) الكاميرون السنغال .

وكان الوزير قد وصل لاجوس قادما من داكار بعد مقابلة الرئيس ليوبولد سنغور . ثم قابل الجنرال جوون رئيس نيجيريا

تشـــاد :

* خفت حكومة الفيصل عاهل المملكة السعودية لمواساة ضحايا الكوليرا فى تشاد فبعثت بواسطة الهلال الاحمر السعودي مبلغ خمسة آلاف جنيه استرليني الى تشاد .

* زار الوفد الاسلامي من جمهورية تشاد بلدان الاتحاد السوفياتي وذلك بدعوة من الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وكان الوفد يضم الشيخ موسى ابراهيم الامام الكبير فى الجمهورية والشيخ آدم برخ مدرس العلوم الدينية فى الجامعة .

وقد زار الضيوف مدن موسكو وطشقند وسمرقند ودوشنبه حيث اطلعوا على حياة المسلمين، كما زاروا المساجد العديدة .

واعرب الضيوف من جمهورية تشاد عن ارتياحهم لحياة المسلمين واعجابهم بما انجزه المسلمون السوفيات من النجاحات فى الاقتصاد والثقافة كما اكدوا قائلين ان جمهورية آسيا الوسطى تتطور اقتصاديا وثقافيا تطورا سريعا وانه تقام هنا مصانع ضخمة وتستصلح الاراضي الشاسعة .

الصـــومـــال :

* وافقت الرابطة الدولية للتنمية وهي فرع للبنك الداولي ، على اقراض الصومال مبلغ 000 300 3 دولار لمساعدته فى تطوير نظام تعليمه .

وهذا القرض الذي منح لمدة خمسين عاما سيسمح بانشاء وتجهيز المباني الجديدة للمركز القومي للتدريب البيداجوجي ، وهو المؤسسة الصومالية الوحيدة التي تقوم بتدريب وتكوين المدرسين ، كما سيساهم فى اقامة واعداد ثماني وحدات متنقلة للتدريب المهني الزراعي .

وقد تم اختيار واعداد هذه المشروعات بمعاونة اليونسكو .

ممبـــاســـا :

* اعترف الرئيس جوموكينياتا رئيس جمهورية كينيا امام ما يقرب عن 000 5 من المسلمين الكينيين الذين تجمعوا فى مسيرة كبيرة يقودهم فضيلة الشيخ عبد الله صالح الفارسي رئيس القضاة بجمهورية كينيا وزعماء المسلمين الذين قدموا من جميع انحاء الجمهورية لهذا الفرض بعيد الفطر المبارك وانه عيد رسمي لكينيا.

وقد استقبل جوموكينياتا فى مقره بممباسا جموع المسلمين ، كما تقدم صاحب الفضيلة رئيس القضاة والقى كلمة جمعت فيها مطالب المسلمين التي تتمشى مع عقائدهم وعباداتهم واحوالهم الشخصية مع اظهار ولاء المسلمين للزعيم الكيني وحكومته .

ثم قام الرئيس جوموكينياتا واجاب على كلمة رئيس القضاة كما انه اعترف بالاسلام بانه دين سماوي وانه دين حق ، وصرح قائلا بان المسلمين جزء من هذا الوطن ولا بد لنا جميعا احترامهم واحترام دينهم .

ودعا الزعيم الكيني المسلمين بالاشتراك مع المواطنين الآخرين فى بناء وطنهم والانضمام فى جميع مرافق الحياة حتى لا يختلفوا عن حقوقهم .

وفى نهاية الجلسة التي استمرت حوالي ساعة صرح الرئيس الكيني بان عيد الفطر المبارك سوف يعتبر من الآن فصاعدا عيدا رسميا وطنيا تعطل فيه جميع الدواوين والمدارس ويكون هذا العيد عيدا للكينيين جميعا .

وفى اليوم التالي نشرت جميع صحف كينيا المحلية ومحطات الاذاعة والتلفزيون هذا النبا .

جنوب افريقيا :

❋ دعا علماء المسلمين فى بورت اليزابيث رئيس حكومة جنوب افريقيا لضمان سلامة المساجد الاسلامية من الحريق واعمال الفوضى .

وقد جاءت هذه الدعوة بعد ان تعرضت المساجد فى كل من سمونزتاون وكليرمونت وكبتاون لحرائق واعمال تحقير واهانة على يد عصابات مجهولة .

❋ يقع هذه الايام فى جنوب افريقيا من اعمال التخريب ضد المسلمين بايعاز ودعم من العناصر الصهيونية المبثوثة فى أجهزة الحكم العنصري الاستعماري ، ولكن مكتب علماء المسلمين فى « بروت اليزابيث » بجنوب افريقيا اعلن أن برقيات قد ارسلت الى « جون فورستر » رئيس وزراء جنوب افريقيا والى الحاكم الاداري لمقاطعة « الكاب » تناشدهما توقير مساجد المسلمين ضد عمليات الحرق والتخريب التى تتعرض لها .

وتقول جريدة « الدعوة » السعودية نقلا عن مصادر موثوقة ان رابطة علماء المسلمين فى جنوب افريقيا ستدعو الى عقد اجتماع طارىء لجميع المسلمين هناك على عجل لبحث موضوع تدنيس الاماكن المقدسة الخاصة بالمسلمين .

وتضيف الجريدة ان اعمال التخريب التي تعرضت لها المساجد فى مدن « كيب تاون » و « سيمونزتاون » و « كلاريمونت وبارل » قد حدت بزعماء المسلمين الى اتخاذ هذه الخطوة . ونشير من جهتنا ان ما نشرته (الدعوة) لا يمثل الصورة الكاملة لما يدور فى جنوب افريقيا العنصرية ، وان هناك حقائق كثيرة ينتظر الكشف عنها . ورغم محنة المسلمين هناك ذات الجذور التاريخية فلم لم نسمع عن منظمة اسلامية تبادر باتخاذ خطوة عملية لرفع الحيف عن اخواننا فى الدين ؟؟

مصر :

❋ تلقى قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بالانابة رسالة خاصة من الاستاذ الدكتور شكري فيصل، استاذ كرسي الادب العربي فى كلية الآداب ، جامعة دمشق ، يحيى فيها المعهد ونشرته ، قال فيها :

« تلقيت العدد الاول والثاني من نشرة معهدكم: اخبار التراث العربي وأسعدني عملكم ايما اسعاد ، لاني وجدت منه تحقيقا لامرين اثنين :

أولهما عقد هذه الصلات التي اوشكت ان ترث بين العاملين فى هذا الميدان وارساء قاعدة طيبة للتعاون بينهم .

والآخر كشف هذه الحجب التي كانت تعترض العاملين وتقيم بينهم هذه الحدود من الجهالات أو المسافات .

ان عملكم جهد محمود تبتعثه خلفية كريمة ويسيره نهج سليم وتقوده غاية كريمة فى مبدا اختصار الجهود او تجميعها فى ميدان التراث .

لقد وجدتكم فى دعوتكم فى العدد الاول وكانما تتحدثون الى كل واحد من هؤلاء العاملين ، وكانما تعقدون بينكم وبينهم الصلات وتشعرونهم فى كثير من الود انهم ليسوا وحدهم فى هذه الارض القفر ، وتفرشون لهم اجنحة المعهد ، وهي اجنحة نرجو ان تشتد منها الخوافي والقوادم ، عن رضا وحب وطمانينة » .

❋ سوف تصدر الطبعة الثانية لكل من كتابي اصلاح المنطق لابن السكيت ، وجمهرة انساب العرب لابن حزم وكلاهما بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون.

❋ اصدر الرئيس المصري انور السادات قرارا بانشاء أكاديمية البحث العلمي والتكنلوجيا تتبع ريس مجلس الوزراء وصدر قرار بتعيين الدكتور مصطفى كمال طلبة مديرا للاكاديمية بدرجة وزير .

كما اصدر الرئيس المصري قرارا بانشاء مجلس يسمى « المجلس الاعلى للرياضة » ويتبع رئيس مجلس الوزراء .

كما صدر قرار بتعيين السيد عبد المنعم وهبة رئيسا للمجلس الاعلى للرياضة . وصدر قرار بتعيين الدكتور اسماعيل غانم مدير الجامعة عين شمس مع الاحتفاظ بمرتبته وبدل التمثيل الذي يتقاضاه حاليا بصفة شخصية ، والدكتور حسن محمد اسماعيل

وكيل جامعة القاهرة لشؤون الدراسات العليا للبحوث مديرا لهذه الجامعة .

* عين الدكتور شحاتة آدم مديرا عاما لمركـز تسجيل الآثار بالقاهرة كما عين علي كحيل مديرا عاما لدار الكتب والوثائق القومية .

* اقيمت حفلة تكريم للدكتورة سهير القلماوي على ظهر الباخرة ايزيس الراسية فى نيل القاهـرة بمناسبة بلوغها سن المعاش حضرها الدكتور اسماعيل غانم وزير الثقافة . الدكتورة سهير كانت تشغل منصب رئاسة مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للتاليـف والنشـر .

* نوقشت فى كلية آداب جامعة القاهرة رسالة الماجستير فى الصحافة المقدمة من محمد فريد عزت المحرر بوكالة انباء الشرق الاوسط وموضوعها «جريدة الكشكول المصور» .

* منح احمد الهواري بالعلاقات العامة بجامعـة القاهرة درجة الماجستير بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف الاولى عن الرسالة التي قدمها لكليـة الاداب بجامعة القاهرة بعنوان «البطل المعاصر» فى الروايـة المصرية الحديثة» .

* صدر عن دار المعارف بمصر «الطبيعة عند ابن سينا» للدكتور محمد عاطف العراقي فى 430 صفحة. وهو دراسة يقدم فيها المؤلف تفسيرا ذاتيا وتأويـلا جديدا وتحليلا نقديا لجوانب الفلسفة الطبيعية عنـد ابن سينا ويقارن بينها وبين الفلسفـات المعاصـرة والسابقة والتالية عليها حتى القرن العشرين .

* ثلاثة آلاف مصطلح للمسرح معربة الى العربية قدمها محمود تيمور وزكي طليمات وشكري راغب الى المجمع اللغوي بالقاهرة للموافقة عليها وطبعها ضمـن اعمال المجمع فى الدورة المقبلة التي تبدأ فى اكتوبر .

* ناقشت كلية آداب جامعة عين شمس رسالة الدكتوراه التي قدمها محمود رجب الفايدي فى موضوع «فلسفة المنهج الظاهري» .

* رشح مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين الحصول على جائزة نوبل للسلام لعام 1972 .

وكانت لجنة نوبل فى البرلمان السويدي قد بعثت بخطاب رسمي الى وزارة الخارجية تطلب فيه ترشيح احد المفكرين المصريين البارزين للجائزة ومن ثم حولت الوزارة الخطاب الى المجمع اللغوي لترشيح من يراه اهلا لذلك ...

وقد رشح طه حسين نظرا لمكانته الادبية والفكرية التي جاوزت حدود مصر الى المجتمع الدولي كله وهذه أول مرة يرشح فيها مصري لجائزة نوبل للسلام ، اما جائزة نوبل للآداب فقد سبق ان رشح لها الدكتـور توفيق الحكيم .

وذكرت صحيفة الاهرام انه من المقرر ان يرسل المجمع خطابا بترشيح الدكتـور طـه حسيـن الى وزارة الخارجية ليحضر لجنة نوبل فى السويد .

وذكرت جريدة الاهرام ان الترشيح كان بناء على رسالة بعثت بها اللجنة المكلفة بالجائزة لدى البرلمان السويدي .. والتي طلبت فيها من وزير الخارجيـة المصري ان يختار المرشحين للجائزة .

* ناقش الاستاذ محمد عبد القـادر أحمـد السكرتير الثالث بالادارة الثقافية بجامعـة الـدول العربية رسالته فى الدكتوراه موضوعها : «أبو زيـد الانصاري وآراؤه اللغوية» وقد نالها بمرتبة الشرف الاولـى .

* صدر اخيرا فى القاهرة كتابان عن المجلـس الاعلى للشؤون الاسلامية وهما الجزء الاول من كتاب الاستذكار لمذاهب فقهاء الانصار لابن عبد البر النمري القرطبي ، والجزء الاول من كتاب تأويلات اهل السنة لابي منصور الماتريدي .

* كان آخر ما يفكر فيه الاديب المصري الراحل محمد عبد الحليم عبد الله هو عنوان الرواية التـي يكتبها . انها رواية لم تتم اختطفه الموت قبل ان يصل بها الى النهاية . وهكذا صدرت آخر اعماله الروائيـة تحمل عنوان «قصة لم تتم» تتصدرها دراسة كتبها المستشرق الاب الدومنكي جوران موتو عن دور عبد الحليم عبد الله فى الرواية العربيـة تليها مقدمة كتبهـا صديقه يوسف الشاروني . وهي الرواية رقم 13 فى حياة عبد الحليم عبد الله .

❊ نوقشت فى كلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من الطالب السوداني صالح سوار الذهب وموضوعها « النثر الفني فى السودان وتطوره منذ نشاته حتى الحرب العالمية الثانية » .

❊ صدر عن دار الفكر الحديث فى القاهرة كتاب « الحضارة والحرية » للباحث اميل توفيق تقديم احمد خاكي الذي تحدث فى المقدمة عن « القومية والحضارة » ومما يذكر ان أكثر فصول الكتاب نشرها المؤلف فى « الاديب » وقد نوه بذلك فى المقدمة .

❊ نوقشت بكلية التربية فى جامعة عين شمس رسالة الماجستير المقدمة من علاء الدين كفافي وموضوعها « العلاقة بين التسلطية وبعض متغيرات الشخصية » .

❊ يعقد فى شهر ديسمبر القادم بمدينة بولوفيا فى ايطاليا مؤتمر دولي للعدل والسلام فى الشرق الاوسط تدعى اليه المنظمات الشعبية والاحزاب السياسية وكبار الشخصيات من مختلف أنحاء العالم.

هذا وقد تم تشكيل لجنة تحضيرية لهذا المؤتمر اجتمعت يومي 16 و 17 اكتوبر الماضي فى مدينة بولوفيا لبحث ترتيبات هذا المؤتمر .

وتضم هذه اللجنة بعض كبار الكتاب الانجليز .. والايطاليين .. والفرنسيين .. وممثلي الحركات السياسية فى أوربا وبعض الاحزاب السياسية فى ايطاليا وممثلين عن اتحاد العمال العرب وبعض الشخصيات السياسية .

❊ اول قصة كتبها محمود تيمور فى مطلع العشرينات وعنوانها « ابو علي عامل ارتست » وقد صور فيها شخصية المثل القديم علي طبنجات ، تقدمها الاذاعة المصرية فى تمثيلية اخرجها يوسف حجازي .

❊ يصدر قريبا فى القاهرة عن نادي الادباء الاسماعيلية ديوان الشاعر عبد الكريم رجب الاول « الليل والذكرى » وديوان الشاعر سناء الحمد محمد بدوي الاول « ناسجة الثوب الاخضر » الشاعران من أبناء الاسكندرية .

❊ انتهى الشاعر المصري حسين علي محمد من اعداد دراسته عن « الشاعر والقضية دراسة فى شعر : السيد الحميري وتميم بن المعز لدين الله الفاطمي وتوفيق زياد » الدراسة استغرقت اكثر من سنتين .

❊ علية علي فرج المدرسة بمعهد معلمات الرمل بالاسكندرية حصلت على الدكتوراه من كلية التربية بجامعة عين شمس عن « التعليم الجامعي واثره فى التطور الثقافي بالدول العربية » .

❊ عين الدكتور محمود الشنيطي رئيسا للهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر وهو المركز الذي كانت تشغله الدكتوره سهيرالقلماوي قبل انتحال الى المعاش . الدكتور الشنيطي كان وكيلا لوزارة الثقافة لشؤون دار الكتب ومشرفا على اكاديمية الفنون .

❊ نوقشت بالمعهد العالي للتربية الموسيقية بالزمالك بالقاهرة الرسالة المقدمة من السيدة عفاف عبد الحميد حلمي المدرسة بالمعهد لنيل دبلوم الدراسات العليا . موضوع الرسالة « وسائل الايضاح الموسيقية للمرحلة الاولى » .

❊ صدر فى القاهرة كتاب « غراميات العقاد » لعامر العقاد ويضم رسائل وصورا للمحبوبات اللائي عرفهن العقاد ، ويناقش المؤلف اراء العقاد فى فلسفة الجمال وقصائد الغزل التي ضمتها دواوينه الشعرية.

❊ ورثة عباس محمود العقاد اقاموا دعوى مستعجلة على دار المعارف بمصر لانها نشرت كتاب « الصديقة بنت الصديق » للعقاد بعد ان حذفت منه بعض الفصول .

❊ تقرر الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين ومن بينهم الاخوان المسلمون ، كما تقرر السماح للذين يوجدون فى الخارج بالعودة الى البلاد، ومنحهم جوازات سفر مصرية جديدة .

❊ نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس رسالة الدكتوراه المقدمة من محمد عبد المنعم يونس مدير المركز الثقافي للدبلوماسيين الاجانب بالقاهرة . موضوع الرسالة « سيراليون من الاستعمار الى الاستقلال » .

※ مجلس الفنون بالقاهرة يقوم الان بطبع أول كتاب عن اللعب الشعبية للاطفال فى محافظات مصر ، يضم ابحاث عدد من الدارسين فى مجال الفنون الشعبية .

※ صدرت فى القاهرة الكتب التالية : حرية الدفاع للمستشار طه ابو الخير . مع الموسيقى للدكتور فؤاد زكرياء 188 صفحة . ضرورة الفن لارنست فيشر ترجمة اسعد حليم ، 298 صفحة . التطور فى الفن لتوماس مونرو ترجمة محمد علي ابو دره ولويس اسكندر وعبد العزيز جاويد 521 صفحة . الوادي السعيد او الراس ايلاس امير الحبشة ترجمة الدكتور لويس عوض . الحكم الترمذي ونظريته فى الولاية ، الجزء الاول للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة . ليبيا قبل الاحتلال الايطالي 1882 – 1911 للدكتور احمد صدقي الدجاني . نفوس ودروس فى اطار التصوير القرآني لتوفيق محمد سبع . قطر الندى طبعة جديدة لمحمد سعيد العريان . يسقط الحائط الرابع لانيس منصور . طريقك الى الجامعة لفاروق فهمي . طريق العذاب لانيس منصور . هدى وذكرى لعلي الجندي . احب ان اقول لا مجموعة شعرية لحسن توفيق . المجتمع الاسلامي والغرب لهاملتون جب وهارولد برون ترجمة الدكتور عبد الرحيم مصطفى . حكايات عن الحب لزينب صدقي . السفينة الذهبية لمحمود البدوي . الاثار النبوية لأحمد تيمور باشا . يوميات فنان فى باريس لفتوح نشاطي . بيت من لحم مجموعة قصص للدكتور يوسف ادريس . مع الضمير الانساني فى مسيره ومصيره لخالد محمد خالد .

※ افرج فى القاهرة خلال المدة الاخيرة عن الاستاذ محمد عبد الله السمان احد دعاة ومفكري الاسلام المعاصرين وذلك ضمن حملة السراح للمعتقلين السياسيين فى مصر . وكان الاستاذ السمان قد لبث بالسجن ازيد من 6 سنوات . وهو كاتب غزير الانتاج له عشرات المؤلفات القيمة فى الدعوة والفكر الاسلامي .

※ اخبرت وكالة الشرق الاوسط للانباء ان السلطات الليبية اوقعت امريكيين وبلجيكي ولبناني كانوا قدموا الى ليبيا على متن سيارة خاصة واتهمتهم بتوزيع مناشير دينية خفية وقد فتح تحقيق بشأنهم .

※ سينعقد فى شهر نوفمبر القادم بالقاهرة اجتماع لاتحاد المجامع اللغوية والعلمية لعربية بهدف توحيد العمل وتنسيقه وسيكون هذا الاجتماع نواة لاجتماعات تتوالى فى كل من دمشق وبغداد بعد ذلك .

وتجري الان اتصالات بين المجامع العربية فى كل من دمشق والقاهرة على مستويات لتحديد المواعيد التي ستتم فيها هذه اللقاءات : وفى هذا الشأن صرح السيد حسني سبح رئيس المجمع بدمشق يقول : ان الاتصالات تهىء لاجتماع ينتظر ان يتم خلال هذه الايام القادمة لمناقشة توحيد المصطلحات القانونية المستعملة فى البلاد العربية .. وتحدث الدكتور سبح ايضا فى معرض تصريحه عن النظام الاسلامي لاتحاد المجامع الذي وافقت عليه حكومة الجمهورية العربية السورية يوم 27 سبتمبر الماضي والذي سينبثق عنه اتحاد له كيان ويكون مقره القاهرة وسيضم كل المجامع اللغوية والعلمية والهيئات المنبثقة عنها فى الاقطار العربية .. ومضى الدكتور سبح يقول ان مجلس الاتحاد سيتألف من اعضاء المجامع الاخرى بحيث يمثل كل مجمع او هيئة عضوين يختارون من بين الصفوة فى كل مجمع لمدة اربع سنوات ، وهي مدة قابلة للتجديد .

※ اعلن ان الجامعة العربية ستنظم حلقة دراسية فى العاصمة السودانية فى يناير القادم للبحث فى مشاكل البيئة البشرية فى المنطقة .

وقال السيد صلاح دسوقي وهو احد كبار مستشاري السكرتير العام لمؤتمر الامم المتحدة حول البيئة البشرية فى مؤتمر صحفي فى بيروت ان هذه الحلقة سيعقبها اجتماع آخر فى الخرطوم باشراف الجامعة العربية لاعداد الوفود العربية الى مؤتمر الامم المتحدة حول البيئة البشرية المقرر عقده فى ستكهلم فى يونيو القادم .

واضاف يقول ان الجامعة العربية تدرس كذلك موضوع اقامة مؤسسة اقليمية لتقديم النصح الى الحكومات العربية بصدد مشاكل البيئة واعداد خطط العمل بهذا الشأن .

※ افادت وكالة الشرق الاوسط للانباء ان المجلس الاعلى للشئون الاسلامية اهدى مكتبة اسلامية ضخمة الى جمعية المحافظة على القرآن الكريم بتونس والهيئات الاسلامية فى كل من زمبيا وغانا ، كما اهدى

الجاليات الاسلامية في جمهوريات سلفادور ونيكاراغوا وهندوراس وكوستاريكا وغواتيمالا في أمريكا اللاتينية مجموعة كبيرة من الكتب الاسلامية مترجمة الى اللغات الفرنسية والاسبانية والانجليزية .

وصرح السيد محمد توفيق عويضة الامين العام للمجلس بأن المجلس يبحث حاليا وسائل تدعيم التعاون الثقافي الاسلامي بين مصر ودول منطقة الكاريبي . وقال انه تقرر منح الهيئات الاسلامية في هذه الدول عشر منح دراسية لتعميم ابنائها اللغة العربية والثقافة الاسلامية ابتداء من السنة الدراسية القادمة .

واضاف ان المجلس سيتعاون مع مؤتمر الدعوة الاسلامية بطرابلس الغرب قصد نشر الثقافة الاسلامية في افريقيا وآسيا .

سوريا :

※ (الوليمة) مجموعة قصص جديدة لأسكندر لوقا اصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق في 100 صفحة وهي الكتاب 12 الذي يصدر للمؤلف .

※ الشاعر السوري على الزيبق انتهى من تأليف ملحمة جديدة بعنوان (النبي) ينتظر صدورها في بيروت قريبا .

※ صدر حديثا عن دار مجلة الثقافة بدمشق كتاب (ثلج على قبر) لعبد المعين ملوحي و (اشراقات خارج جدار الزمن) مجموعة شعرية لعبد الاله يحيى. كما يصدر قريبا عن الدار المذكورة (عمر أبو ريشة : اطلالة وقطوف) لمصطفى عكرمة و (نزيف الاحزان مجموعة شعرية لمأمون مورللي .

※ توفي في دمشق العلامة الحلبي الدكتور سامي الدهان عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وصاحب المؤلفات والبحوث العديدة ، وقد نقل جثمانه الى حلب حيث دفن فيها . رحمه الله .

وللدكتور سامي الدهان كتب عديدة ما بين تأليف وتحقيق وتعليق .

فمن تأليفه : محمد كرد علي حياته وآثاره ، وشاعر الشعب حافظ ابراهيم، والغزل من فنون الادب العربي ، والوصف من فنون الادب العربي ، والمديح من فنون الادب العربي، والهجاء من فنون الادب العربي، وعبد الرحمن الكواكبي ، وشكيب ارسلان ، وجان جاك روسو ، والامير شكيب ارسلان حياته وآثاره ، والشعر الحديث في الاقليم السوري ، والناصر صلاح الدين الايوبي ، وقدماء ومعاصرون تراجم وسير ، والمرجع في تدريس اللغة العربية ، ودرب الشكوك . .

ومن تحقيقاته وتعليقاته : ديوان أبي فراس الحمداني في ثلاثة اجزاء ، وكتاب السياسة للوزير المغربي ، وديوان الواواء الدمشقي ، وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، وطبقات الحنابلة لابن رجب الدمشقي ، والاعلاق الخطيرة (مدينة دمشق) لابن شداد ، والتحف والهدايا للخالدين ، وشرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ، ورسالة بن فضلان، والاعلاق الخطيرة (فلسطين والاردن ولبنان) لابن شداد .

وكان الدكتور المرحوم سامي الدهان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، كما كان عاش في المغرب استاذا جامعيا .

※ ستصدر الكتب التالية عن المجمع العلمي في دمشق :

1 ـ المجلدة الثالثة من تاريخ ابن عساكر بتحقيق السيدة ملك هنانو .

2 ـ فهارس الكتب المخطوطة بالمكتبة الظاهرية ـ قسم اللغة من تصنيف السيدة أسماء الحمصي.

3 ـ سفر السعادة للفيروزابادي في مجلدين .

4 ـ فهارس المخطوطات بالمكتبة الظاهرية ـ الفقه الحنفي ـ تصنيف مطيع الحافظ .

5 ـ فهارس مخطوطات التاريخ تصنيف خالد الريان

6 ـ رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الى الحجاز ، بتحقيق الدكتور عارف النكدي .

※ اصدر الاستاذ الكبير سامي الكيالي ، صاحب مجلة « الحديث » الحلبية كتابا جديدا بعنوان « مخطوطات حلب » .

والاستاذ الكيالي من كبار ادباء العرب وكتابهم ، قدم آثارا قيمة للمكتبة العربية وهو عضو في المجمع اللغوي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة .

وكتابه « مخطوطات حلب » يعد اسهاما قيما فى التعريف بكتب التراث العربي والحث على احيائها ونشرها .

❋ جاء فى مجلة « الضاد » الحلبية الغراء . ان الشاعر المبدع والطبيب الدكتور سليمان داود . الاختصاصي فى جراحة العظام والمفاصل ، قد انشا بالاشتراك مع عدد من ادباء العرب ، رابطة سميت « جامعة الادب العربي فى امريكا الشمالية وكندا » ضمت جمهرة من خيرة ادباء العرب فى المهجر منهم : الخور اسقف ، منصور اسطفان ، والسيدة نجلا ابي اللمع معلوف ، والشعراء رشيد الخوري ، ونبيه روحانا ونعمة الحاج ، وجليل عساف ، والكتاب : عبد الله بري ، وامين زيدان ، وانيس بقله ، وميخائيل درويش وفوزي جعفر ، وعازر داود ، وكريم مارون الحلبي .

وسيصدر الاستاذ عبد الله يوركي حلاق ، عددا خاصا من مجلته « الضاد » يتولى تحريره اعضاء هذه الرابطة الادبية الجديدة .

❋ الفنان الحلبي فاتح المدرس حاز على الدبلوم العالي من المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة بباريس المعروفة باسم «بوزار» وكان موضوع اطروحته عن الفن العربي قبل الاسلام فى جنوب الجزيرة العربية.

❋ صدر فى منشورات وزارة الثقافة بدمشق كتاب « مع نجيب محفوظ : رؤية لادب هذا الكتاب العربي » تأليف احمد محمد عطية .

الاردن :

❋ ستفتح اربع مدارس جديدة ابوابها فى الاردن مع مطلع الشهر القادم ، وهي المدارس التي انشئت بفضل المعونة المالية البالغ قدرها 000 370 دولار التي قدمتها مؤسسة « ردا بارنن » السويدية لمساعدة الطفولة . وخصصت هذه المؤسسة كذلك مبلغ 500 75 دولار لتغطية مصاريف تشغيل احدى هذه المدارس وهي مدرسة البنات فى عمان طوال العام الدراسي 1971 – 1972 .

وتعتبر هذه البادرة الطيبة اجابة فعلية للنداء الذي وجهه فى اوائل هذا العام السيد رينيه ماهو المدير العام لليونسكو لصالح برنامج تعليم اللاجئين الفلسطينيين الشبان وهو البرنامج الذي تنهض به الاونروا بمعاونة اليونيسكو .

❋ يعقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية اجتماعا فى اواخر شهر نوفمبر القادم بالقاهرة لوضع خطة لاجتماع آخر يعقد فى دمشق فى ربيع العام القادم واجتماع ثالث يعقد ببغداد فى خريف العام نفسه. وقال الدكتور حسن سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ان الاتصالات جارية بين المجمع والامين العام لاتحاد المجامع العلمية اللغوية بالقاهرة لتحديد الموعد النهائي لعقد هذا الاجتماع الذي كان مقررا عقده من قبل فى منتصف الشهر الحالي بدمشق .

واضاف ان مجلس الاتحاد سيناقش فى اجتماعه القادم المصطلحات القانونية المستعملة فى البلاد العربية بعد ان تكون اللجان المختصة قد فرغت من بحثها ، وقال انه من المنتظر ان يبت خلال الاسبوع الحالي فى تحديد موعد عقد هذا الاجتماع .

وتحدث الدكتور سبح عن النظام الاساسي لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الذي اقره مجلس وزراء الج . السورية يوم 27 شتنبر الماضي فأوضح ان النظام يتضمن خمس عشرة مادة نصت على ان ينشأ لهذه المجامع اتحاد له شخصية معنوية مستقلة ويكون مقره مدينة القاهرة ويضم فى عضويته كلا من مجامع اللغة العربية فى دمشق والقاهرة وبغداد بالاضافة الى كل مجمع لغوي علمي تقيمه دولة عربية مستقلة ويوافق مجلس الاتحاد عليه ، وذكر ان النظام قد حدد أهداف الاتحاد فى تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها فى المسائل المتعلقة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي وكذلك العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

❋ انهت وزارة الاوقاف السورية اصلاحات واسعة على ضريح صلاح الدين الايوبي ، استهدفت الاصلاحات جعل الضريح لائقا بمكانة البطل التاريخي وملائما لاستقبال كبار زوار العاصمة السورية الذين يحرصون على زيارة الضريح ، ويقع الضريح فى احدى المقابر الاسلامية الخاصة خلف المسجد الاموي الكبير بقلب العاصمة السورية .

* نشرت جريدة اخبار العالم الاسلامي التي تصدر عن رابطة العالم الاسلامي بمكة فى احد اعدادها الاخيرة خبرا بارزا عن طبعة محرفة للمصحف الشريف نشرت بدمشق .

وتقول الجريدة ان مكتبة محمد هاشم الكتبي فى دمشق طبعت مصحفا شريفا باسم « تفسير الجنة » وقد وردت فيه اخطاء عدة فى الآيات الكريمة وفى الطباعة .

وتضيف الجريدة ان المصحف المحرف منع تداوله فى الاردن من قبل وزارة الاوقاف الاردنية ، ولم تشر الجريدة الى جهات اخرى صودر فيها المصحف ذاته .

* وجه اتحاد الادباء العرب بسورية الدعوة الى عدد من الادباء العالميين لحضور مؤتمر الادباء العرب الثامن الذي سوف يعقد فى دمشق يوم 27 اكتوبر الحالي .

سيحضر المؤتمر « شولوخوف » الروائي السوفياتي و « لويس اراغون » الشاعر الفرنسي و « بابلو نيرود » الشاعر الشيلي و « لبرتو مورافيا » الروائي الايطالي ، و « جاك بيرك » المفكر الفرنسي .

* صدر للاديب السوري الاستاذ احمد قيش كتاب يحمل اسم تاريخ الشعر العربي المعاصر ، فى 820 صفحة من الحجم الكبير ، وهو يترجم لمجموعة كبيرة من الشعراء العرب من جميع الاقطار ، وخاصة المغرب العربي ، وقد عكف المؤلف ما يقرب من خمس سنوات على الاشتغال بكتابه هذا . ومما يذكر ان مدير هذه الصحيفة امده بعدة دواوين لشعراء مغاربة .

* ابلغت رابطة المغتربين فى دمشق الحكومة انها بصدد تاليف كتاب جديد باللغة العربية يسهم فى تاريخ المغتربين ليكون اضخم موسوعة فى الوطن العربي ، شاملة موجزة لتاريخ حياة الرجالات العرب اللامعين الموجودين فى الوطن العربي والمهجر .

وابلغت الرابطة الحكومة انها خصصت خمسين صفحة من هذا الكتاب للحديث عن المملكة الاردنية الهاشمية .

بيروت :

* يقوم الاستاذ رضوان السيد سكرتير تحرير مجلة الفكر الاسلامي فى بيروت بتحقيق كتاب «الأوائل» لابي هلال العسكري ، وسوف يقدمه قريبا الى المطبعة.

* وفى بيروت اصدر المكتب التجاري بعض كتب التراث ، منها ديوان علي بن الجهم تحقيق خليل مردم بك ، وشفاء السقام فى زيارة خير الانام لتقي الدين السبكي .

* اصدرت الشركة اللبنانية للكتاب فى بيروت الجزء الاول من ديوان (ابي نواس) تحقيق وتقديم فوزي عطوي فى 208 صفحات حجم كبير .

* صدر عن المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع فى سلسلة (ذخائر التراث العربي) (كتاب الجغرافيا) لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي . حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي فى 624 صفحة ، حجم كبير .

* « شعب صامد » مسرحية شعرية تحكي قصة فلسطين منذ البداية للشاعر الفلسطيني الشاب احمد عبد العزيز حنون ، وتقع فى 300 صفحة من منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .

* طرابلس — اتهم المؤتمر السادس للآثار العربية اسرائيل بتدمير الممتلكات الثقافية الاسلامية والمسيحية فى الاراضي العربية المحتلة .

وقد جاء ذلك فى قرار اتخذه المؤتمر عند اختتام اجتماعاته فى طرابلس التى بدات فى الثامن عشر من سبتمبر المنصرم .

وقال المؤتمر ان اسرائيل تسعى الى مسح الاثار الثقافية العربية . وقال ان الدليل على ذلك هو قيام اسرائيل بحرق المسجد الاقصى المبارك فى القدس فى اغسطس من عام 1969 والاجراءات الهادفة الى تدمير احياء السكن العربية حول المسجد بالاضافة الى اعمال الحفريات فى الاراضي المحتلة .

وقال المؤتمر ان اسرائيل بعملها هذا تجاهلت الاتفاقيات الدولية والقرارات التي اتخذتها الهيئات العالمية والتي تدعو الى وقف مثل هذه الاجراءات .

※ افتتحت في بيروت حلقة للخبراء العرب تستهدف توحيد أسماء المواقع الجغرافية في البلاد العربية .

وقد حضر جلسة افتتاح الحلقة المقرر ان تستمر اعمالها حتى نهاية الشهر الحالي ممثلون عن تسعة بلدان عربية ووفد من جامعة الدول العربية ووفد فلسطيني .

وتناول جدول اعمال الحلقة وضع قواعد موحدة لكتابة اسماء المواقع الجغرافية في الاراضي العربية بالاحرف اللاتينية ودرس امكان اصدار مصور جغرافي بالاحرف اللاتينية . كما ستدرس الحلقة ما تقوم به اسرائيل من تغيير لاسماء المواقع الجغرافية في الاراضي العربية المحتلة .

ويحضر هده الحلقة خبراء من لبنان وابو ظبي والاردن والجمهورية العربية المتحدة والعراق وليبيا والسودان وتونس وسوريا .

عمان :

※ خصصت الحكومة الاردنية مبلغ خمسين الف دينار لسد العجز في موازنة الاوقاف في الضفة الغربية .

※ ضمت المكتبة العامة لامانة العاصمة عمان الى موجوداتها من الكتب 240 كتابا باللغة الانجليزية في مختلف فروع المعرفة .

وبهذه المناسبة فان مكتبة امانة العاصمة الاردنية عمان تضم اكثر من ثلاثين الف كتاب .

※ دعت دائرة الثقافة والفنون في عمان جميع الشعراء الاردنيين لان يقدم كل شاعر منهم خمس نماذج من قصائده المختارة حتى يصار الى جمعها في كتاب واحد يصور الحركة الشعرية في الاردن . ووجهت مثل هذه الدعوة الى كتاب القصة القصيرة .

※ قدمت اسرة المسرح الاردنية في دائرة الثقافة والفنون مسرحية « مهاجر بريسبان » للشاعر اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحادة وهي مترجمة الى العربية وتمثل الصراع بين الشرف وحب المال .

※ عينت الحكومة الاردنية هاني الخصاونة مديرا عاما لدائرة المطبوعات .

※ تلقى المؤرخ الاردني محمود العابدي دعوة من معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة لالقاء ست محاضرات خلال شهر نوفمبر المقبل عن القدس تشمل النواحي التالية : اهمية القدس . علاقة المسيحيين بالقدس . علاقة المسلمين بالقدس . الآثار الاسلامية بالقدس . قرارات هيئة الامم والهيئات الدولية بشأن المحافظة على المدينة . ما فعلته اسرائيل في المدينة وما تخطط له من أجل تهويدها . وهذه المحاضرات تعد للطبع عادة في كتاب ويلقى على الطلبة مختصرها .

※ قررت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية منع تداول أو ادخال المصحف الشريف (تفسير الجنة) والذي طبعته مكتبة محمد هاشم الكتبي بدمشق وذلك لاحتوائه على اخطاء في الآيات القرآنية وطباعتها .

وقد طلبت الوزارة الى وزارة المالية والجمارك ومديرية الامن العام اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ القرار المذكور .

وذكر السيد عيد خلف داوديه وكيل وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية ان الوزارة تولي موضوع تدقيق نسخ المصحف الشريف التي تتم طباعتها خارج الاردن اهتماما كبيرا وعناية فائقة للتاكد من خلوها من الاخطاء الفنية والمطبعية .

وقال ان الوزارة لاتوافق على ادخال اي من النسخ الا حسب شروط معينة يجب توافرها في كل طبعة .

واضاف السيد داوديه ان الوزارة بعثت برسائل الى المسؤولين في الدول العربية والاسلامية لفتت انتباههم فيها الى ضرورة ملاحظة طباعة القرآن الكريم للابقاء عليه سليما من كل شيء يشوه وثاقيته ومنزلته في قلوب المسلمين .

※ أصدرت وزارة الاوقاف الاردنية كتيبا تضمن الكلمات التي القيت في الاحتفال بذكرى المولد النبوي كما اصدرت كتيبا آخر بعنوان « رسالة الى المتقفين » بقلم احمد العناني .

※ اصدر محمد محمود العزة مدير مدرسة المجد الثانوية في عمان كتابا عنوانه « الله والمادة والانسان » بحث فيه مشاركة الفكر العربي في الفكر العالمي .

❊ ينتظر ان يقوم قريبا وفد يمثل صندوق التنمية الاقتصادية العربية فى الكويت بزيارة الاردن للبحث مع المسؤولين الاردنيين فى تمويل مشروع اقامة سد الازرق .

وتقدر تكاليف انشاء هذا السد بستة ملايين دينار اردني .

وقال مصدر فى الصندوق ان الاردن اجرى اخيرا مناقشة لانشاء هذا السد اشترك فيها عدد من دول اوربا الشرقية كيوغوسلافيا والمجر وبلغاريا .

وتتوقع الاوساط الاقتصادية الاردنية ان يوافق الصندوق على اعطاء قرض للاردن بعد الاطلاع على التصاميم والمخططات الخاصة بالمشروع .

السعودية :

❊ الطائف ـ صدرت اوامر ملكية سامية بتاليف هيئة كبار العلماء التي تضم 17 من كبار علمائنا المختصين فى الشريعة الاسلامية لتقوم بابداء الراي فى ما يحال اليها من ولي الامر من اجل بحثه وتكوين الراى المستند الى الادلة الشرعية فيه والتوصية فى القضايا الدينية المتعلقة بتقرير احكام عامة يسترشد بها ولي الامر .

كما تضمنت الاوامر لجنة فرعية عن الهيئة هي اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى وعين الشيخ ابراهيم ابن محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيسا لها .

❊ قرر مجلس الوزراء الموقر تعيين فضيلة الشيخ محمد بن عودة امينا عاما لهيئة كبار العلماء التى تم تشكيلها مؤخرا ضمن جهاز رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وذلك بالمرتبة الخامسة عشرة . كما ان جلالة الملك قد وافق على هذا القرار ..

ومن ناحية اخرى يواصل فضيلة الامين العام اجتماعاته بصاحب السماحة رئيس ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وذلك لدراسة وبحث متطلبات الامانة العامة تمهيدا لمباشرتها اعمالها المناطة بها فى اسرع وقت .

❊ لن يسمح للنساء اللائى يرغبن فى اداء فريضة الحج لهذا العام ما لم تكن كل امراة مصحوبة بزوجها او احد محارمها . وقد اتخذت هذه الاجراءات بناء على قرارات تنظيمية اصدرتها الجهات المختصة فى المملكة والتي طلبت من جهات الاختصاص فى البلدان الاسلامية عدم السماح للسيدات باداء فريضة الحج ما لم يكن مصحوبات بازواجهن او احد محارمهن .

❊ يجري التخطيط الان للاعداد لاقامة المعرض الدولي الاسلامي الذي تقرر اقامته خلال مواسم الحج .. فى مدينة جدة وتشترك فيه جميع الدول الاسلامية .. كما ستتاح الفرصة لاشتراك الدول الاخرى فى هذا المعرض .

❊ صرح مصدر مسؤول بوزارة المواصلات بانه قد اعتمدت مبالغ تقدر بحوالي اربعة عشر مليون ريال فى ميزانية الدولة للعام المالي 91 ـ 92 باسم مشاريع طرق الحج التي سوف تطرح فى مناقصة عامة قريبا جدا وهي طريق ربوة الخيف ـ طريق عرفات الشمالي ـ طريق دقم الوبر ـ طريق المشاة وتخطيط عرفات حيث تقوم ادارة الطرق بالمنطقة الغربية باجراء الاستعدادات اللازمة لطرحها فى المناقصة .

وذكر المصدر قائلا ان كل ذلك من اجل راحة ضيوف الرحمن .

❊ استكملت اللجنة العليا للتوعية الاسلامية خطتها الخاصة بالمراكز الصيفية التابعة لرعاية الشباب بوزارة المعارف وقد قام مندوبون من هذه اللجنة بجولة كبيرة على جميع المراكز الصيفية للشباب فى مناطق المملكة المختلفة والتى بلغ عددها احد عشر مركزا فى هذا العام واقاموا الندوات والاجتماعات الاسلامية مع المشتركين فى المراكز لمناقشة مشاكل الشباب بصفة عامة ومحاولة وضع الحلول الاسلامية لها كما قاموا بتلبية دعوات الاهالي لالقاء عدد من المحاضرات العلمية فى المساجد والاندية المختلفة. والجدير بالذكر ان وزارة المعارف تقيم هذه المراكز فى كل عام وخلال العطلة المدرسية لملء اوقات فراغ الطلاب بالنشاطات الدينية والاجتماعية والفنية والرياضية .

❊ اعلن الامين العام المساعد للامم المتحدة فى تصريح له ان الشباب المسلم فى جميع انحاء العالم يتطلع الى تحقيق التضامن الاسلامي .. وانه سيكون انجازا عظيما للشعوب الاسلامية اقامة سوق اسلامية مشتركة وتعاون اقتصادي اوسع بين البلدان الاسلامية.

ويضيف الامين العام المساعد بأن تحقيق التضامن الاسلامي ستكون له الفائدة لجميع شعوب الامة الاسلامية .. ولن يكون ضد مصلحة احد .

وقال : ان بعض الجهات تعتبر ان اتحاد الامم الاسلامية سيكون في غير صالحها .. ولكنني لا اعتقد ان لذلك اساسا .. ولقد تبين لي خلال زياراتي العديدة لبلدان العالم ان المزيد من المسلمين قد وعوا وادركوا اهمية تحقيق الوحدة الاسلامية وخاصة الشباب الذين يتحدثون عن ضرورة تحقيق التضامن الاسلامي .

واضاف قائلا بأن على وسائل الاعلام في البلدان الاسلامية واجب كبير في سبيل الوصول الى هذا الهدف السامي .

* اختتم المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي يوم الخميس 17 شعبان بعد ان عقد 17 جلسة .. وكان المجلس قد بدأ جلساته مع غرة شعبان برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .. وحضور الامين العام للرابطة واعضاء المجلس ..

وقد استمع المجلس في جلسته الختامية للمقررات والتوصيات التي توصل اليها المجلس في دورته الثالثة عشرة هذه حيث اقرها بصيغتها النهائية .

وقد تحدث رئيس الدورة الحالية الشيخ عبد العزيز بن باز بكلمة ضافية جامعة توجه فيها بالشكر الى خادم الحرمين الشريفين ورائد التضامن الاسلامي الفيصل المعظم على جهوده الخيرة ومساعيه الحميدة في ارساء قواعد التضامن الاسلامي وتوطيد كلمة المسلمين .

كما أشاد بالجهود المخلصة التي قام بها اعضاء المجلس وما حققوه في هذه الدورة .

وانهى كلمته القيمة بالابتهال الى الله العلي القدير بالتوفيق والسداد .

الكويت :

* تعكف وزارة الاوقاف الكويتية في الوقت الحاضر على اعداد كشوف كاملة من الكتب الاسلامية الصالحة للتوزيع في شتى المناطق باللغات المختلفة وتوجه ادارة الشؤون الاسلامية عناية خاصة الى كتب التفسير والحديث الشريف باللغات المختلفة ، ويبلغ عدد لغات هذه الكتب اكثر من عشرين لغة تغطي المؤسسات والجامعات والمعاهد والجمعيات الدينية في الدول المختلفة .

وتركز الوزارة ايضا على محاربة الحركات الهدامة ، وقد قامت بتوزيع كميات كبيرة من المطبوعات التي تفضح هذه الحركات وتكشف زيفها للناس كافة .. وقد كان لتوزيع هذه المطبوعات خاصة عن الحركة القاديانية في افريقيا أثره الهام في حماية الشباب المسلم هناك من تلك الحركة النشيطة المعادية للدين الاسلامي .

* صرح وكيل وزارة التربية الكويتية الاستاذ يعقوب الغنيم بأن الوزارة تصر على منع ظاهرة الخنافس وقال ان ديننا وتقاليدنا تأبى هذه الظاهرة الفاجرة وستعاقب الوزارة كل طالب يتخنفس.

وقال الاستاذ الغنيم في حديث له لمجلة المجتمع الكويتية ان وزارة التربية سوف تعمم مسابقات حفظ القرآن الكريم على جميع المراحل .. وسوف ترصد لها مكافآت رمزية .

كما اضاف يقول بان الصلاة في المدارس الزامية على الجميع وسوف تراقب الوزارة تنفيذ هذا الموضوع بدقة .

* ندد مسؤول كويتي في الاسبوع الماضي بالهجمات التي تشنها بعض الفئات في الفلبين — على المسلمين في تلك البلاد .

وقال هذا المسؤول وهو وزير الشؤون الاسلامية السيد راشد الفرحان ان على المسلمين ان يوحدوا صفوفهم ازاء المذابح التي ترتكب ضد اخوانهم في الفلبين .

واعلن في كراتشي السيد احمد ديمونوكو التو عضو مجلس الشيوخ في الفلبين ان اكثر من 3 000 مسلم قد قتلوا واكثر من خمسين الف طردوا من مساكنهم خلال المجازر الاخيرة التي وقعت في الفلبين.

* اعلن في الكويت ان الحكومة ستتبرع بمبلغ مائة الف دينار لاقامة مركز اسلامي في السودان .

وقد اعلن السيد عبد العزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء هذا القرار امام الصحفيين اثر

اجتماع وزاري قدم خلاله السيد عبد الرحمن سالم العتيقي وزير المالية تقريرا عن الوضع المالي الدولي.

ولم يذكر السيد حسين اية تفاصيل عن الاجراءات المالية التى قد تتخذها الحكومة لكنه قال ان مجلس الوزراء يأمل بأن تنتهي الازمة النقدية الدولية قريبا .

* صدر عن دار البحوث العلمية فى الكويت الكتب التالية : « الفهرس الهجائي لكتاب المغني لابن قدامة فى فقه الامام أحمد بن حنبل » صنعه محمد سليمان الاشقر فى 142 صفحة حجم كبير . و « الاسلام يتحدى » تأليف وحيد الدين خان تعريب ظفر الاسلام خان مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين فى 288 صفحة حجم كبير . و « بحوث فى الربا » تأليف محمد ابو زهرة فى 96 صفحة . و « القرآن والقصة الحديثة » تأليف محمد كامل حسن المحامي فى 164 صفحة حجم كبير .

* افضى السيد عبد الله كنون بحديث الى مجلة الوعي الاسلامي دعا فيه الى مشاركة العلماء المسلمين فى الحياة السياسية لبلادهم فى المؤتمرات واللقاءات الدولية وبخاصة فى مؤتمر القمة الاسلامي الذي دعا اليه جلالة ملك المغرب وانعقد لاول مرة فى الرباط ، وقال انه لا سبيل لتفادي تقاطع المسلمين وقيام اتحاد اسلامي الا بالاعتماد على علماء الاسلام .

ولا سيما الذين يهتمون منهم بالقضايا الاسلامية والسياسة الدولية .

العـــراق :

* يطبع الان فى بغداد النصف الثاني من كتاب الزهرة لابي داود الاصفهاني بتحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي ونوري القيس ، وكان النصف الاول قد طبع سنة 1936 بتحقيق المستشرق الامريكي فيكل ومساعده الشاعر ابراهيم طوقان .

* « مرحبا ايها الارق » ديوان شعري للشاعر العراقي المعروف محمد مهدي الجواهري سيصدر قريبا عن وزارة الاعلام العراقية .

* « ديوان الشاعر القروي .. » مجموعة اشعار وقصائد الشاعر الكبير رشيد سليم الخوري ستقوم وزارة الاعلام العراقية باصداره فى كتاب واحد .

* كما تقوم وزارة الاعلام العراقية ايضا بتولي نشر ديواني « فى جزيرة السندباد » . للشاعر سليمان العيسى ... وديوان « اعاصير » للشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب .

* تقرر ان تصدر وزارة الاعلام فى العراق مجلة تعني بشؤون التراث العربي تسمى « المورد » وبراس تحريرها وزير الاعلام السيد شفيق الكمالي وينوب عنه السيد زكي الجابر نائب الوزير ، وتألفت هيئة التحرير من السادة الاساتذة :

الدكتور ابراهيم السامرائي ، وسالم الآلوسي ، وعبد الحميد العلوجي ، وعبد الجبار العمر ، ونحن نرجو للزميلة الجديدة كل التوفيق والازدهار .

* يوالي الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم العمل فى تحقيق كتاب شرح مقامات الحريري للشريشي ، ومن المنتظر ان يكون الكتاب فى ستة اجزاء ، وقد صدرت الاجزاء الثلاثة الاولى منه وسوف يصدر الرابع قريبا .

* وفى بغداد صدر كتاب « شعر عروة بن اذينة » من تحقيق الدكتور يحيى الجبوري وهو من منشورات مكتبة الاندلس ببغداد ، وقد بدىء بطبع شعر المتوكل الليثي وهو من تحقيقه ايضا .

* ذكر فى بغداد ان المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ستبحث خلال اجتماعها القادم موضوع استبدال الارقام العربية المستخدمة حاليا وهي هندية الاصل بالارقام العربية الاصل والمستخدمة الان عالميا لانها أكثر اصالة واسهل تداولا .

* يصدر قريبا ضمن سلسلة الفنون الشعبية التي تصدرها وزارة الاعلام العراقية كتاب عن الشاعر الشعبي العراقي الملاعبود الكرخي تاليف الشاعر الشعبي زاهد محمد ويتضمن الكتاب دراسة نقدية فى شعر الكرخي .

* اقر المجمع العلمي العراقي مساعدة كتاب « جمهرة الامثال البغدادية » تأليف العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي ويحوي الكتاب ما يقارب الالف قصة شعبية هي اصول لبعض امثال بغداد .

* هند نوري العبدان الاديبة العراقية نزيلة القاهرة صدرت لها مجموعة شعرية عن مطبعة الدار المصرية بالقاهرة بعنوان « الغسق » في 96 صفحة .

* سيصدر كتاب عن « القصة والمسرحية في الادب العراقي الحديث » وهي رسالة دكتوراه نالها من كلية الآداب بجامعة القاهرة الدكتور عمر محمد الطالب وسيقع الكتاب في مجلدين .

* الكاتب الفولكلوري محمد شفيق يعد الان دراسات موسعة عن الفولكلور الغنائي البغدادي القديم المسمى بـ « المربع » والذي كاد ينقرض بعد ان كان شائع الترديد في الحفلات الليلية الخاصة بأفراح الزواج والختان وغيرها .

تركيا :

* قدم البنك الدولي لتركيا قرضا قدره 13.500.000 دولار لمساعدتها في النهوض بالتعليم الفني والمهني بها .

وسيسمح هذا القرض ومدته 25 عاما بتجهيز 32 مدرسة فنية و 12 مدرسة مهنية ومدرسة لمعلمي التعليم الفني ومركز لصناعة المعدات العلمية وآخر للسينما والاذاعة والتلفزيون المدرسية .

كما سيقوم هذا المشروع الذي تم وضعه بمساعدة اليونسكو ومنظمة العمل الدولية بتقديم المنح للدراسات في الخارج واستخدام الوسائل التربوية الحديثة .

* اعتقلت قوات الامن التركية 16 شخصا بينهم اساتذة جامعات وكتاب ينتمون الى الحزب السري التركي .

وذكر في استانبول ان المعتقلين قادوا في السنوات الاربع الماضية حملة ضخمة تستهدف اقامة حكم شيوعي في تركيا . كما لعبوا دورا هاما في اضطرابات واعمال عنف اجتاحت البلاد في اوائل العام الحالي .

ايران :

* قدمت حكومة **ايران مساهمة** خاصة تبلغ 10 000 دولار الى وكالة **غوث اللاجئين** الفلسطينيين (الاونروا) كاعانة اضافية **بجانب المساهمة** السنوية المنتظمة التي تدفعها **ايران للوكالة والتي** تبلغ قيمتها 7 900 دولار .

وستحول خمسة **آلاف دولار** من هذا المبلغ الى برنامج اليونسكو – **الاونروا استجابة** للنداء الذي وجهه في بداية هذا **العام المدير** العام لليونسكو .

هذا وستتكفل **ايران كذلك** بمصاريف طبع 5 000 نسخة من الكتب المدرسية المخصصة لمدار الاونروا – اليونسكو .

* قدمت سجادة ملونة من الحرير تتضمن صورة لشاه **ايران بالحجم** الطبيعي وتبدو خلفه مدينة « بيرسيبوليس » **الاثرية** الى كل رئيس دولة يحضر احتفالات **ذكرى مرور** 2.500 سنة على تأسيس الامبراطورية **الفارسية** .

ولم ينجز عمال **حياكة السجاد** الايرانيون المهرة حتى الآن سوى 25 سجادة **من أصل** 40 سجادة لان حياكة كل سجادة **تستغرق خمسة** أشهر .

وستتلقى الملكة اليزابيث **ملكة** بريطانيا التي يمثلها زوجها دوق ادنبرة **الذي** ترافقه ابنتهما الاميرة آن سجادة من **الشاه** .

واعدت سجادة اخرى **للرئيس** الفرنسي جورج بومبيدو الذي قبل بادىء **الامر** دعوة الشاه لحضور الاحتفالات التي بدأت قبل **ايام** لكنه عاد عن رايه فيما بعد .

آسيا :

مانيلا :

* اعلن البوليس **الفلبيني ان** تسعة اشخاص قتلوا في ثلاث **مدن** في **اقليم** « كوتاباتو » خلال المصادمات التي **وقعت** بين الطوائف

الدينيـة كما اسفـرت هذه الاحـداث عـن اصابـة عدد كبير من الاشخاص .

وقالت مصادر البوليس الفلبيني ان الاف مـن اللاجئين يهربون كل يوم من مدن اقليم لانا وديبـوت الذي له حدود مشتركة مع اقليم كوتاباتـو حيـث اسفرت الاشتباكات التي وقعت هناك عن سقوط عدد كبير من الضحايا المسلمين .

ومن ناحية اخرى ناشدت الجمعية الاسلاميـة الاندونيسية الرئيس الاندونيسي سوهارتو بأن يتدخل لوقف المجازر ضد المسلمين في جنوب الفلبيـن . ودعت الجمعية ايضا المسلمين في مختلف انحاء العالم لتأييد مسلمي الفلبين في نضالهم لاقامة العدل والحق.

وقال البيان الذي اصدرته الجمعية ان مسلمي اندونيسيا قلقون جدا ازاء المجازر التي تحل بالمسلمين في اقليمي كوتاباتو وغناو ديبورت في جنوب الفلبين .

اتهم احد الزعماء المسلمين البارزين في الفلبين بان هناك مصالح اجنبية وراء المجازر التي ترتكب ضد المسلمين في جنوب الفلبين .

وقال هذا الزعيم وهو السيد علي يادا بن دانتون رئيس حزب الاحرار المعارض في مؤتمر صحفي عقده في مانيلا انه يشتبه بوجود ضلع اسرائيل في التحريض على هذه المجازر .

واضاف انه يجب على الامم المتحدة اذا لزم الامر ان توفد مندوبا عنها الى الفلبين للتحري حول الوضع. ويمثل السيد بن دانتون اقليم كوتابوتو في مجلـس النواب الفلبيني وهو شخصية لها وزنها بين المسلمين.

وكانت المناطق التي يقطنها المسلمون في جنوب الفلبين قد تعرضت في الاشهر الاخيرة لسلسلة مـن الغارات قامت بها عصابة مسلحة .

❋ اعلن في مانيلا ان عمدة مدينة بودا الفلبينيـة الذي قاد 1 500 مسلم فلبيني مسلح اثناء اشباكات مع قوات الحكومة مؤخرا سيصل الى العاصمة الفلبينية يوم الثلاثاء القادم لاجراء محادثات سلام مع الرئيس ماركـوس .

وذكر ان الرئيس الفلبيني ارسل مبعوثيـن الى العمدة للاعداد للاجتماع وكان حوالي 50 مسلما وعشرة من جنود الحكومة قد قتلوا في الاشتباكـات التـي استمرت اكثر من اسبوع .

الفلبيـــن :

❋ تعود المؤامرات الوحشية لتصفية المسلمين في الفلبين مرة ثانية حيث ترتكب المجازر ضد الاقلية الاسلامية هناك وتشارك الحكومة والجيش في هــذه المذابـح .

فقد اعلن ناطق عسكري فلبيني ان عددا غيـر معروف من المسلمين بينهم نساء واطفال قد قتلوا في اقليم « كوتاباتو » في جنوب الفلبين . وقال ان جميع الضحايا قتلوا في قرية تدعى « بونجور » .

وكان اقليم كوتوباتو الذي يبعد 600 ميـل الى الجنوب من مانيلا قد شهد مؤخرا مصادمات طائفـة دموية ، وقد اتهم المسلمون من سكان الاقليم احدى العصابات المسيحية المسلحة التي تسمـي نفسهـا « الباجاس » بالاغارة على قراهم بقصد القتل والنهب.

وتقول وكالة الصحافة الفرنسية ان 61 مسلما قد قتلوا داخل احد المساجد على يـد مسيحييـن مسلحين يعتقد بانهم من اعضاء هذه العصابة في يوليو الماضـي .

كما ذكرت الانباء ان الجيش الفلبيني نفسه ساهم في ارتكاب مجازر ضد المسلمين بحجة وقف الاشتباكات الطائفيـة .

مـاليـزيـا :

❋ دعي سبعة عشر بلدا اسلاميا للاشتراك في المناسبة السنوية الدولية لتلاوة القرآن الكريم التي ستعقد في كوالالمبور ابتداء من السابع من نوقمبر .

وقالت وكالت الانباء الماليزيـة ان المناسبـة ستستمر خمس ليال وستجري في المسجد الرئيسي في المدينة وفي استاد مرديكا وقد ابلغت المغـرب اللجنة المشرفة على المناسبة موافقتها على الاشتراك في لجنة التحكيم .

ومن المعروف ان المملكة المغربية تشترك سنويا في لجنة التحكيم .

❊ كوالالمبور – صرح تنكو عبد الرحمن السكرتير العام للامانة الاسلامية ان افغانستان عادت فعرضت استضافة المؤتمر الاسلامي بشرط ان لا يعقد قبل ابريل من العام القادم .

وقال تنكو عبد الرحمن الذى غادر كوالالمبور فى طريقه الى جدة ان عليه ان يدرس هذا العرض فى ضوء العديد من التطورات الاخرى المختلفة . واوضح ان المؤتمر الذى كان من المقرر فى الاصل عقده فى كابل فى الشهر الماضي قد جرى تأجيله الى اجل غير مسمى بناء على رغبة الحكومة الافغانية بسبب الجفاف فى افغانستان .

❊ علم ان عدد حجاج ماليزيا هذا العام سيصل الى احد عشر الف حاج وهو اكبر رقم من الحجاج الماليزيين يتوجه الى الديار المقدسة منذ 30 عاما .

وقال مدير شؤون الحج فى كوالالمبور ان عشرة آلاف من هؤلاء الحجاج سيتوجهون الى الديار المقدسة بطريق البحر ، اما الباقون فبواسطة الطائرات .

❊ كوالالمبور – اعلن تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا ان المجلس الاسلامي فى ماليزيا الذي يتمتع بتاييد الحكومة سيقيم معهدا لتدريب الدعاة المنوط بهم ممهة نشر الدعوة الاسلامية .

وقال تون عبد الرزاق الذي يتولى ايضا رئاسة المجلس ان المعهد سيتولى تدريب الوعاظ والائمة والعاملين فى حقل الاعلام وغيرهم من العاملين فى التربية الدينية .

وقد اعلن تون عبد الرزاق عن هذه الخطوة فى خطاب القاه فى الجلسة الافتتاحية لدورة تستمر اسبوعين هدفها توفير التدريب اللازم للعاملين فى مجال التربية الدينية ورجال الاعلام وذلك فى مركز تدريب الموظفين الحكوميين فى كوالالمبور .

وذكر تون عبد الرزاق ان هدف المعهد المقترح هو اعداد دعاة مدربين لنشر تعاليم الاسلام فى ماليزيا والدول المجاورة لها وطالب رئيس الوزارة الماليزية بقيام تنسيق فى هذا المجال بين الدوائر الحكومية المختصة برعاية الشؤون الدينية والمنظمات التي تعمل متطوعة فى هذا المضمار .

❊ قالت مجلة « فلايت انترناسيونال » البريطانية ان ماليزيا ستشتري سربا من المقاتلات من طراز ميراج من فرنسا .

وقالت الجريدة ان موعد تسليم هذه الطائرات التي تفوق سرعتها ضعفي سرعة الصوت لم يتحدد بعد .

❊ اقترحت الامانة العامة للدول الاسلامية انعقاد المؤتمر القادم بسرعة ، وقال تنكو عبد الرحمن الامين العام :

من الضروري ان يعقد المؤتمر فى اقرب وقت ممكن لبحث مواضيع ملحة من بينها اقرار دستور الامانة العامة .

واضاف انه بانتظار تقرير من الامين العام للامم المتحدة أوثانت حول ما يتعرض له المسلمون فى الفلبين .

❊ دعا تنكو عبد الرحمن السكرتير العام للامانة الاسلامية حكومة الفلبين الى اتباع سياسته اكثر تسامحا فى المجال الديني من اجل المحافظة على السلام والوفاق فى العالم . وحذر تنكو عبد الرحمن بأن الاشتباكات الطائفية واعمال القتال الجارية فى جنوب الفلبين الان ستؤدي الى ابادة الاقلية المسلمة فى المنطقة تماما اذا لم تقم الحكومة الفلبينية بالتدخل .

وكان تنكو عبد الرحمن يعلق بذلك على نبأ ورد من مانيلا وجاء فيه ان عدد ضحايا الاضطرابات الطائفية فى جنوب الفلبين بلغ اكثر من 700 قتيل معظهم من المسلمين خلال الاشهر الثمانية الماضية .

وقال تنكو عبد الرحمن انه شعر بقلق بالغ من جراء ما تناقلته الانباء عن الحوادث الفظيعة التي وقعت ضد المسلمين فى جنوب الفلبين ومن بينها الاعتداء على احد المساجد وقتل من كان فيه المصلين .

❊ غادر السيد علي عبد الله الرئيس التنفيذي للامانة العامة الاسلامية العالمية كوالا لمبور متوجها الى مقر عمله فى جدة وتوقف السيد عبد الله فى بيروت حيث اقامت الامانة الاسلامية مركزا اعلاميا ثقافيا وكان السيد عبد الله والامين العام تنكو عبد الرحمن قد عادا الى ماليزيا مؤخرا بعد جولة فى باكستان والهند لدراسة قضية اللاجئين الباكستانيين الشرقيين ويتوقع ان يعود تنكو عبد الرحمن الى جده فى اكتوبر الجاري .

✻ مانيلا ــ ذكرت مصادر البوليس الفلبيني ان قوات الفلبين قتلت عددا من المسلمين فى مقاطعة « لاناو يل نورتي » فى جنوب الفلبين يوم الخميس الماضي .

ولم تحدد هذه المصادر عدد القتلى الا ان التقارير الصحفية ذكرت ان عددهم بلغ 18 شخصا .

واضافت تلك المصادر ان القتلى سقطوا بعد معركة استغرقت ساعتين .

✻ اعلن تنكو عبد الرحمن الامين العام لامانة المؤتمر الاسلامي ان الاجتماع القادم لوزراء الخارجية الاسلامي سيعقد فى جدة فى شهر مارس القادم .

بانكوك :

✻ صرح السفير السعودي لدى تايلند الشيخ عبد الرحمن العمران لصحيفة « صوت الامة » التي تصدر فى بانكوك بان حوالي خمسة الاف حاج تايلندي سيؤدون هذا العام فريضة الحج .

جاكرتا :

✻ بعث مكتب المؤتمر الدولي الاسلامي من مقره فى جاكرتا ببرقية للامم المتحدة طلب فيها من الجمعية العامة للامم المتحدة ادانة اسرائيل بشدة لانها لم تحترم قرار مجلس الامن لعام 67 الذي طالبها بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة .

وطلب المؤتمر ايضا من الدول الاربع الكبرى ان تبذل جهودها من اجل ايجاد تسوية عادلة لازمة الشرق الاوسط .

اليابان :

✻ ستقام المسابقة السابعة « لجائزة اليابان » التي تنظمها هيئة الاذاعة والتلفزيون اليابانية فى الفترة ما بين أول و 16 نوفمبر القادم .

ولقد دعيت للاشتراك فى هذه المسابقة الهيئات الاذاعية والتلفزيونية التي تمثل ما يقرب من 131 دولة .

والمعروف ان هذه المسابقة مخصصة فقط للبرامج والافلام التربوية .

آسيا الوسطى :

✻ اوضحت جريدة كوميونست تاجكستانا بقراءة كتاب جديد يشرح الخاصة بزيادة وتحسين نشر الالحاد والزندقة بين الفلاحين فى تاجكستان السوفياتية وهي منطقة كانت تسكنها اغلبية اسلامية قبل العهد البلشفي .

وقد اصدرت هذا الكتاب دار نشر تابعة للحكومة واسم الكتاب بعض الملامح حول تشكيل النظرية العالمية الالحادية للفلاح التاجكستاني .

ووصف الكتاب بانه قد وضع من مراكز الحزب بروح الالحاد العسكري وانه يهدف الى تنفيذ تعليمات الحزب والحكومة بشأن النشاط الالحادي ضد المسلمين فى الاتحاد السوفياتي والذين يعانون اقسى انواع الاضطهاد الديني والفكري حيث يقوم حكام الكرملين بانزال اقسى العقوبات ضد المسلمين المتمسكين بدينهم وعقيدتهم .

الباكستان :

✻ اتمت الاكاديمية الاسلامية فى دكا اخيرا مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة البنغالية والذي بدأ تنفيذه عام 1966 م وجندت له هيئة تتكون من كبار العلماء فى باكستان الغربية .

وقد اقام السيد عبد الله هاشم المدير السابق للاكاديمية ورئيس هيئة العلماء حفلا بهذه المناسبة . والقى كلمة شكر فيها السيد احمد حسين المدير الحالي للاكاديمية وهيئة المحررين على جهدهم الكبير والعظيم الاثر فى ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة البنغالية التي يتحدث بها أكثر من 65 مليون شخص .

✻ يقوم وفد من الجماعة الاسلامية بالباكستان يتكون من الاستاذين « رحمة الهى » أمين العام الجماعة وخليل احمد الحامدي رئيس القسم العربي فى الجماعة، يقوم بجولة حول بعض بلدان العالم الاسلامي ، والعربية منها بالاخص لشرح قضية باكستان الشرقية،

وقد زار الوفد حتى الان الكويت ولبنان وينتظـــر أن يزور القاهرة ثم دول المغرب العربي .

ومعلوم ان الجماعة الاسلامية اكبر منظمة اسلامية فى آسيـــا .

* اعلن رسميا ان الحكومة الباكستانيـــة قررت السماح لـ 17 500 شخص – من مقاطعتي باكستان بتاديته فريضة الحج هذا العام ، وسيؤدي 15 700 شخص فريضة الحج عن طريق البحـــر و 1 800 عن طريق الجـــو .

أفغانستــــــان :

* اعلن تانكو عبد الرحمن السكرتير العام للامانة العامة الاسلامية انه من المحتمل عقد اجتمـــاع لوزراء الخارجية الدول الاسلامية فى العام القادم فى كابـل بعد ان ايدت حكومة افغانستان استعدادهـا لعقـد الاجتماع فى اراضيها لكن ليس قبل ابريل 1972 وقد ادلى تانكو عبد الرحمن بهذا التصريح قبل مغادرتـه كوالالمبور فى طريق عودته الى جدة واشـــار الى ان المؤتمر الذي كان من المقرر عقده فى كابول فى الشهر الماضي قد تأجل بناء على طلب الحكومة الافغانيـــة وذلك بسبب المجاعة التي حلت بالبلاد اخيرا .

* كابل – اعلـن رسميـا فى كابل ان المملكـة العربية السعودية قدمت لافغانـستان أسمدة كيماوية تقدر قيمتها بحوالي 20 الف جنيه .
وقد جاءت هذه الهدية تلبية لنداء افغانستـان لدول العالم لمساعدتها فى مواجهة نتائج الجفـاف فى البلاد بعد انقطاع المطر عنها سنتين متواليتين .

أروبـــــا :

بـاريـس :

* جمعت اليونسكو حول مائدة مستديرة عـددا من الصحفيين المسؤولين عن الشؤون الثقافيـــة فى كبريات الصحف اليومية والاذاعة والتلفزيون . وكان السؤال موضع المناقشة هو « ما هو المكـــان الذي تتبواه الثقافة فى عالمنا المعاصر الذي وصل فيـــه الاعلام ، بمختلف وسائله ، الى الجماهير العريضة ؟ »

وقد دارت المناقشات فى جو بعيد عن الرسميات برئاسة البرفسور ريتشارد هوجارت ، مساعد المدير العام للعلوم الاجتماعية والعلوم الانسانيـة والثقافـة بالمنظمة ، والشخصية التي لعبت دورا هاما فى شحذ الافكار وتفاعلها مع طبيعة الثقافة ووظيفتها .

* وصل الى باريس السيد ابراهيـم الطحاوي الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين فى مصـــر قادما من بلغراد لحضور المؤتمر الاسلامي للجمعيـات الاسلامية الذي يعقد فى باريس .

وكان السيد الطحاوي قد انهى اتصالاتـــه فى بلغراد بعد أن حضر اجتماع الجمعيات الاسلاميـــة فى يوغسلافيا الذي اعلن فيه موافقة المسلمين اليوغسلاف على الاشتراك فى مشروع البنك الاسلامي ودار الفكر الاسلامي العالمية والاتحاد العالمي للشباب المسلم .

* تقوم هيئة اليونسكو بتنظيم مؤتمـر دولـــي للشباب خلال عام 1973 او 1974 ، يكون تحت رعايتها وسيتضمن جدول اعماله عدة مسائل تـــدور حـــول موضوع هام هو : موقف الشبان ازاء المشاكل الكبرى للتربية والعلوم والثقافة والاعلام .

* ان السلسلة الهامة من الدراسات الاجتماعية التي نشرتها اليونسكو فى العام الماضي بالتعاون مـع دار النشر «موتون» تحت عنوان « الاتجاهات الرئيسية للبحث فى مجال العلوم الاجتماعية والانسانيـــة » – الجزء الاول ، قد تم اعداده للصدور فى طبعة الجيب .

وسيصدر كل فصل من فصول الكتاب الستـة فى كتاب مستقل فى مجموعة « افكار » التي تصدر عن دار النشر جاليمار (1) . وقد صدر فعلا عددان هما : « ما هو علم الاجتماع ؟ تأليـف بول لازارسفلـد ، « والديمغرافيا » تأليف جان بورجوا بيشـا . كمـا سيصدر عددان آخران خلال النصف الثاني من هـذا العام وهما : علم النفس للاستاذ جان بياجيه ، وعلـم اللغويات للاستاذ رومان جاكوبش .

وهذه الدراسة عن الاتجاهات الرئيسـية للبحث التي قامت اليونسكو بوضعها فى عام 1965 وسهر على تنفيذها ما يقرب من ثلاثمائة من الاخصائيين من جميع انحاء العالم بالتعاون مع العديد من مراكز البحـــوث ، تحاول جاهدة « تذليل الطرق التي تسلكها العلوم فى

المستقبل » على حد تعبير الاستاذ كلـود ليفـي ـ شتراوس .

وستصدر اليونسكو الجزء الثاني من هـذه الدراسة ، وهو الجزء المخصص للعلوم الانسانية فى عام 1972 .

❊ وضعت رابطة الطلاب الاسلاميين فى فرنسا مشروعا لتاسيس تعاونية لا ربوية ، تجمع مدخرات الطلاب والجالية المسلمة فى فرنسا ، وتستعملها فى مشاريع اقتصادية تعود بالفائدة على المشتركين جميعا وتؤمن بعض احتياجات المسلمين بالطـرق الحـلال الممكنـة .

وقد باشرت التعاونية عملها فى منطقة باريس كتجربة اولية ، وتطبق على بقية المدن الراغبة حين نجاحها باذن الله .

ويقوم فرع باريس للرابطة باعداد دراسة حول موضوع « المدينة الاسلامية » ، كما يمكن ان تكون من ناحية هندسة المدن ، والهندسة المعمارية ، ومراعاة المتطلبات الاسلامية ، من ستر وحياة بيتية نظيفـة ، وبحيث تقدم للفرد والعائلة التسهيلات الضرورية لحياة هادئة مطمئنـة ، فالمـدن الفطريـة Villes champignons التي تتضخم وتنتشر دون أي تخطيط ، من العوامل الرئيسية لتهدم كيان الاسرة ، وفقدانها السيطرة على ابنائها الذين ينهارون خلقيـا ونفسيا وعصبيا ، ومن هنا ايضا كثرة الجرائـم على النفس والغير .

وتتوقع الرابطة مشركة بعض اصحاب الاختصاص من المسلمين فى مثل هذا العمل العام .

لنـــدن :

❊ يبدو اخيرا وبعد انتظار طويل ان مشروع بناء جامع فى لندن سيصبح حقيقة فى مدى السنتيـن القادمتيـن .

وقد برزت فكرة بناء المسجد هذه لاول مرة سنة 1932 عندما منح الملك جورج الخامـس الجمعيـة الاسلامية ببريطانيا بيتا كبيرا وقطعة أرض واسعة على حافة ريجنت بارك بلندن مقابل اقامـة كاتدرائيـة انجليكانية فى القاهرة يرجع الفضـل فى ذلـك الى المساعي الحميدة التي كان يبذلها السيد حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية فى لندن بدون انقطاع حتى اختاره الله الى جواره . وتقول الوكالة السعودية للانباء والتي نقلت الخبر ان هذا البيت كان مقرا للمركز الثقافي الاسلامي ونظرا لعدم وجود مسجد بالمعنـى الصحيح هناك فقد اقيمت فيه صلوات الجمعة والاعياد وقد وضع حجر الاساس لبناء مسجد فيه عام 1952 بعد ان قبلت الخرائط التي قدمها المهندس المعماري المصري رمزي عمر الا ان عملية البناء لم تنفذ لعـدة اسباب اهمها الصعوبات المالية وحالة عدم الاستقرار السائدة فى الشرق الاوسط ومعارضـة الحكومـة البريطانية لخرائط التصميم بحجة ان تصميم المنارة والقبة لا ينسجم مع ما يجاورها من ممتلكات التـاج البريطانـي .

وتقول الوكالة ان لجنة المسجـد والسلطـات البريطانية قد وافقتا اخيرا على تصميم قدمه المهندس المعماري البريطاني السير فريدريك جيبرد والـذي ستبلغ تكاليفه مليونا ونصف مليـون من الجنيهـات الاسترلينيـة .

وتضيف الوكالة ان البعثات الدبلوماسية يتقدمها الشيخ عبد الرحمن الحليسي لم تستلم الا ربع مليون جنيه ولكنه يجزم بأن المبلغ المطلوب سوف يستكمـل بمجرد التأكد من عدم وجود اى عقبات امام تنفيذ هذا المشروع الاسلامي الضخم . هذا وستشكل لجنـة خاصة لجمع التبرعات من جميع الاقطار الاسلامية فى العالم لهذا الغرض .

وجاء فى تصريح لمساعد مدير المشروع وامـام المسجد الدكتور محمد ابراهيم الجابوش لوكالة الانباء السعودية انه اذا نجحت اللجنة فى جمع التبرعـات سيبدا فى عملية البناء فى موعد اقصاه أوائل السنـة القادمة . هذا وسيبنى المسجد على الطراز العربي وتطلى قبته باللون الذهبي ، أما المنارة فسيبلغ علوها 150 قدما وسيتسع المسجد لألف مصلـي ، اما فناؤه الامامي فسيعد لاستيعاب اكثر من خمسـة الاف مطلي احتياطا للمناسبات الدينية الكبرى كمـا سيحتـوي المبنى على ثلاث صالات أخرى ومدرسـة ومكتبـة تستوعب 85 000 مجلد وبيت لمدير المركز الاسلامي كما يتوقع المسؤولون ان يكون اجمل واروع مسجـد فى أوروبا الغربية .

❊ تصدر فى لندن مجلة اسلامية نصف شهريـة بعنوان : « الصدمة » « أمباكـت » عن دار نشـر

« نيوز آندميديا » . وهي مؤسسة اعلامية اسلامية يضطلع بأعبائها جمهرة من الشباب المسلم المثقف المتابع لدراساته هناك بالاشتراك مع بعض أثرياء من مسلمي الباكستان .

ومن اهداف المجلة كما تعلن عن نفسها «استئناف الحوار مع الحقيقة الذي فقد طويلا ، بخصوص قضايا العالم الاسلامي » .

ومن مواضيع عدد 10 ـ 9 ـ 71 الذي توصلنا به اخيرا :

1 ـ نحو سلام أم حرب في الشرق الاوسط .

2 ـ الدول الاسلامية الناطقة بالفرنسية في افريقيا (بحث تحليلي) .

3 ـ عرض لكتاب اليهود والماسونية في أوروبا.

4 ـ أوضاع السودان في الميزان .

بالاضافة الى طائفة من اخبار المسلمين في اوروبا وامريكا والعالم الاسلامي .

واسلوب المجلة من شأنه ان يفتح الحوار حقا مع الراي العام العالمي المسيحي والماركسي ، وهو بذلك يسد فراغا كبيرا في الاعلام الاسلامي المعاصر .

* كتب المراسل الخاص لوكالة الانباء السعودية من لندن يقول : بأن شخصيات بارزة من الطلبة والخريجين المسلمين في لندن تبذل مجهودات جريئة من اجل تعزيز تفهم الغرب للدين الاسلامي وذلك بالصدار جريدة نصف شهرية بعنوان ـ امپاكت ـ والتي صدرت للمرة التاسعة رغم الصعوبات المالية التي تواجهها .

ويقول مراسل الوكالة بأن هذه الفكرة وليدة اجتماعات عدة كان يقوم بها عدد من الطلبة المسلمين في بريطانيا لمناقشة امور دينهم ومتابعة التطورات في بلدانهم ، ولاقناع هؤلاء الطلاب بأن الغرب يخطىء في تفهمه للدين الاسلامي ، وايمانا منهم بأن الواجب يحتم عليهم القيام باي عمل من شأنه ازالة سوء الفهم . هذا فقد عمدوا الى متابعة لقاءاتهم هذه بعد التخرج والتي كانت نتيجتها ظهور هذه الجريدة الى حيز الوجود .

وتهتم هذه الجريدة بموضوعات شتى حول الدين الاسلامي وموقفه من الاتجاهات الاجتماعية والسياسية، كما ان معظم كتابها متخصصون في حقول معينة . ومن بين الموضوعات المختلفة التي ظهرت في الجريدة وتحمل عناوين مثل : ـ هل التعايش السلمي ممكن بين المسيحية والاسلام ـ بقلم جون تينور ـ و ـ قراءات اسلامية في جامعة برمنجهام ـ و ـ الوحدة الاسلامية ـ بقلم تنكو عبد الرحمن ـ والاسلام في سجون امريكا ـ بقلم احد ابناء الجالية الاسلامية الايرانية هناك . و ـ الجالية الاسلامية في جنوب افريقيا ـ بقلم محمد عجم و ـ حول موضوع سيادة الفرد ـ بقلم الكاتب والمفكر الباكستاني الشهير الدكتور بورى و ـ القدس المنسية ـ بقلم هيئة التحرير و ـ الاسلام في تركيا ـ بقلم نور الدين كوتلوب ، وموضوع حول المسيحية الى الوزاج بقلم البروفسور كمال أحمد .

والجريدة تعني ايضا بالتطورات في العالم الاسلامي وتهتم بالنشاط الادبي والثقافي كما ناقشت مؤخرا ترجمتين للقرآن الكريم صدرت احداهما باللغة الانجليزية والاخرى بالاسبانية . وتحت شعار ـ من اجل الانارة لا الاثارة ـ ومن اجل خلق المزيد من التفهم للدين الاسلامي اتخذت الجريدة اسلوب النقاش الهادىء في الامور المتنازع عليها .

وتتكون هيئة التحرير من كل من : السيد احمد عرفان من باكستان كرئيس للتحرير ، والسيد دحلا ارشد من ماليزيا محررا للاخبار ، وكل من السيد عبد الواحد حميد من ترينيداد والدكتور الصديقي من الباكستان كمساعدين لرئيس التحرير ، ويشرف على تحريرها السيد ابراهيم محمد من ماليزيا ، كما تضم عددا من العرب ، ومن الجدير بالذكر ان الجميع يسدون خدماتهم دون مقابل .

ويضيف مراسل الوكالة بأن الجريدة لا تتلقى مساعدات من أية دولة وأنها تعتمد كلية على الاشتراكات ولهذا فهي تسعى الى اجتذاب المزيد من المشتركين والحصول على المساعدات كي تتغلب على صعوباتها المالية . هذا ويعرب رئيس التحرير عن ثقته بأن الجريدة ستغلب في النهاية على مشاكلها المالية عندما يتسع انتشارها ويزداد عدد قرائها . .

ايرلندة :

* تشكل في بريطانيا وايرلندة مؤخرا اتحاد يضم كافة الجمعيات الاسلامية هناك . وقد بلغ عدد تلك

الجمعيات الاعضاء فى الاتحاد 59 جمعية اسلامية ، وهي تعمل فى دائرة التعاون الجماعي بين افراد مسلمين جمعتهم ظروف الغربة والاخوة فى الله وتحذوهم الرغبة للعمل على الحفاظ على الشخصية الاسلامية للمجتمع المسلم فى بريطانيا والحيلولة دون ذوبان المسلمين فى المجتمع الغربي كما حدث فعلا فى كثير من الاقطار .

والجدير بالذكر بالمناسبة ان عدد المسلمين فى بريطانيا وايرلندة يبلغ مجموعة نصف مليون نسمة يعيشون وسط 60 مليون نسمة .

وقد يتبادر الى الذهن بعد قراءة الخبر : لماذا 59 جمعية اسلامية لنصف مليون مسلم ، وجوابا على ذلك نؤكد ان طبيعة وجود الجاليات الاسلامية فى تلك البلاد اقتضت هذا التنوع الذي يعد بدوره عاملا للمنافسة فى العمل للاسلام ونشر فضائله وخدمة ابناء المسلمين بأساليب مختلفة وفى ظروف متباينة ولكن الغاية واحدة خالصة لوجه الله .

السويد :

※ سيصدر الدكتور كريستوفربول استاذ الادب العربي فى جامعة السويد كتاب الاكليل للهمداني مع ترجمة له .

※ تتجه انظار اهل الادب والفكر فى العالم الى عاصمة السويد حيث تعلن فيها بعد ايام جائزة نوبل فى الادب عن عام 71 : اشهر جائزة وارفعها فى العالم .

عدد المرشحين 10 من الذين يتربعون على القمم ورئيس جمهورية هو : الشاعر ليبولد سنجور الرئيس السنغالي ! العشرة هم : هراهام جرين (بريطانيا) وهنريك بويل وجنتر جراش (المانيا) وكلود سيمون واندريه مالرو (فرنسا) واوجين اونسكو (الروماني المولد) و. هـ. اودين (انجليزي - أمريكي) والرتو مورافيا (ايطاليا) وبابلو نيرودا (شيلي) وباتريك وايت (استراليا) .

يتوقع كتاب السويد ورجال النشر فيها ان يحصل ليوبولد سنجور على الجائزة او الاسترالي باتريك وايت الذي رشح لها منذ سنتين .

الحائز على الجائزة سيحصل على 88 الف دولار يتسلمها يوم 10 ديسمبر القادم فى احتفال تاريخي يوافق ذكرى 75 سنة على وفاة مخترع الديناميت السويدي « الفريد نوبل » الذي تحمل الجائزة اسمه،

وفكر فيها اصلا كاتجاه يخدم الانسانية ادبا وعلما وسلاما بعد ان عذبه ضميره طويلا لانه نجح فى ان يجمع معظم ثروته من : المتفجرات !

※ ياتي الشعب السويدي فى طليعة الشعوب الاوروبية فيما يتعلق بحب القراءة . اما موضوع هذه القراءة فهو الجريدة اليومية فان النسبة هي : 515 جريدة يومية لكل الف ساكن .

ويحتل الشعب الياباني المرتبة الثانية اذ يقرا كل الف ساكن 492 جريدة يومية .

اما الشعب البريطاني الذي كان فى الطليعة حتى سنة 1954 فانه هبط الى المرتبة الثالثة اذ اصبحت النسبة 4663 جريدة يومية لكل الف ساكن .

وبالمقارنة مع بعض البلدان الفقيرة او النامية ، يلاحظ ان نسبة القراء فى الداهومي مثلا لا تبلغ سوى جريدة واحدة لكل الفي ساكن ..

المانيا :

※ ستكون موضوعات البحث اثناء مؤتمر ميونيخ الذي سينعقد بها فى الفترة من 21 الى 24 اكتوبر 1971 هي المراحل الاربع الكبرى للتفرقة العنصرية فى حياتنا : دخول المدرسة ، ودخول الحياة ، والزواج، والموت . ويشرف المعهد الدولي لحقوق الانسان (مؤسسة رينه كاسان) على هذا المؤتمر بناء على طلب اللجنة البابوية للعدالة والسلام . وسيضم المؤتمر علماء الاجتماع والفلسفة ورجال الدين والقانون .

※ تلقى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رسالة من الاستاذ الدكتور اسطفان فيلد ، مدير المعهد الالماني للابحاث الشرقية فى بيروت ، يطلب فيها صورة لمخطوطة قديمة وهي رسالة لجالينوس « فى ان قوى النفس توابع لمزاج البدن » ، وهي موجودة فى المكتبة التيمورية بالقاهرة ضمن مجموعة فلسفية .

وقد لبى المعهد طلبه فارسل من يصور هذه الرسالة من المكتبة التيمورية لارسالها الى الدكتور فيلد .

ومن الجدير بالذكر ان هناك تعاونا وثيقا بين معهد المخطوطات والمعهد الالماني فى بيروت ، فى مجال المخطوطات وتبادل كتب التراث .

* نشر معهد اليونسكو للتربية فى هامبورج ضمن سلسلة «الدراسات البيداجوجية الدولية» (رقم 24)، دراسة عنوانها « عوامل وأهداف الاصلاح الجامعي فى جمهورية المانية الاتحادية » ، وهو تقرير عن الاجتماع الذي ضم فى يونيه 1969 بمدينة هامبورج عددا من التربويين وممثلى الادارات المدرسية فى المانيا وكندا والولايات المتحدة وفرنسا والمجر واليابان وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا .

فيينــــا :

* فى فينا استكملت المستشرقة النمساوية فهرسة المخطوطات العربية التي اضيفت الى مكتبة فينما خلال المائة سنة الاخيرة ، وقد طبع المجلد الاول عام 1970 ، وستتلقى بقية الاجزاء التى تفهرس لبقية الكتب .

جنيــــف :

* اعلن الشيخ احمد بن علي آل ثاني حاكم قطر الليلة الماضية ان الاولوية ستعطى فى قطر الان لموضوع تحسين الادارة المركزية .. وقال ان سياسة قطر الخارجية ستقوم على اساس التعاون مع الاقطار العربية خاصة وجميع الاقطار الصديقة بوجه عام .

* قدمت اليونسكو عدة مقترحات الى مجلس التجارة والتنمية التابع للامم المتحدة لتناقش اثناء دورته الحادية عشرة التى انعقدت فى جنيف فى الفترة من 24 اغسطس الى 17 سبتمبر 1971 .

وتهدف هذه المقترحات الى رفع مستوى انتاج وتوزيع الكتب فى دول العالم الثالث .

وقد عرض السيد رينه ما هو المدير العام لليونسكو فى تقريره الذي رفعه الى المجلس ، على وجه الخصوص ، مسالة ضرورة منح تسهيلات دفع للدول النامية ليكون ذلك حافزا لها على استيراد الكتب التي تحتاج اليها وشراء المعدات اللازمة لاقامة صناعات محلية للنشر . وتدخل هذه الاجراءات ضمن الجهود المبذولة من أجل العام الدولي للكتاب (1972) .

* قالت جمعية اليهود الامريكيين **فى تقرير** صادر عنها ان عدد اليهود فى **الولايات المتحدة** اكبر من عدد اليهود المقيمين فى مناطق **اخرى .**

وقد جاء فى هذا التقرير **السنوي لسنة 1971** ان عددهم فى العالم الآن 13ر9 **مليون نسمة** ، منهم 87ر5 بالولايات المتحدة و 62ر2 **مليون بالاتحاد** السوفياتي و 56ر2 مليون **باسرائيل**

ويقول التقرير ان نسبة **اليهود بالقياس** بالسكان الامريكيين قد انخفض **خلال الخمسين** سنة الاخيرة من 7ر3 ٪ الى 3 ٪ فقط .

على ان هذه الاحصائيات **لا يمكن تصديقها لان** عدد اليهود فى الولايات المتحدة **حسب** مصالح الاستعلامات الشرقية يزيد عن **ذلك بكثير .**

* انتهت اشغال الدورة **الرابعة والعشرين** للجنة المخدرات التابعة للامم المتحدة **التى انعقدت فى** جنيف منذ 27 سبتمبر وقد تميزت **نهاية الاشغال** بنتائج هامة من الناحية التقنية **ونتائج اضعف من** الناحية السياسية .

فمن الناحية التقنية توصلت **اللجنة الى اتفاق** حول المشاكل التى يضعها الحشيش **والقات** وقضية زراعة الحشيش فى اقطار الشرق **الادنى والاوسط.**

وقد صادقت اللجنة على ملتمس **يطلب من لجنة** الصحة العالمية ان تنهي بأسرع ما **يمكن دراستها** حول القات كما صوتت على ملتمس يحتج ضد نشر الاشاعات التى تقول بأن الكنبي **ليس منتجا مخدرا** ويطالب الحكومات بتطبيق تدابير **المراقبة تطبيقا** صارما للحيلولة دون انتشار تهريب **الكنبي**

كما قررت اللجنة من جهة **اخرى بالاجماع** تشكيل لجنة لدراسة قضية **تهريب لا شرعي** للمخدرات بالشرق الادنى والاوسط وستتكون اللجنة وبطبيعة الحال فان **ايران وتركيا وباكستان** ستستدعى لتكون اعضاء اللجنة **كما** ستستدعى افغانستان ايضا .

ايطاليــــا :

* يقوم المركز الاسلامي **الثقافي بايطاليا** بنشاط كبير فى خدمة الجالية المسلمة **بايطاليا وفى نشر** المعلومات الصحيحة عن الاسلام **وتعاليمه السمحة ،** فبارك الله فى جهود العاملين .

* قرر نحو 20 الف مسلم التآزر لبناء أكبر مسجد فى جنوب افريقيا وذلك فى ضاحية «ليناسيا» التي يقطنها الهنود فى جوهانسبورغ .

* يقوم المركز الاسلامي الثقافي بايطاليا بنشاط كبير فى خدمة الجالية الاسلامية بايطاليا وفى نشر المعلومات الصحيحة عن الاسلام وعن تعاليمه السمحة.

وقد نشرت المجلة الايطالية الاسبوعية المصورة - ستيه جورني وهي من المجلات الواسعة الانتشار فى ايطاليا والمرموقة مقالا مطولا عن الاسلام والمسلمين فى ايطاليا والقضايا الاسلامية وبصورة خاصة قضية فلسطين والاماكن المقدسة وعدوان اليهود عليها ، وكان المقال منصفا ومعبرا عن كثير من الحقائق التي يحتوي عليها الاسلام .. كما صرح بذلك الدكتور محمد علي صبري مدير العلاقات العامة للمركز الاسلامي المذكور.

وقال انها ستعرض امر الاعتراف بالدين الاسلامي على مجلس النواب الايطالي كما حدث فى بلجيكا .

* اعلنت الفنانة الايطالية مارتشيلا مايكل انجلو اسلامها واختارت اسم فاطمة محمد عبد الله عوضا عن اسمها السابق .

وتقول السيدة فاطمة :

ان اهم العوامل فى اسلامها هو حياة التسامح والمحبة التي رأتها اثناء زيارتها للقاهرة .

وقد تعهدت ببناء مسجد فى روما ووضعت الاموال اللازمة لبناء هذا المسجد .

الاتحاد السوفياتي :

* عقد زعماء المسلمين فى طشقند اجتماعا سريا خلال الصيف قرروا فيه القيام بعمل مباشر ضد السلطات السوفياتية بعد ان تدهورت احوالهم .

وقالت وكالة الانباء الفرنسية التي نقلت الخبر من موسكو ان حوالي 200 زعيم قد حضروا الاجتماع الذي يعتبر الاول من نوعه منذ الاضطهاد الشيوعي ضد المسلمين .

* ذكرت الانباء ان صحيفة سوفيتسكايا السوفياتية قد نشرت مقالا يتبين منه ان الهدف من وراء الحملة الراهنة التي تشنها الحكومة السوفياتية ضد الاديان وفى مقدمتها الدين الاسلامي المنتشر فى كثير من المناطق هناك هو خلق جو من الحقد ضد الدين فى مختلف مجالات الحياة .

ولا يشدد المقال الذي نشرته الجريدة فى 17 اغسطس على الاهمية المطلقة للعمل المعادي للاديان فحسب وانما يتيح للقارىء الاطلاع بصورة نادرة على الاساليب الدنيئة التي تستخدم فى هذه الحملة .

وجاء فى المقال انه قد تقرر تشكيل ما سمي بمجالس العمل الالحادي فى الاقاليم من اجل تنسيق النشاطات المعادية للدين لضرورة البحث عن اقوى السبل لزيادة الهجوم على العقائد السماوية وقد ضوعف عدد المحاضرات والمطبوعات والاجتماعات للوصول الى هذا الهدف الهدام . كما نظمت امسيات ومكاتب لتنظيم النشاط المسرحي والسينمائي المعادي للاديان . وذلك بالاضافة الى تأسيس نواد للطلاب على نطاق واسع لنشر الالحاد بينهم حيث بلغ عدد النوادي فى اقليم صغير واحد مائتي ناد .

وقد لجأت السلطات الشيوعية الى اجراء مقابلات فردية وبذل جهود شخصية مع الشيوعيين لدعم نشاطاتهم ضد العقائد السماوية ، وقد نظمت المؤسسات الحزبية فرقا من الدعاة للقيام بهذا العمل واستشهد المقال بالصراع الذي استمر عاما لتحويل أحد المواطنين السوفييت عن دينه .

ومن جهة اخرى يجري تركيز الاهتمام ايضا على النساء وخاصة فى المناطق الريفية حيث تقوم السلطات الشيوعية بتحويل الاعياد والاحتفالات الدينية الى احتفالات شيوعية الطابع .

* تحصل المستشرقون السوفيات فى المدة الاخيرة على كثير من المكتشفات التي تساعد على معرفة مصادر الثقافة فلقد ظهرت منذ وقت غير بعيد الاسلامية ومصيرها التاريخي ، فى المكتبات العلمية السوفياتية طبعة ممتعة من تاريخ الخلفاء لمؤلف مجهول من القرن الحادي عشر .

كانت اول مخطوطة تم نشرها وكان قد اشتراها العالم الروسي ف. شابفالوف من سوق تجار الكتب فى مدينة - بخارى - وكان ذلك منذ اكثر

من نصف قرن والنسخة الاصلية للمخطوطة عبارة عن مجلد كبير الحجم فى غلاف جلدي اسود ، ووجها الغلاف مزينان بالزخارف التي تحمل الطابع الاسلامي، ويرى الاختصاصيون أن المجلد قد تم تأليفه فى القرن الخامس عشر أو بعده .

ويحفظ الان هذا المصدر التاريخي للمخطوط فى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم فى جمهورية أوزباكستان السوفياتية ويعتبره المختصون السوفيات مصدرا للوقائع التاريخية الاسلامية لا يمكن الاستغناء عنه .

وتتحدث هذه المخطوطة عن الظروف التى ادت الى سقوط الخلافة الاموية وعن تاريخ الحركة العباسية، غير أن هذه المخطوطة حسب راي الاختصاصيين ليست سردا للوقائع التاريخية فحسب وانما استعراض فريد من نوعه للمصادر التي سبقتها حول حوادث السنين الغابرة وخاصة أثناء حكم الخلفاء الراشدين عمر وعثمان وعلي وينتهي بمعركة صفين .

والاتجاه السياسي لمؤلف المخطوطة واضح ، فقد كان مواليا مستقيما للسلالة العباسية استنادا على معطيات علمية ان هذه المخطوطة النادرة كانت فى وقت من الاوقات بالمكتبة العامة التابعة للاوقاف التي اسسها محمد بارسا ، وبعد وفاة مؤسس مجموعة الكتب النادرة والمخطوطات استمر على هذه المكتبة توارد نماذج جديدة من الكتابة الشرقية من اشخاص غير معروفين الى درجة أن احد الحكام اعتبر من الضروري ايقاف دخول هذه المخطوطات الى المكتبة

وهكذا فقد وصلت بعض الاثار الفريدة للثقافة الاسلامية الى سوق تجارة الكتب ، وقد بذلت كل الجهود الممكنة لكي تصبح الكتب والمخطوطات العربية ملكا للمراكز العلمية مما أتاح لعشرات من العلماء الانهماك فى تصنيف وترجمة وتجديد الاثار العربية ودراستها بعمق .

وقد عملت بشكل خاص مدرسة المستشرق السوفياتي ف. بيليايف الكثير فى هذا المجال ، وليس من قبيل الصدفة ان تلاميذ ف. بيليايف قد اهدوا الطبعة السوفياتية من – تاريخ الخلفاء – لاستاذهم ، ويحتوي هذا الكتاب على صورة طبق الاصل لمخطوطة – تاريخ الخلفاء – .

❋ افتتح اخيرا فى مدينة خيوق بمنظمة خوارزم متحف للطب القديم وكانت قد اسست فى خوارزم فى القرون الوسطى هيئة العلماء بنشاطها المتنوعة باسم مجمع المامون ، نشا فى هذا المجمع وعمل فيه الشيخ الرئيس ابو علي ابن سينا والعالم الشهير ابو الريحان البيروني وغيرهما من فحول العلماء ، هذا واسس هذا المتحف من قبل العالم الطبي الاستاذ عبد الله يف .

❋ لقد اثبت الكيميائيون القازاق الاسطورة التى كانت تقول بأن الطوب المستعمل فى القرون الوسطى فى بناء ضريح علي شاهان فى قازاقستان المركزية كان يعجن طينه بألبان الفرس ، أثبتوا ان هذه الاسطورة تروي انه أحضر الى مكان قرر بناء الضريح عليه خمسة آلاف فرس ، واكتشف العلماء ان الطوب على حيطان الضريح يحتوي على خمسمائة فى المائة من المواد العضوية ، وربما فى هذه الحقيقة يمكن سر بقاء الطوب طول هذه المدة الطويلة ، هذا وان ضريح علي شاهان بني على شكل مكعب والمتفرج على حيطانه المزركش يتخيل كانه يشاهد سجادة كبيرة ، ومدخل الضريح عبارة عن قبة على شكل الهرم ، ومما يثير استغراب الباحثين اضاءة داخل الضريح بالاشعة الشمسية .

❋ صدر اخيرا فى طشقند كتاب « فى دول المغرب المستقلة » من تأليف العالم الاوزبكي بروفسور أكرموف الذى تجول فى دول المغرب ، ولقد كتب هذا الكتاب على اساس انطباعاته الشخصية والوثائق التاريخية التى جمعها اثناء زيارته ، ويعرف الكتاب القراء على تاريخ البلاد المغربية واقتصادها وأحوال شعوبها وتقاليدها القومية ومناخها الاقليمي وموقعها الجغرافي .

❋ اصدرت الادارة الدينية منذ مدة غير بعيدة فتوى جديدة جاء فيها شرح تفصيلي بالآيات القرآنية والسنة النبوية لوجهة نظر الاسلام فى التقاليد المنتشرة غير المرغوب فيها مثل الولائم المسرفة بمناسبة ختن الاولاد والذكريات للموتى ، وقررت الادارة الدينية انه لا يليق بالمسلم ان يبذر امواله فى مثل هذه الاغراض وخاصة لا يجوز له اسراف مال الورثة

ومن المعلوم ان أئمة المساجد لهم دور كبير فى توجيه المسلمين القاطنين فى انحاء الجمهوريات

الخمس فى آسيا الوسطى وهي قازاقستان وقرغيزيا وتركمانيا وتاجكستان واوزبكستان ، وفى كل مسجد من مساجد هذه الجمهوريات يوجد الامام الذى بلسانه تنشر الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وصاياها وارشاداتها بين المسلمين .

* احتفلت مدرسة «ميرعرب» فى مدينة بخارى بتخرج فوج جديد من العلماء الفتيان وهذا الفوج هو أول فوج يتخرج من المدرسة بعد اقتصار مدة التعليم لسبع سنوات بدل التسعة التى كانت قبل النظام الجديد وبهذا تمكنت الادارة الدينية من اعداد الاطارات فى فرصة اسرع ، وحصل كل واحد من المتخرجين على حسب كفايتهم العلمية والادارية على وظيفة يقوم بها اما ائمة فى المساجد واما موظفين فى الادارة المركزية لمسلمى آسيا الوسطى والوظائف الاخرى ، هذا وقد حضر الاحتفال نائب المفتى الشيخ اسماعيل مخدوم الذى تمنى للمتخرجين الجدد نجاحا كبيرا فى أعمالهم لصالح الدين الاسلامي .

أمريكا :

* هيوستن ـ تعقد منظمة الطلبة العرب فى الولايات المتحدة جامعة هيوستن بولاية تكساس ، ويستمر هذا المؤتمر من السادس والعشرين حتى التاسع والعشرين من الشهر الجاري .

وأعلن رئيس المنظمة السيد مازن ايراني بانه ستلقى فى المؤتمر عدة محاضرات وندوات تدور حول القضية الفلسطينية .

وذكر السيد ايراني بأنه سشترك فى المؤتمر نخبة من رجال الفكر وعدد من المنظمات الصديقة ومئات الطلاب فى الجامعات الامريكية وكندا .

* يصدر اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحده وكندا مجلة باللغة العربية بعنوان « الاتحاد » كما يصدر ايضا سلسلة كتب دورية بأقلام كبار الكتاب المسلمين فى العالم الاسلامي .

